جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠هـ

الأجزاء

١٩ - ٢٠ - ٢١

دار الفكر

جَامِعُ البَيَانِ

عَن

تَأْوِيلِ آيِ القُرْآنِ

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء التاسع عشر

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت لبنان

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ٧٠٦١ / ١١

المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧

برقياً : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء التاسع عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

فهارس

الجزء التاسع عشر من جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبرى

١ – فهرس الآيات

سورة النمل

٢ – فهرس الموضوعات

٣ ـ فهرس القوافي

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾

❊ يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لايخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمدا محق فيما يقول، وأن ماجاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك، كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم (وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا) ثم قال بعد (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة فى أنفسهم، وتعظموا، (وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا) يقول: وتجاوزوا فى الاستكبار بقيلهم ذلك حده.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال كفار قريش: (لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ) فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا) لأن عتا من ذوات الواو، فأخرج مصدره على الأصل بالواو، وقيل فى سورة مريم (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) وإنما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر فى هذا الوجه جمع الأسماء كقولهم: قعد قعودا، وهم قوم قعود، فلما كان ذلك كذلك، وكان العاتى يجمع عتيا بناء على الواحد، جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه، وأحيانا مردودا إلى أصله.

القول في تأويل قوله تعالى:

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: (لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا)

بتصديق محمد الملائكة ، فلا بشرى لهم يومئذ بخير (يقولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا ، حراما محرّما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ؛ ومن الحجر قول المتلمس :

حَنَّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ ألا تِلْكَ الدَّهارِيسُ (١)

ومنه قولهم : حجر القاضى على فلان ، وحجر فلان على أهله ؛ ومنه حِجر الكعبة ، لأنه لا يدخل إليه فى الطواف ، وإنما يطاف من ورائه ؛ ومنه قول الآخر :

فَهَمَمْتُ أنْ أَلْقَى إلَيْها مَحْجَرًا فَلَمِثْلُها يُلْقَى إلَيْهِ المَحْجَرُ (٢)

أى مثلها يُركب منه الحَرَمُ .

واختلف أهل التأويل فى الخبر عنهم بقوله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) ومن قائلوه ؟ فقال بعضهم قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، وسأله رجل عن قول الله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال : تقول الملائكة : حراما محرما أن تكون لكم البُشرى .

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، عن جدى ، عن الحسن ، عن قَتادة : (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال : هى كلمة كانت العرب تقولها ، كان الرجل إذا نزل به شدّة قال : حجرا ، يقول : حراما محرّما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُون حِجْرًا مَحْجُورًا) لما جاءت زلازل الساعة ، فكان من زلازلها أن السماء انشقّت (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالمَلَكُ عَلَى أرْجَائِهَا) على شفة كل شىء تشقّق

---

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (عن معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى : رسم نخلة) . . وحنت : اشتاقت . وفى (اللسان : دهرس) : حجت . ونخلة القصوى : موضع على ليلة من مكة . وقيل : هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية ؛ فالشامية واد ينصب من الغمير . واليمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . وحجر : مثلث الحاء بمعنى حرام ، وفى معجم البكرى : بسل عليك ، وهو الحرام أيضا . والدهاريس جمع دهرس ، مثلث الدال ، وهى الداهية (عن اللسان) . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٦٧ من مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩) وعنه أخذه المؤلف .

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالى (اللسان : حجر . والديوان طبعة دار الكتب المصرية ص ٨٤) . وفى رواية الديوان واللسان : أغشى فى موضع : ألقى . والمحجر : الحرام . قال فى اللسان : لمثلها يؤتى إليه الحرام . و قبل البيت ثلاثة أبيات ، وهى :

لَم ألْقَ عَمْرَةَ بعدَ إذْ هِيَ ناشِئٌ خَرَجَتْ مُعَطَّفَةً عَلَيْها مِئْزَرُ
بَرَزَتْ عَقِيلَةَ أرْبَعٍ هادَيْنَها بِيضِ الوُجُوهِ كأنَّهُنَّ العُنْقَرُ
ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رَيطَةٌ مَطْوِيَّةٌ وَهِيَ التى تُهْدَى بها لَوْ تَشْعُرُ

والبيت : شاهد على أن المحجر الحرام . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٢٤ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) : ألق : من لقيت أى مثلها يركب منه الحرم . وعنه أخذ المؤلف .

من السماء ، فذلك قوله (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ) : يعنى الملائكة تقول للمجرمين حراما محرّما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) قال : يوم القيامة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال : عوذا معاذا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه : الملائكة تقوله .

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال ابن جُرَيج : كانت العرب إذا كرهوا شيئا قالوا حجرا ، فقالوا حين عاينوا الملائكة . قال ابن جُرَيج : قال مجاهد : (حِجْرًا) : عوذا يستعيذون من الملائكة .

⁂ قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك من أجل أن الحِجْر هو الحرام ، فمعلوم أن الملائكة هى التى تخبر أهل الكفر أن البُشرى عليهم حرام . وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة ، وليست بتحريم ، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم ، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَقَدِمْنَا) وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون (مِنْ عَمَلٍ) ، ومنه قول الراجز :

وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الضُّلَّالُ   إلى عِبادِ رَبِّهِمْ وَقالُوا
إنَّ دِماءَكُمْ لَنا حَلالُ [1]

يعنى بقوله : قدم : عمد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) الرجز من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٦٧ مصورة الجامعة ٢٦٠٥٩) . وقدم إلى الشىء : عمد إليه وقصد . وهو محل الشاهد عند المؤلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَدِمْنَا) قال : عَمَدْنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) يقول : فجعلناه باطلا ، لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان . والهباء : هو الذى يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوّة يحسبه الناظر غبارا ليس بشيء تقبض عليه الأيدى ولا تمسه ، ولا يرى ذلك فى الظلّ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : الغبار الذى يكون فى الشمس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : الشعاع فى كوّة أحدهم إن ذهب يقبض عليه لم يستطع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : شعاع الشمس من الكوّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوّة ، فهو الهباء .

وقال آخرون : بل هو ما تسفيه الرياح من التراب ، وتذروه من حطام الأشجار ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : ما تسفى الريح وتَبُثُّهُ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : هو ما تذرو الريح من حطام هذا الشجر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) قال : الهباء : الغبار .

وقال آخرون : هو الماء المُهراق .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَبَاءً مَنْثُورًا) يقال : الماء المهراق .

وقوله جلّ ثناؤه (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) يقول تعالى ذكره : أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرّا ، وهو الموضع الذى يستقرّون فيه من منازلهم فى الجنة من مستقرّ هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم ، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا فى الدنيا ، وأحسن منهم فيها مقيلا .

فإن قال قائل : وهل فى الجنة قائلة ؟ فيقال (وأَحْسَنُ مَقِيلاً) فيها ؟ قيل : معنى ذلك : وأحسن فيها قرارا فى أوقات قائلتهم فى الدنيا وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمرّ فيهم فى الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوّله إلى وقت القائلة ، حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة ، فذلك معنى قوله (وأَحْسَنُ مَقِيلاً) .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) يقول : قالوا فى الغرف فى الجنة ، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وهو مثل قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسابا يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مَسْرُورًا) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة فى نصف النهار ، فيقيل هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) قال : لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم ، فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار . قال : وفى قراءة ابن مسعود : (ثُمَّ إنَّ مَقِيلَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) قال : قال ابن عباس : كان الحساب من ذلك فى أوّله ، وقال القوم حين قالوا فى منازلهم من الجنة ، وقرأ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصوّاف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ، وأنهم يقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ من الناس ، فذلك قول الله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وأَحْسَنُ مَقِيلاً) .

قال أبو جعفر : وإنما قلنا : معنى ذلك : خير مستقرا فى الجنة منهم فى الدنيا ، لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) ، جميع أحوال الجنة فى الآخرة أنها خير فى الاستقرار فيها ، والقائلة من جميع أحوال أهل النار ، ولم يخصّ بذلك أنه خير من أحوالهم فى النار دون الدنيا ، ولا

فى الدنيا دون الآخرة ، فالواجب أن يعمّ كما عمّ ربنا جلّ ثناؤه ، فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرّاً فى الجنة من أهل النار فى الدنيا والآخرة ، وأحسن منهم مقيلا . وإذا كان ذلك معناه ، صحّ فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم فى قولهم : هذا خير من هذا ، وهذا أحسن من هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (تَشَقَّقُ) فقرأته عامّة قرّاء الحجاز (وَيَوْمَ تَشَّقَّقُ) بتشديد الشين بمعنى : تتشقق ، فأدغموا إحدى التاءين فى الشين فشدّدوها ، كما قال (لايَسَّمَّعُونَ إلى المَلإِ الأعْلَى) .

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين والاجتزاء باحدى التاءين من الأخرى .

والقول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب : وتأويل الكلام : ويوم تُشقق السماء عن الغمام . وقيل : إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذى ظلل على بنى إسرائيل ، وجعلت الباء ، فى قوله (بالغَمام) مكان « عن » كما تقول : رميت عن القوس وبالقوس ، وعلى القوس ، بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بالغَمامِ) قال : هو الذى قال : (فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ) الذى يأتى الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن فى تلك قطّ إلا لبنى إسرائيل . قال ابن جُرَيج : الغمام الذى يأتى الله فيه غمام زعموا فى الجنة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبى حازم ، عن عبد الله بن عمرو قال : يهبط الله حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون حجابا ، منها النور والظلمة والماء ، فيصوّت الماء صوتا تنخلع له القلوب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرمة فى قوله (يَأْتِيَهُمُ اللهُ فى ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةُ) يقول : والملائكة حوله .

قال : ثنى حجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علىّ بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مهران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجنّ والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقى أهل السماء وأهل الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ، فيقولون : لم يجئ وهو

آت ، ثم تتشقق السماء الثانية ، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والإنس ، قال : فتنزل الملائكة الكروبيون ، ثم يأتى ربنا تبارك وتعالى فى حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول : سبحان الملك القدوس ، وعلى رءوسهم شيء مبسوط كأنه القباء ، والعرش فوق ذلك ثم وقف.

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن هارون بن وثاب ، عن شهر بن حوشب ، قال : حملة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم ، فوقهم شخصت إليه أبصارهم ، ورجفت كلاهم فى أجوافهم . قال : وطارت قلوبهم من مقرها فى صدورهم إلى حناجرهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) يعنى يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة تنزيلا .

وقوله (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) يقول : ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلا (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) يقول : الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه ، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه . وقد كان فى الدنيا ملوك ، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار (وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) يقول : وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا ، يعنى صعبا شديدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط فى جنب الله ، وأوبق نفسه بالكفر به فى طاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه ، يقول : يا ليتنى اتخذت فى الدنيا مع الرسول سبيلا ، يعنى طريقا إلى النجاة من عذاب الله . وقوله (يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)

اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله (الظَّالِمُ) وبقوله (فُلَانًا) ، فقال بعضهم : عنى بالظالم : عقبة بن أبى معيط ، لأنه ارتد بعد إسلامه ، طلبا منه لرضا أبى بن خلف ، وقالوا : فلان هو أبى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : كان أبيّ بن خلف يحضر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط ، فنزل (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) . . . إلى قوله (خَذُولاً) قال : الظالم : عقبة ، وفلانا خليلا : أُبيّ بن خلف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبيّ في قوله (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانا خَلِيلاً) قال : كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف ، فأسلم عقبة ، فقال أمية : وجهي من وجهك حرام إن تابعتَ محمدا فكفر ؛ وهو الذي قال (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانا خَلِيلاً) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزرى ، عن مقسم في قوله (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُول يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) قال : اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف ، وكانا خليلين ، فقال أحدهما لصاحبه : بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه ، والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذّبه ، فلم يسلطه الله على ذلك ، فقتل عقبة يوم بدر صبرا [١] . وأما أُبيّ بن خلف فقتله النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده يوم أُحد في القتال ، وهما اللذان أنزل الله فيهما (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) . . . إلى قوله (فُلانا خَلِيلاً) قال : هو أُبيّ بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) قال : عقبة ابن أبي معيط دعا مجلسا فيهم النبيّ صلى الله عليه وسلم لطعام ، فأبى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يأكل ، وقال : لا آكُلُ حتى تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فقال : ما أنت بآكل حتى أشهد ؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فلقيه أُمية بن خلف فقال : صبوت ؟ فقال : إن أخاك على ما تعلم ، ولكني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك ، فقلته ، وليس من نفسي .

وقال آخرون : عني بفلان : الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فُلانا خَلِيلاً) قال : الشيطان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) يقال : قتل فلان صبرا ، ومعناه : قدم فقتل ، وهو يرى وينظر ، وهو غير من يقتل في حرب أو حادث . الشقا .

وقوله (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ماسلف منه فى الدنيا ، من معصية ربه فى طاعة خليله ، لقد أضلنى عن الإيمان بالقرآن ، وهو الذكر ، بعد إذ جاءنى من عند الله ، فصدّنى عنه ، يقول الله (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) يقول : مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝

يقول تعالى ذكره : وقال الرسول يوم يعضّ الظالم على يديه : يا ربّ إن قومى الذين بعثتنى إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا .

واختلف أهل التأويل فى معنى اتخاذهم القرآن مهجورا ، فقال بعضهم : كان اتخاذهم ذلك هُجرا، قولهم فيه السيئ من القول ، وزعمهم أنه سحر ، وأنه شعر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) قال : يهجُرون فيه بالقول ، يقولون : هو سحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَقَالَ الرَّسُولُ) . . . الآية ، يهجرون فيه بالقول ، قال مجاهد : وقوله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) قال : مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تهجرون ، قال : بالقول السيئ فى القرآن غير الحقّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قول الله (إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) قال : قالوا فيه غير الحقّ ، ألم تر إلى المريض إذا هذى قال غير الحقّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) لايريدون أن يسمعوه ، وإن دعوا إلى الله قالوا لا ، وقرأ (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : ينهون عنه ، ويبعدون عنه .

قال أبوجعفر : وهذا القول أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا : لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، وذلك هجرهم إياه .

وقوله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكما جعلنا لك يامحمد أعداء من مشركي قومك ، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه ، فلم تخصص بذلك من بينهم ، يقول : فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا .

بنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن عباس (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) قال : يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين كما جعل لمن قبله .

وقوله (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : وكفاك يامحمد بربك هاديا يهديك إلى الحق ، ويبصرك الرشد ، ونصيرا : يقول : ناصرا لك على أعدائك ، يقول : فلا يهولنك أعداؤك من المشركين ، فإني ناصرك عليهم ، فاصبر لأمري ، وامض لتبليغ رسالتي إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ) يقول : هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن (جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ ، قال الله (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) تنزيله عليك الآية بعد الآية ، والشيء بعد الشيء ، لنثبت به فؤادك نزلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال : كان الله ينزل عليه الآية ، فإذا علمها نبيّ الله نزلت آية أخرى ، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ، ويثبت به فؤاده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى ، قال (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : كان القرآن ينزّل عليه جوابا لقولهم : ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق ، ويعني بقوله (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك ، ونشجعك به .

وقوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) يقول: وشيئا بعد شيء علمناكه حتى تحفظه، والترتيل فى القراءة: الترسل و التثبت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) قال : نزل متفرّقا :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) قال : كان ينزّل آية وآيتين وآيات جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم، وردّا عن النبيّ فيما يتكلمون به ، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا) قال : كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين ، ومات النبيّ صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين .

وقال آخرون : معنى الترتيل : التبيين والتفسير .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) قال : فسرناه تفسيرا، وقرأ (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحقّ ، بما نبطل به ما جاءوا به ، وأحسن منه تفسيرا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) قال : الكتاب بما تردّ به ما جاءوا به من الأمثال التى جاءوا بها وأحسن تفسيرا .

وعنى بقوله (وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) : وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) يقول : أحسن تفصيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) قال بيانا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) يقول : تفصيلا .

وقوله (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : هؤلاء المشركون يا محمد، القائلون لك (لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) ومن كان على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله ، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم ، فيساقون إلى جهنم شرٌّ مستقرًا فى الدنيا والآخرة من أهل الجنة فى الجنة ، وأضلّ منهم فى الدنيا طريقا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ) قال : الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) من أهل الجنة (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) قال : طريقا .

حدثني محمد بن يحيى الأزدى ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ) قال : حدثنا أنس بن مالك « أن رجلا قال : يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ »

حدثنا أبو سفيان الغنوى يزيد بن عمرو ، قال : ثنا خلاد بن يحيى الكوفى ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول : « جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : كيف يحشرهم على وجوههم ؟ قال : الَّذِى يَحْشُرُهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ بِأَنْ يَحْشُرَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا عبيد بن محمد الورّاق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود ، عن أنس بن مالك ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يُحشر أهل النار على وجوههم ؟ فقال : إنَّ الَّذِى أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهِمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثني أحمد بن المقدام قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ) فقالوا : يا نبى الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال : أَرَأَيْتَ الَّذِى أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ أَلَيْسَ قَادِرًا أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور بن زاذان ، عن على بن زيد بن جدعان ، عن أبي خالد ، عن أبي هريرة ، قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف :

صنف على الدوابّ ، وصنف على أقدامهم ، وصنف على وجوههم ، فقيل : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم ، قادر أن يمشيهم على وجوههم » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركى قومه على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ويخوّفهم من حاول نقمته بهم ، نظير الذى يحلّ بمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يامحمد (مُوسَى الكِتابَ) يعنى التوراة ، كالذى آتيناك من الفرقان (وَجَعَلْنا مَعَهُ أخاهُ هارُونَ وَزِيرًا) يعنى معينا وظهيرا (فَقُلْنا اذْهَبا إلى القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا) يقول : فقلنا لهما : اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذّبوا بإعلامنا وأدلتنا ، فدمرناهم تدميرا . وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر من ذكره وهو : فذهبا فكذبوهما ، فدمرناهم حينئذ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : وقوم نوح لما كذّبوا رسلنا ، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من الحقّ ، أغرقناهم بالطوفان (وَجَعَلْناهُمْ للنَّاسِ آيَةً) يقول : وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها (وأعْتَدْنا للظَّالِمِينَ عَذَابًا أليما) يقول : وأعددنا لهم من الكافرين بالله فى الآخرة عذابا أليما ، سوى الذى حلّ بهم من عاجل العذاب فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ الرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالى ذكره : ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرسّ .
واختلف أهل التأويل فى أصحاب الرسّ ، فقال بعضهم : أصحاب الرسّ من ثمود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (وأصحابَ الرَّسّ) قال : قرية من ثمود .

وقال آخرون : بل هى قرية من اليمامة يقال لها الفلْج[1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : قال قتادة : الرسّ : قرية من اليمامة يقال لها الفلج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال عكرِمة : أصحاب الرسّ بفلج هم أصحاب يس .

وقال آخرون : هم قوم رسوا نبيهم فى بئر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى بكر ، عن عكرِمة ، قال : كان الرسّ بئرا رسّوا فيها نبيهم .

وقال آخرون : هى بئر كانت تسمى الرسّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وأصحَابَ الرَّسّ) قال : هى بئر كانت تسمى الرّسّ .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله (وأصحَابَ الرَّسّ) قال : الرّسّ بئر كان عليها قوم .

✿ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرّسّ فى كلام العرب كلّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

سَبَقْتَ إلى فَرَطٍ باهِـلٍ تَنابِلَةٍ يَحْفُـرُونَ الرِّساسا[2]

يريد أنهم يحفرون المعادن ، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله فى كتابه إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله (وأصحَابَ الرَّسّ) فانا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسّوا نبيهم فى حفرة .

إلا ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يَدخلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القيامَةِ العَبْدُ الأَسْوَدُ » . وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن مِنْ أهلها أحد إلا ذلك الأسود، ثم إن أهل

(١) فى تاج العروس : وقيل (فلج) : بلد . ومنه قيل لطريق مأخذه من البصرة إلى اليمامة : طريق بطن فلج . اه .

(٢) البيت للنابغة الجعدى (اللسان : رسس) . والفرط بالتحريك : القوم يتقدمون إلى الماء قبل الوراد، فيهيئون لهم الأرسان والدلاء ، ويملئون الحياض ، ويستقون لهم (عن اللسان) . والباهل : المتردد بلا عمل . والتنابلة : جمع تنبل ، بوزن جعفر ، وهو الرجل القصير . ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل . والرساس جمع رس ، وهى البئر القديمة أو المعدن (المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه) . استشهد به المؤلف على أن كل محفور مثل البئر والقبر والمعدن فهو رس عند العرب .

القرية عدوا على النبيّ عليه السلام ، فحفروا له بئرا فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم ؛ قال : وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتى بحطبه فيبيعه ، فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتى به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيدلى إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته وفرغ منها ؛ فلما أراد أن يحتملها وجد سِنة ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ، ثم إنه هبّ فتمطى ، فتحوّل لشقه الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ، ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه فالتمسه فلم يجده ؛ وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقوه ، قال : فكان النبيّ عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون : ما ندرى حتى قبض الله النبيّ ، فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ذلكَ الأسْوَدَ لأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ » غير أن هؤلاء فى هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته : فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله (وأصحابَ الرّسّ) لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمرهم تدميرا ، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجها (وَقُرُونا بينَ ذلكَ كَثِيرًا) يقول : ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التى سمّيناها لكم أمما كثيرة .

كما حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن جعفر بن علىّ بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خلفت بالمدينة عمى ممن يفتى على أن القرن سبعون سنة ، وكان عمه عبيد الله بن أبى رافع كاتب علىّ رضى الله عنه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، قال : القرن أربعون سنة .

وقوله (وكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ) يقول تعالى ذكره : وكل هذه الأمم التى أهلكناها التى سميناها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال ، يقول : مثلنا له الأمثال ونبهناها على حججنا عليها ، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ ، فلم نهلك منهم أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم فى المعذرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ) قال : كلّ قد أعذر الله إليه ، ثم انتقم منه .

وقوله (وكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم ، فدمرناهم بالعذاب إبادة ، وأهلكناهم جميعا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) قال : تبر الله كلا بعذاب تتبيرا .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) قال : تتبير بالنبطية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قوله (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) قال : بالعذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التى أمطرها الله مطر السوء وهى سدوم ، قرية قوم لوط ، ومطر السوء : هو الحجارة التى أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) قال : حجارة ، وهى قرية قوم لوط ، واسمها سدوم . قال ابن عباس : خمس قريَّات ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة ، واسمها صعوة ، لم تهلك صعوة ، كان أهلها لا يعملون ذلك العمل ، وكانت سدوم أعظمها ، وهى التى نزل بها لوط ، ومنها بعث ، وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم : ياسدوم ، يوم لكم من الله ، أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله ، زعموا أن لوطا ابن أخى إبراهيم صلوات الله عليهما .

وقوله (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) يقول جلّ ثناؤه : أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية ، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم ، فيعتبروا ويتذكروا ، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) يقول تعالى ذكره : ما كذّبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله ، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حلّ بالقرية التى وصفت ، ولكنهم كذّبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات ، يعنى أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ، ولا يؤمنون بقيام الساعة ، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أفلم يكونوا يرونها ، بل كانوا لا يرجون نشورا) : بعثا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم (إن يتخذونك إلا هزوا) يقول : ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك ، يقولون : (أهذا الذي بعث الله) إلينا (رسولا) من بين خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم يقولون إذا رأوه : قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها ، فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها ، وثبوتنا على عبادتها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) يقول جل ثناؤه : سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة (من أضل سبيلا) يقول : من الراكب غير طريق الهدى ، والسالك سبيل الردى أنت أو هم .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله (لولا أن صبرنا عليها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) قال : ثبتنا عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

يعني تعالى ذكره : (أرأيت) يا محمد (من اتخذ إلهه) شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخر يعبده ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه ،

فلذلك قال جلّ ثناؤه (أرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ ، أفأنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) يقول تعالى ذكره : أفأنت تكون يامحمد على هذا حفيظا فى أفعاله مع عظيم جهله ؟ (أمْ تَحْسَبُ) يامحمد أن أكثر هؤلاء المشركين (يَسْمَعُونَ) مايُتلى عليهم ، فيعون (أوْ يَعْقِلُونَ) مايعاينون من حجج الله ، فيفهمون (إنْ هُمْ إلاّ كالأنعامِ) يقول : ما هم إلا كالبهائم التى لاتعقل ما يقال لها ، ولا تفقه ، بل هم من البهائم أضلّ سبيلا لأن البهائم تهتدى لمراعيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لايطيعون ربهم ، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصون من خالقهم وبرأهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

☆ يقول تعالى ذكره : (أَلَمْ تَرَ) يامحمد (كَيْفَ مَدَّ) ربك (الظِّلَّ) ، وهوما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وبنحو ماقلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يقول : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : مدّه مابين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : الظلّ : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبومحصن ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال (أَلَمْ تَرَ إلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : ظلّ الغداة قبل أن تطلع الشمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد ، قال : الظلّ : ظلّ الغداة .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، عن عكرمة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يعنى من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس .

قوله (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) يقول : ولو شاء لجعله دائما لايزول ، ممدودا لاتذهبه الشمس ، ولا تنقصه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) يقول : دائما .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : لاتصيبه الشمس ولا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : لايزول .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ولَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنا) قال : دائما لايزول .

وقوله (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) يقول جلّ ثناؤه : ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه ، أنه خلق من خلق ربكم ، يوجده إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد ، والهاء فى قوله « عليه » من ذكر الظلّ . ومعناه : ثم جعلنا الشمس على الظلّ دليلا . قيل : معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التى تنسخه لم يعلم أنه شىء إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها نظير الحلو الذى إنما يعرف بالحامض والبارد بالحارّ ، وما أشبه ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) يقول : طلوع الشمس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال ؛ ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) قال : تحويه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) قال : أخرجت ذلك الظلّ فذهبت به .

وقوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) يقول تعالى ذكره : ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل إلينا قبضا خفيا سريعا بالفيء الذى تأتى به بالعشى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) قال : حوى الشمس الظل . وقيل : إن الهاء التى فى قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا) عائدة على الظل ، وإن معنى الكلام : ثم قبضنا الظل إلينا بعد غروب الشمس ، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظل الممدود ، قالوا : وذلك وقت قبضه .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يَسِيرًا) فقال بعضهم : معناه : سريعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) يقول : سريعا .

وقال آخرون : بل معناه : قبضا خفيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) قال : خفيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (قَبْضًا يَسِيرًا) قال : خفيا ، قال : إن ما بين الشمس والظل مثل الخيط ، واليسير الفعيل من اليسر ، وهو السهل الهين فى كلام العرب . فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك ، يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد ، لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء . وقيل : إنما قيل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ، ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا ، شيئا بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه ، جزء من الظلام .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : الذى مد الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا ، هو الذى جعل لكم أيها الناس الليل لباسا . وإنما قال جل ثناؤه (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون ، فصار لهم سترا يستترون به ، كما يستترون بالثياب التى يكسونها . وقوله (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) يقول : وجعل

لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله(وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا) يقول تعالى ذكره : وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم : نَشَر الميتُ ، كما قال الأعشى :

حتى يقولَ النَّاسُ مِمَّا رأَوْا	يا عَجَبا للْمَيِّتِ النَّاشِرِ[١]

ومنه قول الله (لا يَمْلِكُونَ مَوْتا وَلا حَياةً وَلا نُشُورًا) .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا) قال : ينشر فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك ، لأنه عقيب قوله (والنَّوْمَ سُباتا) فى الليل . فإذ كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت . والذى قاله مجاهد غير بعيد من الصواب لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشا ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نشر ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صحت الرواية عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : « الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَحْيانا بَعْدَ ما أَماتَنا ، وَإلَيْهِ النُّشُورُ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝

يقول تعالى ذكره والله الذى أرسل الرياح الملقحة (بُشْرًا) : حياة أو من الحيا والغيث الذى هو منزله على عباده (وأنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا) يقول : وأنزلنا من السحاب الذى أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتا) يعنى أرضا قحطة عذية لا تُنبت . وقال (بَلْدَةً مَيْتا) ولم يقل ميتة ، لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعا ومكانا ميتا (وَنُسْقِيَهُ) من خلقنا (أنْعامًا) من البهائم (وَأناسِيَّ كَثِيرًا) يعنى الأناسىّ : جمع إنسان وجمع أناسى ، فجعل الياء عوضا من النون التى فى إنسان ، وقد يجمع إنسان : إناسين ، كما يجمع النَّشْيان[٢] : نشايين . فإن قيل : أناسىّ جمع واحده

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل فى المنافرة التى جرت بينهما . وقبل البيت قوله :

لَو أَسْنَدَتْ مَيْتا إلى صَدْرِها	عاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ

والبيت كذلك فى (اللسان : نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرا ونشورا ، وأنشره ، فنشر الميت (برفع الميت) لا غير : أحياه قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » . وهذا محل الشاهد عند المؤلف .

(٢) يقال رجل نشوان ، من السكر ؛ ونشيان للخبر : يختبر الأخبار أول ورودها ، ويبحث عنها . وأصلها الواو .

إنسى ، فهو مذهب أيضًا محكى ، وقد يجمع أناسى مخففة الياء ، وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التى بين عين الفعل ولامه ، كما يجمع القرقور : قراقير وقراقر . ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف ، قول العرب : أناسية كثيرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

❁ يقول تعالى ذكره: ولقد قسمنا هذا الماء الذى أنزلناه من السماء طهورا لنحيى به الميت من الأرض بين عبادى ، ليتذكروا نعمى عليهم ، ويشكروا أيادى عندهم وإحسانى إليهم ، (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) يقول : إلا جحودا لنعمى عليهم ، وأيادىّ عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال: سمعت الحسن بن مسلم يحدّث طاوسا ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكنّ الله يصرّفه بين خلقه ؛ قال : ثم قرأ (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) .

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، قال : ثنا الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قال ابن عباس : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكنه يصرفه فى الأرضين ، ثم تلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) قال : المطر ينزله فى الأرض ، ولا ينزله فى الأرض الأخرى ، قال : فقال عكرمة : صرفناه بينهم ليذّكروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) قال : المطر مرّة ههنا ، ومرّة ههنا .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد بن أبى زياد ، أنه سمع أباجحيفة يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ليس عام بأمطر من عامٍ ، ولكنه يصرفه ، ثم قال عبد الله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) .

وأما قوله (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جُرَيج ، عن عكرمة (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) قال : قولهم فى الأنواء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ولو شئنا يامحمد لأرسلنا فى كلّ مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا ، فيخفّ عنك كثير من أعباء ما حملناك منه ، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ، ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى ، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعدّ الله لك من الكرامة عنده ، والمنازل الرفيعة قبَله ، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم ، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا ، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها .

و بنحو الذى قلنا فى قوله (وَجاهِدْهُمْ بِهِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس . قوله (فَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَجاهِدْهم بِهِ) قال : بالقرآن .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً) قال : الإسلام ، وقرأ (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وقرأ (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقال : هذا الجهاد الكبير .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : والله الذى خلط البحرين ، فأمرج أحدهما فى الآخر ، وأفاضه فيه ، وأصل المرج الخلط ، ثم يقال للتخلية مرج ، لأن الرجل إذا خلى الشىء حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مرجه ، ومنه الخبر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقوله لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ يا عَبْدَ الله إذَا كُنْتَ فى حُثالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأماناتُهُمْ ، وَصَارُوا هكَذا وشَبَّكَ بين أصابعه؟ » يعنى بقوله : قد مرجت : اختلطت ، ومنه قول الله (فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) : أى مختلط . وإنما قيل للمرج مرج من ذلك ، لأنه يكون فيه أخلاط من الدوابّ ، ويقال : مَرَجْتَ دابتك : أى خليتها تذهب حيث شاءت ومنه قول الراجز : • رَعَى بِها مَرجَ رَبِيعٍ مُمْرَجا[1] •

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت من مشطور الرجز ، للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٠٩٣ ص ٩) وهو البيت الثانى والثمانون من أرجوزته التى مطلعها « ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا » وضبط ناشره لفظة ممرج ، بضم الميم الأول وكسر الراء ، والصواب ما فى اللسان ، ونقلناه عنه ، وهو اسم مكان من مرج الدابة يمرجها (من باب نصر) إذا ارسلها ترعى فى المرج .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أفاض أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) يقول : خلع أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوتميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (مَرَجَ) أفاض أحدهما على الآخر .

وقوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) الفرات : شديد العذوبة ، يقال : هذا ماء فرات : أي شديد العذوبة .

وقوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يقول : وهذا ملح مرّ ، يعني بالعذب الفرات : مياه الأنهار والأمطار ، وبالملح الأجاج : مياه البحار .

وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه ، وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته ، وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضرّ إفساده إياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جلّ ثناؤه (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) يقول : وجعل كلّ واحد منهما حراما محرّما على صاحبه أن يغيره ويفسده .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر ، فليس يفسد العذب المالح ، وليس يفسد المالح العذب ، وقوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : البرزخ : الأرض بينهما (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) يعني : حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه ، وهو مثل قوله (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : محبسا ، قوله (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : لا يختلط البحر بالعذب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) قال : حاجزا لايراه أحد ، لايختلط العذب فى البحر ، قال ابن جُريج : فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العِذاب ، فإن دجلة تقع فى البحر ، فأخبرنى الخبير بها أنها تقع فى البحر ، فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض ، فإذا رجعت لم ترجع فى طريقها من البحر ، والنيل يصبّ فى البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوتميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) قال : البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان ، وقوله (حِجْرًا مَحْجُورًا) : أى لاتختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا ، لايبغى أحدهما على الآخر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : هذا اليبس .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : جعل هذا ملحا أجاجا ، قال : والأجاج : المرّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (مَرَجَ البَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ) يقول : خلع أحدهما على الآخر ، فلا يغير أحدهما طعم الآخر (وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) جعل الله بين البحرين حجرا ، يقول : حاجزا حجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وحِجْرًا مَحْجُورًا) وجعل بينهما سترا لايلتقيان . قال : والعرب إذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا قال : سترا دون الذى تقول .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى معنى قوله (وجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وحِجْرًا مَحْجُورًا) دون القول الذى قاله من قال معناه : إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليبس ، لأن الله تعالى ذكره أخبر فى أوّل الآية أنه مرج البحرين ، والمرج : هو الخلط فى كلام العرب على ما بيَّنت قبل ، فلو كان البرزخ الذى بين العذب الفرات من البحرين ، والملح الأجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جلّ ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات ، مع اختلاط كلّ واحد منهما بصاحبه . فأما إذا كان كلّ واحد منهما فى حيز عن حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ، ويذكرون به وإن كان كلّ ما ابتدعه ربنا عجيبا ، و فيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : والله الذى خلق من النطف بشرا إنسانا فجعله نسبا ، وذلك سبعة ، وصهرا ، وهو خمسة .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فجعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) النسب : سبع ، قوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) . . . إلى قوله (وَبَنَاتُ الأُخْتِ) . والصهر خمس ، قوله (وأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ) . . . إلى قوله (وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ) ،

وقوله (وكانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) يقول : وربك يامحمد ذوقدرة على خلق مايشاء من الخلق ، وتصريفهم فيما شاء وأراد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لاتنفعهم ، فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها ، ولا تضرّهم إن تركوا عبادتها ، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التى لا كفاء لأدناها ، وهى ما عدّد علينا جلّ جلاله فى هذه الآيات من قوله (أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) إلى قوله (قَدِيرًا) ، ومن قدرته القدرة التى لايمتنع عليه معها شىء أراده ، ولا يتعذّر عليه فعل شىء أراد فعله ، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلّ به ما أحلّ بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرّسّ ، وقرونا بين ذلك كثيرا ، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ، ولا له عنه دافع (وكانَ الكافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الكافر معينا للشيطان على ربه ، مظاهرا له على معصيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (وكانَ الكافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : يظاهر الشيطان على معصية الله بعينه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : معينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جُرَيج : أبوجهل معينا ظاهر الشيطان على ربه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وكانَ الكافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : عونا للشيطان على ربه على المعاصى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانَ الكافرُ عَلى رَبِّه ظَهِيرًا) قال : على ربه عوينا . والظهير : العوين. وقرأ قول الله (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا للكافرينَ) قال : لاتكونن لهم عوينا . وقرأ أيضا قول الله (وأنْزلَ الَّذِين ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ) قال : ظاهروهم : أعانوهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّه ظَهِيرًا) يعنى : أبا الحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا جهل بن هشام .

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله (وكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّه ظَهِيرًا) أى وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألتفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه ، وكأنَّ الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهور به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهورا به . والقول الذى قلناه هو وجه الكلام ، والمعنى الصحيح ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه إياهم ، وذمَّ فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ، ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَما أرْسَلْناكَ) يامحمد إلى من أرسلناك إليه (إلاَّ مُبَشِّرًا) بالثواب الجزيل ، من آمن بك وصدَّقك ، وآمن بالذى جئتهم به من عندى ، وعملوا به (ونَذِيرًا) من كذَّبك وكذَّب ماجئتهم به من عندى ، فلم يصدَّقوا به ، ولم يعملوا (قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ) يقول له : قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم ، ما أسألكم يا قوم على ماجئتكم به من عند ربى أجرا ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه ، فلا نتبعه فيه ، ولا نعطيه من أموالنا شيئا ، (إلاَّ مَنْ شاءَ أنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّه سَبِيلاً) يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا ، طريقا بإنفاقه من ماله فى سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة فى جهاد عدوَّه ، وغير ذلك من سبل الخير .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : وتوكل يامحمد على الذى له الحياة الدائمة التى لاموت معها ، فثق به فى أمر ربك ، وفوِّض إليه ، واستسلم له ، واصبر على ما نابك فيه . قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ) يقول : واعبده شكرا منك

له على ما أنعم به عليك . قوله (وكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا) يقول : وحسبك بالحى الذى لايموت خابرا بذنوب خلقه ، فإنه لايخفى عليه شىء منها وهومحص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

يقول تعالى ذكره : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَىِّ الَّذِى لا يَمُوتُ - الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) فقال : (وَمَا بَيْنَهُمَا) ، وقد ذكر السموات والأرض ، والسموات جماع ، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشيئين ، كما قال القطامى :

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنَّ حِبالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبايَنَتا انْقِطاعا[1]

يريد : وحبال تغلب فثنى ، والحبال جمع ، لأنه أراد الشيئين والنوعين .

وقوله (فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد ، والفراغ يوم الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ) يقول : ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل . وقوله (فاسأَلْ بِهِ خَبِيرًا) يقول : فاسأل يامحمد خبيرا بالرحمن ، خبيرا بخلقه ، فإنه خالق كلّ شىء ، ولا يخفى عليه ماخلق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (فاسأَلْ بِهِ خَبِيرًا) قال : يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتك شيئا ، فاعلم أنه كما أخبرتك ، أنا الخبير ، والخبير فى قوله (فاسأَلْ بِهِ خَبِيرًا) منصوب على الحال من الهاء التى فى قوله به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله مالاينفعهم ولا يضرهم : (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ) : أى اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والأوثان ، قالوا : (أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (لِمَا تَأْمُرُنا) بمعنى : أنسجد نحن

(١) البيت للقطامى ، وقد سبق الكلام عليه مفصلا ، والشاهد فيه هنا : أن الشاعر قال « تباينتا » بالتثنية ، مع أن حبال جمع حبل . والمسوغ لذلك : أن حبال قيس جماعة ، وحبال تغلب جماعة أخرى ، فعاملهما فى إعادة الضمير عليهما معاملة المفردين ، ومثله فى القرآن : « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما » لأنه وجه ذلك إلى الصنفين .

يامحمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (لِمَا يَأْمُرُنا) بالياء ، بمعنى : أنسجد لما يأمر الرحمن ، وذكر بعضهم أن مُسيلمة كان يُدعى الرحمن ، فلما قال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم : اسجدوا للرحمن ، قالوا : أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة ؟ يعنون مُسَيلمة بالسجود له .

قال أبوجعفر . والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَزَادَهُمْ نُفُورًا) يقول : وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله ، وإفراد الله بالعبادة بعدا مما دعوا إليه من ذلك فرارا .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : تقدّس الربّ الذى جعل فى السماء بروجا ، ويعنى بالبروج : القصور فى قول بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن عطية بن سعد ، فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء ، فيها الحرس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى أبومعاوية ، قال : ثنى إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم (جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء .

حدثنى إسماعيل بن سيف ، قال : ثنى علىّ بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : قصورا فى السماء فيها الحرس .

وقال آخرون : هى النجوم الكبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجا) قال : النجوم الكبار .

قال : ثنا الضحاك ، عن مخلد ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الكواكب .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بُرُوجا) قال : البروج : النجوم .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : هى قصور فى السماء ، لأن ذلك فى كلام العرب (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) وقول الأخطل :

كأنَّها بُرْجُ رُوميٍّ يُشَيِّدُهُ بانٍ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وأحْجارِ[1]

يعنى بالبرج : القصر .

قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) على التوحيد ، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس ، وهى السراج التى عنى عندهم بقوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) قال : السراج : الشمس .

وقرأته عامة قرّاء الكوفيين (وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا) على الجماع ، كأنهم وجهوا تأويله : وجعل فيها نجوما (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وجعلوا النجوم سرجا إذ كان يُهتدى بها .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، لكل واحدة منهما وجه مفهوم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَقَمَرًا مُنِيرًا) يعنى بالمنير : المضىء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) فقال بعضهم : معناه : أن الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر ، فى أن مافات أحدهما من عمل يعمل فيه لله ، أدرك قضاؤه فى الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : فاتتنى الصلاة الليلة ، فقال : أدرك ما فاتك من ليلتك فى نهارك ، فإن الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر ، أو أراد شكورا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ

(١) البيت للأخطل كما قال المؤلف . والبرج : المراد به القصر كما قاله . وقد كثر فى كلام العرب تشبيه إبل السفر القوية الموثقة الخلق بأبنية الرومى ، ومن ذلك قول طرفة فى وصف ناقته :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومىِّ أقْسَمَ رَبُّها لَتُكْتَنَفَنْ حتى تُشادَ بِقَرْمَدِ

والبيت شاهد على أن البرج معناه : القصر .

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) يقول : من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً) قال : جعل أحدهما خلفا للآخر ، إن فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل ، وإن فاته من الليل آدركه من النهار .

وقال آخرون : بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه ، فجعل هذا أسود وهذا أبيض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً) قال : أسود وأبيض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر بن قيس بن أبى مسلم الماصر ، عن مجاهد (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً) قال : أسود وأبيض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا قيس ، عن عمر بن قيس الماصر ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً) قال : هذا يخلف هذا ، وهذا يخلف هذا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً) قال : لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل ، لو كان الدهر ليلا كله كيف يدرى أحد كيف يصوم ، أو كان الدهر نهارا كله كيف يدرى أحد كيف يصلى . قال : والخلفة : مختلفان ، يذهب هذا ويأتى هذا ، جعلهما الله خلفة للعباد ، وقرأ (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) والخلفة : مصدر ، فلذلك وحدت ، وهى خبر عن الليل والنهار ؛ والعرب تقول : خلف هذا من كذا خلفة ، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، كما قال الشاعر :

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا　　أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خِلْفَةٌ حتى إِذَا ارْتَبَعَتْ　　سَكَنَتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا (1)

(1) البيتان : ليزيد بن معاوية من مقطوعة له ذكرها صاحب (خزانة الأدب الكبرى ٣ : ٢٧٨ — ٢٨٠) قالها متغزلا فى امرأة نصرانية كانت قد ترهبت فى دير عند الماطرون وهو بستان بظاهر دمشق . وفى الأبيات « خرفة » فى موضع « خلفة » والخرفة بضم الخاء : ما يخترف ويجتنى ، وهذه رواية المبرد فى الكامل . ورواية المؤلف موافقة لرواية صاحب العباب ، وكذلك رواها العينى عن ابن القوطية قال : الرواية : هى الخلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . قال البغدادى : والجيد عندى رواية الخلفة ، على

وكما قال زهير :

بِهَا العَيْنُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وأطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (١)

يعني بقوله : يمشين خلفة : تذهب منها طائفة ، وتخلف مكانها طائفة أخرى . وقد يحتمل أن زهيرا أراد بقوله : خلفة : مختلفات الألوان ، وأنها ضروب فى ألوانها وهيئاتها . ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب فى مشيها كذا ، وتجيء كذا .

وقوله (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) يقول تعالى ذكره : جعل الليل والنهار ، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكّر أمر الله ، فينيب إلى الحق (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) أو أراد شكر نعمة الله التى أنعمها عليه فى اختلاف الليل والنهار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) ذاك آية له (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَذَّكَّرَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (يَذَّكَّرَ) مشددة ، بمعنى يتذكر . وقرأه عامة قرّاء الكوفيين (يَذْكُرَ) مخففة ، وقد يكون التشديد والتخفيف فى مثل هذا بمعنى واحد ، يقال : ذكرت حاجة فلان وتذكرتها .

والقول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

أنها اسم من الاختلاف ، أى التردد . وارتبعت : دخلت فى الربيع . ويروى : ربعت ، بمعناه . ويروى : ذكرت : بدل سكنت . وجلق : مدينة بالشام ، والبيع : جمع بيعة بكسر الباء ، وهى متعبد . قال الجوهرى وصاحبا العباب والمصباح : هى للنصارى ، وقال العينى : البيعة : لليهود ، والكنيسة للنصارى ، وهذا لا يناسب قوله إن الشعر فى نصرانية . ومعنى البيتين : إن لهذه المرأة ترددا إلى الماطرون فى الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب فى الصيف ، ليأكله فى الشتاء ؛ وإذا دخلت فى أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التى بجلق . اهـ . وأورد المؤلف الشعر شاهدا على معنى الخلفة كما شرحه البغدادى .

(١) البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص ٢٢٨) قال شارحه : العين : جمع عيناء ، بقر الوحش . والآرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . وخلفة : يخلف بعضها بعضا . والأطلاء : جمع الطلا ، وهو الولد من ذوات الظلف . والمجثم : المربض والشاهد فى البيت عند المؤلف فى قوله « خلفة » كما فى الشاهد الذى قبله : أى يذهب بعضها ويخلفه بعض .

⁂ يقول تعالى ذكره (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ، ولا متجبّرين ، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا ، فقال بعضهم : عنى بقوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) قال : بالحلم والوقار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، قوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) قال : بالوقار والسكينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) بالوقار والسكينة .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد وعبد الرحمن (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) قالا : بالسكينة والوقار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عمار ، عن عكرمة ، فى قوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنا) قال : بالوقار والسكينة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) بالطاعة والعفاف والتواضع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) قال : يمشون على الأرض بالطاعة .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثني عمي ، عبد الله بن وهب ، قال : كتب إليّ إبراهيم بن سويد ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : التمست تفسير هذه الآية (الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْنًا) فلم أجدها عند أحد ، فأتيت في النوم ، فقيل لي : هم الذين لايريدون يفسدون في الأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : لايفسدون في الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) قال : لايتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون ، ولا يفسدون . وقرأ قول الله : (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً ، وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالحلم لايجهلون على من جهل عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن في : (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) قال : حلماء ، وإن جُهِل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) قال : حلماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) قال : علماء حلماء لايجهلون .

وقوله (وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) يقول : وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول ، أجابوهم بالمعروف من القول ، والسداد من الخطاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (وَإِذا خاطَبَهُمُ) . . . الآية ، قال : حلماء ، وإن جُهِل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، في قوله (وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) قال : إن المؤمنين قوم ذُلُلٌ ، ذلّت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، والله ماحزنهم حزن الدنيا ، ولا تعاظم في أنفسهم ماطلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعزّ بعزاء الله ، تقطّع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب ، فقد قلّ علمه ، وحضر عذابه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال : سدادا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال : سَدَادا من القول .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورىّ عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) حلماء .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، قال : حلماء لايجهلون ، وإن جُهِل عليهم حلموا ولم يسفهوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم خير ليل صفوا أقدامهم ، وأجْرَوا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جلّ ثناؤه فى فكاك رقابهم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبادة ، عن الحسن ، قال : حلماء لايجهلون وإن جهل عليهم حلموا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ ﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يبيتون لربهم يصلون لله ، يراوحون بين سجود فى صلاتهم وقيام . وقوله (وَقِيَامًا) جمع قائم ، كما الصيام جمع صائم (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا . وقوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) يقول : إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذّب به من الكفار ، ومهلكا له ، ومنه قولهم : رجل مُغْرَم ، من الغُرْم والدَّين . ومنه قيل للغريم غَرِيم لطلبه حقه ، وإلحاحه على صاحبه فيه . ومنه قيل للرجل المولع للنساء : إنه لمغرَم بالنساء ، وفلان مغرَم بفلان : إذا لم يصبر عنه ؛ ومنه قول الأعشى :

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْـــطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لا يُبَالى [1]

يقول : إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما ، لايفارق صاحبه مهلكا له ، وقول بشر بن أبى خازم :

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ٩) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمى ، وأولها « ما بكاء الكبير بالأطلال » والغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى « إن عذابها كان غراما » أى هلاكا ولزاما لهم . يقول : إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبال العذال .

يَوْمَ النِّسارِ وَيَوْمَ الجِفا رِ كانَ عِقابا وكانَ غَـرَاما[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسن اللانى ، قال : أخبرنا المعافى بن عمران الموصلى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب فى قوله (إنَّ عَذَابَها كانَ غَرَاماً) قال : إن الله سأل الكفار عن نعمه ، فلم يردّوها إليه ، فأغرمهم ، فأدخلهم النار .

قال : ثنا المعافى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، فى قوله (إن عَذَابَها كانَ غَرَاما) قال : قد علموا أن كلّ غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ عَذَابَها كانَ غَرَاما) قال : الغرام : الشرّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (إنَّ عَذَابَها كانَ غَرَاما) قال : لايفارقه .

وقوله (إنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرّا وَمُقاما) يقول : إن جهنم ساءت مستقرّا ومقاما ، يعنى بالمستقرّ : القرار ، وبالمقام : الإقامة ؛ كأن معنى الكلام : ساءت جهنم منزلا ومقاما ، وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة ، وإذا فتحت فهو من قمت ، ويقال : المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجالس ، ومن المُقام بضمّ الميم بمعنى الإقامة ، قول سلامة بن جندل :

يَوْمانِ : يَوْمُ مُقاماتٍ وأنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تَأْوِيبُ[2]

---

(١) البيت لبشر بن أبى خازم كما قال المؤلف . وفى اللسان نسبه للطرماح . قال : والغرام : اللازم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاء ، والحب والعشق ، وما لا يستطاع أن يتفصى منه ، وقال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » ، وقال الطرماح : « ويوم النسار . . . . البيت » . وقوله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . وفى معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ص ٣٨٥ « الجفار : بكسر أوله ، وبالراء المهملة : موضع بنجد ، وهو الذى عنى بشر بن أبى خازم بقوله : « ويوم الجفار . . . . البيت » . وقال أبو عبيدة : الجفار : فى بلاد بنى تميم . وقال البكرى فى رسم النسار : النسار ، بكسر أوله : على لفظ الجمع ، وهى أجبل صغار ؛ شبهت بأنسر واقعة ، ذكر ذلك أبو حاتم . وقال فى موضع آخر : هى ثلاث قارات سود ، تسمى الأنسر . وهنالك أوقعت طيىء وأسد وغطفان ، وهم حلفاء لبنى عامر وبنى تميم ، ففرت تميم ، وثبتت بنو عامر ، فقتلوهم قتلا شديدا ؛ فغضبت بنو تميم لبنى عامر ، فتجمعوا ولقوهم يوم الجفار ، فلقيت أشد ما لقيت بنو عامر ، فقال بشر بن أبى خازم :

غَضِبَتْ تَميمُ أنْ تُقَتَّلَ عامِـرًا يَوْمَ النِّسارِ فَأُعْقِبُوا بالصَّيْلَمِ

قلت : الصيلم : الداهية المستأصلة . وفى رواية : فأعتبوا .

(٢) البيت لسلامة بن جندل ، كما قال المؤلف . (وانظر اللسان : أوب) . والمقامات جمع المقامة ، بمعنى الإقامة والتأويب فى كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقول : إننا نمضى حياتنا على هذا النحو : نجعل يوما للإقامة ، يجتمع أولو الرأى فينا فى أنديتهم ومجالسهم ، ليتشاوروا ويدبروا أمر القبيلة ؛ واليوم الآخر نجعله للإغارة على الأعداء نشنها عليهم ، ولو سرنا إليهم النهار كله فما نبالى ؛ لأننا أهل عزة ومنعة . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى فى صفة جهنم : « إنها ساءت مستقرا ومقاما » أى إقامة .

ومن المُقام الذى بمعنى المجالس ، قول عباس بن مرداس :

فَأَيِّي ما وأَيُّكَ كانَ شَرًّا فَقِيدَ إلى المَقامةِ لا يَرَاها (١)

يعنى : المجلس .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝﴾

❊ يقول تعالى ذكره : والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا فى إنفاقها .

ثم اختلف أهل التأويل فى النفقة التى عناها الله فى هذا الموضع ، وما الإسراف فيها والإقتار ، فقال بعضهم : الإسراف : ماكان من نفقة فى معصية الله . وإن قلت . قال وإياها عنى الله ، وسماها إسرافا . قالوا : والإقتار : المنع من حقّ الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما ﴾ قال : هم المؤمنون لايسرفون فينفقون فى معصية الله ، ولا يُقترون فيمنعون حقوق الله تعالى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : لو أنفقت مثل أبى قبيس ذهبا فى طاعة الله ماكان سرفا ، ولو أنفقت صاعا فى معصية الله كان سرفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ قال : فى النفقة فيما نهاهم وإن كان درهما واحدا ، ولم يقتروا ولم يُقَصِّرُوا عن النفقة فى الحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما ﴾ قال : لم يسرفوا فينفقوا فى معاصى الله كلّ ما أنفق فى معصية الله ، وإن قلّ فهو إسراف ، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله ، قال : وما أُمْسِكَ عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى إبراهيم بن نشيط ، عن عمر مولى غُفْرة أنه سئل عن الإسراف ماهو ؟ قال : كلّ شيء أنفقته فى غير طاعة الله فهو سرف .

وقال آخرون : السرف : المجاوزة فى النفقة الحدّ ؛ والإقتار : التقصير عن الذى لابدّ منه .

---

(١) البيت لعباس بن مرداس ، أنشده ابن برى فى (اللسان : قوم) وهو شاهد على أن المقام والمقامة ، بفتح الميم : المجلس . وقال البغدادى فى الخزانة (٢ : ٢٣٠) يدعو على الشر منهما ، أى من كان منا شرا أعماه الله فى الدنيا ، فلا يبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح اللباب : أى قيد إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم فى العرصات لا يراها ، أى قيد أعمى لا يرى المقامة . والبيت من جملة أبيات للعباس بن مرداس السلمى ، قالها لخفاف بن ندبة فى أمر شجر بينهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) قال : لايجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومي المكي ، قال : سمعت وهيب بن الورد أبي الورد مولى بني مخزوم ، قال : لقي عالم عالما هو فوقه في العلم ، فقال : يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لاإسراف فيه ما هو ؟ قال : هو ما سترك من الشمس ، وأكنك من المطر ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لاإسراف فيه ما هو ؟ قال : ماسدّ الجوع ودون الشبع ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لاإسراف فيه ما هو ؟ قال : ما ستر عورتك ، وأدفأك من البرد .

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا) . . . الآية ، قال : كانوا لايلبسون ثوبا للجمال ، ولا يأكلون طعاما للذّة ، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ، ويكتنّون به من الحرّ والقرّ ، ويريدون من الطعام ما سدّ عنهم الجوع ، وقوّاهم على عبادة ربهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن يزيد بن مرّة الجعفي ، قال : العلم خير من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، يعني : إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وخير الأعمال أوساطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : ثنا قتادة ، عن مطرّف ابن عبد الله ، قال : خير هذه الأمور أوساطها ، والحسنة بين السيئتين ، فقلت لقتادة : ما الحسنة بين السيئتين ؟ فقال (الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) . . . الآية .

وقال آخرون : الاسراف : هو أن تأكل مال غيرك بغير حقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سالم بن سعيد ، عن أبي معْدان ، قال : كنت عند عون بن عبد الله ابن عتبة ، فقال : ليس المسرف من يأكل ماله ، إنما المسرف من يأكل مال غيره .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ماجاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى مافوقه ، والإقتار : ما قصر عما أمر الله به ، والقوام : بين ذلك .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المسرف والمقتر كذلك ، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ماكانا مذمومين ، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما ، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحقّ فاعله الذمّ .

فإن قال قائل : فهل لذلك من حدّ معروف تبينه لنا ؟ قيل: نعم ، ذلك مفهوم فى كلّ شىء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرّ وغير ذلك، نكره تطويل الكتاب بذكر كلّ نوع من ذلك مفصلا، غير أن جملة ذلك هو ما بيّنا ، وذلك نحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه ، وينهك قواه ، ويشغله عن طاعة ربه ، وأداء فرائضه ، فذلك من السرف ، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه ، ويَنْهَك قواه، ويضعفه عن أداء فرائض ربه، فذلك من الإقتار، وبين ذلك القَوام على هذا النحو، كلّ ماجانس ما ذكرنا . فأما اتخاذ الثوب للجمال، يلبسه عند اجتماعه مع الناس ، وحضوره المحافل والجمع والأعياد ، دون ثوب مهنته، أو أكله من الطعام ماقوّاه على عبادة ربه، مما ارتفع عما قد يسدّ الجوع ، مما هو دونه من الأغذية ، غير أنه لايعين البدن على القيام لله بالواجب معونته ، فذلك خارج عن معنى الإسراف ، بل ذلك من القَوام، لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك ، وحضّ على بعضه، كقوله « ما عَلَى أحَدِكُمْ لَوِ اتَّخَذَ ثَوْبَيْنِ : ثَوْبا لِمِهْنَتِهِ ، وَثَوْبا لِجُمْعَتِهِ وَعِيدِهِ » وكقوله « إذَا أنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْد نِعْمَةً أحَبَّ أنْ يَرَى أثَرَهُ عَلَيْهِ » ، وما أشبه ذلك من الأخبار التى قد بيّناها فى مواضعها .

وأما قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قوَاما) فإنه النفقة بالعدلَ والمعروف ، على ما قد بيّنا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سليمان ، عن وهب بن منبه : فى قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) قال : الشطر من أموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاماً) النفقة بالحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) قال : القوام : أن ينفقوا فى طاعة الله ، ويمسكوا عن محارم الله .

قال : أخبرنى إبراهيم بن نشيط ، عن عمر مولى غُفْرة ، قال: قلت له : ما القَوام ؟ قال : القوام : أن لاتنفق فى غير حقّ ، ولا تمسك عن حقّ هو عليك . والقوام فى كلام العرب، بفتح القاف ، وهو الشىء بين الشيئين ، تقول للمرأة المعتدلة الخلق : إنها لحسنة القوام فى اعتدالها ، كما قال الحُطَيئة :

طافَتْ أُمامَةُ بالرُّكبْانِ آونَةً يا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مًّا وَمُنْتَقَبا[1]

فأما إذا كسرت القاف فقلت : إنه قِوام أهله ، فإنه يعنى به : أن به يقوم أمرهم وشأنهم . وفيه لغات

(١) البيت للحطيئة . وآونة : جمع أوان . والقوام : حسن الطول . والمنتقب : مصدر ميمى بمعنى الانتقاب . يقول: إن أمامة كانت أحيانا تطوف بالركبان ، فما أعدل قوامها ، وأحسن نقبتها . والنقاب . ما وضع على مارن الأنف من أغطية الوجه . والنقبة : هيئة الانتقاب به ، يقال إن فلانة لحسنة النقبة . ويكون معنى القوام كذلك : الشىء الوسط بين الشيئين . وقد حمل عليه المؤلف معنى البيت .

آخَر ، يقال منه : هو قيام أهله وقيّمهم فى معنى قوامهم . فمعنى الكلام : وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار قواما معتدلا ، لامجاوزة عن حدّ الله ، ولا تقصيرا عما فرضه الله ، ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جلّ ثناؤه ، وأذن فيه ورخص .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ولم يَقْتُرُوا) فقرأته عامة قرّاء المدينة (ولمْ يُقْتِرُوا) بضمّ الياء وكسر التاء من أقتر يقتر . وقرأته عامة قرّاء الكوفيين (ولَمْ يَقْتُرُوا) بفتح الياء وضمّ التاء من قتر يقتر . وقرأته عامة قرّاء البصرة (ولَمْ يَقْتِرُوا) بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر .

والصواب من القول فى ذلك ، أن كلّ هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات فى العرب ، وقراءات مستفيضات وفى قرّاء الأمصار بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب .

وقد بيّنا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى فى كتابنا فى كلام العرب ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . وفى نصب القَوام وجهان : أحدهما ما ذكرت ، وهو أن يجعل فى كان اسم الإنفاق بمعنى : وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما : أى عدلا ، والآخر أن يجعل بين هو الاسم ، فتكون وإن كانت فى اللفظة نصبا فى معنى رفع ، كما يقال : كان دون هذا لك كافيا ، يعنى به : أقلّ من هذا كان لك كافيا ، فكذلك يكون فى قوله (وكانَ بينَ ذلكَ قَوَاما) لأن معناه : وكان الوسط من ذلك قواما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

* يقول تعالى ذكره : والذين لايعبدون مع الله إلها آخر ، فيشركون فى عبادتهم إياه ، ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة (وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ) قتلها (إلاَّ بِالحَقِّ) إما بكفر بالله بعد إسلامها ، أو زنا بعد إحصانها ، أو قتل نفس ، فتقتل بها (وَلا يَزْنُونَ) فيأتون ماحرّم الله عليهم إتيانه من الفروج (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ) يقول : ومن يأت هذه الأفعال ، فدعا مع الله إلها آخر ، وقتل النفس التى حرّم الله بغير الحقّ ، وزنى (يَلْقَ أثاما) يقول : يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا ، كما وصفه ربنا جلّ ثناؤه ، وهو أنه (يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) ، ومن الأثام قول بَلْعَاءَ بن قيس الكنانى :

جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حيثُ أمْسَى عُقُوقا والعُقُوقُ لَهُ أثامُ[1]

يعنى بالأثام : العقاب .

(1) البيت لبلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر ، واسمه حميضة وهو من كنانة بن خزيمة ، وكان بلعاء رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وكان كثير الغارات على العرب ، وله أخبار فى حروب الفجار . وهو شاعر محسن ، قال فى كل فن أشعارا —

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول فى الإسلام ، ممن كان منه فى شركه هذه الذنوب ، فخافوا أن لاينفعهم مع ماسلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن ناسا من أهل الشرك قَتَلُوا فأكثروا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: إن الذى تدعونا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَلا يَزْنُونَ) ، ونزلت (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) . . . إلى قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ)قال ابن جُرَيج : وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء .

حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى معاوية ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن عبد الله ، قال : « سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم :ما الكبائر ؟ قال : أنْ تَدْعُوَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ وأنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أجْلِ أنْ يأكُلَ مَعَكَ ، وأن تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جارِكَ » ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَلا يَزْنُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور ، عن أبى وائل عن عمرو ابن شُرَحْبِيل ، عن عبد الله ، قال : « قلت : يارسول الله ، أىّ الذنب أعظم ؟ قال: أنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قلت : ثم أىّ ؟ قال : أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يأكُلَ مَعَكَ ، قلت : ثم أىّ ؟ قال : ثُمَّ أنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ ، فأنزل تصديق قول النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ،وَلا يَزْنُونَ)» . . . الآية .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال: ثنا علىّ بن قادم ، قال: ثنا أسباط بن نصر الهمدانى ، عن منصور عن أبى وائل ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

= جيادا (انظر المؤتلف والمختلف ١٠٦ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣٥٧) . والبيت أنشده صاحب(اللسان : أثم) ونسبه إلى شافع الليثى . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن إلى بلعاء بن قيس الكنانى ، وعنه أخذ المؤلف « قال فى اللسان : قال أبو إسحاق : تأويل الأثام : المجازاة . وقال أبو عمرو الشيبانى : لقى فلان أثام ذلك : أى جزاء ذلك ، فإن الخليل وسيبويه يذهبان إلى أن معناه : يلق جزاء الأثام . وقول شافع الليثى فى ذلك : * جزى الله بن عروة . . * . . له أثام » أى عقوبته بمجازاة العقوق ، وهى قطيعة الرحم . وقال الليث : الأثام فى جملة التفسير : عقوبة الإثم . وقيل فى قوله تعالى « يلق أثاما » : قيل هو واد فى جهنم . قال ابن سيده : والصواب عندى : أن معناه : يلق عقاب الأثام . اهـ .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثني عمي يحيي بن عيسى ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عبد الله قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أي الذنب أكبر ؟ ثم ذكر نحوه » .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا السري ، يعني ابن إسماعيل قال : ثنا الشعبي ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فاتبعته ، فجلس على نَشَز من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهي حيال ركبتيه ، فاغتنمت خلوته ، وقلت : بأبي وأمي يارسول الله ، أيّ الذنوب أكبر؟ قال : «أنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . قلت : ثم مه ؟ قال : أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ كَرَاهِيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ . قلت : ثم مَهْ ؟ قال : أنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ ، ثم تلا هذه الآية « وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ » . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، قال : ثني سعيد بن جُبير ، أو حُدثت عن سعيد بن جبير ، أن عبد الرحمن بن أبْزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) . . . إلى آخر الآية ، والآية التي في الفرقان (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما) . . . إلى (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) قال ابن عباس : إذا دخل الرجل في الإسلام ، وعلم شرائعه وأمره ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فلا توبة له ، والتي في الفرقان ، لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرّم الله بغير الحقّ ، فما ينفعنا الإسلام ؟ قال : فنزلت (إلاَّ مَنْ تابَ) قال : فمن تاب منهم قُبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : ثني سعيد بن جُبير ، أو قال : حدثني الحكم عن سعيد بن جُبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبزى ، فقال : سل ابن عباس ، عن هاتين الآيتين ، ما أمرهما عن الآية التي في الفرقان (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهَا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ) . . . الآية ، والتي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) . فسألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : لما أنزل الله التي في الفرقان ، قال مشركو أهل مكة : قد قتلنا النفس التي حرّم الله ، ودعونا مع الله إلها آخر ، فقال (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالحا) . . . الآية . فهذه لأولئك . وأما التي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) . . . الآية ، فإن الرجل إذا عرف الإسلام ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم ، فلا توبة له ، فذكرته لمجاهد ، فقال : إلا من ندم .

حدثنا محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا أحمد بن خالد الذهبيّ ، قال : ثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، قال : ثني سعيد بن جُبير ، قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى : سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهًا آخرَ) . . . إلى (مَنْ تابَ) ، وعن قوله (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) . . . إلى آخر الآية . قال : فسألت عنها ابن عباس ، فقال : أنزلت

هذه الآية فى الفرقان بمكة إلى قوله (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهانا) فقال المشركون : فما يغنى عنا الإسلام ، وقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التى حرّم الله ، وأتينا الفواحش ، قال : فأنزل الله (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأما من دخل فى الإسلام وعقَله ، ثم قتل ، فلا توبة له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ) . . . الآية ، قال : نزلت فى أهل الشرك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن سعيد بن جُبير ، قال : أمرنى عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ) ، فذكر نحوه .

حدثنى عبد الكريم بن عمير ، قال : ثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : ثنا عيسى بن شعيب بن ثَوْبان ، مولًى لبنى الديل من أهل المدينة ، عن فُلَيح الشماس ، عن عبيد بن أبى عبيد ، عن أبى هريرة ، قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العَتَمة ، ثم انصرفت ، فإذا امرأة عند بابى ، ثم سلمت ، ففتحت ودخلت ، فبينا أنا فى مسجدى أصلى ، إذ نقرت الباب ، فأذنت لها ، فدخلت فقالت : إنى جئتك أسألك عن عمل عملت ، هل لى من توبة ؟ فقالت : إنى زنيت وولدتُ ، فقتلته ، فقلت : ولا : لا نعمت العين ولا كرامة ، فقامت وهى تدعو بالحسرة تقول : ياحسرتاه ، أخُلِقَ هذا الحسن للنار ؟ قال : ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ، ثم جلسنا ننتظر الإذن عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا ، ثم خرج من كان معى ، وتخلفت ، فقال : ما لَكَ يا أبا هُرَيْرَةَ ، أَلَكَ حاجَةٌ ؟ فقلت له : يا رسول الله صليت معك البارحة ، ثم انصرفت ، وقصصت عليه ماقالت المرأة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما قُلْتَ لَها ؟ قال : قلت لها : لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِئْسَ ما قُلْتَ أمَا كُنْتَ تَقْرأُ هَذِهِ الآيَةَ (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ) . . . الآية (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) فقال أبو هريرة : فخرجت ، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا وقفت عليها ، فقلت : إن تكن فيكم المرأة التى جاءت أبا هريرة الليلة ، فلتأتنى ولتبشر ؛ فلما صليت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم العشاء ، فإذا هى عند بابى ، فقلت : أبشرى ، فإنى دخلت على النبىّ ، فذكرت له ماقلتِ لى ، وما قلت لك ، فقال : بئس ما قلتُ لها ، أما كنت تقرأ هذه الآية ؟ فقرأتها عليها ، فخرّت ساجدة ، فقالت : الحمد لله الذى جعل مَخْرجا وتوبة مما عملت ، إن هذه الجارية وابنها حرّان لوجه الله ، وإنى قد تبت مما عملت » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، قال : اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما شىء من القرآن إلا سألته عنه ، ورسولى يختلف إلى عائشة ، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب لاأغفره .

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة بالتي في النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحرّاني ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق ، وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان ، والتي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) فقال زيد بن ثابت : قد عرفت الناسخة من المنسوخة ، نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال الضحاك بن مزاحم : هذه السورة بينها وبين النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) ثمان حجج . وقال ابن جُرَيج : وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جُبير : هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ فقال : لا ، فقرأ عليه هذه الآية كلها ، فقال سعيد بن جُبير : قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ ، فقال : هذه مكية ، نسختها آية مدنية ، التي في سورة النساء ، وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في الأثام من القول ، قال أهل التأويل ، إلا أنهم قالوا : ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يُدعى أثاما .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدّث ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الأثام : واد في جهنم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (يَلْقَ أثاما) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما) قال : واديا في جهنم فيه الزناة .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد ، قال : ثنا شرقيّ بن قطاميّ ، عن لقمان بن عامر الخزاعيّ ، قال : جئت أبا أُمامة صديّ بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا لي بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أنَّ صَخْرَةً زِنَةَ عَشْرِ عَشْرَاوَاتٍ قُذِفَ بِها مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها خَمْسِينَ خَرِيفًا ، ثُمَّ تَنْتَهِي إلى غَيٍّ وأثامٍ ، قلت : وما غيّ وأثام ؟ قال : بِئْرَانِ فِي أسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِما

صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وهما اللذان ذكر الله فى كتابه (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) ، وقوله فى الفرقان (وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاما) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَلْقَ أَثَاما) قال : الأثام الشرّ ، وقال : سيكفيك ماوراء ذلك : (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَلْقَ أَثَاما) قال : نكالا ؛ قال : وقال : إنه واد فى جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبى مريم قال : سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوى فيها أو بصخرة تهوى ، عظمها كعشر عشراوات سمان ، فقال له رجل : فهل تحت ذلك من شىء ؟ قال : نعم غىّ وأثام .

قوله (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم (يُضَاعَفْ) جزما (وَيَخْلُدْ) جزما . وقرأه عاصم : (يضَاعَفُ) رفعا (وَيَخْلُدُ) رفعا كلاهما على الابتداء ، وأن الكلام عنده قد تناهى عند (يَلْقَ أثاما) ثم ابتدأ قوله (يُضَاعَفُ له الْعَذابُ) .

والصواب من القراءة عندنا فيه : جزم الحرفين كليهما : يضاعفْ ، ويخلدْ ، وذلك أنه تفسير للأثام لافعل له ، ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ[١]

فرفع تعشو ، لأنه فعل لقوله تأته ، معناه : متى تأته عاشيا .

وقوله (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانا) ويبقى فيه إلى مالانهاية فى هوان . وقوله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) يقول تعالى ذكره : ومن يفعل هذه الأفعال التى ذكرها جلّ ثناؤه يلق أثاما (إِلَّا مَنْ

---

(١) البيت للحطيئة (اللسان : عشا) . قال : عشا إلى النار وعشاها عشوا وعشوا (كفعول) واعتشاها واعتشى بها : كله : رآها ليلا على بعد ، فقصدها مستضيئا بها ؛ قال الحطيئة : « متى تأته تعشو . . . » البيت . أى متى تأته لاتتبين ناره من ضعف بصرك اهـ . وجملة تعشو : فى محل نصب على الحال : ولذلك قال المؤلف : فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته ، أى هو حال من فاعل تأته . أى متى تأته عاشيا . أما ماورواه الطبرى من أن القراء مختلفون فى قراءة : « يضاعف » جزما ورفعا فهو كلام وجيه ، ولكل قراءة تأويلها من جهة النحو ، ولكنه يؤثر رواية الجزم على التفسير ، أى البدل مما قبله ، وهو « يلق » والذى ذهب إليه المؤلف تبع فيه الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٢٦) قال : وقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة » : قرأت القراء بجزم يضاعف ورفعه عاصم بن أبى النجود ؛ والوجه الجزم . وذلك إن فسرته ولم يكن فعلا لما قبله (أى مصاحبا الفعل الذى قبله) فالوجه الجزم . وماكان فعلا لما قبله رفعته ، فأما المفسر للمجزوم (أى المبدل منه) فقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » ثم فسر الأثام ، فقال : يضاعف له العذاب . ومثله فى الكلام : « إن تكلمنى توصنى بالخير والبر أقبل منك » . ألا ترى أنك فسرت الكلام بالبر ، ولم يكن فعلا له ، فلذلك جزمت — ولوكان الثانى فعلا للأول لرفعته ، كقولك : « إن تأتنا تطلب الخير تجده » . ألا ترى تجد تطلب فعلا للإتيان ، كقيلك : إن تأتنا طالبا للخير تجده ، قال الشاعر : متى تأته تعشو ... البيت » ، فرفع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا . ورفع عاصم يضاعف له ، لأنه أراد الاستئناف ، كما تقول : إن تأتنا نكرمك ، نعطيك كل ما تريد ، لاعلى الجزاء .

تابَ) يقول : إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك ، وإنابته إلى مايرضاه الله (وآمَنَ) يقول : وصدق بما جاء به محمد نبيّ الله (وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا) يقول : وعمل بما أمره الله من الأعمال ، وانتهى عما نهاه الله عنه .

قوله (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأولئك يبدّل الله بقبائح أعمالهم فى الشرك ، محاسن الأعمال فى الإسلام ، فيبدله بالشرك إيمانا ، وبقيل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به ، وبالزناعفة وإحصانا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات ، فرغب الله بهم عن ذلك ، فحوّلهم إلى الحسنات ، وأبدلهم مكان السيئات حسنات .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة ، فيبدّل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن سعيد ، قال : نزلت (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ) . . . إلى آخر الآية ، فى وَحْشِيّ وأصحابه ، قالوا : كيف لنا بالتوبة ، وقد عبدنا الأوثان ، وقتلنا المؤمنين ، ونكحنا المشركات ، فأنزل الله فيهم (إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) ، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين ، قتالا مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال ابن عباس ، فى قوله (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : بالشرك إيمانا ، وبالقتل إمساكا ، وبالزنا إحصانا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ) وهذه الآية مكية نزلت بمكة (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ) يعنى : الشرك ، والقتل ، والزنا جميعا . لمَّا أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة : يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار ، وليس له عند الله خير ، فأنزل الله (إلاَّ مَنْ تابَ) من المشركين من أهل مكة ، (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) يقول : يبدّل الله مكان الشرك والقتل والزنا : الإيمان بالله ، والدخول فى الإسلام ، وهو التبديل فى الدنيا . وأنزل الله فى ذلك (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ) يعنيهم بذلك (لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا) يعنى ما كان فى الشرك ، يقول الله لهم : أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، يدعوهم إلى الإسلام ، فهاتان الآيتان مكيتان ،

والتى فى النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنا مُتَعَمِّدًا) . . . الآية ، هذه مدنية ، نزلت بالمدينة ، وبينها وبين التى نزلت فى الفرقان ثمان سنين ، وهى مبهمة ليس منها مخرج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : سُئل ابن عباس عن قول الله جلّ ثناؤه (يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) فقال :

بُدِّلْنَ بَعْدَ حَرِّهِ خَرِيفا وَبَعْدَ طُولِ النَّفَسِ الوَجِيفا[1]

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ) . . . إلى قوله (يَخْلُدْ فِيهِ مُهَانا) فقال المشركون : ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا ، قال : فأنزل الله (إِلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ) قال : تاب من الشرك ، قال : وآمن بعقاب الله ورسوله (وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحا) ، قال : صدّق ، (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : يبدّل الله أعمالهم السيئة التى كانت فى الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا فى الإيمان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فأولئك يبدّل الله سيئاتهم فى الدنيا حسنات لهم يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : ثنا قريش بن أنس أبو أنس ، قال : ثنى صالح بن رستم ، عن عطاء الخراسانىّ ؛ عن سعيد بن المسيب (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المعرور بن سويد ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّى لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجا مِنَ النَّارِ ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الجَنَّةَ ، قال : يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَيُقالُ : نَحُّوا كِبارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُوهُ عَنْ صِغارِها ، قال : فَيُقالُ لَهُ : عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا ، وعَمِلْتَ كَذَا وكَذَا ، قال : فَيَقُولُ : يا رَبِّ لَقَدْ عَمِلْتُ أَشْياءَ ما أَراها هَاهُنا ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، قال : فَيُقالُ لَهُ : لَكَ مَكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ » .

❁ قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك : تأويل من تأوّله : فأولئك يبدّل الله سيئاتهم : أعمالهم فى الشرك ، حسنات فى الإسلام ، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى مايرضى .

---

(١) هذا بيت للبيد العامرى الشاعر . وروايته هكذا غامضة . ولم أجده فى أصل ديوانه ، وإنما وجدته فى الملحق بالديوان طبع ليدن ص ٥٦ ، وروايته فيه كرواية السيوطى فى (الاتقان) ١ : (وهذه الرواية أجود وأوضح) ، وهى :

بُدِّلْنَ بَعْدَ النَّفَسِ الوَجِيفَا وَبَعْدَ طُولِ الجِرَّةِ الصَّرِيفا

يصف لبيد جماعة من الإبل ، بأنها كانت ترعى ليلا زمنا طويلا ، ثم بدلت بذلك الوجيف ، وهو ضرب من سير الإبل والخيل سريع ، يقال وجف البعير والفرس وجفا ، ووجيفا : أسرع . وبدلت بعد طول الاجترار فى مباركها الصريف . والاجترار : أن يخرج ذو الكرش جزءا من الطعام ليمضغه جيدا ثم يعيده . والصريف يطلق على معان ، منها اللبن ساعة يحلب ، والخمر ؛ والمراد به هنا : صوت ناب الناقة إذا حركته ، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال . فكأن لبيدا يقول : تبدلت أحوالها بعد النعيم بؤسا .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبح ، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة ، إلى خلاف ما كانت عليه ، إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها فى حال أخرى ، فيجب إن فعل ذلك كذلك ، أن يصير شرك الكافر الذى كان شركا فى الكفر بعينه إيمانا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة ، وذلك ما لايقوله ذو حجاً .

وقوله (وكانَ اللهُ غَفُوراً رَحيما) يقول تعالى ذكره : وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده ، وراجع طاعته ، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها . قوله (وَمَنْ تابَ) يقول : ومن تاب من المشركين ، فآمن بالله ورسوله (وَعَمِلَ صَالِحا) يقول : وعمل بما أمره الله فأطاعه ، فإن الله فاعل به من إبداله سيِّئ أعماله فى الشرك ، بحسنها فى الإسلام ، مثل الذى فعل من ذلك ، بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صَالِحا فإنَّه يَتُوبُ إلى اللهِ مَتاباً) قال : هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت (وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَها آخَرَ) . . . إلى قوله (وكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيما) لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان هؤلاء إلا معنا ، قال : (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً) فإن لهم مثل ما لهؤلاء (فإنَّهُ يَتُوبُ إلى اللهِ مَتاباً) لم تحظر التوبة عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

﴿ اختلف أهل التأويل فى معنى الزور الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لايشهدونه ، فقال بعضهم : معناه الشرك بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله : (لايَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ لايَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : هؤلاء المهاجرون ، قال : والزُّور قولهم لآلهتهم ، وتعظيمهم إياها .

وقال آخرون : بل عُنِى به الغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على بن عبد الأعلى المحاربىّ قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله (وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : لا يسمعون الغناء .

وقال آخرون : هو قول الكذب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَالَّذِينَ لَايَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : الكذب .

قال أبو جعفر : وأصل الزُّور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيَّل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل فى ذلك ، لأنه محسَّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حقّ ، وهو باطل ، ويدخل فيه الغناء ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلى سامعُه سماعه ، والكذب أيضا قد يدخل فيه ، لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظنّ صاحبه أنه حقّ ، فكل ذلك مما يدخل فى معنى الزُّور .

فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى الأقوال بالصواب فى تأويله : أن يقال : والذين لايشهدون شيئا من الباطل ، لاشركا ، ولا غناء ، ولا كذبا ولا غيره ، وكلّ ما لزمه اسم الزور ، لأن الله عمّ فى وصفه إياهم ، أنهم لايشهدون الزور ، فلا ينبغى أن يُخَصّ من ذلك شىء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل .

وقوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) اختلف أهل التأويل فى معنى اللغو الذي ذُكر فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ، ويكلمونهم به من الأذى ، ومرورهم به كراما : إعراضهم عنهم وصفحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) قال : صفحوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) قال : إذا أوذوا مرّوا كراما ، قال : صفحوا .

وقال آخرون : بل معناه : وإذا مرّوا بذكر النكاح ، كفوا عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن مجاهد (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) قال : إذا ذكروا النكاح كفّوا عنه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن مجاهد : (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبى مخزوم ، عن سيار (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما) قال : إذا مرّوا بالرفث كفّوا .

وقال آخرون : إذا مرّوا بما كان المشركون فيه من الباطل مرّوا منكرين له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : هؤلاء المهاجرون ، واللغو ما كانوا فيه من الباطل ، يعنى المشركين ـ وقرأ (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) .

وقال آخرون : عُنى باللغو ههنا : المعاصى كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : اللغو كله : المعاصى .

❊ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى ، أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مرّوا باللغو مرّوا كراما ، واللغو فى كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لاحقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح فسبّ الإنسان الإنسان بالباطل الذى لاحقيقة له من اللّغو . وذكر النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح فى بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذى لاحقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه ، وسماع الغناء مما هو مستقبح فى أهل الدين ، فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو ، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ، أن يقال : عُنى به بعض ذلك دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه ، مرّوا كراما ، مرورهم كراما فى بعض ذلك بأن لا يسمعوه ، وذلك كالغناء . وفى بعض ذلك : بأن يعرضوا عنه ويصفحوا ، وذلك إذا أوذوا بإسماع القبيح من القول ، وفى بعضه : بأن يَنْهَوْا عن ذلك وذلك بأن يروا من المنكر ما يغيَّر بالقول فيغيروه بالقول . وفى بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف ، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم ، فيستصرخهم المراد ذلك منهم ، فيصرخونهم ، وكلّ ذلك مرورهم كراما .

وقد حدثنى ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : مرّ ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيمًا »

وقيل : إن هذه الآية مكية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السدىّ يقول (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : هى مكية ، وإنما عنى السدىّ بقوله هذا إن شاء الله ، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وأمرهم إذا مرّوا باللّغو الذى هو شرك ، أن يُقاتلوا أمراءه ، وإذا مرّوا باللغو ، الذى هو معصية لله أن يغيروه ، ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة ، وهذا القول نظير تأويلنا الذى تأوّلناه فى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : والذين إذا ذكَّرهم مذكر بحجج الله، لم يكونوا صُماً لايسمعون ، وعميا لايبصرونها. ولكنهم يقاظُ القلوب ، فهماء العقول ، يفهمون عن الله مايذكِّرهم به ، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه، فيوعون مواعظه آذانا سمعته ، وقلوبا وعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) فلا يسمعون ، ولا يبصرون ، ولا يفقهون حقا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) قال : لايفقهون ، ولا يسمعون ، ولا يبصرون .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، قال : قلت للشعبيّ : رأيت قوما قد سجدوا ، ولم أعلم ما سجدوا منه ، أسجد[1] ؟ قال (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) قال: هذا مثل ضربه الله لهم ، لم يدَعوها إلى غيرها . وقرأ قول الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) . . . الآية .

فإن قال قائل: وما معنى قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً) أوَ يخرّ الكافرون صُمّاً وعُمْيانا إذا ذُكروا بآيات الله، فيُنْتَفَى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار؟ قيل: نعم، الكافر إذا تُليت عليه آيات الله خرّ عليها أصمّ وأعمى ، وخرّه عليها كذلك ، إقامته على الكفر ، وذلك نظير قول العرب : سببت فلانا ، فقام يبكى ، بمعنى فظلّ يبكى ، ولا قيام هنالك، ولعله أن يكون بكى قاعدا ؛ وكما يقال : نهيت فلانا عن كذا ، فقعد يشتمنى ؛ ومعنى ذلك : فجعل يشتمنى ، وظلّ يشتمنى ، ولا قعود هنالك ، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب، حتى قد فهموا معناه وذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول : قعد يشتمنى ، كقولك : قام يشتمنى ، وأقبل يشتمنى ؛ قال : وأنشد بعض بنى عامر :

(١) أى فكنت أسجد معهم . ولكنه اختصر الكلام . وكثير من هؤلاء السائلين بين والمجيبين ، يختصرون الكلام إلى حد الرمز والإشارة ، اكتفاء بدلالة الحال .

لا يُقْنِعُ الجاريةَ الخِضابُ ولا الوِشاحانِ ولا الجِلْبابُ
مِن دونِ أن تَلْتَقِيَ الأرْكابُ ويَقْعُدَ الأَيْرُ لهُ لُعابُ[1]

بمعنى: يصير، فكذلك قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وعُمْيانا) إنما معناه: لم يَصَمُّوا عنها، ولا عموا عنها، ولم يصيروا على باب ربهم صُمًّا وعمْيانا، كما قال الراجز:

وَيَقْعُدَ الهَنُ لهُ لُعابُ بمعنى: ويصير

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

❊ يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله فى دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا) ما تقرّ به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) يعنون: من يعمل لك بالطاعة، فتقرّ بهم أعيننا فى الدنيا والآخرة.

حدثنى أحمد بن المقدام، قال: ثنا حزم، قال: سمعت كثيرا سأل الحسن، قال: يا أبا سعيد، قول الله (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) فى الدنيا والآخرة، قال: لا بل فى الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله.

حدثنا الفضل بن إسحاق، قال: ثنا سالم بن قُتَيبة، قال: ثنا حزم، قال: سمعت الحسن فذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قرأ حضرمى (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال: وإنما قرّة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن جُرَيج فيما قرأنا عليه فى قوله (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال: يعبدونك فيحسنون عبادتك، ولا يجرون الجرائر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جُرَيج، قوله (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال: يعبدونك يحسنون عبادتك، ولا يجرّون علينا الجرائر.

---

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز، رواها الفراء فى معانى القرآن عن بعض العرب (مصورة الجامعة ص٢٢٧) قال: وسمعت العرب تقول: قعد يشتمنى، كقولك: قام يشتمنى، وأقبل يشتمنى؛ وأنشدنى بعض العرب: لايقنع الجارية.... الأبيات. وفى البيت الرابع: «ويقعد الهن».... الخ، كقولك يصير. وقوله: الأركاب، هو جمع ركب، كسبب، وهو العانة أو منبتها، أو ظاهر الفرج. قال الخليل: هو للمرأة خاصة. وقال الفراء: هو للرجل والمرأة. وأنشد الفراء: «لايقنع الجارية.... الأبيات». وفى التهذيب: ولا يقال: ركب للرجل. وقيل يجوز أن يقال ركب للرجل. والهن (فى رواية الفراء): الحر.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام .

حدثنا محمد بن عون ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنى أبى ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير ، عن أبيه ، قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود ، فقال : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعث عليها نبيّ من الأنبياء فى فترة وجاهلية ، ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرّق به بين الحقّ والباطل ، وفرّق بين الوالد وولده ، حتى إنْ كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام ، فيعلم أنه إن مات دخل النار ، فلا تقرّ عينه ، وهو يعلم أن حبيبه فى النار ، وإنها للتى قال الله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) . . . الآية .

حدثنى ابن عون ، قال : ثنى علىّ بن الحسن العسقلانىّ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير ، عن أبيه ، عن المقداد ، نحوه .

وقيل : هب لنا قرّة أعين ، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع ، وقوله (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) واحدة ، لأن قوله : قرّة أعين : مصدر من قول القائل : قرّت عينك قرّة ، والمصدر لاتكاد العرب تجمعه .

وقوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاما) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : اجعلنا أئمة يقتدَى بنا من بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عون بن سلام ، قال : أخبرنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس . فى قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) يقول : أئمة يُقتدى بنا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاما) أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا . قال ابن زيد : كما قال لإبراهيم (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاما) .

وقال آخرون : بل معناه : واجعلنا للمتقين إماما : نأتمّ بهم ، ويأتمّ بنا من بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِين إِمَاما) قال : أئمة نقتدى بمن قبلنا ، ونكون أئمة لمن بعدنا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) قال : اجعلنا مؤتمين بهم ، مقتدين بهم .

❁ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ؟ إماما يأتمون بنا فى الخيرات ، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ولم

يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما ، وقال (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إماما) ولم يقل أئمة ،وقد قالوا : واجعلنا ، وهم جماعة ، لأن الإمام مصدر من قول القائل : أمّ فلان فلانا إماما ، كما يقال : قام فلان قياما ،وصام يوم كذا صياما . ومن جمع الإمام أئمة ،جعل الإمام اسما ، كما يقال : أصحاب محمد إمام ، وأئمة للناس، فمن وحّد قال : يأتمّ بهم الناس . وهذا القول الذى قلناه فى ذلك قول بعض نحويّي أهل الكوفة . وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام فى قوله (لِلْمُتَّقِينَ إماما) جماعة ، كما تقول: كلهم عُدُول . قال: ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل : إذا قيل له : من أميركم ، هؤلاء أميرنا ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

يا عاذِلاتى لا تُرِدْنَ مَلامَتِى إنّ العَوَاذِلَ لَسْنَ لى بأميرِ[1]

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادى ، وذلك من ابتداء قوله (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأرضِ هَوْنا) . إلى قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا) . . . الآية (يُجْزَوْنَ) يقول : يُثابون على أفعالهم هذه، التى فعلوها فى الدنيا (الغُرْفَةَ) وهى منزلة من منازل الجنة رفيعة (بِمَا صَبَرُوا) يقول : بصبرهم على هذه الأفعال ، ومقاساة شدتها . وقوله (وَيُلَقَّوْنَ فيها تَحِيَّةً وَسَلاما) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (وَيُلَقَّوْنَ) مضمومة الياء ، مشدّدة القاف ، بمعنى : وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة : (وَيَلْقَوْنَ) بفتح الياء ، وتخفيف القاف .

والصواب من القول فى ذلك: أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قَرَأَة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها (وَيَلْقَوْنَ فيها) بفتح الياء ، وتخفيف القاف ، لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد ، قالت : فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ، ونحن نَتَلقاهم بالسلام ، قرنته بالياء ، وقلما تقول : فلان يُلَقَّى السلام ، فكان وجه الكلام ، لو كان بالتشديد ، أن يقال : ويُتَلَقَّون فيها بالتحية والسلام.

وإنما اخترنا القراءة بذلك ، كما تجيز : أخذت بالخطام ، وأخذتُ الخطام .

وقد بيّنا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(١) البيت من شواهد ابن هشام فى المغنى فى حرف اللام ، على أن قوله : « لاتردن ملامتى » أبلغ من : لا تلمننى ، لأنه نهى عن السبب ، والنهى عن إرادة الفعل أبلغ من النهى عن الفعل نفسه . وقال الأمير فى حاشيته : قوله : « بأمير » : أخبر به عن الجمع ، إما لكونه فعيلا يستوى فيه الواحد وغيره ، قال الله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » أو إنه صفة لمفرد لفظا جمع معنى محذوف ، أى بفريق أمير . فلاحظ فى الإخبار معناه ، وفى وصفه لفظه . قلت : ولم ينسب البيت ابن هشام ولا الأمير ، ولا ذكره السيوطى فى شرح شواهد المغنى ، فى حرف اللام . وتوحيد الأمير فى البيت نظير توحيد الإمام فى قوله تعالى : واجعلنا للمتقين إماما » ، وكلاهما يراد به الجمع فى المعنى . قال فى اللسان : وقوله تعالى : « واجعلنا للمتقين إماما » . قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، خالدين فى الغرفة ، يعنى أنهم ماكثون فيها ، لابثون إلى غير أمد ، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما : يقول : وإقامة . وقوله (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى) يقول جلّ ثناؤه لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : أىّ شىء يَعُدّكم ، وأىّ شىء يصنع بكم ربى ، يقال منه : عبأت به أعبأ عبئا ، وعبأت الطيب أعبؤه : إذا هيأته ، كما قال الشاعر :

كأنَّ بِنَحْرِهِ وبِمَنْكِبَيْهِ عَبِيرًا باتَ يَعْبَؤُهُ عَرُوسُ[1]

يقول : يهيئه ويعمله يعبؤه عبأ وعبوءا ، ومنه قولهم : عَبَّأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه : أُهَيِّئُهُ والعِبءُ : الثقل :

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى) يصنع لولا دعاؤكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى) قال : يعبأ : يفعل

وقوله (لَوْلا دُعاؤُكُمْ) يقول : لولا عبادة من يعبده منكم ، وطاعة من يطيعه منكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ) يقول : لولا إيمانكم ، وأخبر الله الكفار أنه لاحاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حبَّبه إلى المؤمنين .

وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلا دُعاؤُكُمْ) قال : لولا دعاؤكم إياه لتعبدوه وتطيعوه .

---

(١) البيت لأبى زبيد الطائى يصف أسدا (اللسان : عبأ) . قال : وعبأ الطيب يعبؤه عبئا : صنعه وخلطه ، قال أبو زبيد يصف أسدا : « كأن بنحره . . . البيت » . ويروى : « بات يخبؤه » . وقال الفراء فى معانى القرآن : وقوله : « ما يعبأ بكم ربى » : استفهام ، أى ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ؟ وقال أبوعبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧٠) ومنه قولهم ؛ ما عبأت بك شيئا : أى ما عددتك شيئا . اهـ .

وقوله (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكتم به ، كان يعبأ بكم ربي ، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم ، وخلافكم أمر بارئكم ، عذابا لكم ملازما ، قتلا بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا ، كما قال أبو ذُؤَيب الهُذَلِيّ :

فَفاجأَهُ بِعادِيَةٍ لِزامٍ كَمَا يَتَفَجَّرُ الحَوْضُ اللَّقِيفُ(١)

يعني باللزام: الكبير الذي يتبع بعضه بعضا ، وباللقيف: المتساقط الحجارة المتهدّم ، ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللزام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سامان أبا عبد الله ، قال : صليت مع ابن الزُّبير فسمعته يقرأ : فقد كذب الكافرون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سعيد بن أدهم السدوسيّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن عبد المجيد ، قال : سمعت مسلم بن عمار ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف : فقد كذب الكافرون (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً) .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما) يقول: كذب الكافرون أعداء الله

حدثنا ابن المثنى ، قال: ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : فسوف يلقون لزاما يوم بدر .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الرحمن : خمس قد مضين: الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما) قال أُبَيّ بن كعب : هو القتل يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اللزام : يوم بدر ،

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان : لقف). قال : وحوض لقف ولقيف : تهور من أسفله واتسع ، ومنه قول أبي ذؤيب : * فلم ترَ غير عادية لزاما * . . . البيت قال : ويقال : الملآن . والأول : هو الصحيح . قال : والعادية : القوم يعدون على أرجلهم أي : فحملتهم لزاما ، كأنهم لزموه ، لا يفارقون ما هم فيه . اه . وقال (في لزم) : واللزام : الملازم قال أبو ذؤيب : (البيت كروايته في لقف) ثم فسره كما فسره هناك . قال: واللقيف : المتهور من أسفله . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٧٠) : لزام : أي كثيرة بعضها في أثر بعض وبهامشه ؛ اللقيف المتهدم ، الذي سقطت حجارة بعضها على بعض . اه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد (فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما) قال : هو يوم بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما) قال : يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن مَعْمَر ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن مسعود ؛ قال : اللزام : القتل يوم بدر .

حُدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما) الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، فسوف يكون لزاما ، وهو يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : قد مضى اللزام ، كان اللزام يوم بدر ، أسروا سبعين ، وقتلوا سبعين .

وقال آخرون : معنى اللزام : القتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما) قال : فسوف يكون قتالا ؛ اللزام : القتال .

وقال آخرون : اللزام : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (فَسَوْفَ يكُونُ لِزَاما) قال : موتا .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى ذلك : فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شرّ . وقد بيَّنا الصواب من القول في ذلك . وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه ، وهو أن يكون في قوله (يَكُونُ) مجهول ، ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل :

* إذَا كان طَعْنا بَيْنَهُمْ وَقتالاً *

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك : قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تَدْعون من دونه من الآلهة والأنداد ، وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل .

آخر سورة الفرقان ، والحمد لله وحده

(٢٦) سورة الشعراء مكية
وآياتها سبع وعشرون ومائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما فى ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة. وقد بيّنا الذى هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته، وقد ذكر عنهم من الاختلاف فى قوله: طسم وطس، نظير الذى ذكر عنهم فى: الم والمر والمص.

وقد حدثنى علىّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (طسم) قال: فإنه قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (طسم) قال: اسم من أسماء القرآن.

فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة لآيات الكتاب الذى أنزلته إليه من قبلها الذى بين لمن تدبره بفهم، وفكّر فيه بعقل، أنه من عند الله جلّ جلاله، لم يتخرّصه محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتقوّله من عنده، بل أوحاه إليه ربه.

وقوله (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: لعلك يامحمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به، والبخْع: هو القتل والإهلاك فى كلام العرب؛ ومنه قول ذى الرُّمة:

أَلا أَيُّهَذَا البَاخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقَادِرُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس: (بَاخِعٌ نَفْسَكَ): قاتل نفسك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) قال: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك، قال: ذلك البخع.

(١) البيت لذى الرمة، وقد تقدم الاستشهاد به فى سورة الكهف (١٥ : ١٩٤) على أن معنى البخع: القتل، فراجعه ثمة.

حُدِّثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ) عليهم حرصا ، وأنْ من قوله (أنْ لايَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) فى موضع نصب بباخع ، كما يقال : زرت عبد الله أن زارنى ، وهو جزاء ؛ ولو كان الفعل الذى بعد أنْ مستقبلا لكان وجه الكلام فى « أن » الكسر كما يقال ؛ أزور عبد الله إن يزورنى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ) . . . الآية ، فقال بعضهم : معناه : فظلّ القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد فى قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ) قال : فظلوا خاضعة أعناقهم لها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خاضِعِينَ) قال : لو شاء الله لنزّل عليه آية يذلون بها ، فلا يَلْوِى أحد عنقه إلى معصية الله .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أنْ لايَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إنْ نَشأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً) قال : لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لايعمل أحد منهم بعده بمعصية.

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ) قال : ملقين أعناقهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ) قال : الخاضع : الذليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين ، ويقول ; الأعناق : هم الكبراء من الناس .

واختلف أهل العربية فى وجه تذكير خاضعين ، وهو خبر عن الأعناق ، فقال بعض نحويِّى البصرة : يزعمون أن قوله (أعْناقُهُمْ) على الجماعات ، نحو : هذا عنق من الناس كثير ، أو ذُكِّر كما يذكَّر بعض المؤنث ، كما قال الشاعر :

تَمَزَّزْتُها والدِّيكُ يَدْعُو صَباحَهُ　　　إذا ما بنو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا [١]

(١) هذا البيت أنشده سيبويه للنابغة الجعدى ، (اللسان : نعش) وقبله بيت آخر ، يصف بهما الخمر ، وهو قوله :

وَصَهْباءُ لايَخْفَى القَذَى وَهْيَ دُونَهُ　　　تُصَفَّقُ فى راوُوقِها ثُمَّ تُقْطَبُ

قال : وبنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها مربعة ، وثلاثة بنات نعش ، الواحد : ابن نعش لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره . وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات ، وكذلك بنات نعش الصغرى . واتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة =

فجماعات هذا أعناق ، أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث ، كما قال الأعشى

وتَشْرَقُ بالقَوْلِ الّذى قَدْ أذَعْتَه   كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ [1]

وقال العجاج : لَمَّا رأى مَتْنَ السَّماء أبْعَدَتْ [2]

وقال الفرزدق :

إذَا القُنْبُضَاتُ السُّود طَوَّفْنَ بالضحى   رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الحِجالُ المُسَجَّفُ [3]

وقال الأعشى :

وإنَّ امْرَأً أهْدَى إلَيْكَ وَدُونَه   مِنَ الأرْضِ يَهْماءٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ

لَمَحْقُوقَة أن تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِه   وأنْ تَعْلَمِى أنَّ المُعانَ المُوَفَّقُ [4]

= والتأنيث . وقيل شبهت بحملة النعش فى تربيعها. وجاء فى الشعر بنونعش ، أنشد سيبويه للنابغة الجعدى : «*وصهباء لا يخفى ... البيتان» * الصهباء الخمر . وقوله « لايخفى القذى وهى دونه » أى لاتستره إذا وقع فيها ، لكونها صافية ، فالقذى يرى فيها إذا وقع . وقوله وهى دونه : يريد أن القذى إذا حصل فى أسفل الإناء ، رآه الرائى فى الموضع الذى فوقه الخمر ، والخمر أقرب إلى الرائى من القذى . يريد أنها يرى ماوراءها . وتصفق تدار من إناء إلى إناء وقوله تمزرتها: أى شربتها قليلا قليلا . وتقطب : تمزج بالماء . قال الأزهرى: وللشاعر إذا اضطر أن يقول : بنونعش ، كما قال الشاعر ، وأنشد البيت ، ووجه الكلام : بنات نعش ، كما قالوا : بنات آوى وبنات عرس ، والواحد منها ابن عرس ، يؤنثون جمع ماخلا الآدميين . ورواية أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ص ١٧١) : شربت إذا ما الديك ... الخ البيت .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (اللسان : شرق) قال : شرق الشىء شرقا ، فهو شرق : اشتدت حمرته بدم ، أو بحسن لون أحمر ، قال الأعشى : « وتشرق بالقول » . . . البيت . والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة فى ديوانه (طبع القاهرة ص ١٢١) يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنام الشاعر ليهاجيه . قال شارح الديوان : « وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم » . وصدر القناة : أعلاها . والشاهد فى البيت أنه أنث الفعل شرق بالتاء ، مع أن فاعله وهو « صدر » مذكر . ولكنه لما أضيف إلى القناة وهى مؤنثة ، فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها .

(٢) لم أجد البيت فى ديوان العجاج ورؤبة . ووجدت أرجوزة من نفس القافية للزفيان ملحقة بديوان العجاج (٩٤، ٩٥) وليس فيها البيت . والمتن : الظهر . والشاهد فى هذا الرجز أنه أنث الفعل أبعدت بالتاء ، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن ، وهو مذكر ؛ لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهى مؤنثة ، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء ، وتناسى المتن ، فأنث لذلك ، وكأنه قال : « لما رأى السماء أبعدت » . وهو كالشاهد الذى قبله .

(٣) البيت للفرزدق (اللسان : قبض) . والقنبضة من النساء : القصيرة ، والنون زائدة والضمير فى رقدن : يعود إلى نساء وصفهن بالنعمة والترف إذا كانت القنبضات السود فى خدمة وتعب اهـ يعنى بالقنبضات الولائد والإماء من الخدم . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويكون له أزرار كبار . ومنه حديث : «أعروا النساء يلزمن الحجال» . وجمع الحجلة : حجل وحجال ، قال الفرزدق : * رقدن عليهن الحجال المسجف * قال الحجال ، وهى جماعة ، ثم قال المسجف فذكر ، لأن لفظ الحجال لفظ الواحد مثل الجراب . قال : ومثله قوله تعالى : « قال من يحيى العظام وهى رميم » ، ولم يقل رميمة . وانظر البيت أيضا فى ديوان الفرزدق (طبعة الصاوى ص ٥٥٢) قال : والتسجيف : إرخاء السجفين ، وهما ستر باب الحجلة للعروس . وكل باب يستره ستران بينهما مشقوق ، فكل شق منهما سجف .

(٤) البيتان لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٢٣) من قافيته التى مطلعها : * أرقت وما هذا السهاد المؤرق * يمدح بها المحلق ابن خنثم بن شداد بن ربيعة . وفى رواية البيت الأول فيه وفى خزانة الأدب الكبرى (للبغدادى ١ : ٥٥١ ، ٢ : ٤١٠) أسرى ، فى موضع : أهدى . و « أن المعان موفق » فى موضع « أنى المعان الموفق » . ومعنى أهدى من الهدية ، وهذا لا يصلح إلا على أن الخطاب للناقة وكان قد أهداها الممدوح إليه ، لا على أن الخطاب للمرأة المذكورة فى القصيدة قبل البيت فى قوله « وكم دون ليلى » وتمام رواية البيت على أنه خطاب للناقة هو :

وإن امرأ أهداك بينى وبينه   فياف تنوفات ويهماء سملق

والأكثرون على رواية أسرى إليك ، وأنه خطاب للمرأة ، وعليه بنى الكوفيون كلامهم فى الاستشهاد بالبيت . وأسرى : لغة فى سرى =

قال : ويقولون : بنات نعش وبنو نعش ، ويقال : بنات عِرس ، وبنو عِرس ؛ وقالت امرأة : أنا امرؤ لاأخبر السرّ ، قال : وذكر لرؤبة رجل فقال : هوكان أحد بنات مساجد الله ، يعنى الحَصَى . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : هذا بمنزلة قول الشاعر :

تَرَى أرْماحَهُمْ مُتَقَلِّدِيها   إذَا صَدِئَ الحَدِيدُ على الكُماةِ ١

فمعناه عنده : فظلت أعناقهم خاضعيها هم ، كما يقال : يدك باسطها ، بمعنى : يدك باسطها أنت ، فاكتفى بما ابتدأ به من الاسم أن يكون ، فصار الفعل كأنه للأوّل وهو للثانى ، وكذلك قوله : لمحقوقة أن تستجيبى لصوته إنما هو لمحقوقة أنت ، والمحقوقة : الناقة ، إلا أنه عطفه على المرء لما عاد بالذكر . وكان آخر منهم يقول : الاعناق : الطوائف ، كما يقال : رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدة ، فيجعل الأعناق الطوائف والعُصَب ؛ ويقول : يحتمل أيضا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء ، فيكون كأنه قيل : فظلت رءوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين ، وقال : أحبُّ إلىّ من هذين الوجهين فى العربية أن يقال : إن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ، فجعلْت الفعل أوّلا للأعناق ، ثم جَعَلْتَ خاضعين للرجال ، كما قال الشاعر :

عَلَى قَبْضَةٍ مَرْجُوَّةٍ ظَهْرُ كَفِّهِ   فَلا المَرْءُ مُسْتَحْيٍ وَلا هُوَ طاعِمُ ٢

فأنث فعل الظهر ، لأن الكفّ تجمع الظهر ، وتكفى منه ، كما أنك تكتفى بأن تقول : خضعت لك ، من أن تقول : خَضَعَتْ لك رقبتى ، وقال : ألا ترى أن العرب تقول : كل ذى عين ناظر وناظرة إليك ، لأن

= أى سار ليلا . والموماة : الأرض التى لاماء فيها . والبيداء واليهماء القفر . والسملق : الأرض المستوية . وقد اختلف النحويون فى تخريج قوله : « المحقوقة أن تستجيبى » ، فقيل : لمحقوقة استجابتك أى استجابتك محقوقة . وعليه فالتأنيث فى محقوقة للمصدر المؤنث جوازا . وعليه أيضا فلا شاهد فى البيت . وقال الكوفيون : محقوقة خبر إن امرأ ، غير جار على من هو له وهو امرأ ، وإنما هو جار على المرأة المخاطبة بقوله إليك . والبصريون يوجبون إذا جرى الخبر على غير من هو له إبراز الضمير المستتر فيه ، فكان حقه أن يقول : لمحقوقة أنت أن تستجيبى لصوته . ويرى الكوفيون أن إبراز الضمير المستتر فى مثل هذه الحالة حكمه الجواز لا الوجوب ، واستدلوا بالبيت على ترك إبرازه . ورد البصريون كلامهم بما لامحل لذكره هنا . واستشهد المؤلف بالبيت على ما استشهد به الكوفيون .

(١) البيت ذكره ابن الأنبارى فى الإنصاف ولم ينسبه وكذلك لم ينسبه البغدادى فى الخزانة (٢ : ٤١١) وهو كالشاهد الذى قبله . قال البغدادى : الظاهر من كلام ابن الشجرى فى أماليه ، ومن كلام ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف ، ومن كلام غيرهما : أن مذهب الكوفيين ، جواز ترك التأكيد مطلقا ، سواء أمن اللبس أم لا . قال ابن الأنبارى : احتج الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم ، وبقوله : « ترى أرباقهم » . . . البيت . ولوكان إبراز الضمير واجبا لقال : متقلديها هم . فلما لم يبرز الضمير دل على جوازه . وأجاب البصريون عن هذا بأنه على حذف مضاف ، أى ترى أصحاب أرباقهم متقلديها . ورواية البيت فى الخزانة والإنصاف : « ترى أرباقهم » فى موضع « ترى أرماحهم » . وكذلك أنشده الفراء فى معانى القرآن : أرباقهم (ص ٢٢٨) .

(٢) هذا البيت مما استشهد به الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٢٨) قال عند قوله تعالى : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » : الفعل للأعناق ، فيقول القائل : كيف لم يقل خاضعة . وفى ذلك وجوه كلها صواب . أولها : أن مجاهدا جعل الأعناق الرجال الكبراء ، فكانت الأعناق ههنا بمنزلة قولك : ظلت رءوسهم ، رءوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين ، الآية . والوجه الآخر : أن تجعل الأعناق : الطوائف ، كما تقول : رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدا ، فتجعل الأعناق : الطوائف والعصب . وأحب إلى من هذين الوجهين فى العربية : أن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولا للأعناق . ثم جعلت خاضعين للرجال ، كما قال الشاعر « على قبضة مرجوة » . . . البيت . فأنث فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكفى منه .

قولك : نظرتْ إليك عيني ، ونظرتُ إليك بمعنى واحد بترك كل ، وله الفعل وبرده إلى العين ، فلو قلت : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، كان صوابا .

❁ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل فى ذلك أن تكون الأعناق هى أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التى ينزلها الله عليهم من السماء ، وأن يكون قوله خاضعين مذكرا ، لأنه خبر عن الهاء والميم فى الأعناق ، فيكون ذلك نظير قول جرير :

أرَى مَرَّ السِّنِينَ أخَــذْنَ مِـنِّى كَمَا أخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِــلالِ [١]

وذلك أن قوله : مرّ ، لو أسقط من الكلام ، لأدى ما بقى من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه ، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله : فظلت أعناقهم ، لأدى ما بقى من الكلام عنها ، وذلك أن الرجال إذا ذلُّوا ، فقد ذلت رقابهم ، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا .

فإن قيل فى الكلام : فظلوا لها خاضعين ، كان الكلام غير فاسد ، لسقوط الأعناق ، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها ، فصرف الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق ، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب فى كلامهم ، إذا كان الاسم المبتدأ به ، وما أضيف إليه يؤدّى الخبر كلّ واحد منهما عن الآخر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ويجحدون ما أتيتهم به يامحمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك ، وحقيقة ماتدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك ، لتذكرهم به ، إلا أعرضوا عن استماعه ، وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فقد كذّب يامحمد هؤلاء المشركون بالذكر الذى أتاهم من عند الله ، وأعرضوا عنه (فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ ماكانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : فسيأتيهم أخبار الأمر الذى كانوا يسخرون وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم فى كفرهم ، وتمرّدهم على ربهم .

---

(١) البيت لجرير ، وقد سبق الاستشهاد به فى الجزء (١٢ : ١٥٧) وذكره صاحب (اللسان : خضع) قال : جاز أن يخبر عن المضاف إليه كما قال الشاعر « رأت مر السنين » ، لما كانت السنون لاتكون إلا بمر أخبر عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المرور . والسرار : الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر . ورواية « رأت مر السنين » : هى رواية الديوان (طبعة الصاوى ٤٢٦) . ورواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧١) .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث والنشر إلى الأرض، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لانبات فيها (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) يعنى بالكريم: الحسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا، فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة، وشاة كريمة.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنى أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) قال: من نبات الأرض، مما تأكل الناس والأنعام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، فى قوله (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) قال: حسن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

يقول تعالى ذكره: إن فى إنباتنا فى الأرض من كلّ زوج كريم لآية: يقول: لدلالة لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التى بها أنبت الله فى الأرض ذلك النبات بعد جدوبها، لن يُعجزه أن يُنْشِر بها الأموات بعد مماتهم، أحياء من قبورهم. وقوله (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث، الجاحدين نبوّتك يامحمد، بمصدقيك على ماتأتيهم به من عند الله من الذكر، يقول جلّ ثناؤه: وقد سبق فى علمى أنهم لايؤمنون، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمى فيهم. وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول: وإن ربك يامحمد لهو العزيز فى نقمته، لايمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه، يقول تعالى ذكره: وإنى إن أحللت بهؤلاء المكذّبين بك يامحمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندى، عقوبتى بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم منى مانع، لأنى أنا العزيز الرحيم، يعنى أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يعاقبه على ماسلف من جرْمه بعد توبته.

وكان ابن جُرَيج يقول فى معنى ذلك، ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى الحجاج، عن ابن جُرَيج قال: كلّ شىء فى الشعراء من قوله (عَزِيزٌ رَحِيمٌ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه.

قال أبو جعفر : وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك فى هذا الموضع ، لأن قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث ، لم يكونوا أهلكوا ، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه . ولعلّ ابن جُرَيج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلك من الأمم ، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران (أنِ ائتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعنى الكافرين قوم فرعون ، ونصب القوم الثانى ترجمة عن القوم الأوّل ، وقوله (ألا يَتَّقُونَ) يقول : ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به ، ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون . وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه . وإنما قيل : ألا يتقون بالياء ، ولم يقل ألا تتقون بالتاء ، لأن التنزيل كان قبل الخطاب ، ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا ، كما قيل : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سيُغلبونَ - وستُغلبونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره (قالَ) موسى لربه (رَبِّ إنّى أخافُ) من قوم فرعون الذين أمرتنى أن آتيهم (أنْ يُكَذِّبُونِ) بقيلى لهم : إنك أرسلتنى إليهم (وَيَضِيقُ صَدْرِى) من تكذيبهم إياى إن كذّبونى ، ورفع قوله (وَيَضِيقُ صَدْرِى) عطفا به على أخاف ، وبالرفع فيه قرأته عامة قرّاء الأمصار ، ومعناه : وإنى يضيق صدرى . وقوله (وَلا يَنْطَلِقُ لِسانِى) يقول : ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلنى به إليهم للعلة التى كانت بلسانه . وقوله (وَلا يَنْطَلِق لِسانِى) كلام معطوف به على يضيق . وقوله (فأرْسِلْ إلى هارُونَ) يعنى هارون أخاه ، ولم يقل : فأرسل إلىّ هارون ليؤازرنى وليعيننى ، إذ كان مفهوما معنى الكلام ، وذلك كقول القائل : لو نزلت بنا نازلة لفزعنا إليك ، بمعنى : لفزعنا إليك لتعيننا . وقوله (وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ) يقول : ولقوم فرعون علىّ دعوى ذنب أذنبت إليهم ، وذلك قتله النفس التى قتلها منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ فأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ) قال : قتل النفس التى قتل منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : قتل موسى النفس .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) قال : قتل النفس ، وقوله (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) يقول : فأخاف أن يقتلون قودا بالنفس التي قتلت منهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره (كَلَّا) : أى لن يقتلك قوم فرعون (فاذْهَبا بآياتِنا) يقول : فاذهب أنت وأخوك بآياتنا ، يعنى بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم . وقوله (إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) من قوم فرعون مايقولون لكم ، ويجيبونكم به ، وقوله (فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا) . . . الآية ، يقول : فأت أنت ياموسى وأخوك هارون فرعون (فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ) إليك بـ (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِى إِسْرائِيلَ) وقال رسول ربّ العالمين ، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا ، لأنه أراد به المصدر من أرسلت ، يقال : أرسلت رسالة ورسولا ، كما قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِندَهُمْ ... بِسُوءٍ وَلا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ [1]

يعنى برسالة ، وقال الآخر :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى خُفافا ... رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهاها [2]

يعنى بقوله : رسولا : رسالة ، فأنث لذلك الهاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ماظهر عليه منه ، وهو : فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه ،

---

(١) البيت فى (اللسان : رسل) . وفى رواية « بليل » فى موضع « بسوء » . قال : والإرسال التوجيه ، وقد أرسل إليه . والاسم الرسالة (بكسر الراء المشددة وفتحها) والرسول والرسيل . الأخيرة عن ثعلب . وأنشد : « لقد كذب الواشون » . . . البيت قال : والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر . وفى (اللسان : رسل) رواية أخرى للبيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى كثير .

(٢) البيت لعباس بن مرداس (اللسان : رسل) . قال : فأنث الرسول (بعود الضمير المؤنث) حيث كان بمعنى الرسالة . وهذا البيت من المقطوعة التي منها الشاهد السابق ص ٣٧ وهو فأبى ما وأيك . . . البيت . يهجو به العباس بن مرداس خفاف بن ندبة لشىء كان بينهما (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٢٩) .

فقال فرعون : ألم نربك فينا يا موسى وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وذلك مكثه عنده قبل قتله القتيل الذى قتله من القبط ، وفعلت فعلتك التى فعلت : يعنى قتله النفس التى قتل من القبط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين . ، قال : قتل النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما قيل (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ) لأنها مرّة واحدة ، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى ؛ وذُكر عن الشعبى أنه قرأ ذلك (وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ) بكسر الفاء ، وهى قراءة لقراءة القرّاء من أهل الأمصار مخالفة .

وقوله (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنت من الكافرين بالله على ديننا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يعنى على ديننا هذا الذى تعيب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت من الكافرين نعمتنا عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قال : ربيناك فينا وليدا ، فهذا الذى كافأتنا أن قتلت منا نفسا ، وكفرت نعمتنا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يقول : كافرا للنعمة أن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية ، لأن فرعون لم يكن مقرّا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الربّ ، فغير جائز أن يقول لموسى : إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدىّ : فعلت الفعلة وأنت من الكافرين ، الإيمان عنده : هو دينه الذى كان عليه موسى عنده ، إلا أن يقول قائل : إنما أراد : وأنت من الكافرين يومئذ ياموسى ، على قولك اليوم ، فيكون ذلك وجها يتوجه . فتأويل الكلام إذن : وقتلت الذى قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ، وإحساننا إليك فى قتلك إياه . وقد قيل : معنى ذلك : وأنت الآن من الكافرين لنعمتى عليك ، وتربيتى إياك

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون : فعلت تلك الفعلة التى فعلت : أى قتلت تلك النفس التى قتلتُ إذن وأنا من الضالين : يقول : وأنا من الجاهلين قبل أن يأتينى من الله وحى بتحريم قتله علىّ . والعرب تضع من الضلال موضع الجهل ، والجهل موضع الضلال ، فتقول : قد جهل فلان الطريق وضلّ الطريق ، بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) قال : من الجاهلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جُرَيج : وفى قراءة ابن مسعود (وأنا مِنَ الجاهِلِينَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) قال : من الجاهلين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ) فقال موسى : لم أكفر ، ولكن فعلتها وأنا من الضالين . وفى حرف ابن مسعود (فَعَلْتُها إذًا وأنا مِنَ الجاهِلِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قالَ فَعَلْتُها إذًا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) قبل أن يأتينى من الله شىء كان قتلى إياه ضلالة خطأ . قال : والضلالة ههنا الخطأ ، لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قال فَعَلْتُها إذًا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ) يقول : وأنا من الجاهلين .

وقوله (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون : (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ) معشر الملأ من قوم فرعون (لَمَّا خِفْتُكُمْ) أن تقتلونى بقتلى القتيل منكم (فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا) يقول : فوهب لى ربى نبوّة وهى الحكم .

كما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا) والحكم : النبوّة .

وقوله (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يقول : وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه ، مبلغًا عنه رسالته إليهم بارساله إياى إليك يافرعون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) يعني بقوله : وتلك تربية فرعون إياه ، يقول : وتربيتك إياى ، وتركك استعبادى ، كما استعبدت بنى إسرائيل نعمة منك تمنها على بحق ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو : وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل وتركتنى ، فلم تستعبدنى ، فترك ذكر وتركتنى لدلالة قوله أن عبدت بنى إسرائيل عليه ، والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ، ونظير ذلك فى الكلام أن يستحق رجلان من ذى سلطان عقوبة ، فيعاقب أحدهما ، ويعفو عن الآخر ، فيقول المعفو عنه هذه نعمة على من الأمير أن عاقب فلانا ، وتركنى ، ثم حذف وتركنى لدلالة الكلام عليه ، ولأن فى قوله (أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وجهين : أحدهما النصب ، لتعلق تمنها بها ، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها على لتعبدك بنى إسرائيل . والآخر : الرفع على أنها رد على النعمة . وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها على تعبيدك بنى إسرائيل . ويعنى بقوله (أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) : أن اتخذتهم عبيدا لك ، يقال منه : عبدت العبيد وأعبدتهم ، كما قال الشاعر :

عَلَامَ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وقَدْ كَثُرَتْ فِيهَا أَبَاعِرُ ما شاءُوا وَعُبْدَانُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال : قهرتهم واستعملتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : تمن على أن عبدت بنى إسرائيل ، قال : قهرت وغلبت واستعملت بنى إسرائيل .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وربيتنى قبل وليدا .

(١) البيت من شواهد (اللسان : عبد) قال : تعبد الرجل (وعبده) بتشديد الباء فيهما ، وأعبده : صيره كالعبد . قال الشاعر :
« حتام يعبدنى قومى . . . البيت » .

وقال آخرون: هذا استفهام كان من موسى لفرعون، كأنه قال: أتمن عليّ أن اتخذت بني إسرائيل عبيدا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) قال: يقول موسى لفرعون: أتمن عليّ أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبيدا.

واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي البصرة: وتلك نعمة تمنها عليّ، فيقال: هذا استفهام كأنه قال: أتمنها عليّ؟ ثم فسر فقال: (أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وجعله بدلا من النعمة. وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول، ويقول: هو غلط من قائله لايجوز أن يكون همز الاستفهام يلقى، وهو يطلب، فيكون الاستفهام كالخبر، قال: وقد استقبح ومعه أم، وهي دليل على الاستفهام واستقبحوا:

تَرُوحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرْ وَمَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ تَنْتَظِرْ ؟[1]

قال: وقال بعضهم: هو أتروح من الحيّ، وحذف الاستفهام أوّلا اكتفاء بأم. وقال أكثرهم: بل الأوّل خبر، والثاني استفهام، وكأن أم إذا جاءت بعد الكلام فهي الألف، فأما وليس معه أم، فلم يقله إنسان. وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي: أي لنعمة تربيتي لك، فأجابه فقال: نعم هي نعمة عليّ أن عبّدت الناس ولم تستعبدني.

وقول (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقو: وأيّ شيء ربّ العالمين؟ (قَالَ) موسى هو (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومالكهن (وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول: ومالك ما بين السموات والأرض من شيء (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو ربّ السموات والأرض وما بينهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ) قال فرعون لمن حوله من قوله: ألا تستمعون لما يقول موسى، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسئلة فرعون إياه وقيله له (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟) ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سأله، إذ قال لهم فرعون (أَلَا

(١) البيت: لامرئ القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١١٥) تروح: أتروح وتبتكر: تخرج مبكرا. يقول: أتروح إلى أهلك آخر النهار، أم تخرج إليهم بكرة، وما الذي يعجلك عن الانتظار وهو خير لك. والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام اكتفاء بدلالة أم عليه. وبعضهم يستقبح الحذف في هذا الموضع. ويمنعه فيما يلبس بالخبر.

تَسْتَمِعُونَ) إلى قول موسى ، فقال لهم الذى دعوته إليه وإلى عبادته (رَبُّكُمْ) الذى خلقكم (وَرَبُّ آبائِكُمُ الأوَّلِينَ) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك ، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه (إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) يقول: إن رسولكم هذا الذى يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله ، لأنه يقول قولا لانعرفه ولا نفهمه ، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدوّ الله إلى الجنة ، لأنه كان عنده وعند قومه أنه لارب غيره يعبد ، وأن الذى يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة ، فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم ، ومعرّفهم ربهم بصفته وأدلته ، إذ كان عند قوم فرعون أن الذى يعرفونه ربا لهم فى ذلك الوقت هو فرعون ، وأن الذى يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر ، كانوا قبل فرعون ، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشىء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون ، لأن كلامه كان عندهم كلاما لايعقلون معناه الذى أدعوكم ، وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما ، يعنى ملك مشرق الشمس ومغربها ، ومابينهما من شىء ، لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ، ولا إلى عبادة فرعون الذى هو ملكها (إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها مايقال لكم ، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم ؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذى علموا أنه الحق الواضح ، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر ، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذى يدعوهم موسى إلى عبادته ، هو الملك الذى يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق ، وتماديا فى الغىّ لموسى (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلَهًا غَيْرِى) يقول: لئن أقررت بمعبود سواى (لَأجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ) يقول: لأسجننك مع من فى السجن من أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى:

قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون لما عرفه ربه ، وأنه رب المشرق والمغرب ، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له ، وأجابه فرعون بقوله (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلَهًا غَيْرِى لَأجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ) أتجعلنى من المسجونين (وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ) يبين لك صدق ما أقول يافرعون وحقيقة ما أدعوك إليه . وإنما قال ذلك له ، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف ، والإجابة إلى الحق بعد البيان ؛ فلما قال موسى له ماقال من ذلك قال له فرعون : فأت بالشىء المبين حقيقة ماتقول ، فإنا لن نسجنك حينئذ إن اتخذت إلها غيرى إن كنت من الصادقين ، يقول: إن كنت محقا فيما تقول ، وصادقا فيما تصف وتخبر ، (فَألْقَى عَصَاهُ فإذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) يقول جل ثناؤه: فألقى موسى عصاه فتحولت ثعبانا ، وهى الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله (مُبِينٌ) يقول : يبين لفرعون والملأ من قومه أنه ثعبان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) يقول : مبين له خلق حية .

وقوله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) يقول : وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء تلمع (لِلنَّاظِرِينَ) لمن ينظر إليها ويراها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن عليّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، قال : ارتفعت الحية في السماء قدر ميل ، ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها ، فجعلت تقول : ياموسى مرني بما شئت ، فجعل فرعون يقول : ياموسى أسألك بالذي أرسلك ، قال : فأخذه بطنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة مادعاه إليه ، وصدق ما أتاه به من عند ربه (لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ) يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) يقول : إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا (عَلِيمٌ) ، يقول : ذو علم بالسحر وبصر به (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) يقول : يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشأم بقهره إياكم بالسحر . وإنما قال : يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملإ حوله من القبط ، والمعنيّ به بنو إسرائيل ، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ، واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهّانا ، فلذلك قال لهم (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ) وهو يريد أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشأم .

وإنما قلت معنى ذلك كذلك ، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بارسال بني إسرائيل معه ، فقال له ولأخيه (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

وقوله (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) يقول : فأيّ شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) يقول تعالى ذكره : فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له : أخّر موسى وأخاه وأنظره ، وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحّار عليم بالسحر .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝٤٠﴾

يقول تعالى ذكره: فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة (لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) يقول: لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم، وذلك يوم الزينة (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى مايفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة، لموسى أو للسحرة؟ فلعلنا نتبع السحرة، ومعنى لعلّ هنا كى يقول: كى نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى. وإنما قلت ذلك معناها، لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون، فغير معقول أن يقول: من كان على دين أنظر إلى حجة من هو على خلافى لعلى أتبع دينى، وإنما يقال: أنظر إليها كى أزددا بصيرة بدينى، فأقيم عليه، وكذلك قال قوم فرعون، فإياها عنوا بقيلهم: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين. وقيل: إن اجتماعهم للميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) قال: كانوا بالإسكندرية، قال: ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ، قال: وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به، فقال: فخذها ياموسى، قال: فكان فرعون مما يلى الناس منه أنه كان لايضع على الأرض شيئا، قال: فأحدث يومئذ تحته، قال: وكان إرساله الحية فى القبة الحمراء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٤٣ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝٤٤﴾

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ) فرعون لوعد لموسى وموعد فرعون (قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) سحرنا قبلك (إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) موسى، (قَالَ) فرعون لهم (نَعَمْ) لكم الأجر على ذلك (وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) منا، فقالوا عند ذلك لموسى: إما أن تلقى، وإما أن نكون نحن الملقين، وترك ذكر قيلهم ذلك للدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون، على أن ذلك معناه ف(قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) من حبالكم وعصيكم (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ

وَعِصِيَّهُمْ) من أيديهم (وَقَالُوا بعزَّةِ فرعَوْنَ) يقول: أقسموا بقوّة فرعون وشدّة سلطانه ، ومنعة مملكته (إنَّا لَنَحْنُ الغالِبُونَ) موسى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

يقول تعالى ذكره : (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ) حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم ، (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) يقول : فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذى لاحقيقة له ، وإنما هو مخاييل[1] وخدعة (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) يقول : فلما تبين السحرة أن الذى جاءهم به موسى حق لاسحر ، وأنه مما لايقدر عليه غير الله الذى فطر السموات والأرض من غير أصل ، خرّوا لوجوههم سجدا لله ، مذعنين له بالطاعة ، مقرّين لموسى بالذى أتاهم به من عند الله أنه هو الحق ، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل ، قائلين (آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الذى دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون . وملكه (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) يقول جل ثناؤه : قال فرعون للذين كانوا سحرته : فآمنوا : آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم فى الإيمان به (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) يقول : إن موسى لرئيسكم فى السحر ، وهو الذى علّمكموه ، ولذلك آمنتم به ، (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عند عقابى إياكم وبال ما فعلتم ، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) مخالفا فى قطع ذلك منكم بين قطع الأيدى والأرجل ، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ، ثم الرجل من الجانب الآخر ، وذلك هو القطع من خلاف (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) فوكد ذلك بأجمعين إعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا (قَالُوا لَا ضَيْرَ) يقول تعالى ذكره : قالت السحرة : لاضير علينا وهو مصدر من قول القائل : قد ضار فلانا فلانا فهو يضير ضيرا ، ومعناه : لاضرر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) مخاييل : جمع مخيلة ، بمعنى المظنة ، وأصله مخايل . والكوفيون يزيدون فى مثل هذا الجمع ياء قبل آخره ، مثل دراهيم وصياريف جمعى درهم وصيرف .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لاضَيْرَ) قال : يقول : لا يضرّنا الذي تقول ، وإن صنعته بنا وصلبتنا (إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ) يقول : إنا إلى ربنا راجعون ، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا ، وثباتنا على توحيده ، والبراءة من الكفر به .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة : إنا نطمع : إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به ، فلا يعاقبنا بها .

كما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنَّا نَطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا) قال : السحر والكفر الذي كانوا فيه (أنْ كُنَّا أوَّلَ المُؤْمِنِينَ) يقول : لأن كنا أوّل من آمن بموسى وصدّقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادّعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله (أنْ كُنَّا أوَّلَ المُؤْمِنِينَ) قال : كانوا كذلك يومئذ أوّل من آمن بآياته حين رأوها .

وقوله (وأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ أسْرِ بِعِبادِي) يقول : وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا ، أن أسر بعبادي : يقول : أن سر ببني إسرائيل ليلا من أرض مصر (إنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل ، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم ، أرض مصر.

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ، ويقول لهم (إنَّ هَؤُلاءِ) يعني بهؤلاء : بني إسرائيل (لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) يعني بالشرذمة : الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة ، وشرذمة : كل شيء بقيته القليلة ؛ ومنه قول الراجز :

جاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِي أخْلاقْ شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقْ[١]

وقيل: قليلون، لأن كل جماعة منهم: كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جمع جمع جماعاتهم قيل: قليلون، كما قال الكُمَيْت:

فَرَدَّ قَوَاصِيَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدْ صَارُوا كَحَيٍّ وَاحِدِينا[٢]

وذكر أن الجماعة التي سمّاها فرعون شرذمة قليلين، كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبدالرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبيدة (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ)، قال: كانوا ستّ مئة وسبعين ألفا.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبيدة، عن عبد الله، قال: الشرذمة: ستّ مئة ألف وسبعون ألفا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف، وهم اثنان وسبعون، وخرجوا مع موسى وهم ستّ مئة ألف، فقال فرعون (إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ)، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد الجريري، عن أبي السليل، عن قيس بن عباد، قال: وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل، قال: فحدّثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ستّ مئة ألف، قال: وكان مقدمة فرعون سبع مئة ألف، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة، وفي يده حربة، وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر، قالت بنو إسرائيل: ياموسى أين ما وعدتنا، هذا البحر بين أيدينا، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا، فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد، قال: لا لن أنفلق لك ياموسى، أنا أقدم منك

(١) البيت في (اللسان: خلق) منسوب لراجز. قال: يقال ثوب أخلاق، يصفون به الواحد، إذا كانت الخلوقة فيه كله، كما قالوا: برمة أعشار، وحبل أرمام، وأرض سباسب، وكذلك برمة أخلاق عن اللحياني، أي نواحيها أخلاق. وقال الراجز: «جاء الشتاء... البيت» اهـ. كأنه لما صار خلقا كله، كان كل جزء فيه خلقا، فجمعه باعتبار أجزائه، كما تفيده عبارة اللحياني والتواق اسم ولد الراجز. (وفي اللسان: شرذم) الشرذمة: القطعة من الشيء، والجمع شراذم. والشرذمة: الجماعة من الناس القليلة، وفي التنزيل «إن هؤلاء لشرذمة قليلون». وثياب شراذم: أي أخلاق متقطعة. وثوب شراذم: أي قطع. وأنشد البيت عن ابن برى.

(٢) البيت للكميت (اللسان: وحد). قال: الجوهري: العرب تقول: أنتم حي واحد، وحي واحدون، كما يقال شرذمة قليلون، وأنشد للكميت: «فرد قواصي الأحياء»... البيت. وهو يشبه كلام الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٢٩) قال: وقوله «إن هؤلاء لشرذمة قليلون»: يقول عصبة قليلة، وقليلون وكثيرون. وأكثر كلام العرب أن يقولوا: قومك قليل وقومنا كثير. وقليلون وكثيرون: جائز عربي، وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعا. فقيل قليل؛ وأوثر «قليل» على «قليلين»، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى، فظهرت أسماؤهم على ذلك. ومثله أنتم حي واحد، وحي واحدون. ومعنى واحدون: واحد، كما قال الكميت: «فرد قواصي الأحياء»... البيت.

خلقا ؛ قال : فنودى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه ، فانفلق البحر ، وكانوا اثنى عشر سبطا . قال الجريرى : فأحسبه قال : إنه كان لكل سبط طريق ، قال : فلما انتهى أوّل جنود فرعون إلى البحر ، هابت الخيل اللهب ؛ قال : ومثل لحصان منها فرس وديق ، فوجد ريحها فاشتدّ ، فاتبعه الخيل ؛ قال : فلما تتامّ آخر جنود فرعون فى البحر ، وخرج آخر بنى إسرائيل ، أمر البحر فانصفق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : مامات فرعون وما كان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر يتراءا بنو إسرائيل .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إنَّ هَـٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) يعنى بنى إسرائيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (إنَّ هَـٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) قال : هم يومئذ ستّ مئة ألف ، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وأوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ أسْرِ بِعِبادِى إنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) قال : أوحى الله إلى موسى أن اجمع بنى إسرائيل ، كلّ أربعة أبيات فى بيت ، ثم اذبحوا أولاد الضأن ، فاضربوا بدمائها على الأبواب ، فإنى سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم ، وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ، ثم اخبزوا خبزا فطيرا ، فإنه أسرع لكم ، ثم أسر بعبادى حتى تنتهى للبحر ، فيأتيك أمرى ، ففعل ؛ فلما أصبحوا قال فرعون : هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا ، فأرسل فى أثرهم ألف ألف وخمس مئة ألف وخمس مئة ملك مسوّر ، مع كل ملك ألف رجل ، وخرج فرعون فى الكرش العظمى ، وقال (إنَّ هَـٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) قال : قطعة ، وكانوا ستّ مئة ألف ، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : كان مع فرعون يومئذ ألف جبار ، كلهم عليه تاج ، وكلهم أمير على خيل .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم ، يردّ أوائل الخيل على أواخرها ، فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر ، وقوله (وإنَّهُمْ لَنَا لَغائِظُونَ) يقول : وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون ، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وإنَّهُمْ لَنَا لَغائِظُونَ) يقول : بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم

بالعوارىّ التى كانوا استعاروها منهم من الحلىّ ، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم ، وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك .

وقوله (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) بمعنى : أنهم معدون مؤدون ذووأداة وقوّة وسلاح . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) بغير ألف . وكان الفرّاء يقول : كأن الحاذر الذى يحذرك الآن ، وكأن الحذر المخلوق حذرا لاتلقاه إلا حذرا ؛ ومن الحذر قول ابن أحمر :

هَلْ أُنْسَأَنْ يَوْمًا إِلَى غَيْرِهِ ... إِنِّى حَوَالِىٌّ وَإِنِّى حَذِرْ[1]

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ ، فمصيب الصواب فيه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) قال : مقوون مؤدون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن أيوب ، عن أبى العرجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) يقول : مؤدون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى قوله (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) يقول : حذرنا ، قال : جمعنا أمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) قال : مؤدون معدون فى السلاح والكراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج أبو معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان مع فرعون ستّ مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل .

---

(١) البيت لابن أحمر الباهلى . قاله المؤلف . ونسبه فى (اللسان : حول) إلى المرار بن منقذ العدوى . قال : ويقال رجل حوالى : للجيد الرأى ذى الحيلة كما قال ابن أحمر ، ويقال للمرار بن منقذ العدوى • أو تنسأن يوما إلى غيره • . وقال فى « حذر » : ورجل حذر وحذر (بكسر الذال وضمها) وحاذورة ، وحذريان : متيقظ ، شديد الحذر والفزع متحرز . وحاذر : متأهب معد ، كأنه يحذر أن يفاجأ . والجمع « حذرون وحذارى » . وفى التنزيل : « وإنا لجميع حاذرون » ، وقرئ « حذرون » و« حذرون » . الأخيرة بضم الذال ، حكاه الأخفش . ومعنى « حاذرون » متأهبون ، ومعنى « حذرون » خائفون . وقيل : معنى « حذرون » معدون . الأزهرى : من قرأ « وإنا لجميع حاذرون » أى مستعدون . ومن قرأ « حذرون » فمعناه : إنا نخاف شرهم . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٢٩) وقوله « حاذرون ، وحذرون : حدثنى أبو ليل السجستانى ، عن ابن جرير قاضى سجستان ، أن ابن مسعود قرأ : « وإنا لجميع حاذرون » . يقولون : مؤدون فى السلاح . يقولون ذووأداة من السلاح . و « حذرون » وكأن الحاذر : الذى يحذرك الآن ؛ وكأن « الحذر » : المخلوق حذرا ، لاتلقاه إلا حذرا . اهـ .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا سليمان بن معاذ الضبي ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس أنه قرأها (وَإنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ) قال : مؤدون مقوون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء ، وكنوز ذهب وفضة ، ومقام كريم . قيل : إن ذلك المقام الكريم : المنابر. وقوله (كَذَلكَ) يقول : هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها (وأوْرَثْناها) يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل . وقوله (فَأتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) فأتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل ، مشرقين حين أشرقت الشمس ، وقيل حين أصبحوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال : خرج موسى ليلا ، فكسف القمر وأظلمت الأرض ، وقال أصحابه : إن يوسف أخبرنا أنا سننجى من فرعون ، وأخذ علينا العهد لنخرجنّ بعظامه معنا ، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره ، فوجد عجوزا بيتها على قبره ، فأخرجته له بحكمها ، وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا ، أن قالت : احملني فأخرجني معك ، فجعل عظام يوسف في كسائه ، ثم حمل العجوز على كسائه ، فجعله على رقبته ، وخيل فرعون هي ملء أعنتها حضرا[1] في أعينهم ، ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَأتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال : فرعون وأصحابه ، وخيل فرعون في مل أعنتها في رأى عيونهم ، ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : فلما تناظر الجمعان : جمع موسى وهم بنو إسرائيل ، وجمع فرعون وهم القبط

(١) في الأصل خضراء ، والراجح أنه « حضرا » ، وهو الإسراع في العدو . أي يرونها مسرعة وهي لا تبرح أماكنها .

(قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ) أى إنا لملحقون ، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا ، وذُكر أنهم قالوا ذلك لموسى ، تشاؤما بموسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الرحمن (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ)قال: تشاءموا بموسى ، وقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .

حدثناموسى ،قال: ثنا أسباط ،عن السدىّ (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ) فنظرت بنو إسرائيل إلىفرعون قد رمقهم قالوا (إنَّا لَمُدْرَكُونَ) . (قَالُوا) ياموسى (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أنْ تَأْتِيَنَا،وَمِنْ بَعْدِ مَاجِئْتَنَا) اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدركون ، البحر بين أيدينا ، وفرعون من خلفنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ،عن أبى بكر ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : لما انتهى موسى إلى البحر ، وهاجت الريح العاصف ، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الريح ،وإلى البحر أمامهم (قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قالَ كَلَّا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ).

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى الأعرج (إنَّا لَمُدْرَكُونَ) ، وقرأه الأعرج (إنَّا لَمُدَّرَكُونَ) كما يقال نزلت ، وأنزلت .

والقراءة عندنا التى عليها قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (كَلَّا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) قال موسى لقومه : ليس الأمر كما ذكرتم ، كلا لن تدركوا إن معى ربى سيهدين ، يقول : سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه .

كما حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دُهم الخيل ، سوى ما فى جنده من شية الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قالَ أصْحابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قالَ كَلَّا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) أى للنجاة ، وقد وعدنى ذلك ، ولا خُلف لموعوده .

حدثنا موسى ، قال :ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ،عن السدىّ (قالَ كَلَّا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) يقول : سيكفينى ، وقال (عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ، وقوله (فَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ) ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لاينفلق حتى يضربه موسى بعصاه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : فتقدّم هارون فضرب البحر ، فأبى أن ينفتح ، وقال : من هذا الجبار الذى يضربنى ، حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه فانفلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق، قال : أوحى الله فيما ذكر إلى البحر : إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، قال: فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله ، وانتظار أمره ، وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذى أعطاه ، فانفلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال: ثنا سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبي السليل ، قال : لما ضرب موسى بعصاه البحر ، قال : إيها أبا خالد ، فأخذه إفكل .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الريح والبحر يرمى بتياره ، ويموج مثل الجبال وقد أوحى الله إلى البحر أن لاينفلق حتى يضربه موسى بالعصا ، فقال له يوشع : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ههنا ، قال : فجاز البحر مايوارى حافره الماء ، فذهب القوم يصنعون مثل ذلك ، فلم يقدروا ، وقال له الذى يكتم إيمانه : ياكليم الله أين أمرت ؟ قال : ههنا ، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ، ثم قحمه البحر فأرسب فى الماء ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق ، فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده .

وقوله (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم ، وذُكر أنه انفلق اثنتى عشرة فلقة على عدد الأسباط ، لكل سبط منهم فرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال: ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنوإسرائيل ، وكان فى البحر اثنا عشرطريقا ، فى كل طريق سبط ، وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران ، فقال : كل سبط قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أوّلهم حتى خرجوا جميعا .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وحجاج ، عن أبي بكربن عبدالله وغيره قالوا : انفلق البحر ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، اثنا عشر طريقا فى كل طريق سبط ، وكان بنوإسرائيل اثنى عشرسبطا ، وكانت الطرق بجدران ، فقال كل سبط : قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قطّ حتى عبر .

قال: ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم إلى بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) أى كالجبل على نشز من الأرض .

حدثنى علىّ ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) يقول : كالجبل .

حُدِّثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) قال : كالجبل العظيم ؛ ومنه قول الأسود بن يعفر :

حَلُّوا بِأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ ماءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ (١)

يعنى بالأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

يعنى بقوله تعالى ذكره (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ) : وقرّبنا هنا لك آل فرعون من البحر ، وقدمناهم إليه ، ومنه قوله(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) بمعنى : قربت وأُدنيت ؛ ومنه قول العجاج :

طَيَّ اللَّيالِى زُلَفًا فَزُلَفَا سَمَاوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوْقَفَا (٢)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ) قال : قرّبنا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ) قال : هم قوم فرعون قرّبهم الله حتى أغرقهم فى البحر .

(١) البيت للأسود بن يعفر ، قاله المؤلف . وهومن شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مخطوطة الجامعة ص ١٧٢) قال : كالطود العظيم : أى الجبل . قال : « حلوا بأنقرة . . . . البيت » وفى (اللسان : طود) : الطود : الجبل العظيم . وفى حديث عائشة تصف أباها (رضى الله عنهما) : ذاك طود منيف : أى جبل عال . والطود : الهضبة . عن ابن الأعرابى . والجمع : أطواد . اهـ . وفى رواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن : « يجيش » فى موضع « يسيل » ورواية البكرى فى معجم ما استعجم ص ٢٠٤ طبعة القاهرة : « يسيل » كرواية المؤلف . وأنقرة : موضع بظهر الكوفة ، أسفل من الخورنق ، كانت إياد تنزله فى الدهر الأول ، إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة . قال البكرى : وفيه اليوم طيىء وسليح ، وفى بارق إلى هيث وما يليها ، كلها منازل طيىء وسليح . هذا قول عمر بن شبة . وقال غيره : أنقرة : موضع بالحيرة . وقد صرحوا بأن أنقرة هذه . غير أنقرة التى فى بلاد الروم (الأناطول) وهى الآن قاعدة دولة الترك .

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهما للعجاج ، من أرجوزة مطولة له ، وصف ارتحاله فى ظلال الليل ، وجملا ناجيا حمله . (انظر اللسان : زلف . وأراجيز العرب للسيد البكرى ص ٥٢) . وقبل البيتين بيت متصل بمعناهما ، وهو قوله « ناج طواه الأين مما وجفا » قال فى اللسان ; يقول : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة . وقال السيد البكرى : زلفا فزلفا : أى درجة فدرجة . وسماوة : أى أعلى . واحقوقف : اعوج . يريد طواه السير كما تطوى الليالى الأهلة حتى تنحل (من النحول) وتعوج اهـ . وفى اللسان الزلف (كسبب) والزلفة والزلفى : القربة ، والدرجة والمنزلة . وأزلف الشىء : قربه . وفى التنزيل : « وأزلفت الجنة للمتقين » : أى قربت . قال الزجاج : وتأويله : أى قريب دخولهم فيها ، ونظرهم إليها . وقوله عز وجل : « وأزلفنا ثم الآخرين » معنى : أزلفنا : جمعنا ، وقيل : قربنا الآخرين من الغرق ، وهم أصحاب فرعون ، وكلاهما حسن جميل ، لأن جمعهم : تقريب بعضهم من بعض . والبيتان من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧٢ من مخطوطة جامعة القاهرة) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : دنا فرعون وأصحابه بعد ماقطع موسى ببنى إسرائيل البحر من البحر ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا ، قال : ألا ترون البحر فرق منى ، قد تفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم ، فذلك قول الله (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ) يقول : قرّبنا ثم الآخرين هم آل فرعون ؛ فلما قام فرعون على الطرق ، وأبت خيله أن تتقحم ، فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة ، فتشامّتْ الحصن ريح الماذيانة فاقتحمت فى أثرها حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، وتفرّد جبرائيل بمقلة من مقل البحر ، فجعل يدسها فى فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : أقبل فرعون فلما أشرف على الماء ، قال أصحاب موسى : يامكلم الله إن القوم يتبعوننا فى الطريق ، فاضرب بعصاك البحر فاخلطه ، فأراد موسى أن يفعل ، فأوحى الله إليه : أن اترك البحر رَهْواً : يقول : أمره على سكناته (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) نما أمكر بهم ، فإذا سلكوا طريقكم غرقتهم ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر قال : ألا ترون البحر فرق منى حتى تفتح لى ، حتى أدرك أعدائى فأقتلهم ؛ فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان ، فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف ، وقال فرعون : أنا راجع فمكر به جبرائيل عليه السلام ، فأقبل على فرس أنثى ، فأدناها من حصان فرعون ، فطفق فرسه لايقرّ ، وجعل جبرائيل يقول : تقدم ، ويقول : ليس أحد أحقّ بالطريق منك ، فتشامت الحصُن الماذيانة ، فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره ؛ فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر ، أوحى الله إلى البحر ، خذ عبدى الظّالم وعبادى الظالمة ، سلطانى فيك ، فإنى قد سلطتك عليهم ، قال : فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال ، وضرب بعضها بعضا ؛ فلما أدركه الغرق (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاإِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما ردّ من آيات الله ، ولطول علاج موسى إياه ، فدخل فى أسفل البحر ، فأخرج طينا ، فحشاه فى فم فرعون لكيلا يقولها الثانية ، فتدركه الرحمة ، قال : فبعث الله إليه ميكائيل يعيره (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) وقال جبرائيل : يامحمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين أحدهما من الجنّ وهو إبليس ، والآخر فرعون (قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) ولقد رأيتنى يامحمد ، وأنا أحشو فى فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ، وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ) وجمعنا ، قال : ومنه ليلة المزدلفة ، قال : ومعنى ذلك : أنها ليلة جمع . وقال بعضهم : وأزلفنا ثم وأهلكنا . وقوله (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ) يقول تعالى ذكره : وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق فى البحر ومن مع موسى من بنى إسرائيل أجمعين ، وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ) يقول : ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط فى البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه ، وقوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريقى إياهم فى البحر إذ كذّبوا رسولى موسى ، وخالفوا أمرى بعد الإعذار إليهم والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتى فيمن سلك سبيلهم من تكذيب

رسلي ، وعظة لهم وعبرة أن ادّكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم ، فيحلّ بهم من العقوبة نظير ما حلّ بهم ، ولك آية في فعلي بموسى ، وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه ، وإظهاري إياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أني سالك فيك سبيله ، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه ، ومظهرك على مكذّبيك ومعليك عليهم ، وماكان أكثرهم مؤمنين يقول : وماكان أكثر قومك يامحمد مؤمنين بما آتاك الله من الحقّ المبين، فسابق في علمي أنهم لايؤمنون (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه ، (الرَّحِيمُ) بمن أنجى من رسله ، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذّب به الكفرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾

❁ يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه : أيّ شيء تعبدون؟ (قَالُوا) له : (نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) يقول : فنظلّ لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها . وقد بيّنا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وكان ابن عباس فيما روي عنه يقول في معنى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاما فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) قال : الصلاة لأصنامهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لهم : هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم . واختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض نحويي البصرة معناه : هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم ، فحذف الدعاء ، كما قال زُهَيْر :

القَائِدُ الخَيْلَ مَنْكُوبا دَوَابِرُها		قَدْ أُحْكِمَتْ حَكَمَاتِ القِدّ والأَبَقا[1]

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ٢٤٨) قال شارحه : الدوابر : الحوافر ، أي تأكلها الأرض وتؤثر فيها . (وفي اللسان : دبر) : دابرة الحافر مؤخره وقيل هي التي تلي مؤخر الرسغ . وجمعها : دوابر . (وأحكمت) : جعل لها حكمات . والحكمة : التي تكون على الأنف من الرسن . والقد : ما قطع من الجلد . والأبق : شبه الكتان ، وقيل : هو القنب . اهـ . وفي (اللسان : حكم) : والحكمة : حديدة في اللجام —

وقال : يريد أحكمت حكمات الأبق ، فألقى الحكمات وأقام الأبقَ مُقامها . وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام فى ذلك هو ماجاء فى القرآن ، لأن العرب تقول : سمعت زيدا متكلما ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لايقع على الأناسىّ ، إنما يقع على كلامهم ثم يقولون : سمعت زيدا : أى سمعت كلامه ، قال : ولولم يقدم فى بيت زهير حكمات القدّ لم يجز أن يسبق بالأبق عليها ، لأنه لايقال : رأيت الأبق ، وهو يريد الحكمة ، وقوله (أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) يقول : أو تنفعكم هذه الأصنام ، فيرزقوتكم شيئا على عبادتكموها ، أويضرّونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم ، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر عما ترك ، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) فكان جوابهم إياه ، لا ، ما يسمعوننا إذا دعوناهم ، ولا ينفعوننا ولا يضرّون يدلّ على أنهم بذلك أجابوه . قولهم (بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وذلك رجوع عن مجحود ، كقول القائل : ماكان كذا بل كذا وكذا ، ومعنى قولهم (وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وجدنا من قبلنا ولا يضرّون ، يدلّ على أنهم بذلك أجابوه . قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها ، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم ، واتباعا لمنهاجهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أفرأيتم أيها القوم ماكنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباوكم الأقدمون ، يعنى بالأقدمين : الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم ، وهم الأوّلون قبلهم ممن كان على مثل ماكان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ، فإنهم عدوّ لى إلا ربّ العالمين : يقول قائل : وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم ، فإن معنى ذلك : فإنهم عدوّ لى لو عبدتهم يوم القيامة ، كما قال جلّ ثناؤه (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) . وقوله (إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) نصبا على الاستثناء ، والعدوّ بمعنى الجمع ، ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر ، مثل القعود والجلوس . ومعنى الكلام : أفرأيتم كلّ معبود لكم ولآبائكم ، فإنى منه برىء لا أعبده ، إلا ربّ العالمين .

ـ تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راكبه وحكم الفرس حكما (بفتح الحاء) وأحكمه بالحكمة : جعل للجامه حكمة ، وكانت العرب تتخذها من القد والأبق ، لأن قصدهم الشجاعة ، لا الزينة ؛ قال زهير : « القائد الخيل » . . . البيت . يريد قد أحكمت بحكمات القد ، وبحكمات الأبق . فحذف الحكمات ، وأقام الأبق مكانها . ويروى : « محكومة حكمات القد والأبقا » على اللغتين جميعا . قال أبو الحسن : عدى « قد أحكمت » لأن فيه معنى قلدت ، وقلدت : متعدية إلى مفعولين . الأزهرى : وفرس محكومة : فى رأسها حكمة ، وأنشد « محكومة حكمات القد والأبق . ابن شميل : الحكمة : حلقة تكون فى فم الفرس .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾

۞ يقول: فإنهم عدوّ لى إلا ربّ العالمين (الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ) للصواب من القول والعمل، ويسدّدنى للرشاد (وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ) يقول: والذى يغذونى بالطعام والشراب، ويرزقنى الأرزاق (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) يقول: وإذا سقم جسمى واعتلّ، فهو يبرئه ويعافيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢﴾

۞ يقول: والذى يميتنى إذا شاء ثم يحيينى إذا أراد بعد مماتى (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) فربّى هذا الذى بيده نفعى وضرّى، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذى لايسمع إذا دُعى، ولا ينفع ولا يضرّ، وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه، فى أنه لاتصلح الألوهة، ولا ينبغى أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لايطيق نفعا ولا ضرّا.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عنى بقوله (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) والذى أرجوأن يغفرلى قولى (إِنِّى سَقِيمٌ)، وقولى (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)، وقولى لسارة إنها أختى.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله (أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) قال: قوله (إِنِّى سَقِيمٌ)، وقوله (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)، وقوله لسارَة: إنها أختى، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قوله (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) قال: قوله (إِنِّى سَقِيمٌ)، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)، وقوله لسارّة: إنها أختى.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تُمَيلة، عن أبى حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد نحوه.

ويعنى بقوله (يَوْمَ الدِّينِ) يوم الحساب، يوم المجازاة، وقد بيّنّا ذلك بشواهده فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله إبراهيم إياه (رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا) يقول : ربّ هب لى نبوّة (وأَلْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ) يقول: واجعلنى رسولا إلى خلقك، حتى تلحقنى بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك ، وأئتمنته على وحيك ، واصطفيته لنفسك ، وقوله (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) يقول : واجعل لى فى الناس ذكرا جميلا ، وثناء حسنا ، باقيا فيمن يجىء من القرون بعدى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، قوله (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) ، قوله (وآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيا) قال: إن الله فضله بالخُلَّة حين اتخذه خليلا ، فسأل الله فقال (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) حتى لاتكذّبنى الأمم ، فأعطاه الله ذلك ، فإن اليهود آمنت بموسى ، وكفرت بعيسى ، وإن النصارى آمنت بعيسى ، وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود : هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرّوا له بالنبوّة وآمنوا به ، فقال (ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا ، وَلَكِنْ كانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) ، ثم ألحق ولايته بكم فقال (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللهُ وَلِىُّ المُؤْمِنِينَ) فهذا أجره الذى عجل له ، وهى الحسنة ، إذ يقول (وآتَيْناهُ فى الدُّنْيا حَسَنَةً) وهو اللسان الصدق الذى سأل ربه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ الآخِرِينَ) قال : اللسان الصِّدْق : الذكْر الصدق ، والثناء الصالح ، والذكر الصالح فى الآخرين من الناس ، من الأمم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

﴿ يعنى إبراهيم صلوات الله عليه بقوله (وَاجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أورثنى يارِبّ من منازل مَن هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة،وأسكنى ذلك (وَاغْفِرْ لأبِى) يقول : واصفح لأبى عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه (إنَّه كانَ مِنَ الضَّالِّينَ) يقول: إنه كان ممن ضلّ عن سبيل الهدى،فكفر بك .

وقد بيّنا المعنى الذى من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه ، واختلاف أهل العلم فى ذلك ، والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَلا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ) يقول: ولا تُذِلَّنى بعقابك إياى يوم تبعث عبادك من قبورهم

لموقف القيامة (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ) يقول: لاتخزنى يوم لاينفع من كفر بك وعصاك فى الدنيا مالٌ كان له فى الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها ، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه ، ولا ينجيه منه . وقوله (إلاَّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول: ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لاينفع إلا القلب السليم .

والذى عنى به من سلامة القلب فى هذا الموضع : هو سلامة القلب من الشكّ فى توحيد الله ، والبعث بعد الممات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن علية ، عن عون ، قال : قلت لمحمد : ما القلب السليم ؟ قال أن يعلم أن الله حقّ ، وأن الساعة قائمة ، وأن الله يبعث من فى القبور .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا أبوعاصم ، قال: ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إلاَّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشكّ فيه .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : ليس فيه شكٌ فى الحقّ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة، فى قوله (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إلاَّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك ، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد .

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قول الله (إلاَّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : هو الخالص .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ ﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ للْمُتَّقِينَ) وأدنيت الجنة وقرّبت للمتقين ، الذين اتقوا عقاب الله فى الآخرة بطاعتهم إياه فى الدنيا (وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ للْغاوِينَ) يقول : وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل (وَقِيلَ) للغاوين (أيْنَما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) من الأنداد (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) اليوم من الله، فينقذونكم من عذابه (أوْ يَنْتَصِرُونَ) لأنفسهم ، فينجونها مما يُراد بها ؟

وقوله (فَكُبْكِبُوا فيها هُمْ والغاوُونَ) يقول : فرمى ببعضهم فى الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم . وأصل كبكبوا : كببوا ، ولكن الكاف كرّرت كما قيل : (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) يعنى به صرّ ، ونهنهى ينهنهنى ، يعنى به : نههنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله : (فَكُبْكِبُوا) قال : فدهوروا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (فَكُبْكِبُوا فيها) يقول : فجمعوا فيها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَكُبْكِبُوا فِيها) قال : طرحوا فيها ، فتأويل الكلام : فكبكب هؤلاء الأنداد التى كانت تعبد من دون الله فى الجحيم والغاوون .

وذُكر عن قَتادة أنه كان يقول : الغاوون فى هذا الموضع : الشياطين .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (فكُبْكِبُوا فيها هُمْ وَالغاوُونَ) قال : الغاوون : الشياطين .

فتأويل الكلام على هذا القول الذى ذكرنا عن قَتادة : فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين .

وقوله (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) يقول : وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون ، وجنوده ، كل من كان من تباعه من ذرّيته كان أو من ذرّية آدم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء الغاوون والأنداد التى كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس ، وهم فى الجحيم يختصمون (تاللهِ إنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ) يقول : تالله لقد كنا فى ذهاب عن الحقّ ، إن كنا لفى ضلال مبين ، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه ، لمن تأمله وتدبره ، أنه ضلال وباطل . وقوله (إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ) يقول : الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله : تالله إن كنا لفى ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ) قال : لتلك الآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين فى الجحيم (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا المُجْرِمُونَ) يعنى بالمجرمين إبليس ، وابن آدم الذى سن القتل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عكرمة ، قوله (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا المُجْرِمُونَ) قال : إبليس وابن آدم القاتل .

وقوله (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) يقول : فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد ، فيعفو عنا ، وينجينا من عقابه (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) من الأقارب .

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالشافعين ، وبالصديق الحميم ، فقال بعضهم : عنى بالشافعين : الملائكة ، وبالصديق الحميم : النسيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) قال : من الملائكة (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) قال : من الناس ، قال مجاهد : صديق حميم ، قال : شقيق .

وقال آخرون : كل هؤلاء من بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا إسحاق بن سعيد البصرىّ المسمعى ، عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى ، قال : كان قتادة إذا قرأ (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) قال : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع .

وقوله (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) يقول : فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن فيما احتجّ به إبراهيم على قومه من الحجج التى ذكرنا له لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر ، على أن سنة الله فى خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ، ويقتلون بهم فى ذلك ماسنّ فيهم فى الدار الآخرة ، من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس فى الجحيم ، وما كان أكثرهم فى سابق علمه مؤمنين ، وإن ربك يامحمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه ، ثم لم يتب من كفره حتى هلك ، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ماكان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ) رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما (قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) فتحذروا عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم رسله (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من الله (أَمِينٌ) على وحيه إلىّ ، برسالته إياى إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به ، وأطيعونى فى نصيحتى لكم ، وأمرى إياكم باتقائه (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أطلب منكم على نصيحتى لكم وأمرى إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، من ثواب ولا جزاء (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) دونكم ودون جميع خلق الله ، فاتقوا عقاب الله على كفركم به ، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله ، وأطيعون : يقول : وأطيعونى فى نصيحتى لكم ، وأمرى إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم : إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون قالوا : أنؤمن لك يانوح ، ونقرّ بتصديقك فيما تدعونا إليه ، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوى الشرف وأهل البيوتات (قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال نوح لقومه : وما علمى بما كان أتباعى

يعملون ، إنما لى منهم ظاهر أمرهم دون باطنه ، ولم أكلَّف علم باطنهم ، وإنما كلفت الظاهر ، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا ، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا (إنْ حِسابُهُمْ إلاَّ عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ) يقول : إن حساب باطن أمرهم الذى خفى عنى إلا على ربى لو تشعرون ، فإنه يعلم سرَّ أمرهم وعلانيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (إنْ حِسابُهُمْ إلاَّ عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ) قال : هو أعلم بما فى نفوسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه : وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعنى على التصديق بما جئت به من عند الله (إنْ أنا إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه ، وسطوته على كفركم به مبين : يقول : نذير قد أبان لكم إنذاره ، ولم يكتمكم نصيحته (قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ) يقول : قال لنوح قومه : لئن لم تنته يانوح عما تقول ، وتدعو إليه ، وتعيب به آلهتنا ، لتكوننَّ من المشتومين ، يقول : لنشتمك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال نوح (رَبِّ إنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ) فيما أتيتهم به من الحقِّ من عندك ، وردّوا علىَّ نصيحتى لهم (فافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً) يقول : فاحكم بينى وبينهم حكما من عندك تهلك به المُبطل ، وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك ، وكذّب رسولك .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحا) قال : فاقض بينى وبينهم قضاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحا) قال : يقول : اقض بينى وبينهم ، (وَنَجِّنِى) يقول : ونجنى من ذلك العذاب الذى تأتى به حكما بينى وبينهم (وَمَنْ مَعِيَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) يقول : والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لى .

وقوله (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) يقول: فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين فى الفلك المشحون ، يعنى فى السفينة الموقرة المملوءة وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) قال : يعنى الموقر .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : المشحون : الموقر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) قال : المفروغ منه المملوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : (الْمَشْحُونِ) المفروغ منه تحميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قول الله (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) قال : هو المحمل .

وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ) من قومه الذين كذّبوه ، وردّوا عليه النصيحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين فى الفلك المشحون ، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا ، بقومه الذين كذّبوه ، لآية لك ولقومك المصدّقيك منهم والمكذّبيك ، فى أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم ، إذا نزلت نقمتنا بالمكذّبين بهم من قومهم ، وإهلاك المكذّبين بالله ، وكذلك سنتى فيك وفى قومك (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) يقول : ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدّقونك مما سبق فى قضاء الله أنهم لن يؤمنوا (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه ممن كفر به ، وخالف أمره (الرَّحِيمُ) بالتائب منهم ، أن يعاقبه بعد توبته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (كَذَّبَتْ عَادٌ) رسل الله إليهم (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ) عقاب الله على كفركم به (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من ربي يأمركم بطاعته، ويحذّركم على كفركم بأسه، (أَمِينٌ) على وحيه ورسالته (فَاتَّقُوا اللَّهَ) بطاعته والانتهاء إلى ما يأمركم وينهاكم (وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على ربّ العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) والريع: كلّ مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد؛ ومنه قول ذي الرُّمَّة:

طِرَاقُ الخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[1]

وقول الأعشى:

وَيَهْمَاءُ قَفْرٍ تَجَاوَزْتُهَا ... إذَا خَبَّ فِي رِيعِهَا آلُهَا[2]

(١) البيت لذى الرمة (اللسان: ريع) قال: والريع: الجبل، والجمع أرياع، وربوع، ورياع. وقيل: الواحدة ريعة. والجمع: رياع. وحكى ابن برى عن أبي عبيدة: الريعة: جمع ريع، خلاف قول الجوهرى، قال ذو الرمة: «طراق الخوافى واقعا فوق ريعة» والريع: السبيل، سلك أو لم يسلك. وقوله تعالى: «أتبنون بكل ريع آية». وقرئ: «بكل ريع»، (بفتح الراء): قيل فى تفسيره: بكل مكان مرتفع. وقيل معناه: بكل فج. والفج: الطريق المتفرج فى الجبال خاصة. وقيل: بكل طريق. وقال الفراء: الريع والريع (بكسر الراء وفتحها) لغتان، مثل الرير والرير. اهـ. وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ١٧٣): بكل ريع، وهو الارتفاع من الأرض، والطريق. والجمع أرياع وريعة. قال ذو الرمة:

طِرَاقُ الخَوَافِى مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فى رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ

وفى (اللسان: طرق): وطائر طراق الريش: إذا ركب بعضه بعضا. قال ذو الرمة يصف بازيا:

طِرَاقُ الخَوَافى وَاقِعٌ فَوْقَ رِيعِهِ ... نَدَى لَيْلِهِ فى رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ

ويترقرق: يلمع. وكل شىء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق. والخوافى: ما تحت القوادم فى الطائر من الريش. والقوادم: جمع قادمة، وهى أربع ريشات طويلة فى أول جناحه.

(٢) البيت نسبه المؤلف للأعشى (أعشى بنى قيس بن ثعلبة) وفى ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ١٦٣ – ١٦٩) قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها، عدتها ٤٧ بيتا، يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى. ولكن البيت سقط منها فى نسخة —

وفيه لغتان : ريع وريَع بكسر الراء وفتحها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) يقول : بكلّ شرف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِكُلِّ رِيعٍ) قال : فجّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال: ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً) قال : بكل طريق .

حدثنى سليمان بن عبيدالله الغيلانى ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) قال : الريع : الثنية الصغيرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال عكرمة (بِكُلِّ رِيعٍ) قال : فجّ وواد ، قال : وقال مجاهد (بِكُلِّ رِيعٍ) بين جبلين .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) قال : شرف ومنظر .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (بِكُلِّ رِيعٍ) قال : بكلّ طريق .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِكُلِّ رِيعٍ) بكلّ طريق . ويعنى بقوله (آيَةً) بنيانا ، علما . وقد بيَّنا فى غير موضع من كتابنا هذا ، أن الآية هى الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً) قال : الآية : علم .

= الديوان ، ولعله يوجد فى نسخ أخرى منه قديمة . واليهماء : القازة : لاماء بها ولا أنيس . وخب : تحرك واضطرب . والريع قد فسرناه فى الشاهد قبل هذا ، ونقلنا كلام العلماء . والآل : السراب . وخب السراب : أى تحرك ولمع . وهذا الشاهد كالذى قبله . يريد المؤلف : أنه كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد . وفيه لغتان : ريع وريع بكسر الراء وفتحها كما قال ، وكما قال غيره من أهل اللغة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً) قال : آية : بنيان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (آيَةً) بنيان .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، فى قوله (بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً) قال : بنيان الحمام .

وقوله (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

وقوله (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) اختلف أهل التأويل فى معنى المصانع ، فقال بعضهم : هى قصور مشيدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) قال : قصور مشيدة ، وبنيان مخلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (مَصَانِعَ) : قصور مشيدة وبنيان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن مجاهد ، قال : (مَصَانِعَ) يقول : حصون وقصور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله (مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال : أبرجة الحمام .

وقال آخرون : بل هى مآخذ للماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَصَانِعَ) قال : مآخذ للماء .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مصنعة ، والعرب تسمى كل

بناء مصنعة ، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيدة ، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيّ ذلك كان ، ولا هو مما يُدرك من جهة العقل .

فالصواب أن يقال فيه ، ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول : كأنكم تخلدون ، فتبقون فى الأرض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول : كأنكم تخلدون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال فى بعض الحروف (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) كأنكم تخلدون . وكان ابن زيد يقول : لعلكم فى هذا الموضع استفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال : هذا استفهام ، يقول : لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم فى هذا الموضع بمعنى « كيما » .

وقوله (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) يقول : وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف ، وضربا بالسياط .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) قال : القتل بالسيف والسياط .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد : اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، وانتهوا عن اللهو واللعب ، وظلم الناس ، وقهرهم بالغلبة والفساد فى الأرض ، واحذروا سخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون ، وأعانكم به من بين المواشى والبنين والبساتين والأنهار (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ) من الله (عَظِيمٍ)

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ۝١٣٦ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨ ﴾

يقول تعالى ذكره : قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم : معتدل عندنا وعظك إيانا ، وتركك الوعظ ، فلن نؤمن لك ولن نصدّقك على ماجئتنا به .

وقوله (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك؛فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى أبى جعفر ، وعامة قرّاء الكوفة المتأخرين منهم (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) من قبلنا . وقرأ ذلك أبوجعفر ، وأبوعمرو بن العلاء (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ) بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى : ما هذا الذى جئتنا به إلا كذب الأوّلين وأحاديثهم .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، نحو اختلاف القرّاء فى قراءته ، فقال بعضهم : معناه : ماهذا إلا دين الأوّلين وعادتهم وأخلاقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ،قوله (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) يقول : دين الأوّلين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) يقول : هكذا خِلْقة الأوّلين ، وهكذا كانوا يحيون ويموتون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هذا إلا كذب الأوّلين وأساطيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قال : أساطير الأوّلين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ) قال : كذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قال : إن هذا إلا أمر الأوّلين وأساطير الأوّلين اكتتبها فهى تُملى عليه بكرة وأصيلا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن ابن مسعود (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) يقول : إن هذا إلا اختلاق الأوّلين .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبيّ ، عن علقمة ، عن عبد الله ، أنه كان يقرأ (إنْ هَذَا إلاّ خُلُقُ الأوّلِينَ) ويقول شئ اختلقوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبيّ ، قال : قال علقمة (إنْ هَذَا إلاّ خُلُقُ الأوّلِينَ) قال : اختلاق الأوّلين .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (إنْ هَذَا إلاّ خُلُقُ الأوّلِينَ) بضمّ الخاء واللام ، بمعنى : إن هذا إلا عادة الأوّلين ودينهم ، كما قال ابن عباس ، لأنهم إنما عُوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون مايفعلون من ذلك ، احتذاءً منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاءً منهم آثارهم ، فقالوا : ماهذا الذى نفعله إلا خُلُق الأوّلين ، يعنون بالخُلُق : عادةَ الأوّلين . ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل ، قولهُم (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) لأنهم لو كانوا لايُقرّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ، ماقالوا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) بل كانوا يقولون : إنْ هذا الذى جئتنا به ياهود إلا خلق الأوّلين ، وما لنا من معذّب يعذّبنا ، ولكنهم كانوا مقرّين بالصانع ، ويعبدون الآلهة ، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ، ويقولون (إنّها تُقَرِّبُنا إلى الله زُلْفَى) ، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوّته (سَوَاءٌ عَلَيْنا أوَعَظْتَ أمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ) ثم قالوا له : ما هذا الذى نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم ، وما الله معذّبنا عليه ، كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا ، أنهم كانوا يقولون لرسلهم (إنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلَى أُمَّةٍ وَإنَّا عَلَى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فكذّبت عاد رسول ربهم هُوداً ، والهاء فى قوله (فَكَذَّبُوهُ) من ذكر هود . (فَأهْلَكْناهُمْ) يقول : فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا ، (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) يقول تعالى ذكره : إنّ فى إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها ، لعبرةً وموعظةً لقومك يامحمد ، المكذّبيك فيما أتيتهم به من عند ربك . (وَما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون فى سابق علم الله . (وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه ، (الرحيم) بالمؤمنين به .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

✲ يقول تعالى ذكره : كذّبت ثمود رسل الله ، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله ، فقال لهم : ألا تتقون عقاب الله ياقوم على معصيتكم إياه ، وخلافكم أمره ، بطاعتكم أمر المفسدين فى أرض الله ، (إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ) من الله أرسلنى إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره (أَمِينٌ) على رسالته التى أرسلها معى إليكم (فَاتَّقُوا اللهَ) أيها القوم ، واحذروا عقابه (وأَطِيعُونِ) فى تحذيرى إياكم ، وأمر ربكم باتباع طاعته (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أسألكم على نصحى إياكم ، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب (إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ) يقول : إن جزائى وثوابى إلا على ربّ جميع ما فى السموات ، وما فى الأرض . وما بينهما من خلق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾

✲ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : أيتركم ياقوم ربكم فى هذه الدنيا آمنين ، لاتخافون شيئا (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) يقول : فى بساتين وعيون ماء (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يعنى بالطلع : الكفُرَّى .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (هَضِيمٌ) فقال بعضهم : معناه اليانع النضيج .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يقول : أينع وبلغ فهو هضيم .

وقال آخرون : بل هو المتهشم المتفتت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال محمد بن عمرو فى حديثه تهشم هشيما . وقال الحارث : تهشّم تهشّما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الكريم يقول : سمعت مجاهدا يقول فى قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال : حين تطلع يقبض عليه فيهضمه .

قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد : إذا مسّ تهشّم وتفتّت ، قال : هو من الرطب هضيم تقبض عليه فتهضمه .

وقال آخرون : هو الرطب اللين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال : الهضيم : الرطب اللين .

وقال آخرون : هو الراكب بعضه بعضا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (طَلْعُهَا هَضِيمٌ) إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا ، حتى نقص بعضها بعضا ، فهو حينئذ هضيم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضيم : هو المتكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضم فلان حقه : إذا انتقصه وتحيفه ، فكذلك الهضم في الطلع ، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمسّ الأيدى ، وإما بركوب بعضه بعضا ، وأصله مفعول صرف إلى فعيل .

وقوله (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ) يقول تعالى ذكره : وتتخذون من الجبال بيوتا .

فاختلفت القرّاء في قراءة قوله (فارِهِينَ) فقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة (فارِهِينَ) بمعنى : حاذقين بنحتها .

وقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (فَرِهِينَ) بغير ألف ، بمعنى : أشرين بطرين .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القرّاء في قراءته ، فقال بعضهم : معنى فارهين : حاذقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح وعبد الله بن شدّاد (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فارِهِينَ) قال أحدهما : حاذقين ، وقال الآخر : يتجبرون .

- حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فارِهِينَ) قال : حاذقين بنحتها .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فارِهِينَ) يقول : حاذقين .

وقال آخرون : معنى فارهين : مستفرهين متجبرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ ، عن عبد الله بن شدّاد في قوله (فَرِهِينَ) قال : يتجبرون .

قال أبو جعفر : والصواب : فارهين .

وقال آخرون ممن قرأه فارهين : معنى ذلك : كيسين .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فارِهِينَ) قال : كيسين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ (فارِهِينَ) قال : كيسين .

وقال آخرون : فرهين : أشرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ) يقول : أشرين ، ويقال : كيسين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (بُيُوتا فَرِهِينَ) قال : شرهين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بمثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : أقوياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا فَرِهِينَ) قال : الفره : القوىّ .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، فى قوله (فَرِهِينَ) قال : معجبين بصنيعكم .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأها (فارِهِينَ) وقراءة من قرأ (فَرِهِينَ) قراءتان معروفتان ، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى علماء القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . ومعنى قراءة من قرأ (فارِهِينَ) : حاذقين بنحتها ، متخيرين لمواضع نحتها ، كيسين ، من الفراهة . ومعنى قراءة من قرأ (فَرِهِينَ) : مرحين أشرين . وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا ، فيكون فاره مبنيا على بنائه ، وأصله من فعل يفعل ، ويكون فره صفة ، كما يقال : فلان حاذق بهذا الأمر وحذق ، ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدىّ بن وادع العوفى من الأزد :

لا أستَكِينُ إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ ... وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فارِهَ الطَّلَبِ[1]

(١) البيت لعدى بن وادع الشاعر الأزدى الأعمى ، (كما سماه صاحب معجم الشعراء ص ٢٥٢) ، وكما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (مصورة الجامعة ص ١٧٣) قال : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » أى مرحين . قال عدى بن وادع العفوى من العفاة بن عمرو ابن فهم من الأزد :

أى مرح الطلب . وقوله (فَاتَّقُوا اللهَ وأَطِيعُونِ) يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم ، وخلافكم أمره ، وأطيعون فى نصيحتى لكم ، وإنذارى إياكم عقاب الله ترشدوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : لاتطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم فى تماديهم فى معصية الله ، واجترائهم على سخطه ، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله (وكَانَ فِى المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ ولا يُصْلِحُونَ) يقول : الذين يسعون فى أرض الله بمعاصيه ، ولا يصلحون ، يقول : ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله .

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه إنما أنت من المسحورين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) قال : من المسحورين

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) قال : إنما أنت من المسحورين .

وقال آخرون : معناه : من المخلوقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمرو ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) قال : من المخلوقين .

لأَسْتَكِينَنْ إِذَا ما أَزْمَةٌ أَزِمَتْ ولَنْ تَرَانِى بِخَيْرٍ فارِهَ اللَّبَبِ

أى مرح اللبب . قال : ويجوز : « فرهين » فى معنى « فارهين » .

أوهو ابن وادع العوفى ، كما فى (اللسان : فره) قال : الفاره : الحاذق بالشىء والفروهة والفراهة والفراهية : النشاط . وفره بالكسر : أشر وبطر ، ورجل فره نشيط أشر . وفى التنزيل : « وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين » . فمن قرأه كذلك ، فهو من هذا : شرهين بطرين . ومن قرأه : « فارهين » ، فهو من فره بالضم . قال ابن برى عند هذا الموضع : قال ابن وادع العوفى :

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ولن ترانى بخير فاره الطلب

قال الفراء : معنى فارهين : حاذقين . اهـ . وأما « اللبب » فى رواية أبى عبيدة ، فلعلها الرواية الصحيحة . ومعناه : البال . يقال : إنه ارخى اللبب . وفى التهذيب : فلان فى بال رخى ، ولبب رخى : أى فى سعة وخصب وأمن .

﴿ واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك ، فكان بعض أهل البصرة يقول : كلّ من أكل من إنس أو دابة فهو مسحَّر ، وذلك لأن له سَحْرا يقْرِى ما أكل فيه ، واستشهد على ذلك بقول لَبيد :

فإنْ تَسْأَلِينا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا عَصَافيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّرِ[1]

وقال بعض نحويِّي الكوفيين نحو هذا ، غير أنه قال : أخذ من قولك : انتفخ سَحْرُك : أى أنك تأكل الطعام والشراب ، فتُسَحَّر به وتُعَلَّل . وقال : معنى قول لبيد : « من هذا الأنام المسحَّر » : من هذا الأنام المعلَّل المخدوع . قال : ويُروى أن السِّحْر من ذلك ، لأنه كالخديعة .

﴿ والصواب من القول فى ذلك عندى : القول الذى ذكرته عن ابن عباس ، أن معناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يُعَلَّلون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربا ولا ملكا فنطيعك ، ونعلم أنك صادق فيما تقول ، والمسحَّر : المفعل من السحرة ، وهو الذى له سحرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبيها صالح (ما أنْتَ) يا صالح (إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا) من بنى آدم ، تأكل ما نأكل ، وتشرب ما نشرب ، ولست بربّ ولا ملك ، فعلام نتبعك ، فإن كنت صادقا فى قيلك ، وأن الله أرسلك إلينا (فَأْتِ بِآيَةٍ) يعنى : بدلالة وحجة على أنك محقّ فيما تقول ؛ إن كنت ممن صَدَقَنا فى دعواه أن الله أرسله إلينا .

وقد حدثنى أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابىّ ، قال : ثنا داود بن أبى الفرات ، قال : ثنا عِلباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن صالحا النبىّ صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قومه ، فآمنوا به واتبعوه ، فمات صالح ، فرجعوا عن الإسلام ، فأتاهم صالح ، فقال لهم : أنا صالح ، قالوا : إن كنت صادقا فأتنا بآية ، فأتاهم بالناقة ، فكذّبوه وعقروها ، فعذّبهم الله .

(١) سبق الاستشهاد ببيت لبيد هذا فى (١٥ : ٩٦) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٤) قال : وكل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحر ، وذلك أن له سحرا يقرى فيه ما أكل ، قال لبيد (وأنشد البيت) . وفى (اللسان : سحر) : سحره بالطعام والشراب يسحره سحرا وسحره : غذاه وعلله . وقيل : خدعه . والسحر : الغذاء . قال امرؤ القيس :

أرَانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

موضعين : مسرعين . ولأمر غيب : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة . وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . البيت » . يكون على وجهين . وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » ؛ يكون من التغذية ومن الخديعة . وقال الفراء : « إنما أنت من المسحرين » : قالوا لنبى الله : لست بملك ، إنما أنت بشر مثلنا . قال : والمسحر : المجوف ؛ كأنه والله أعلم أخذ من قولك : انتفخ سحرك ، أى أنك تأكل الطعام والشراب ، فتعلل به . وقيل « من المسحرين » أى ممن سحر مرة بعد مرة .

وقوله (قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه ، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة : هذه ناقة ياقوم ، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ، ما لكم من الشرب ، ليس لكم فى يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئا ، ولا لها أن تشرب فى يومكم مما لكم شيئا ويعنى بالشرب : الحظّ والنصيب من الماء ، يقول : لها حظّ من الماء ، ولكم مثله ، والشُّرْب والشَّرْب والشِّرْب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر .

وقد حُكى عن العرب سماعا : آخرها أقلها شُرْبا وشِربا .

وقوله (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) يقول : لاتمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) لا تعقروها . وقوله (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول : فيحلّ بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالى ذكره ، فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم ، فعقروا الناقة التى قال لهم صالح : لاتمسوها بسوء ، فأصبحوا نادمين على عقرها ، فلم ينفعهم ندمهم ، وأخذهم عذاب الله الذى كان صالح توعدهم به فأهلكهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) يقول : إنّ فى إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبىّ الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يامحمد من قومك (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : ولن يؤمن أكثرهم فى سابق علم الله (وَإِنَّ رَبَّكَ) يامحمد (لَهُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن آمن به من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ) من أرسله الله إليهم من الرسل حين(قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ : أَلاَ تَتَّقُونَ) الله أيها القوم (إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ)من ربكم (أَمِينٌ)على وحيه ، وتبليغ رسالته (فاتَّقُوا اللهَ) فى أنفسكم ، أن يحلّ بكم عقابه على تكذيبكم رسوله (وأَطِيعُونِ) فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أسألكم على نصيحتى لكم ودعايتكم إلى ربى جزاء ولا ثوابا (إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ) يقول: ماجزائى على دعايتكم إلى الله : وعلى نُصحى لكم وتبليغ رسالات الله إليكم ، إلا على ربّ العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿ يعني بقوله (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العَالَمِينَ) : أتنكحون الذكران من بنى آدم فى أدبارهم . وقوله (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) يقول : وتدعون الذى خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ ، فأحلّه لكم . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَتَذَرُونَ ما أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) قال : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد بنحوه .

وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ) يقول : بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم ، وأحله لكم من الفروج إلى ماحرّم عليكم منها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ) قال : قوم معتدون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

☆ يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يالُوطُ) عن نهينا عن إتيان الذُّكران (لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ) من بين أظهرنا وبلدنا (قالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالِينَ) يقول لهم لوط: إنى لعملكم الذى تعملونه من إتيان الذكران فى أدبارهم من القالين، يعنى من المبغضين، المنكرين فعله.

القول فى تأويل قوله تعالى:

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾

☆ يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة، فقال (رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى) من عقوبتك إياهم على مايعملون من إتيان الذكران (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) من عوقبتنا التى عاقبنا بها قوم لوط (أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزًا فِى الغابِرِينَ) يعنى فى الباقين، لطول مرور السنين عليها، فصارت هَرِمة، فإنها أهلِكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدلّ قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها فى قريتهم، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ماخرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بيّنا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها.

القول فى تأويل قوله تعالى:

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

☆ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء (فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ) يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذّبوه (إِنَّ فِى ذلكَ لآيَةً) يقول تعالى ذكره: إن فى إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذى وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يامحمد، يتعظون بها فى تكذيبهم إياك، وردّهم عليك ماجئتهم به من عند ربك من الحقّ (وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى سابق علم الله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ) بمن آمن به.

القول فى تأويل قوله تعالى:

كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) والأيكة : الشجر الملتفّ ، وهى واحدة الأيك ، وكلّ شجر ملتفّ فهو عند العرب أيكة ؛ ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ　　　بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِالإِثْمِدِ[١]

وأصحاب الأيكة : هم أهل مدين فيما ذُكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ) يقول : أصحاب الغيضة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ) قال : الأيكة : مجمع الشجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ) قال : أهل مدين ، والأيكة : الملتفّ من الشجر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ) قال : الأيكة : الشجر ، بعث الله شعيبا إلى قومه من أهل مدين ، وإلى أهل البادية ، قال : وهم أصحاب ليكة ، وليكة والأيكة : واحد .

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ) يقول تعالى ذكره : قال لهم شعيب : ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم (إِنِّى لَكُمْ) من الله (رَسُولٌ أَمِينٌ) على وحيه (فَاتَّقُوا) عقاب (اللَّهَ) على خلافكم أمره (وَأَطِيعُونِ) ترشدوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾

❊ يقول : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ) على نصحى لكم من جزاء وثواب ، ما جزائى وثوابى على ذلك (إِلا عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ . أَوْفُوا الكَيْلَ) يقول : أوفوا الناس حقوقهم من الكيل (وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ) يقول : ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم .

(١) البيت للنابغة الذبيانى زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٨٥) قال شارحه : تجلو : تكشف . والقوادم : الريش المقدم فى جناح الطائر . ويكون شديد السواد . شبه سواد شفتيها بالقوادم ؛ وشبه بياض ثغرها ببياض البرد . واللثات : مغارز الأسنان ، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد ، ليبين بياض الأسنان . اهـ . والأريكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هى الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر . وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه . وقال أبو حنيفة الدينورى : قد تكون الأيكة : الجماعة من الشجر ، حتى من النحل . قال : والأول أعرف . والجمع أيك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

﴿ يعنى بقوله (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ) وزنوا بالميزان (الْمُسْتَقِيمِ) الذى لا بخس فيه على من وزنتم له (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى الكيل والوزن (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : ولا تكثروا فى الأرض الفساد . وقد بيَّنا ذلك كله بشواهده ، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (وَاتَّقُوا) أيها القوم عقاب ربكم (الَّذِي خَلَقَكُمْ ، وَ) خلق (الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ) يعنى بالجبلة : الخلق الأوّلين . وفى الجبلة للعرب لغتان : كسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وضم الجيم والباء وتشديد اللام ، فإذا نُزعت الهاء من آخرها كان الضمّ فى الجيم والباء أكثر كما قال جلّ ثناؤه (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) وربما سكنوا الباء من الجِبْل ، كما قال أبو ذُؤيب :

مَنايا يُقَرِّبْنَ الحُتُوفَ لأَهْلِها جِهارًا ويَسْتَمْتِعْنَ بالأَنَسِ الجِبْلِ[1]

وبنحو ما قلنا فى معنى الجبلَّة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : قوله (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ) يقول : خلق الأوّلين .

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى (اللسان : جبل) والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . والحتوف جمع حتف ، وهو الهلاك . والأنس الناس . والجبل : الأمة من الخلق . وفيه لغات ، فيكون مثلث الجيم ، ساكن النون . ويكون بضم الجيم والباء وتشديد اللام . قال فى اللسان : وحى جبل كثير . قال أبو ذؤيب : « منايا . . . البيت » . أى الكثير . يقول : الناس كلهم متعة للموت ، يستمتع بهم . قال ابن برى : ويروى : الجمل ، بضم الجيم . قال : وكذا رواه أبو عبيدة . وقول الله عز وجل : « ولقد أضل منكم جبلا كثيرا » : يقرأ : جبلا (بضم فسكون) عن أبى عمرو وجبلا (بضمتين) عن الكسائى . وجبلا (بكسر فسكون) عن الأعرج وعيسى ابن عمر . وجبلا (بكسرتين فلام مشددة) عن أهل المدينة . وجبلا (بضمتين مع التشديد) عن الحسن وابن أبى إسحاق . قال : ويجوز أيضا جبل (بكسر ففتح) جمع جبلة (بكسرة فسكون) وهو فى جميع هذه الوجوه : خلقا كثيرا . اهـ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ) قال : الخليقة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ) قال : الخلق الأوّلين ، الجبلة : الخلق .

وقوله (قالُوا إنَّمَا أنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) يقول: قالوا : إنما أنت ياشعيب معلل تعلل بالطعام والشراب ، كما نعلل بهما ، ولست ملكا (وَمَا أنْتَ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا) تأكل وتشرب (وَإنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ) يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه ، إلا ممن يكذب فيما يقول ، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم (فَأسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفًا مِنَ السَّماءِ) يعنى قِطعا من السماء، وهى جمع كِسفة ، جُمع كذلك كما تجمع تمرة : تمرا (١) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كِسَفًا) يقول : قِطعا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول، فى قوله (كِسَفًا مِنَ السَّماءِ) : جانبا من السماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفًا مِنَ السَّماءِ) قال : ناحية من السماء ، عذاب ذلك الكسف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال شُعيب لقومه : (رَبِّى أعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : بأعمالهم هو بها محيط ، لايخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم بها جزاءكم (فَكَذَّبُوهُ) يقول : فكذّبه قومه (فَأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعنى بالظلة : سحابة ظللتهم ، فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا وأحرقتهم ، وبذلك جاءت الآثار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال: ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن معاوية ، فى قوله (فَأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : أصابهم حرّ أقلقهم فى بيوتهم ، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة ، فابتدروها ، فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة .

---

(١) كذا فى الأصل . وقياس الجمع الأخير على ماقبله ليس بواضح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، فى قوله (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : كانوا يحفرون الأسراب ليتبرّدوا فيها ، فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّا من الظاهر ، وكانت الظلة سحابة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة . وكانت الأيكة : من شجر ملتفّ ؛ فلما أراد الله أن يعذّبهم ، بعث الله عليهم حرّا شديدا ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها ، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا ، قال : فذلك قوله(فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ)

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : ثنى يزيد الباهلى ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن هذه الآية (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فقال عبد الله بن عباس : بعث الله عليهم ومدة وحرّا شديدا ، فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا البيوت ، فدخل عليهم أجواف البيوت ،فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرابا[1] إلى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة ، فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها بردا ولذّة ، فنادى بعضهم بعضا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسلها الله عليهم نارا . قال عبد الله بن عباس : فذلك عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : إظلال العذاب إياهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : أظلّ العذابُ قوم شعيب .

قال ابن جريج : لما أنزل الله عليهم أوّل العذاب ، أخذهم منه حرّ شديد ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا ، فذلك قوله (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : ثنى رجل من أصحابنا ، عن بعض العلماء قال : كانوا عطلوا حدّا ، فوسع الله عليهم فى الرزق ، ثم عطلوا حدّا ، فوسع الله عليهم فى الرزق ، ثم عطلوا حدّا ، فوسع الله عليهم فى الرزق ، فجعلوا كلما عطلوا حدّا وسع الله عليهم فى الرزق ، حتى إذا أراد إهلاكهم سلّط الله عليهم حرّا لا يستطيعون أن يتقارّوا ، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم ، فاستظلّ تحت ظلة ، فوجد روحا ، فنادى أصحابه : هلموا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعا ، حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا ، فذلك عذاب يوم الظلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن ابن عباس ، قال : من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة ؟ فكذّبه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(١) هرابا : لعله جمع هارب ، ولم أجده فى اللسان .

(فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قوم شعيب ، حبس الله عنهم الظلّ والريح ، فأصابهم حرّ شديد ، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب ، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها ، زعموا يستظلون ، فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) قال : بعث الله إليهم ظُلّة من سحاب ، وبعث إلى الشمس فأحرقت ماعلى وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظُّلة ، حتى إذا اجتمعوا كلهم ، كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى . وقوله (إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شُعيب عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝

۞ يقول تعالى ذكره : إن فى تعذيبنا قوم شُعيب عذاب يوم الظلة بتكذيبهم نبيهم شُعيبا ، لآيةً لقومك يامحمد ، وعبرةً لمن اعتبر ، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك ، سنتنا فى أصحاب الأيكة (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى سابق علمنا فيهم (وَإِنَّ رَبَّكَ) يامحمد (لَهُوَ الْعَزِيزُ) فى نقمته ممن انتقم منه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه ، وأناب إلى طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝

۞ يقول تعالى ذكره : وإنّ هذا القرآن (لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) والهاء فى قوله (وَإِنَّهُ) كناية الذكر الذى فى قوله (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : هذا القرآن .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (نَزَلَ) به مخففة (الرُّوحُ الْأَمِينُ) رفعا بمعنى : أن الروح الأمين هو الذى نزل بالقرآن على محمد ، وهو جبريل . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (نَزَّلَ) مشددة الزاى (الرُّوحَ الْأَمِينَ) نصبا ، بمعنى : أن ربّ العالمين نزّل بالقرآن الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

* والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن ، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول ، ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله ، وأن الله إذا أنزله به نزل .

وبنحو الذى قلنا فى أن المعنىّ بالروح الأمين فى هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) قال : جبريل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قول الله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) قال : جبريل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال (الرُّوحُ الأَمِينُ) جبريل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الرُّوحُ الأَمِينُ) قال : جبريل .

وقوله (عَلَى قَلْبِكَ) يقول : نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد ، حتى وعيته بقلبك ، وقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) يقول : لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أُرسلوا إليه من قومهم ، فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذّبين بآيات الله . وقوله (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) يقول : لتنذر قومك بلسان عربىّ مبين ، يبين لمن سمعه أنه عربىّ ، وبلسان العرب نزل ، والباء من قوله (بِلِسَانٍ) من صلة قوله : (نَزَلَ) ، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربىّ مبين فى هذا الموضع ، إعلاما منه مشركى قريش أنه أنزله كذلك ، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا ، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه ، لأنا لا نفهمه ، وإنما هذا تقريع لهم ، وذلك أنه تعالى ذكره قال (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) ثم قال : لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه ، بل يفهمونها ، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربىّ ، ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا (فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كما أتى هذه الأمم التى قصصنا نبأها فى هذه السورة حين كذّبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأوّلين: يعني في كتب الأوّلين، وخرّج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأوّلين؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك، دلالةٌ على أنك رسول ربّ العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عنى بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل في عصره.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل، وكان من خيارهم، فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لهم الله: أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله (عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال: عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً) قال محمد: (أَنْ يَعْلَمَهُ) قال: يعرفه (عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ).

قال ابن جريج، قال مجاهد: علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، وغيره من علمائهم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال: أو لم يكن للنبيّ آية، علامة أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم، وقوله (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) يقول تعالى ذكره: ولو نزّلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق، وإنما قيل على بعض الأعجمين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول إذا نعتت الرجل بالعُجمة وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عجماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عُجْم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربيّ والأعجميّ، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لاحَيَّ يَعْدِلُهُمْ مِنْ سُوقَةٍ عَرَبٌ وَلا عُجْمُ(١)

(١) السوقة: الرعية التي تسوسها الملوك. يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والعجم بضم العين: جمع أعجم. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٥): يقال: رجل أعجم: إذا كان في لسانه عجمة، ورجل عجمي: أي من العجم. والدواب: عجم، لأنها لا تتكلم. وفي (اللسان: عجم) قال أبو إسحاق: الأعجم: الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان ، فإنه يقال: هذا رجل عجمىّ ، وهذان رجلان عجميان، وهؤلاء قوم عَجَم ، كما يقال: عربىّ ، وعربيان ، وقوم عرب . وإذا قيل: هذا رجل أعجمىّ، فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر: هذا أحمرى ضخم ، وكما قال العجاج:

* والدَّهْرُ بالإِنْسانِ دَوَّارِيُّ[1] *

ومعناه : دوّار ، فنسبه إلى فعل نفسه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، قال : كنت واقفا إلى جنب عبدالله بن مطيع بعرفة ، فتلا هذه الآية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) قال : لو نزل على بعيرى هذا فتكلم به ما آمنوا به (لقالُوا: لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) حتى يفقهه عربىّ وعجمىّ ، لو فعلنا ذلك ؟

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبى هند ، عن محمد بن أبى موسى ، قال : كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة ، فقرأ هذه الآية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) فقرأه عليهم ، قال : فقال : جملى هذا أعجم ، فلو أُنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين .

ورُوى عن قتادة فى ذلك ماحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) قال : لو نزله الله أعجميا كانوا أخسر الناس به ، لأنهم لا يعرفون بالعجمية .

= كان عربى النسب ، كزياد الأعجم . والأنثى : عجماء ، وكذلك الأعجمى . فأما العجمى فالذى من جنس العجم : أفصح أولم يفصح ، والجمع : عجم (بالتحريك) كعربى وعرب . ورجل أعجمى وأعجم : إذا كانت فى لسانه عجمة ، وإن أفصح بالعجمية . وكلام أعجم وأعجمى : بين العجمة . وفى التنزيل : « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » . وجمعه بالواو والنون ، تقول : أحمرى وأحمرون ، وأعجمى وأعجمون، على حد أشعثى وأشعثين وأشمرى وأشمرين . وعليه قوله عزوجل : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين »

(١) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج الراجز المشهور (اللسان : دور . وأراجيز العرب للسيد توفيق البكرى ١٧٤) وهو من أرجوزة له حزينة ، بدأها بقوله :

بَكَيْتُ والمُحْتَزِنُ البَكِيُّ وإنَّمَا يَأْتِى الصِّبَا الصَّبِيُّ

أطَرَبًا وأنْتَ قِنَّسْرِىُّ والدَّهْرُ بالإنْسانِ دَوَّارِىُّ

أفْنَى القُرُونَ وَهوَ قَعْسَرِىُّ وبالدَّهاءِ يُخْتَلُ المَدْهِىُّ

يقول : بكيت ومن حزن كان بكاؤك . والقنسرى : المسن القديم . ودوارى دائر ، أى أنه يتصرف بالإنسان ويدور به أطوارا وأحوالا . والقعسرى : الشديد ، يريد الدهر . ومحل الشاهد فى قوله : « دوارى » قال فى اللسان : أى دائر به ، على إضافة الشىء إلى نفسه (أى نسبته إلى نفسه ، لأن دوارى منسوب إلى دوار ، فلفظ المنسوب إليه كلفظ المنسوب) . قال ابن سيده : هذا قول اللغويين . قال الفارسى : هو على لفظ النسب ، وليس بنسب ، ونظيره بختى وكرسى . وفى (اللسان : عجم) : وينسب إلى الأعجم الذى فى لسانه عجمة ، فيقال: لسان أعجمى ، وكتاب أعجمى ؛ ولا يقال : رجل أعجمى : فتنسب إلى نفسه، إلا أن يكون أعجم وأعجمى بمعنى ، مثل دوار ودوارى ، وجمل قعسر وقعسرى ؛ هذا إذا ورد ورودا لا يمكن رده . اهـ .

وهذا الذى ذكرناه عن قتادة قول لاوجه له ، لأنه وجّه الكلام أن معناه : ولو أنزلناه أعجميا ، وإنما التنزيل (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) يعنى : ولو نزّلنا هذا القرآن العربىّ على بهيمة من العجم أو بعض ما لايفصح ولم يقل : ولو نزّلناه أعجميا . فيكون تأويل الكلام ماقاله .

وقوله (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) يقول : فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يامحمد الذين حتمت عليهم أن لايؤمنوا ذلك الأعجم ماكانوا به مؤمنين : يقول : لم يكونوا ليؤمنوا به ، لما قد جرى لهم فى سابق علمى من الشقاء ، وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه ، لئلا يشتدّ وجده بإدبارهم عنه ، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن ، لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه ، والدخول فيما دعاهم إليه ، حتى عاتبه ربه على شدّة حرصه على ذلك منهم ، فقال له : (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لايَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ثم قال مؤيسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته ، كما هلك بعض الأمم الذين قصّ عليهم قصصهم فى هذه السورة ، ولو نزّلناه على بعض الأعجمين يامحمد لاعليك ، فإنك رجل منهم ، ويقولون لك : ما أنت إلا بشرمثلنا ، وهلا نزل به ملك ، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حقّ ، وأنه تنزيل من عندى ، ماكانوا به مصدّقين ، فخفض من حرصك على إيمانهم به ، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين ، الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم من الشقاء والبلاء ، فقال : كما حتمنا على هؤلاء أنهم لايؤمنون بهذا القرآن (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) فقرأه عليهم (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ)التكذيب والكفر (فِى قُلُوبِ المجرمِينَ). ويعنى بقوله : سلكنا : أدخلنا ، والهاء فى قوله (سَلَكْنَاهُ) كناية من ذكر قوله (ماكانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) ، كأنه قال : كذلك أدخلنا فى قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ) قال : الكفر (فِى قُلُوبِ المُجْرِمِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ المُجْرِمِينَ . لايُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) (١) .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن سفيان ، عن حميد ، عن الحسن ، فى هذه الآية (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ المُجْرِمِينَ) قال : خلقناه .

قال : ثنا زيد ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن فى بيت أبى خليفة ، عن قوله (كذلكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ المُجْرِمِينَ) قال : الشرك سلكه فى قلوبهم ، وقوله (لايُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) يقول : فعلنا ذلك بهم لئلا يصدّقوا بهذا القرآن ، حتى يروا العذاب الأليم فى عاجل

(١) سقط تفسير ابن زيد لما أراد من الآية ، ولعله الكفر أو الشرك ، أو نحوه ، أو مثله .

الدنيا ، كما رأت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة ، ورفع قوله (لايُؤْمِنُونَ) لأن العرب من شأنها إذا وضعت فى موضع مثل هذا الموضع « لا » ربما جزمت مابعدها ، وربما رفعت فتقول : ربطت الفرس لاتنفلتْ ، وأحكمت العقد لاينحلّ جزما ورفعا . وإنما تفعل ذلك لأن تأويل ذلك : إن لم أحكم العقد انحلّ ، فجزمه على التأويل ، ورفعه بأن الجازم غير ظاهر . ومن الشاهد على الجزم فى ذلك قول الشاعر :

لَوْ كُنْتَ إذْ جِئْتَنا حاوَلْتَ رُؤْيَتَنا أوْ جِئْتَنا ماشِيا لا يَعْرِفِ الفَرَس[1]

وقول الآخر :

لَطالَما حَلَّأْتُماها لا تَرِدْ فَخَلِّياها وَالسِّجالَ تَبْتَرِدْ[2]

القول في تأويل قوله تعالى :

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾

يقول تعالى ذكره: فيأتى هؤلاء المكذّبين بهذا القرآن ، العذاب الأليم بغتة ، يعنى فجأة (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول : لايعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة (فَيَقُولُوا) حين يأتيهم بغتة (هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) : أى هل نحن مؤخَّرعنا العذاب ، ومُنْسأ فى آجالنا لنتوب ، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله ، فنراجع الإيمان به ، وننيب إلى طاعته . وقوله (أفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ) يقول تعالى ذكره : أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتى تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٣٠) قال : وقوله : « كذلك سلكناه » تقول : سلكنا التكذيب فى قلوب المجرمين كيلا يؤمنوا به حتى يروا العذاب الأليم . وإذا كان موقع كى فى مثل هذا « لا » و « إن » جميعا ، صلح الجزم فى « لا » والرفع . والعرب تقول : ربطت الفرس لاينفلت : جزما ورفعا ، وأوثقت العبد لا يفر : جزما ورفعا ؛ وإنما جزم ، لأن تأويله : إن لم أربطه فر ؛ فجزم على التأويل . أنشدنى بعض بنى عقيل :

وَحَتَّى رَأيْنا أحْسَنَ الفِعْلِ بَيْنَنا مُساكَتَةً لا يَقْرِفُ الشَّرَّ قارِفُ

ينشد رفعا وجزما . وقال الآخر : « لو كنت إذ جئتنا . . . . البيت » : رفعا وجزما وقوله « لطالما حلأتماها . . . الشاهد الآتى بعد » من ذلك .

(٢) البيت فى (اللسان : حلأ » . وروايته : قد طالما » . . . الخ قال : حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئا وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ، ومنعها أن ترده . وكذلك حلأ القوم عن الماء . وقال ابن الأعرابى : قالت قريبة : كان رجل عاشق لمرأة —

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم جاءهم العذاب الذى كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا ، وتكذيبهم رسولنا ، (ما أغْنَى عَنْهُمْ) يقول : أىّ شىء أغنى عنهم التأخير الذى أخّرنا فى آجالهم ، والمتاع الذى متعناهم به من الحياة ، إذ لم يتوبوا من شركهم ، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا ، وهل نفعهم شيئا ، بل ضرّهم بازديادهم من الآثام ، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أفَرَأيْتَ إنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ) إلى قوله (ما أغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ) قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ) من هذه القرى التى وصفت فى هذه السور (إلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ) يقول : إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم (ذِكْرَى) يقول : إلا لها منذرون ينذرونهم ، تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا . ففى الذكرى وجهان من الإعراب : أحدهما النصب على المصدر من الإنذار على ما بيّنْتُ ، والآخر : الرفع على الابتداء [١] ، كأنه قيل : ذكرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى) قال : الرسل . قال ابن جُرَيج : وقوله (ذِكْرَى) قال الرسل.

قوله (وما كُنَّا ظالِمِينَ) يقول : وما كنا ظالميهم فى تعذيبناهم وإهلاكهم ، لأنا إنما أهلكناهم ، إذ عتوا علينا ، وكفروا نعمتنا ، وعبدوا غيرنا بعد الإعذار عليهم والإنذار ، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغى أن يفعلوه ، فأبوا إلا التمادى فى الغىّ .

وقوله (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ) يقول تعالى ذكره : وما تنزّلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ، ولكنه ينزل به الروح الأمين (وَما يَنْبَغِى لَهُمْ) يقول : وما ينبغى للشياطين أن ينزلوا به عليه ، ولا يصلح لهم ذلك (وَما يَسْتَطِيعُونَ) يقول : وما يستطيعون أن يتنزّلوا به ، لأنهم لا يصلون إلى استماعه

= فتزوجها ، فجامعها النساء ، فقال بعضهن لبعض : قد طالما حلأتماها لا ترد ٭ . . . البيت . والسجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء (اللسان) والبيت شاهد كالذى قبله ، على أن « لا ترد » يجوز فيه الرفع والجزم على التأويل الذى ذكره الفراء .

(١) يجوز أن يكون قوله تعالى (ذكرى) مرفوعا على الابتداء والخبر محذوف ، أى ذكرى لهم . ويجوز أن يكون مرفوعا على أنه خبر عن مبتدأ ، تقديره : « هم » أى المنذرون ، ذكرى لهم .

فى المكان الذى هو به من السماء (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) يقول : إن الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذى هو به من السماء لمعزولون ، فكيف يستطيعون أن يتنزّلوا به .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) قال : هذا القرآن . وفى قوله (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) قال : عن سمع السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه ، إلا أنه قال : عن سمع القرآن .

والقرّاء مجمعة على قراءة (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) بالتاء ورفع النون ، لأنها نون أصلية ، واحدهم شيطان ، كما واحد البساتين بستان . وذُكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ) بالواو وذلك لحن ، وينبغى أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه ، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين ، وذلك بعيد من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَدْعُ) يامحمد (مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ) : أى لاتعبد معه معبودا غيره (فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) فينزل بك من العذاب مانزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا . وقوله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة ، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم .

وذُكر أن هذه الآية لما نزلت ، بدأ ببنى جده عبد المطلب وولده ، فحذّرهم وأنذرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يافاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، سَلُونِى مِنْ مالى ما شِئْتُمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ويونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما نزلت (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قام النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : « يافاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، وَيا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ المُطَّلِبِ » ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سلامة ، قال : قال عقيل : ثنى الزهرى ، قال : قال سعيد ابن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه « (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، سَلِينِي ما شِئْتِ ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » .

حدثني محمد بن عبد الملك ، قال : ثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شُعيب عن الزهرى ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُنزل عليه (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال : « يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ » ثم ذكر نحو حديث يونس ، عن سلامة ؛ غير أنه زاد فيه « ياصَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » ولم يذكر فى حديثه فاطمة .

حدثنى يونس ، قال : ثنا سلامة بن روح ، قال : قال عقيل : ثنى ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) جمع قريشا ، ثم أتاهم ، فقال لهم : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ فقالوا لا إلا ابن أخت لنا لانراه إلا منا ، قال : إنَّهُ مِنْكُمْ ، فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لهم فى آخر كلامه : لأعْرِفَنَّ ماوَرَدَ على النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ يَسُوقُونَ الآخِرَةَ ، وَجِئْتُمْ إلىَّ تَسُوقُونَ الدُّنْيا » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبدالرحمن ، أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُنزل عليه (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) « يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، ياعَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحجاج يحدّث ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبى هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما أنزل الله (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ أنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، ألا إنَّ لَكُمْ رَحِمًا سأبلُّها ببِلالها » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، قال : لما نَزَلت هذه الآية : (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فعمَّ وخصَّ ، فقال : « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، يا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ ، يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدَ مناف ، يا مَعْشَرَ بَنِي هاشِمٍ ، يا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يقول لكلهم : أنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ أنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فإني وَاللهِ ما أمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، ألا إنَّ لَكُمْ رَحِما سأبلُّها بِبِلالِها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن زُهير بن عمرو وقَبِيصة ابن مُخارق : أنهما قالا : أَنزل الله على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) ، فحدثنا عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم « أنه علا صخرة من جبل ، فعلا أعلاها حَجَرًا ، ثم قال : يا آلَ عَبْدِ مَنافاه ، يا صَباحاه ، إنّي نَذِيرٌ ، إنَّ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أتَى الجَيْشُ ، فَخَشِيَهُمْ عَلى أهْلِهِ ، فَذَهَبَ يَرْبَؤُهُم[1] ، فَخَشِيَ أنْ يَسْبِقُوهُ إلى أهْلِهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ : يا صَباحاه » ! أو كما قال .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : « بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) جاء فوضع أصبعه في أذنه ، ورفع من صوته ، وقال : يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ وَاصَباحاهُ » !

قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : أظنه عن الأشعريّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا أبو زيد الأنصاريّ سعد بن أوس ، عن عوف ، قال : قال قسامة بن زهير ، حدثني الأشعريّ ، قال : لما نزلت ، ثم ذكر نحوه ؛ إلا أنه قال : وضع أصبعيه في أذنيه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن نُمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، ثم نادى يا صَباحاهُ ، فاجتمع الناس إليه ، فبينَ رجل يجيء ، وبين آخر يبعث رسوله ، فقال : يا بَنِي هاشِمٍ ، يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يا بَنِي فِهْرٍ ، يا بَنِي يا بَنِي ، أرأيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ صَدَّقْتُمُونِي ؟ قالوا : نعم ، قالَ : فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فقال أبو لهب : تبًّا لكم سائرَ اليوم ، مادعوتموني إلا لهذا ؟ فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « صَعِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا ، فقال : يا صباحاهُ ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا له : مالَكَ ؟ فقال : أرأيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ

(١) يقال : ربأ القوم يربؤهم ، وربأ لهم : إذا وقف على مكان عال ، ونظر بعيدا ، يرقب عدوا أو جيشا مغيرا ، أو نحو ذلك .

أوْ مُمَسِّيكُمْ ألا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قالوا: بلى، قال: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ). قال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا دعوتنا أو جمعتنا، فأنزل الله (تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ) . . . إلى آخر السورة».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو أُسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: «لمّا نزلت هذه الآية: (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد الصفا، فهتف: يا صَباحاهُ! فقالوا: من هذا الذى يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، فاجتمعوا إليه، فقال: أرَأيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالُوا ما جرّبنا عليك كذبا، قال: فإني نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، فقال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة (تَبَّتْ يَدا أبِي لَهَبٍ) وقد تَبَّ» كذا قرأ الأعمش، إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية بن هشام، عن سفيان، عن حبيب، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الصفا، فقال: يا صَباحاهُ»!

قال: ثنا خالد بن عمرو، قال: ثنا سفيان الثوريّ، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: «لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، فقال: يا صَباحاهُ! فجعل يُعَدِّدُهم: يا بَنِي فُلانٍ، ويا بَنِي فُلانٍ، ويا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عمرو بن مرّة الجَمَليّ، قال: «لما نزلت (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قال: أتى جبلا، فجعل يهتف: يا صَباحاهُ، فأتاه مَنْ خَفَّ من الناس، وأرسل إليه المتثاقلون من الناس رُسُلا، فجعلوا يجيئون يتّبعون الصوت؛ فلما انتهوا إليه قال: إنَّ مِنْكُمْ مَنْ جاءَ لِيَنْظُرَ، ومِنْكُمْ مَنْ أرْسَلَ لينظرَ مَن الهاتفُ، فلما اجتمعوا وكثروا قال: أرأيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً مُصَبِّحَتُكُمْ مِنْ هَذَا الجَبَلِ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك كذبا، فقرأ عليهم هذه الآيات التى أنزلن، وأنذرهم كما أُمِر، فجعل ينادى: يا قُرَيْشُ، يا بَنِي هاشِمٍ، حتى قالَ: يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، إنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عمرو: أنه كان يقرأ (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) ورَهْطَكَ المُخْلِصين.

قال: ثنا سَلَمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المِنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن عليّ بن أبي طالب: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لى: يا عليُّ، إنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الأقْرَبِينَ، قال: فضقت بذلك ذَرْعا، وعرفت أني متى ما أُنادهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُّ حتى جاء جبرائيل، فقال:

يا محمد ، إنك إلاّ تفعلْ ما تؤمر به يعذّبْكَ ربك . فاصنع لنا صاعا من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُسًّا من لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطّلب ،حتى أكلّمهم ،وبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به ، ثم دعوتهم له ،وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم ، فجئت به . فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حِذْيَة من اللحم[1] ، فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصَّحفة ، قال : خُذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وايم الله الذى نفس علىّ بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدّمت لجميعهم ، ثم قال : اسْقِ النَّاسَ ، فجئْتُهُمْ بذلك العُسّ ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا ، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ؛ فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بَدَرَه أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهَدّ[2] ما سحركم به صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغَدَ يا علىّ ، إنّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَنِى إلى ما قَدْ سمعْتُ مِنَ القَوْلِ ، فَتفرّق القوم قبلَ أنْ أُكَلِّمَهُمْ ، فَأعِدَّ لَنا مِنَ الطَّعامِ مِثْلَ الَّذِى صَنَعْتَ ، ثُمَّ اجْمَعْهُمْ لى ، قال : ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعانى بالطعام ، فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، قال : اسْقِهِمْ ، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بَنِي عَبْدِ المُطلبِ ، إنّى واللهِ ما أعْلَمُ شابا فى العَرَبِ جاءَ قَوْمَهُ بأفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ ، إنّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَقَدْ أمَرَنِى اللهُ أنْ أدْعُوَكُمْ إلَيْهِ ، فَأيُّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلى هَذَا الأمْرِ ، عَلى أنْ يَكُونَ أخِي وكَذَا وكَذَا ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت : وإنى لأحدثهم سنا ، وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأحمشهم ساقا ، أنا يا نبىّ الله أكونُ وزيرك ، فأخذ برقبتى ، ثم قال : إن هذا أخى وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ ، يا بَنِي قُصَىّ ، قال : ثم فَخّذ قريشا قبيلة قبيلة ،حتى مرّ على آخرهم ، إنّى أدْعُوكُمْ إلى اللهِ ، وأُنْذِرُكُمْ عَذَابَهُ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) قال : أُمِر محمد أن ينذر قومه ، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته ، قال : (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

(١) فى (اللسان : حذا) : أعطيته حذية من لحم ، وحذة وفلذة ، كل هذا إذا قطع طولا . ا هـ . وقيل هى القطعة الصغيرة .

(٢) فى (اللسان : هد) وفى الحديث أن أبا لهب قال : « لهد ما سحركم صاحبكم » قال : لهد : كلمة يتعجب بها ، يقال : لهد الرجل أى ما أجلده . قلت : وهو كقولنا : لشد ما قال فلان ، أى ما أشد .

« ولما نزلت(وأنذرْ عَشيرتَكَ الأقربِينَ)قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، ياصَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأنذرْ عَشيرتَكَ الأقربِينَ) بدأ بأهل بيته وفصيلته .

حدثنا الحسن ، قال: أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : « لما نزلت (وأنذرْ عَشيرتَكَ الأقربِينَ) جمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بنى هاشم ، فقال : يابنى هاشم ، ألا لاألْفِيَنَّكُمْ تأْتُونِي تَحْمِلُونَ الدُّنْيا ، وَيأْتِى النَّاسُ يَحْمِلُونَ الآخِرَةَ ، ألا إنَّ أوْلِيائى مِنْكُمُ المُتَّقُونَ ، فاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته ؛ قال : وشقّ ذلك على المسلمين ، فأنزل الله تعالى (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) » .

وقوله (وَاخْفِضْ جَناحَكَ) يقول : وألن جانبك وكلامك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) قال : يقول : لن لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : فإن عصتك يامحمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم ، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان ، والإشراك بالرحمن ، فقل لهم (إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة الأصنام ومعصية بارئ الأنام (وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ) فى نقمته من أعدائه (الرَّحِيمِ) بمن أناب إليه وتاب من معاصيه ، (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) يقول : الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ماحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ، قوله (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) قال : أينما كنت .

(وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ويرى تقلبك فى صلاتك حين تقوم ، ثم تركع ، وحين تسجد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ) يقول : قيامك وركوعك وسجودك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت أبي وعليّ بن بذيمة يحدّثان عن عكرمة في قوله (يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : قيامه وركوعه وسجوده .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال عكرمة ، في قوله : (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : قائما وساجدا وراكعا وجالسا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تقلبك في المصلين ، وإبصارك منهم من هو خلفك ، كما تبصر من هو بين يديك منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) كان يرى من خلفه ، كما يرى من قدّامه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : المصلين كان يرى مَن خلفه في الصلاة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : المصلين ، قال : كان يرى في الصلاة من خلفه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتقلبك مع الساجدين : أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج : أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس ، قال (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في المصلين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في الساجدين : المصلين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تصرّفك في الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : سألت الحسن عن قوله : (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتصرّفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله ، والساجدون في قول قائل هذا القول : الأنبياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (الَّذِى يَرَاكَ) . . . الآية ، قال : كما كانت الأنبياء من قبلك .

❁ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بتأويله قول من قال تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين فى صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه . فأما قول من وجَّهه إلى أن معناه : وتقلبك فى الناس ، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة ، وإن كان له وجه ، لأنه وإن كان لاشىء إلا وظله يسجد لله ، فإنه ليس المفهوم من قول القائل : فلان مع الساجدين ، أو فى الساجدين ، أنه مع الناس أو فيهم ، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود ، السجود المعروف ، وتوجيه معانى كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر ، وكذلك أيضا فى قول من قال : معناه : تتقلَّب فى أبصار الساجدين ، وإن كان له وجه ، فليس ذلك الظاهر من معانيه .

فتأويل الكلام إذن : وتوكل على العزيز الرحيم ، الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك ، ويرى تقلبك فى المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد ، وذكرك فى صلاتك ما تتلو وتذكر ، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلَّب فيها معك مؤتما بك ، يقول : فرتل فيها القرآن ، وأقم حدودها ، فإنك بمرأى من ربك ومسمع .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أيها الناس (عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) من الناس ؟ (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ) يعنى كذّاب بهات (أَثِيمٍ) يعنى : آثم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : كل كذّاب من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : كذّاب من الناس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : هم الكهنة تسترق الجنّ السمع ، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيدالله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : كنت عند عبد الله بن الزبير ، فقيل له : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : صدق ، ثم تلا (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) .

وقوله (يُلْقُونَ السَّمْعَ) يقول تعالى ذكره : يلقي الشياطين السمع ، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء إلى (كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) من أوليائهم من بني آدم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُلْقُونَ السَّمْعَ) قال : الشياطين ماسمعته ألقته على كل أفاك كذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يُلْقُونَ السَّمْعَ) الشياطين ماسمعته ألقته (عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ) قال : يلقون السمع ، قال : القول .

وقوله (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يقول : وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) عن عروة ، عن عائشة قالت : الشياطين تسترق السمع ، فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه ؛ قال : ويزيد فيها أكثر من مئة كذبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

☆ يقول تعالى ذكره : والشعراء يتبعهم أهل الغي لا أهل الرشاد والهدى .

واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغي في هذا الموضع فقال بعضهم : رواة الشعر

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن بن يزيد الطحان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا قيس ، عن يعلى ، عن عكرمة عن ابن عباس ؛ وحدثني أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن قيس ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال :

ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) قال : الرواة .

وقال آخرون : هم الشياطين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) الشياطين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) قال : يتبعهم الشياطين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، في قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) قال : عصاة الجنّ .

وقال آخرون : هم السفهاء ، وقالوا : نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وأنهما تهاجيا ، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء ، فقال الله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) قال : كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، تهاجيا مع كلّ واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء .

وقال آخرون : هم ضلال الجنّ والإنس .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) قال : هم الكفار يتبعهم ضلال الجنّ والإنس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) قال : الغاوون المشركون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجنّ ، وذلك أن الله عمّ بقوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْغَاوُونَ) فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض ، فذلك على جميع أصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أنهم ، يعنى الشعراء فى كل واد يذهبون ، كالهائم على وجهه على غير قصد ، بل جائرا على الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل . وإنما هذا مثل ضربه الله لهم فى افتنانهم فى الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول : فى كل لغو يخوضون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : فى كل فن يَفْتَنُّونَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) قال : فن (يَهِيمُونَ) قال : يقولون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : يمدحون قوما بباطل ، ويشتمون قوما بباطل .

وقوله (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) يقول : وأن أكثر قيلهم باطل وكذب .

كما حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس « وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) يقول : أكثر قولهم يكذبون ، وعنى بذلك شعراء المشركين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال رجل لأبى : يا أبا أسامة ، أرأيت قول الله جل ثناؤه (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فقال له أبى : إنما هذا لشعراء المشركين ، وليس شعراء المؤمنين ، ألا ترى أنه يقول (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الخ . فقال : فرجت عنى يا أبا أسامة ، فرج الله عنك .

وقوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهذا استثناء من قوله (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . وذُكر أن هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ثم هو لكل من كان بالصفة التى وصفه الله بها .

وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة وعلى بن مجاهد . وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد

ابن عبد الله بن قُسَيط، عن أبى الحسن سالم البرّاد مولى تميم الدارى، قال: لما نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء، فتلا النبىّ صلى الله عليه وسلم: (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا، وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) إلى آخر السورة فى حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة وطاوس، قالا: قال (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لايَفْعَلُونَ)، فنسخ من ذلك واستثنى، قال (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ... الآية.

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قال: ثم استثنى المؤمنين منهم، يعنى الشعراء، فقال (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس، فذكر مثله.

حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ماظُلِمُوا) قال: هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبى حسن البراد، قال: لما نزلت (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة.

وقوله (وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا) اختلف أهل التأويل فى حال الذكر الذى وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء، فقال بعضهم: هى حال منطقهم ومحاورتهم الناس، قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا فى كلامهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا) فى كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك فى شعرهم.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا) قال : ذكروا الله فى شعرهم .

٭ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال فى كتابه ، ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا فى كلّ أحوالهم .

وقوله (وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) يقول :وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم ، وإجابتهم عما هجوهم به .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال : يردّون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وانْتَصَرُوا) من المشركين (مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) .

وقيل : عنى بذلك كله الرهط الذين ذكرت ؛

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا علىّ بن مجاهد وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط ، عن أبى الحسن سالم البرّاد مولى تميم الدارى ، قال : لما نزلت (والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) جاء حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبىّ صلى الله عليه وسلم (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبى حسن البرّاد ، قال : لما نزلت (والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ) ثم ذكر نحوه.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال عبد الله بن رواحة وأصحابه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) قال : عبد الله بن رواحة .

وقوله (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول تعالى ذكره : وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله

من أهل مكة (أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) يقول : أىّ مرجع يرجعون إليه ، وأىّ معاد يعودون إليه بعد مماتهم ، فإنهم يصيرون إلى نار لا يُطفأ سعيرها ، ولا يَسْكُن لهبها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلىّ بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن أبى الحسن سالم البرّاد مولى تميم الدارى (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) يعنى : أهل مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) قال : وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أىّ منقلب ينقلبون .

آخر تفسير سورة الشعراء

---

(٢٧) سورة النمل مكية
وآياتها ثلاث وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

قال أبو جعفر : وقد بيَّنا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم فى فواتح السور ، فقوله (طسٓ) من ذلك . وقد رُوى عن ابن عباس أن قوله (طسٓ) : قسم أقسمه الله هو من أسماء الله .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : فالواجب على هذا القول أن يكون معناه : والسميع اللطيف ، إن هذه الآيات التى أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن ، وآيات كتاب مبين : يقول : يبين لمن تدبَّره ، وفكَّر فيه بفهم أنه من عند الله ، أنزله إليك ، لم تتخرّصه أنت ولم تتقوّله ، ولا أحد سواك من خلق الله ، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثله ، ولو تظاهر عليه الجنّ والإنس . وخفض قوله (وكِتابٍ مُبِينٍ) عطفا به على القرآن . وقوله (هُدًى) من صفة القرآن . يقول : هذه آيات القرآن بيان من الله بينّ به طريق الحقّ وسبيل السلام(وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وبشارة لمن آمن به ، وصدّق بما أنزل فيه بالفوز العظيم فى المعاد .

وفى قوله (هُدًى وَبُشْرَى) وجهان من العربية : الرفع على الابتداء بمعنى : هو هدى وبشرى . والنصب على القطع من آيات القرآن ، فيكون معناه : تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين ، ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبشرى ، فصارا نكرة ، وهما صفة للمعرفة فنصبا .

وقوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) يقول : هو هدى وبشرى لمن آمن بها ، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها . وقوله (وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ) يقول : ويؤدّون الزكاة المفروضة . وقيل : معناه : ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصى .

وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة ، وإيتائهم الزكاة الواجبة بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون ، فيذلون فى طاعة الله ، رجاء جزيل ثوابه ، وخوف عظيم عقابه ، وليسوا كالذين يكذّبون بالبعث ، ولا يبالون ، أحسنوا أم أساءوا وأطاعوا ، أم عصوا ، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا ، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة ، وقيام الساعة ، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب ، والعقاب (زَيَّنَّا لَهُمْ أَعمَالَهُمْ) يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يقول :فهم فى ضلال أعمالهم القبيحة التى زيّناها لهم يتردّدون حيارى ، يحسبون أنهم يحسنون .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب فى الدنيا ، وهم الذين قتلوا ببدر من مشركى قريش (وَهُمْ فِى الآخِرَةِ هُمُ الأَخسَرُونَ) يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى (فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾

❊ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن و تعلمه (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه ، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم ، والكائن من أمورهم ، والماضى من أخبارهم ، والحادث منها (إذْ قالَ مُوسَى) وإذ من صلة عليم . ومعنى الكلام عليم حين قال موسى (لأهْلِهِ) وهو فى مسيره من مدين إلى مصر ، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده (إِنِّى آنَسْتُ نَارًا) : أى أبصرت نارا أو أحسستها ،

فامكثوا مكانكم (سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) يعنى من النار، والهاء والألف من ذكر النار (أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (بِشِهَابِ قَبَسٍ) بإضافة الشهاب إلى القبس ، وترك التنوين، بمعنى : أوآتيكم بشعلة نار أقتبسها منها . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس ، يعنى : أو آتيكم بشهاب مقتبس .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قرَاْة الأمصار، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وكان بعض نحويّ البصرة يقول : إذا جُعل القبس بدلا من الشهاب ،فالتنوين فى الشهاب وإن أضاف الشهاب إلى القبس ، لم ينوّن الشهاب. وقال بعض نحويّ الكوفة : إذا أضيف الشهاب إلى القبس فهو بمنزلة قوله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماه ولفظاه توهما بالثانى أنه غير الأوّل قال : ومثله حبة الخضراء ، وليلة القمراء ، ويوم الخميس وما أشبهه . وقال آخر منهم : إن كان الشهاب هو القبس لم تجز الإضافة ، لأن القبس نعت ، ولا يُضاف الاسم إلى نعته إلا فى قليل من الكلام ، وقد جاء (وَلَدَارُ الآخِرَةِ - وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ) .

والصواب من القول فى ذلك أن الشهاب إذا أريد به أنه غير القبس ، فالقراءة فيه بالإضافة ، لأن معنى الكلام حينئذ ، ما بينا من أنه شعلة قبس ، كما قال الشاعر :

فى كَفِّهِ صَعْدَةٌ مُثَقَّفَةٌ ... فِيها سِنانٌ كشُعْلَةِ القَبَسِ [1]

وإذا أريد بالشهاب أنه هو القبس ، أو أنه نعت له ، فالصواب فى الشهاب التنوين، لأن الصحيح فى كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته،وإلى نفسه، بل الإضافات فى كلامها المعروف إضافة الشيء إلى غير نفسه وغير نعته .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول: كى تصطلوا بها من البرد . وقوله (فَلَمَّا جَاءَهَا) يقول : فلما جاء موسى النار التى آنسها (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) .

كما حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) يقول : قدّس .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (مَنْ فِي النَّارِ) فقال بعضهم : عنى جلّ جلاله بذلك نفسه ، وهو الذى كان فى النار ، وكانت النار نوره تعالى ذكره فى قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥) قال : « بشهاب قبس » أى بشعلة نار . ومجاز قبس : ما اقتبست منها ومن الجمر ، قال : « فى كفه . . . البيت » . والصعدة : القناة تنبت مستقيمة . والشاهد فى البيت : إضافة الشعلة إلى القبس أى شعلة مقتبسة من نار كما فى قول الله عز وجل « بشهاب قبس » فى قراءة من قرأه بالإضافة . ويجوز تنوين « شهاب » وجعل قبس صفة له إذا اعتبر الشهاب هو نفس القبس ، لأن الشيء لايضاف إلى نفسه ، ولا إلى صفته .

فى قوله (فَلَمَّا جاءَها نُودِىَ أنْ بُورِكَ مَنْ فى النَّارِ) يعنى نفسه ؛ قال : كان نور ربّ العالمين فى الشجرة .

حدثنى إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى ، قال : ثنا أبو قُتَيبة ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، فى قول الله (بُورِكَ مَنْ فى النَّارِ) قال : ناداه وهو فى النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (نُودِىَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) قال : هو النور .

قال معمر ، قال قتادة (بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) قال : نور الله بورك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال الحسن البصرى (بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) [1] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بوركت النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نُودِىَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) بوركت النار كذلك قاله ابن عباس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) قال : بوركت النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد (بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) قال : بوركت النار .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا مكى بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب ، فى قوله (أنْ بورِكَ مَنْ فِى النَّارِ) نور الرحمن ، والنور هو الله (وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

❊ واختلف أهل التأويل فى معنى النار فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : النور كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه .

وقال آخرون : معناه النار لا النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جُبَير ، أنه قال : حجاب العزّة ، وحجاب المَلِك ، وحجاب السلطان ، وحجاب النار ، وهى تلك النار التى نودى منها ، قال : وحجاب النور ، وحجاب الغمام ، وحجاب الماء ، وإنما قيل : بورك من فى النار ، ولم يقل : بورك فيمن فى النار على لغة الذين يقولون : باركك الله . والعرب تقول : باركك الله ، وبارك فيك

(١) لعل المؤلف لم يجئ بمقول القول ، اكتفاء بنص ما قبله ، لموافقته إياه لفظا ومعنى . وقد تكرر منه ذلك فى مواضع .

وقوله (وَمَنْ حَوْلَهَا) يقول : ومن حول النار . وقيل : عَنَى بمن حولها : الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَنْ حَوْلَهَا) قال : يعني الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : هو موسى والملائكة .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا مكي بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ حَوْلَهَا) قال موسى النبيّ والملائكة ، ثم قال (يا مُوسَى إنَّهُ أنا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

وقوله (وَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ) يقول : وتنزيها لله ربّ العالمين ، مما يصفه به الظالمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى (إنَّهُ أنا اللهُ العَزِيزُ) في نقمته من أعدائه (الحَكِيمُ) في تدبيره في خلقه ، والهاء التي في قوله (إنَّهُ) هاء عماد ، وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية . وقال بعض نحويي الكوفة : يقول هي الهاء المجهولة ، ومعناها : أن الأمر والشأن : أنا الله . وقوله (وأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ) في الكلام محذوف تُرك ذكره ، استغناء بما ذُكر عما حُذف ، وهو فألقاها فصارت حية تهتز (فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كأنَّها جانٌّ) يقول : كأنها حية عظيمة ، والجانّ : جنس من الحيات معروف .

وقال ابن جُرَيْج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج (وأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كأنَّها جانٌّ) قال : حين تحوّلت حية تسعى ، وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله :

يَرْفَعْنَ باللَّيْلِ إذَا ما أسْدَفا ... أعْناقَ جِنَّانٍ وَهاما رُجَّفَا
وَعَنَقًا بَعْدَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا[1]

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للخطفى وهو حذيفة بن بدر جد جرير بن عطية شاعر تميم . يصف إبله وسيرها في الليل . وأسدف : أظلم . والجنان جنس من الحيات ، إذا مشت رفعت رءوسها . والهام : جمع هامة . والرجف جمع راجفة أى مضطربة ، لاهتزازها في مشيها وسرعتها . والعنق : ضرب من السير السريع . والرسيم سير خفيف . والخيطف : السريع . ويروى : خطفا وبهذا لقب حذيفة جد جرير : الخطفى ، لمجيء اللفظة في شعره . وفى (اللسان : خطف) : والخيطف والخيطفى : سرعة انجذاب السير ، كأنه

وقوله (وَلَّى مُدْبِرًا) يقول تعالى ذكره : ولى موسى هاربا خوفا منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : ولم يرجع من قولهم : عقب فلان : إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال : لم يرجع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة ، قال : لم يلتفت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال : لم يرجع (يَامُوسَى) قال : لما ألقى العصا صارت حية ، فرعب منها وجزع ، فقال الله (إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ) قال : فلم يرعو لذلك ، قال : فقال الله له (أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) قال : فلم يقف أيضا على شىء من هذا حتى قال (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) قال : فالتفت فإذا هى عصا كما كانت ، فرجع فأخذها ، ثم قوى بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها .

وقوله (يا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) يقول تعالى ذكره : فناداه ربه : يا موسى لا تخف من هذه الحية ، إنى لا يخاف لدىّ المرسلون : يقول : إنى لا يخاف عندى رسلى وأنبيائى الذين أختصهم بالنبوّة ، إلا من ظلم منهم ، فعمل بغير الذى أُذن له فى العمل به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (يا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ) قال : لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله الفزارى ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبى بكر ، عن الحسن ، قال : قوله (يا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) قال : إنى إنما أخفتك لقتلك النفس ، قال : وقال الحسن : كانت الأنبياء تذنب فتعاقب .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول إلا فى هذا الموضع ، وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله (إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ) بقوله (فَإِنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وحكم الاستثناء أن يكون مابعده بخلاف معنى ماقبله ، وذلك أن يكون ما بعده إن كان ماقبله منفيا مثبتا كقوله : ماقام إلا زيد ، فزيد مثبت

— يختلف فى سيره عنقه ، أى يجتذبه . وجمل خيطف : أى سريع المر . ويقال : عنق خيطف وخطفى ، قال جد جرير :
* وعنقا بعد الرسيم خيطفا * وقيل : هو مأخوذ من الخطف ، وهو الخلس . وجمل خيطف : سيره كذلك «أى سريع المر» .

له القيام ، لأنه مستثنى مما قبل إلا ، وماقبل إلا منفيّ عنه القيام ، وأن يكون ما بعده إن كان ماقبله مثبتا منفيا كقولهم : قام القوم إلا زيدا ؛ فزيد منفى عنه القيام ؛ ومعناه : إن زيدا لم يقم ، والقوم مثبت لهم القيام ، وإلا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة ، وأدخله فى عداد من لايخاف لديه من المرسلين ، فقال بعض نحويى البصرة : أدخلت إلا فى هذا الموضع ، لأن إلا تدخل فى مثل هذا الكلام ، كمثل قول العرب : ما اشتكى إلا خيرا ؛ فلم يجعل قوله : إلا خيرا على الشكوى ، ولكنه علم أنه إذا قال : ما أشتكى شيئا أنه يذكر عن نفسه خيرا ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيرا .

وقال بعض نحويى الكوفة : يقول القائل : كيف صير خائفا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول لك : فى هذه الآية وجهان : أحدهما أن يقول : إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه . والآخر : أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا فى الكلمة ، لأن المعنى : لايخاف لدىّ المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ، ثم استثنى فقال (إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) يقول : كان مشركا ، فتاب من الشرك ، وعمل حسنا ، فذلك مغفور له ، وليس يخاف . قال : وقد قال بعض النحويين : إن إلا فى اللغة بمنزلة الواو ، وإنما معنى هذه الآية : لايخاف لدىّ المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدّل حسنا ، قال : وجعلوا مثله كقول الله (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : ولم أجد العربية تحتمل ماقالوا ، لأنى لاأجيز قام الناس إلا عبد الله ، وعبد الله قائم ؛ إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذى بعد إلا من معنى الأسماء التى قبل إلا ، وقد أراه جائزا أن يقول : لى عليك ألف سوى ألف آخر ، فإن وضعت إلا فى هذا الموضع صلحت ، وكانت إلا فى تأويل ماقالوا ، فأما مجرّدة قد استثنى قايلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى إلا كمعنى الواو ، وليست بها قوله (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ) هو فى المعنى ، والذى شاء ربك من الزيادة ، فلا تجعل إلا بمنزلة الواو ، ولكن بمنزلة سوى ؛ فإذا كانت « سوى » فى موضع « إلا » صلحت بمعنى الواو ، لأنك تقول : عندى مال كثير سوى هذا : أى وهذا عندى ، كأنك قلت : عندى مال كثير وهذا أيضا عندى ، وهو فى سوى أبعد منه فى إلا ، لأنك تقول : عندى سوى هذا ، ولا تقول : عندى إلا هذا .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ) عندى غير ماقاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية ، بل هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جُرَيج ومن قال قولهما ، وهو أن قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) استثناء صحيح من قوله (لاَ يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) منهم فأتى ذنبا ، فإنه خائف لديه من عقوبته ، وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك ، وهو قوله قال : إنى إنما أخفتك لقتلك النفس .

❊ فإن قال قائل : فما وجه قيله إن كان قوله (إلاَّ مَنْ ظَلَمَ) استثناء صحيحا ، وخارجا من عداد من لايخاف لديه من المرسلين ، وكيف يكون خائفا من كان قد وُعد الغفران والرحمة ؟ قيل : إن قوله (ثُمَّ

بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) كلام آخر بعد الأول ، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم ، ومن لم يظلم عند قوله (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل ، وسائر الناس غيرهم . وقيل : فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني له غفور رحيم .

فإن قال قائل : فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت بثم إن لم يكن عطفا على قوله (ظَلَمَ) قيل : على متروك استغنى بدلالة قوله (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) عليه عن إظهاره ، إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره ، وهو فمن ظلم من الخلق . وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية ، فقد قالوا على مذهب العربية ، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحاولوا على غير وجهها من التأويل . وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل .

وقوله (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) يقول تعالى ذكره : فمن أتى ظلما من خلق الله ، وركب مأثما ، ثم بدل حسنا ، يقول : ثم تاب من ظلمه ، ذلك وركوبه المأثم ، (فإني غَفُورٌ) يقول : فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوى عنه ، وترك عقوبته عليه (رَحِيمٌ) به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) ثم تاب من بعد إساءته (فإِنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى (وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه فى جيبه ، وإنما أمره بإدخاله فى جيبه ، لأن الذى كان عليه يومئذ مدرعة من صوف . قال بعضهم : لم يكن لها كُمٌّ . وقال بعضهم : كان كمها إلى بعض يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) قال : الكفّ فقط فى جيبك ، قال : كانت مدرعة إلى بعض يده ، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده فى كمه .

قال : ثنى حجاج ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود إن موسى أتى فرعون حين أتاه فى ذُرْ مانقة ، يعنى جبة صوف .

وقوله (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ) يقول : تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من (غيرِ سُوءٍ) يقول : من غير برص فى تسع آيات ، يقول تعالى ذكره : أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، فهى آية فى تسع آيات مُرسل أنت بهنّ إلى فرعون ، وترك ذكر مرسل لدلالة قوله (إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) على أن ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

رأتنِى بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخافَةً ... وفى الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ[1]

ومعنى الكلام : رأتنى مقبلا بحبليها ، فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين ، معناه فى ذلك إذ قال : رأتنى بحبليها ، ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة .

والآيات التسع : هنّ الآيات التى بيّناهنّ فيما مضى .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) قال : هى التى ذكر الله فى القرآن : العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطوفان ، والدم ، والحجر ، والطمس الذى أصاب آل فرعون فى أموالهم .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمًا فاسِقِينَ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين ، يعنى كافرين بالله ، وقد بيّنا معنى الفسق فيما مضى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا ، يعنى أدلتنا وحججنا ، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته وهى الآيات التسع التى ذكرناها قبل . وقوله (مُبْصِرَةً) يقول : يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا

(١) سبق الكلام مفصلا على هذا الشاهد فى الجزء (٤ : ٤٩) وهو لحميد بن ثور الهلالى . وانظره فى (اللسان : حبل) وفرق . وفى الأساس (روع) . وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٢٣٢) قال الفراء : أراد رأتنى أقبلت بحبليها : بحبل الناقة ، فأضمر فعلا ، كأنه قال : رأتنى مقبلا .

مُبْصِرَةً) قال : بينة (قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) ، يقول : قال : فرعون وقومه : هذا الذى جاءنا به موسى سحر مبين ، يقول : يبين للناظرين له أنه سحر .

وقوله (وَجَحَدُوا بِهَا) يقول : وكذّبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَجَحَدُوا بِهَا) قال : الجحود : التكذيب بها . وقوله (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا يقينا أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبينهم الحقّ ، ومعرفتهم به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) قال : يقينهم فى قلوبهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) قال : استيقنوا أن الآيات من الله حقّ ، فلم جحدوا بها ؟ قال : ظلما وعلوّا .

وقوله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) يعنى بالظلم : الاعتداء ، والعلوّ : الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) قال : تعظما واستكبارا ، ومعنى ذلك : وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوّا ، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، فعاندوا الحقّ بعد وضوحه لهم ، فهو من المؤخر الذى معناه التقديم .

وقوله (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يامحمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة ، وماذا حلّ بهم من إفسادهم فى الأرض ومعصيتهم فيها ربهم ، وأعقبهم مافعلوا ، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، إلى هلاك فى العاجل بالغرق ، وفى الآجل إلى عذاب دائم ، لايفتر عنهم ، وهم فيه مبلسون . يقول : وكذلك يامحمد سنتى فى الذين كذّبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ماتدعوهم إليه من الحقّ من قومك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) وذلك علم كلام الطير والدوابّ ، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)

يقول جلّ ثناؤه : وقال داود وسليمان : الحمد لله الذى فضلنا بما خصنا به من العلم الذى آتاناه دون سائر خلقه من بنى آدم فى زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به فى دهرنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾

✽ يقول تعالى ذكره (وَوَرِثَ سُلَيْمانُ) أباه (دَاوُدَ) العلم الذى كان آتاه الله فى حياته ، والمُلك الذى كان خصه به على سائر قومه ، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه (وَقالَ يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) يقول : وقال سليمان لقومه : يا أيها الناس علمنا منطق الطير ، يعنى فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بنى آدم إذ فهمه عنها .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب (وَقالَ يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) قال : بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ : خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجنّ وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ؛ فيها ثلاثمئة صريحة ، وسبع مئة سرية ، فأمر الريح العاصف فرفعته ، وأمر الرخاء فسيرته ؛ فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنى قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشىء إلا جاءت الريح فأخبرته . وقوله (وأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : وأعطينا ووهب لنا من كلّ شىء من الخيرات (إنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ) يقول : إن هذا الذى أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين ، يقول : الذى يبين لمن تأمّله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

✽ يقول تعالى ذكره : وجمع لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فى مسير لهم فهم يوزعون .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قال : جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير كما تصنع الملوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبوسفيان عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنّ والإنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يردّ أولهم على آخرهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : فهم يساقون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنّ والإنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يوزعون : يُساقون .

وقال آخرون : بل معناه : فهم يتقدمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان عن معمر ، قال : قال الحسن (يُوزَعُونَ) يتقدمون .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : يردّ أولهم على آخرهم ، وذلك أن الوازع فى كلام العرب هو الكافّ ، يقال منه : وزع فلان فلانا عن الظلم : إذا كفّه عنه ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ يَزَعِ الهَوَى إذْ لَمْ يُؤَاتِ ... بَلَى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الفَتَاةِ[1]

وقال آخر :

عَلَى حِينَ عاتَبْتُ المَشيبَ عَلَى الصِّبا ... وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ[2]

وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء وزعة : لكفهم إياهم عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨

يعنى تعالى ذكره بقوله (حَتّى إذَا أتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادى النمل (قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ) يقول : لايكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لايعلمون أنهم يحطمونكم.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل يقال له الحكم ، عن عوف ، فى قوله (قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النَّمْلُ) قال : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب .

---

(١) الوزع : كف النفس عن هواها . وزعه وبه يزع (بفتح الزاى وكسرها) وزعا : كفه ويؤات : يوافق . قال فى اللسان : واتاه على الأمر : طاوعه . والمؤاتاة : حسن المطاوعة . وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة : إذا وافقته وطاوعته . والعامة تقول : واتية . ولاتقل وتيته إلا فى لغة لأهل اليمن . ومثله آسيت ، وآكلت ، وآمرت . وإنما جعلوها واوا على تخفيف الهمزة .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر (مختار الشعر الجاهلى : بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ١٥٦ وما بعدها) قال : صحا : أفاق . والوازع : الكاف الزاجر عن اللهو . والصبا : الصبوة ، والميل إلى التشبه بأعمال الصبيان من الطيش واللهو .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : فتبسّم سليمان ضاحكا من قول النملة التى قالت ما قالت ، وقال (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) يعنى بقوله (أَوْزِعْنِي) ألهمنى

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) يقول : اجعلنى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله الله (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) قال فى كلام العرب ، تقول : أوزع فلان بفلان ، يقول : حرض عليه . وقال ابن زيد (أَوْزِعْنِي) ألهمنى وحرّضنى على أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ .

وقوله (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) يقول : وأوزعنى أن أعمل بطاعتك وماترضاه (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) يقول : وأدخلنى برحمتك مع عبادك الصالحين ، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك ، يقول : أدخلنى من الجنة مداخلهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) قال : مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (وَتَفَقَّدَ) سليمان (الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ، ما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران عن أبى مِجلَز ، قال : جلس ابن عباس إلى عبدالله بن سلام ، فسأله عن الهدهد : لم تفقّده سليمان من بين الطير ؟ فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة فى مسير له ، فلم يدر ما بُعد الماء ، فقال : من يعلم بُعد الماء ؟ قالوا : الهدهد، فذاك حين تفقده .

حدثنا محمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس وعبد الله ابن سلام بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مئة كرسي ، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم تجيء أشراف الجنّ فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فتظلهم ، ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر ، قال : فبينا هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض ، قال : فدعا الهدهد ، فجاءه فنقر الأرض ، فيصيب موضع الماء ، قال : ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ، قال : ثم يستخرجون الماء ، فقال له نافع بن الأزرق قف يا وقاف ، أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض ، فيصيب الماء كيف يبصر هذا ، ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه ، قال : فقال له ابن عباس : ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجنّ والإنس حتى يجلس على سريره ، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فتفقد الطير . وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد ، فقال : مالي لا أرى الهدهد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أوّل ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد فسأل الإنس عن مائه ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجنّ ، فدعا الجنّ فسألهم ، فقالوا : مانعلم له ماء وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير ، فدعا الطير فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد ، فلم يجده ، قال : فذاك أوّل مافقد الهدهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) قال : تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء إذا ركب ، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال : أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده ، فمن أجل ذلك تفقده ، فقال ابن عباس : إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل ؛ فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر ، وحال القدر دون البصر ، فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه ، فقال عبد الله : كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره . وقال وهب بن منبه : كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها والله أعلم بأيّ ذلك كان إذ لم يأتنا بأيّ ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

✱ فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير ، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها ، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء .

وقوله (فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) يعنى بقوله (مالِيَ لاأرَى الهُدْهُدَ) أخطأه بصرى فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (مالِيَ لا أرَى الهُدْهُدَ أمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ) أخطأه بصرى فى الطير ، أم غاب فلم يحضر؟

وقوله(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) يقول : فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر وأنه غائب غير شاهد ، أقسم (لَأُعَذِّبَنَّه عَذَابًا شَدِيدًا) وكان تعذيبه الطير فيما ذُكر عنه إذا عذّبها أن يلتف ريشها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحمانى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) عذابه : نتفه وتشميسه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه وتشميسه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله : (لَأُعَذِّبَنَّه عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتف ريش الهدهد كله ، فلا يغفو سنة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نتف ريشه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) يقول : نتف ريشه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان أنه حدّث أن عذابه الذى كان يعذّب به الطير نتف جناحه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح ، فما العذاب الشديد ؟ قال : نتف ريشه بتركه بَضعة تنزو .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازيّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتفه .

حدثنى سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبى شدّاد ، قال : نتفه وتشميسه ، أو لأذبحنه ، يقول : أو لأقتلنه .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) يقول : أو لأقتلنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن حُصَين ، عن عبد الله بن شدّاد : (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستثن .

وقوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : أو ليأتينى بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا المعافَى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدُّهْنى ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان فى القرآن فهو حجة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : ببينة أعذره بها ، وهو مثل قوله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) يقول : بغير بيّنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : كل شىء فى القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قَبَاث[1] بن رَزِين ، أنه سمع عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كلّ سلطان فى القرآن فهو حجة ، كان للهدهد سلطان .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) قال بعذر بيّن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) : أى بحجة عذر له فى غيبته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول ببينة ، وهو قول الله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) بغير بينة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) قال : بعذر أعذره فيه .

(١) قباث بوزن سحاب ، ابن رزين اللخمى (ويقال : التجيبى) . وقباث : اسم عربى .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ ﴿٢٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد ، حتى جاء الهدهد .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (فَمَكَثَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم (فَمَكُثَ) بضم الكاف ، وقرأه عاصم بفتحها ، وكلتا القراءتين عندنا صواب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إلىّ ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وقوله (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) يقول : فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) قال : ما لم تعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) ثم جاء الهدهد ، فقال له سليمان : ما خلّفك عن نوبتك ؟ قال : أحطت بما لم تحط به .

وقوله (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) يقول : وجئتك من سبإ بخبر يقين .

وهو ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) : أى أدركت ملكا لم يبلغه ملكك .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ سَبَإٍ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (مِنْ سَبَإٍ) بالإجراء . المعنى أنه رجل اسمه سبأ . وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والبصرة (مِنْ سَبَإَ) بترك الإجراء ، على أنه اسم قبيلة أو لامرأة .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، فالإجراء فى سبأ ، وغير الإجراء صواب ، لأن سبأ إن كان رجلا كما جاء به الأثر ، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجرى ، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر ، كما قال الشاعر فى إجرائه :

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فى ذَرَا سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ [1]

يروى : ذرا ، وذرى ، وقد حُدثت عن الفرّاء عن الرؤاسى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ ، قال : لست أدرى ما هو ، فكأن أبا عمرو ترك إجراءه ، إذ لم يدر ماهو ، كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه فى (الجزء ١٤ : ١١٧) وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٧٢) . ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية ، على أن كلمة « سبأ » إن كان اسم قبيلة من اليمن ، فهو ممنوع من الصرف ، للعلمية والتأنيث . وإن لوحظ فيه أصله ، وهو اسم أبى القبيلة ، فهو مذكر مجرى .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتفه .

حدثنى سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبى شدّاد ، قال : نتفه وتشميسه ، أو لأذبحنه ، يقول : أو لأقتلنه .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) يقول : أو لأقتلنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن حُصَين ، عن عبد الله بن شدّاد : (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستثن .

وقوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : أو ليأتينى بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا المعافَى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدُّهْنى ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان فى القرآن فهو حجة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : ببينة أعذره بها ، وهو مثل قوله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) يقول : بغير بيّنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : كل شىء فى القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قَبَاث[1] بن رَزِين ، أنه سمع عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كلّ سلطان فى القرآن فهو حجة ، كان للهدهد سلطان .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) قال بعذر بيّن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) : أى بحجة عذر له فى غيبته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول ببينة ، وهو قول الله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) بغير بينة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) قال : بعذر أعذره فيه .

(١) قباث بوزن سحاب ، ابن رزين اللخمى (ويقال : التجيبى) . وقباث : اسم عربى .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ ﴿٢٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَمَكَثَ غيرَ بَعِيدٍ) فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد ، حتى جاء الهدهد .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (فَمَكَثَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم (فَمَكُثَ) بضمّ الكاف ، وقرأه عاصم بفتحها ، وكلتا القراءتين عندنا صواب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضمّ فيها أعجب إلىّ ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وقوله (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) يقول : فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) قال : ما لم تعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (فَمَكَثَ غيرَ بَعِيدٍ) ثم جاء الهدهد ، فقال له سليمان : ما خلّفك عن نوبتك ؟ قال : أحطت بما لم تحط به .

وقوله (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) يقول : وجئتك من سبإ بخبر يقين .

وهو ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) : أى أدركت ملكا لم يبلغه ملكك .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ سَبَإٍ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (مِنْ سَبَإٍ) بالإجراء . المعنى أنه رجل اسمه سبأ . وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والبصرة (مِنْ سَبَإَ) بترك الإجراء ، على أنه اسم قبيلة أو لامرأة .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، فالإجراء فى سبأ ، وغير الإجراء صواب ، لأن سبأ إن كان رجلا كما جاء به الأثر ، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجرى ، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر ، كما قال الشاعر فى إجرائه :

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فى ذَرَا سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ (١)

يروى : ذرا ، وذرى ، وقد حُدثت عن الفرّاء عن الرؤاسى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ ، قال : لست أدرى ما هو ، فكأن أبا عمرو ترك إجراءه ، إذ لم يدر ما هو ، كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه فى (الجزء ١٤ : ١١٧) وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٧٢) . ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية ، على أن كلمة « سبأ » إن كان اسم قبيلة من اليمن ، فهو ممنوع من الصرف ، للعلمية والتأنيث . وإن لوحظ فيه أصله ، وهو اسم أبى القبيلة ، فهو مذكر مجرى .

التى لاتعرفها من ترك الإجراء ، حكى عن بعضهم : هذا أبو معرور قد جاء ، فترك إجراءه إذ لم يعرفه فى أسمائهم ، وإن كان سبأ جبلا ، أجرى لأنه يُراد به الجبل بعينه ، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

❊ يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرا بعذره فى مغيبه عنه (إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) يعنى تملك سبأ ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان ، درأ به عنه ماكان أُوعد به ، لأن سليمان كان لايرى أن فى الأرض أحدا له مملكة معه ، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حبّب إليه الجهاد والغزو ، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره ، وقوم كفرة يعبدون غير الله ، له فى جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل ، والثواب العظيم فى الآجل ، وضمّ مماكة لغيره إلى ملكه ، حقّت للهدهد المعذرة ، وصحّت له الحجة فى مغيبه عن سليمان .

وقوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : وأوتيت من كلّ شيء يؤتاه الملك فى عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى عُبَيدة الباجى ، عن الحسن ، قوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يعنى : من كل أمر الدنيا .

وقوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يقول : ولها كرسى عظيم . وعُنى بالعظيم فى هذا الموضع : العظيم فى قدره ، وعظم خطره ، لاعظمه فى الكبر والسعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) قال : سرير كريم ، قال : حَسَن الصنعة ، وعرشها : سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى عبيدة الباجى ، عن الحسن ، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) : يعنى سرير عظيم .

وقوله (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ ، وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله . وقوله (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : وحسّن لهم إبليس عبادتهم الشمس ، وسجودهم لها من دون الله ، وحبّب ذلك إليهم (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول : فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم ؛ وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصدّهم عن سبيل الحقّ (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) يقول : فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحقّ ولا يسلكونه ، ولكنهم فى ضلالهم الذى هم فيه يتردّدون .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

اختلفت القرّاء ، فى قراءة قوله (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين (أَلَا) بالتخفيف ، بمعنى : ألا ياهؤلاء اسجدوا ، فأضمروا هؤلاء اكتفاء بدلالة «يا» عليها . وذكر بعضهم سماعا من العرب : ألا يا ارحمنا ، ألا يا تصدّق علينا ؛ واستشهد أيضا ببيت الأخطل :

ألا يا اسْلَمِى يا هِنْدُ هِنْدَ بَنِى بَدْرِ　　وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدًا آخِرَ الدَّهْرِ[1]

فعلى هذه القراءة اسجدوا فى هذا الموضع جزم ، ولا موضع لقوله « ألا » فى الإعراب . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (أَلَّا يَسْجُدُوا) بتشديد ألاّ ، بمعنى : وزيّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله « ألاّ » فى موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا ، ويسجدوا فى موضع نصب بأن .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء مع صحة معنييهما .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « يا » فى قراءة من قرأه على وجه الأمر ، فقال بعض نحويى البصرة من قرأ ذلك كذلك ، فكأنه جعله أمرا ، كأنه قال لهم : اسجدوا ، وزاد « يا » بينهما التى تكون للتنبيه ، ثم أذهب ألف الوصل التى فى اسجدوا ، وأذهبت الألف التى فى « يا » لأنها ساكنة لقيت السين ، فصار

(١) البيت : نسبه فى (اللسان : عدا) إلى الأخطل التغلبى الشاعر الأموى . قال : وقد جاء فى الشعر العدى بمعنى الأعداء . وقال ابن الأعرابى فى قول الأخطل : «ألا يا اسلمى » . . . البيت : العدى : التباعد . وقوم عدى : إذا كانوا متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف . وقوم عدى : إذا كانوا حربا . وقد روى البيت بالكسر والضم ، مثل سوى وسوى . الأصمعى : يقال : هؤلاء قوم عدى ، مقصور ، يكون للأعداء وللغرباء . ولايقال : قوم عدى ولا يقال : قوم عدى (بضم العين) إلا أن تدخل الهاء ، فتقول : عداة ، فى وزن قضاة . قال أبو زيد : طالت عدواؤهم ، أى تباعدهم وتفرقهم . وشاهد المؤلف فى هذا البيت : أن حرف النداء يا ، داخل على منادى محذوف . تقديره ألا ياهذه اسلمى . وهو نظير قول الله عز وجل : « ألا يا اسجدوا » تقديره : ألا ياهؤلاء اسجدوا . فأضمر هؤلاء ، اكتفاء بدلالة « يا » عليها .

ألا يسجدوا . وقال بعض نحويي الكوفة : هذه « يا » التي تدخل للنداء يكتفى بها من الاسم ، ويكتفى بالاسم منها ، فتقول : : يا أقبل ، وزيد أقبل، وما سقط من السواكن فعلى هذا .

ويعني بقوله (يُخْرِجُ الْخَبْءَ) يخرج الخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء ، ونبات في الأرض ونحو ذلك .

وبالذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عبارتهم عنه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جُرَيج ، قراءة عن مجاهد (يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ) قال : الغيث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد، قوله (يُخْرِجُ الْخَبْءَ) قال : الغيث .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : خبء السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق ، والمطر من السماء ، والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لا تمطر ، هذه ولا تنبت هذه ، ففتق السماء ، وأنزل منها المطر ، وأخرج النبات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم ابن جابر ، في قوله (أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ويعلم كل خفية في السموات والأرض .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أُسامة بن زيد ، عن معاذ بن عبد الله ، قال : رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب : هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرضُ العامَ لم يصب العام الآخر ، قال : سمعت كعبا يقول : البذر ينزل من السماء ويخرج من الأرض ، قال : صدقت .

قال أبو جعفر : إنما هو تبيع ، ولكن هكذا قال محمد . وقيل : يخرج الخَبْءَ في السموات والأرض ، لأن العرب تضع «مِن» مكان «في» وفي مكان من في الاستخراج (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول : ويعلم السرّ من أمور خلقه ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها ، وذلك على قراءة من قرأ ألاّ بالتشديد . وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه : ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله : ألا يا هؤلاء اسجدوا . وقد ذكر أن ذلك في قراءة أُبيّ (ألا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ) .

وقوله (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا هو ، لا معبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالطاعة ، ولا تشركوا

به شيئا (رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) يعنى بذلك : مالك العرش العظيم الذى كل عرش ، وإن عظم فدونه ، لايُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) إلى قوله (لاإلَهَ إلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) هذا كله كلام الهدهد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ اذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨ ﴾

يقول تعالى ذكره (قالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ) فيما اعتذرت به من العذر ، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا ، وفيما جئتنا به من الخبر (أصَدَقْتَ) فى ذلك كله (أمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) فيه (اذْهَبْ بِكِتابِى هذَا فأَلْقِهْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فانْظُرْ ماذَا يَرْجِعُونَ) .

فاختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : اذهب بكتابى هذا ، فألقه إليهم ، فانظر ماذا يَرْجِعون ، ثم تولَّ عنهم منصرفا إلىَّ ، فقال : هو من المؤخَّر الذى معناه التقديم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : فأجابه سليمان ، يعنى أجاب الهدهد لَمَّا فرغ (قالَ سَنَنْظُرُ أصَدَقْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ . اذْهَبْ بِكِتابِى هذَا فَأَلْقِهِ إلَيْهِمْ) وانظر ماذا يرجعون ، ثم تولَّ عنهم منصرفا إلىَّ ، وقال : وكانت لها كَوَّة مستقبلةُ الشمس ، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدَّها ، واستبطأت الشمس ، فقامت تنظر ، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه ، وطار حتى قامت تنظر الشمس .

قال أبو جعفر : فهذا القول من قول ابن زيد يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعا ، بعد إلقائه الكتاب ، وأن نظره إلى المرأة ما الذى ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ، ثم تولَّ عنهم ، فكن قريبا منهم ، وانظر ماذا يرجعون ؛ قالوا : وفعل الهدهد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ، وقولها لهم : (إنِّى أُلْقِىَ إلَىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ ، إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ ، وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قوله (فَأَلْقِهِ إلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) : أى كن قريبا (فانْظُرْ ماذَا يَرْجِعُونَ) . وهذا القول أشبه

بتأويل الآية ، لأن مراجعة المرأة قومها ، كانت بعد أن ألقى إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أُمرَ بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها ، فألقاه إليها ؛ فلما قرأته قالت لقومها (يا أيُّها المَلأُ إنى أُلْقِيَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كتب ، يعنى سليمان بن داود مع الهدهد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن داود ، إلى بلقيس بنت ذى سرح وقومها ، أما بعد : فلا تعلو علىَّ وأتونى مسلمين ، قال : فأخذ الهدهد الكتاب برجله ، فانطلق به حتى أتاها ، وكانت لها كوّة فى بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها ، فسجدت لها ، فأتى الهدهد الكوّة فسدّها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ، ثم ألقى الكتاب من الكوّة ، فوقع عليها فى مكانها الذى هى فيه ، فأخذته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى أنها امرأة يقال لها بلقيس ، أحسبه قال : ابنة شراحيل ، أحد أبويها من الجنّ ، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة ، وكانت فى بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاث مئة واثنى عشر كلّ رجل منهم على عشرة آلاف ، وكانت بأرض يقال لها مأرب ، من صنعاء على ثلاثة أيام ؛ فلما جاء الهدهد بخبرها إلى سليمان بن داود ، كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد ، فجاء الهدهد وقد غلّقت الأبواب ، وكانت تغلّق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها ، فجاء الهدهد فدخل من كوّة ، فألقى الصحيفة عليها ، فقرأتها ، فإذا فيها : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أنْ لاتَعْلُوا عَلَىَّ وأتُونِي مُسْلِمِينَ) وكذلك كانت تكتب الأنبياء لاتطنب ، إنما تكتب جملا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : لم يزد سليمان على ماقصّ الله فى كتابه : إنه وإنه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (اذْهَبْ بِكِتابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إلَيْهِمْ) فمضى الهدهد بالكتاب ، حتى إذا حاذى الملكة وهى على عرشها ألقى إليها الكتاب .

وقوله (قالَتْ يا أيُّها المَلأُ إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) والملأ: أشراف قومها ، يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها (يا أيُّها المَلأُ إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) .

واختلف أهل العلم فى سبب وصفها الكتاب بالكريم ، فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختوما :

وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه . وممن قال ذلك ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) قال : هو كتاب سليمان حيث كتب إليها .

وقوله (إنَّهُ مِن سُلَيْمانَ وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كُسِرت إن الأولى والثانية على الرد على إنى من قوله (إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) . ومعنى الكلام: قالت : يا أيها الملأ إنى ألقى إلىّ كتاب ، وإنه من سليمان .

وقوله (أنْ لا تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول : ألقى إلىّ كتاب كريم ألا تعلوا علىّ .

فى أنْ وجهان من العربية : إن جعلت بدلا من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب بدلا منه ؛ وإن جعل معنى الكلام : إنى ألقى إلىّ كتاب كريم أن لا تعلو علىّ كانت نصبا بتعلق الكتاب بها .

وعنى بقوله (أنْ لا تَعْلُوا عَلَيَّ) : أن لا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (أنْ لا تَعْلُوا عَلَيَّ) : أن لا تمتنعوا من الذى دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم ، فقلت لابن زيد (أنْ لا تَعْلُوا عَلَيَّ) أن لا تتكبروا علىّ ، قال : نعم ؛ قال : وقال ابن زيد (أنْ لا تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ) ذلك فى كتاب سليمان إليها . وقوله (وأْتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول : وأقبلوا إلىّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها (يا أيُّها المَلأُ أفْتُونِي فِي أمْرِي) تقول : أشيروا علىّ فى أمرى الذى قد حضرنى من أمر صاحب هذا الكتاب الذى ألقى إلىّ ، فجعلت المشورة فتيا .

وقوله (ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرًا حَتّى تَشْهَدُونِ) تقول : ماكنت قاضية أمرا فى ذلك حتى تشهدون ، فأشاوركم فيه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد: دعت قومها تشاورهم (أيُّها المَلأُ أفْتُونِي فِي أمْرِي ، ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرًا حَتّى تَشْهَدُونِ) يقول فى الكلام : ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضى أمرا ، فلذلك قالت (ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْرًا) بمعنى : قاضية .

وقوله (قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره : قال الملأ من قوم ملكة سبأ ، إذ شاورتهم فى أمرها وأمر سليمان : نحن ذوو القوة على القتال ، والبأس الشديد فى الحرب ، والأمر أيتها الملكة إليك فى القتال وفى تركه ، فانظري من الرأى ما ترين ، فمرينا نأتمرْ لأمرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) عرضوا لها القتال ، يقاتلون لها ، والأمر إليك بعد هذا ، فانْظُرِى ماذَا تَأْمُرِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول[1] ، مع كلّ قيول[1] مئة ألف .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان مع بلقيس مئة ألف قَيْل ، مع كل قَيْل مئة ألف .

قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، قال : سمعت مجاهدا يقول : كانت تحت يد ملكة سبأ اثناعشر ألف قيول ، والقيول[1] بلسانهم : الملك تحت يد كلّ مَلِكٍ مئة ألف مقاتل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ٣٤

يقول تعالى ذكره : قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها ، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان ، إن أمرتهم بذلك (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عَنْوة . وغَلَبة (أَفْسَدُوهَا) يقول : خرّبوها (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) وذلك باستعبادهم الأحرار ، واسترقاقهم إياهم ، وتناهى الخبر منها عن الملوك فى هذا الموضع ، فقال الله (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك ، إذا دخلوا قرية عَنْوة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، فى قوله (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) قال أبو بكر : هذا عَنْوَة .

حدثنا أبوهشام الرفاعى ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) قال : إذا دخلوها عَنْوَة خرّبوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (قَالَتْ

(١) القيل ، بفتح فسكون : الملك الصغير فى اليمن ، وجمعه أقيال وقيول . وأما القيول ، ولعله بفتح القاف ، للملك الواحد ، فلم أجده بالمعاجم ، ولعله لفظ عام عند اليمن .

إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوها وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً) قال ابن عباس : يقول الله (وكَذلكَ يَفْعَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿ ذكر أنها قالت : إنى مرسلة إلى سليمان ، لتختبره بذلك وتعرفه به ، أملك هو ، أم نبيّ ؟ وقالت : إن يكن نبيا لم يقبل الهدية ، ولم يرضه منا ، إلا أن نتبعه على دينه ، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قالت (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا حتى لايعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردّ الهدية فإنه نبىّ ، وينبغى لنا أن نترك ملكنا ، ونتبع دينه ، ونلحق به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : بجوار لباسهم لباس الغلمان ، وغلمان لباسهم لباس الجوارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قولها (وإنّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : مثنى غلام ومثنى جارية . قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد : قوله (بِهَدِيَّةٍ) قال : جوار ألبستهنّ لباس الغلمان ، وغلمان ألبستهم لباس الجوارى .

قال ابن جُرَيج ، قال : قالت : فإن خلص الجوارى من الغلمان ، وردّ الهدية فإنه نبىّ ، وينبغى لنا أن نتبعه .

قال ابن جُرَيج ، قال مجاهد : فخلص سليمان بعضهم من بعض ، ولم يقبل هديتها .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن ثابت البُنانىّ ، قال : أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج ؛ فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجنّ فموّهوا له الآجرّ بالذهب ، ثم أمر به فألقى فى الطرق ؛ فلما جاءوا فرأوه ملقى ما يُلتفت إليه ، صغر فى أعينهم ما جاءوا به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا

قَرْيَةً أَفْسَدُوها) . . . الآية ، وقالت : إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسنرضيه ، وإن كان إنما يريد الدين فلن يقبل غيره (وإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة فى بيت ملك ، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها ، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك ، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية ؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التى كانت قبلها ، فبعثت إلى المقاولة من أهل اليمن ، فقالت لهم (يا أَيُّها الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) إلى قوله (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ثم قالت : إنه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من ملك من الملوك قبله ، فإن يكن الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوّة ، وإن يكن الرجل ملكا يكاثر ، فليس بأعز منا ، ولا أعدّ ، فهيّأت هدايا مما يُهدَى للملوك ، مما يُفتنون به ، فقالت : إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب فى المال ، وإن يكن نبيا فليس له فى الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد ، إنما يريد أن ندخل معه فى دينه ونتبعه على أمره ، أو كما قالت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) بعثت بوصائف ووصفاء ، لباسهم لباس واحد ، فقالت : إن زيّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردّ الهدية فهو نبيّ ، وينبغى لنا أن نتبعه ، وندخل فى دينه ، فزيّل سليمان بين الغلمان والجوارى ، وردّ الهدية ، فقال (أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ ، فَما آتانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ)

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان فى الهدايا التى بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون فى ثيابهم ، ليميز الغلمان من الجوارى ، قال : فدعا بماء ، فجعل الجوارى يتوضأن من المرفق إلى أسفل ، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق . قال : وكان أبى يحدثنا هذا الحديث .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح (وإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : أرسلت بلبنة من ذهب ، وقالت : إن كان يريد الدنيا علمته ، وإن كان يريد الآخرة علمته .

وقوله (فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) تقول : فأنظر بأىّ شيء من خبره وفعله فى هديتى التى أرسلها إليه ترجع رسلى ، أبقبول وانصراف عنا ، أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه ؟ وأسقطت الألف من « ما » فى قوله (بِمَ) وأصله : بما ، لأن العرب إذا كانت « ما » بمعنى : أى ، ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام وغيره ، كما قال جلّ ثناؤه (عَمَّ يَتَساءَلُونَ) و(قالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ) ، وربما أثبتوا فيها الألف ، كما قال الشاعر :

عَلامَا قامَ يَشْتُمُنِى لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِى تُرابِ[1]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت وهو من شواهد كتاب « المغنى لابن هشام : « ما » وفى قافيته روايتان أخريان : (فى دمان ، فى رماد). قال ابن هشام : ويجب حذف ألف « ما » الاستفهامية إذا جرت ، وإبقاء الفتحة دليلا عليها ، نحو : فيم ، ولام ، وعلام ، وبم =

وقالت (وإِنّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ) وإنما أرسلت إلى سليمان وحده على النحو الذى بيّنا فى قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) ، وقوله (فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ) .

✲ إن قال قائل: وكيف قيل (فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ) فجعل الخبر فى مجىء سليمان عن واحد ، وقد قال قبل ذلك (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) فإن كان الرسول كان واحدا ، فكيف قيل (بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) وإن كانوا جماعة فكيف قيل (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) قيل هذا نظير ما قد بيّنا قبل من إظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد على وجه الخبر ، عن جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه ، يُشار إليه بعينه ، فسمى فى الخبر . وقد قيل : إن الرسول الذى وجّهته ملكة سبأ إلى سليمان كان أمرا واحدا ، فلذلك قال (فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ) يُراد به : فلما جاء الرسول سليمان ، واستدلّ قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمان للرسول (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ، فلما جاءوا سليمان على الجمع ، وذلك للفظ قوله (بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى .

وقوله (قالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ) يقول : قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها : أتمدوننى بمال

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة (أَتُمِدُّونَنِى) بنونين ، وإثبات الياء . وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك ، غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الأخيرة . وقرأه بعض قرّاء البصرة بنونين ، وإثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف . وقرأه بعض قرّاء الكوفة بتشديد النون وإثبات الياء . وكلّ هذه القراءات متقاربات وجميعها صواب ، لأنها معروفة فى لغات العرب ، مشهورة فى منطقها .

وقوله (فَمَا آتانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ) يقول : فما آتانى الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) يقول : ما أفرح بهديتكم التى أهديتم إلىّ ، بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدى إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ، ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأموالها من حاجتى ، لأن الله تعالى ذكره قد مكّننى منها وملّكنى فيها ما لم يملّك أحدا (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) وهذا قول سليمان لرسول المرأة (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها) لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوُصفاء ، والخيل العراب ، وأصناف من أصناف الدنيا ، قال للرسل

✲ وعلة حذف الألف : الفرق بين الاستفهام والخبر ، فلهذا حذفت فى نحو ـ فيم أنت من ذكراها ؟ فناظرة بم يرجع المرسلون ـ لم تقولون مالا تفعلون ؟ ـ وأما قراءة عكرمة وعيسى : عما يتساءلون ؟ فنادر . وأما قول حسان : « على ما قام » . . . البيت ، فضرورة والشعر كالرماد : وزنا ومعنى . ويروى : فى رماد ؟ فلذلك رجحته على تفسير ابن الشجرى له بالسرجين . ومثله قول الآخر :

إنا قتلنا بقتلانا سراتكم		أهل اللواء ففيما يكثر القيل

وهذا يتضمن معنى قول المؤلف فى هذا الشاهد .

الذين جاءوا به (أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ، فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لأنه لاحاجة لى بهديتكم ، وليس رأيي فيه كرأيكم ، فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها ، (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا) قال : لاطاقة لهم بها .

وقوله (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) يقول : ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتونى مسلمين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، أو لتأتينى مسلمة هى وقومها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

اختلف أهل العلم فى الحين الذى قال فيه سليمان (يا أيها المَلأُ أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها) فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبأ ، وقال له (جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) وأخبره أن لها عرشا عظيما ، فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء : أيكم يأتينى بعرش هذه المرأة قبل أن يأتونى مسلمين . وقالوا : إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة بعد ما صحّ عنده صدق الهدهد بمجىء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدهد ، قالوا : ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا إلى من لايدرى ، هل هو فى الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتابا إلى المرأة قبل مجىء عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) معنى ، لأنه لايُعلم بخبره الثانى من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذى علم بخبره الأوّل حين قال له (جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) قالوا : وإن لم يكن فى الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، و كان

محالا أن يقول نبيّ الله قولا لا معنى له وقال قال (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ) علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن سليمان أوتى ملكا ، وكان لا يعلم أن أحدا أوتى ملكا غيره ؛ فلما فقد الهدهد سأله : من أين جئت ؟ ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب ، قال (جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) قال له سليمان : ما هذا النبأ ؟ قال الهدهد : (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً) بسبأ (تَمْلِكُهُمْ ، وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا ، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره ، فقال لمن عنده من الجنّ والإنس (يا أيُّها المَلأُ أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ؟ قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ، وإنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أمِينٌ) قال سليمان : أريد أعجل من ذلك (قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر ، الذي إذا دعى به أجاب (أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ) فدعا بالاسم وهو عنده قائم ، فاحتمل العرش احتمالا حتى وُضع بين يدى سليمان ، والله صنع ذلك ؛ فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون ، يسجدون للشمس والقمر ، أخبره الهدهد بذلك ، فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم ، حتى إذا جاء الهدهد الملكة ألقى إليها الكتاب (قالَتْ يا أيُّها المَلأُ إنِّي أُلْقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ) . . . إلى (وأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقالت لقومها ما قالت (وإنِّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لا يعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردّ الهدية ، فإنه نبيّ ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به ، فردّ سليمان الهدية وزيل بينهم ، فقال : هؤلاء غلمان ، وهؤلاء جوار وقال (أتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ، فَمَا آتانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ ، بَلْ أنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) . . . إلى آخر الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إنِّي وَجَدْتُ امْرَأةً تَمْلِكُهُمْ) . . . الآية ؛ قال : وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره ، قال لمن حوله من الجنّ والإنس (أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها) . . . الآية .

وقال آخرون : بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان : قالت : والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به طاقة ، وما نصنع

بمكاثرته شيئا ، وبعثت : إنى قادمة عليك بملوك قومى ، حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها ، الذى كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، وكانت إنما يخدمها النساء ، معها ستّ مئة امرأة يخدمنها ؛ ثم قالت لمن خلفت على سلطانها ، احتفظ بما قبلك ، وبسرير ملكى ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك ؛ ثم شخصت إلى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كلّ قيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجنّ ، فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كلّ يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمع مَن عنده من الجنّ والإنس ممن تحت يده ، فقال (يا أَيُّها المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) .

وتأويل الكلام : قال سليمان لأشراف من حضره من جنده من الجنّ والإنس (يا أَيُّها المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها) يعنى سريرها .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها) قال : سرير فى أريكة.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : عرشها سرير فى أريكة . قال ابن جُرَيج : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها) : بسريرها .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أيكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها) قال : مجلسها .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله خصّ سليمان مسألة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها ، فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته ، وخشى أن تسلم فيحرُم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرُم عليه أخذه بإسلامها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخبر سليمانَ الهدهدُ أنها قد خرجت لتأتيه ، وأخبر بعرشها فأعجبه ، كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحلّ له أموالهم ، فقال للجنّ (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) .

وقال آخرون : بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به ، ويختبر به عقلها ، هل تثبته إذا رأته ، أم تنكره ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أعلم الله سليمان أنها ستأتيه ، فقال :

(أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) حتى يعاتبها ، وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقال بعضهم : معناه : قبل أن يأتونى مستسلمين طوعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول : طائعين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قبل أن يأتونى مسلمين الإسلام الذى هو دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بحرمة الإسلام فيمنعهم وأموالهم ، يعنى الإسلام يمنعهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى السبب الذى من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ، ليجعل ذلك حجة عليها فى نبوّته ، ويعرّفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه ، أنها خلّفته فى بيت فى جوف أبيات ، بعضها فى جوف بعض ، مغلق مقفل عليها ، فأخرجه الله من ذلك كله ، بغير فتح أغلاق وأقفال ، حتى أوصله إلى وليه من خلقه ، وسلمه إليه ، فكان لها فى ذلك أعظم حجة ، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان ، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوّته .

فأما الذى هو أولى التأويلين فى قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بتأويله ، فقول ابن عباس الذى ذكرناه قبل ، من أن معناه طائعين ، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة ، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة .

وقوله (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) يقول تعالى ذكره : قال رئيس من الجنّ مارد قوىّ . وللعرب فيه لغتان : عفريت ، وعفرية ؛ فمن قال : عفرية ، جمعه : عفارى ؛ ومن قال : عفريت ، جمعه : عفاريت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) قال : مارد من الجنّ (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن بعض أصحابه (قَالَ عِفْرِيتٌ) قال : داهية .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائى قال : العفريت الذى ذكره الله : اسمه كوزن .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، (قَالَ عِفْرِيتٌ) اسمه كوزن.

وقوله (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا. وكان فيما ذُكر قاعدا للقضاء بين الناس، فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذى جلست فيه للحكم بين الناس. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبوسفيان، عن معمر، عن قتادة وغيره، مثله. قال: وكان يقضى، قال: قبل أن تقوم من مجلسك الذى تقضى فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) يعنى مجلسه.

وقوله (وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) على ما فيه من الجواهر، ولا أخون فيه.

وقد قيل: أمين على فرج المرأة.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبوصالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) يقول: قوىّ على حمله، أمين على فرج هذه.

قوله (قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) يقول جل ثناؤه: قال الذى عنده علم من كتاب الله وكان رجلا فيما ذكر من بنى آدم، فقال بعضهم: اسمه بليخا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبوعثمة، قال: ثنا شعبة، عن بشر، عن قتادة، فى قوله (قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) قال: كان اسمه بليخا.

حدثنا يحيى بن داود الواسطى، قال: ثنا أبوأسامة، عن إسماعيل، عن أبى صالح، فى قوله (الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) رجل من الإنس.

حدثنا ابن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية الفزارىّ، عن العلاء بن عبد الكريم، عن مجاهد، فى قول الله (قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ) قال: أنا أنظر فى كتاب ربى، ثم آتيك به (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض حتى خرج إليهم.

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثني حماد بن محمد ، عن عثمان بن مطر ، عن الزهريّ ، قال : دعا الذى عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كلّ شيء إلها واحدا ، لاإله إلا أنت ، ائتنى بعرشها ، قال : فمثل بين يديه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ) قال : رجل من بنى آدم أحسبه قال : من بنى إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الذى إذا دعى به أجاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ) قال : الاسم الذى إذا دعى به أجاب ، وهو : يا ذا الجلال والإكرام .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قال سليمان لمن حوله (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقال عفريت (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ، فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب ، يعنى اسم الله الذى إذا دعى به أجاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) لآتيك بغيره ، أقول غيره أمثله لك . قال : وخرج يومئذ رجل عابد فى جزيرة من البحر ، فلما سمع العفريت (قَالَ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : ثم دعا باسم من أسماء الله ، فإذا هو يحمل بين عينيه . وقرأ (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) . . . حتى بلغ (إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال رجل من الإنس . قال : وقال مجاهد : الذى عنده علم من الكتاب : علم اسم الله .

وقال آخرون : الذى عنده علم من الكتاب ، كان آصف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالَ عِفْرِيتٌ) لسليمان (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) فزعموا أن سليمان بن داود قال : أبتغى أعجل من هذا ، فقال آصف بن برخيا ، وكان صدّيقا يعلم الاسم الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : (أنا) يا نبيّ الله (آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)

وقوله (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدّ البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى إبراهيم ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن سعيد بن

جُبَيْر (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى ، فذلك قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، قال : قال غيرقتادة (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) تمدّ عينيك فلا ينتهى طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك ، قال : ذلك أريد .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : أخبرت أنه قال : ارفع طرفك من حيث يجىء فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن مجاهد ، فى قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : مدّ بصره .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يردّ الطرف خاسئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يحسر الطرف .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره ، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر ، إذا فتحت العين غير راجع ، بل إنما يمتدّ ماضيا إلى أن يتناهى ما امتدّ نوره . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) لم يكن لنا أن نقول : أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعا (إِلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منتهاه .

وقوله (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) يقول : فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرّا عنده . وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ماظهر عما ترك ، وهو : فدعا الله ، فأتى به ؛ فلما رآه سليمان مستقرّا عنده . وذُكر أن العالم دعا الله ، فغار العرش فى المكان الذى كان به ، ثم نبع من تحت الأرض بين يدى سليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : ذكروا أن آصف بن برخيا توضأ ، ثم ركع ركعتين ، ثم قال : يانبىّ الله ، امدد عينك حتى ينتهى طرفك ،

فمدّ سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن ، ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذى هو فيه ، ثم نبع بين يدى سليمان (فَلَمَّا رَآهُ) سليمان (مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : نبع عرشها من تحت الأرض .

وقوله (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) يقول : هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذى أنا فيه حتى حمل إلىّ عرش هذه فى قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام ، من فضل ربى الذى أفضله علىّ وعطائه الذى جاد به علىّ ، ليبلونى ، يقول : ليختبرنى ويمتحننى ، أأشكر ذلك من فعله علىّ ، أم أكفر نعمته علىّ بترك الشكر له .

وقد قيل : إن معناه : أأشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به ، أم أكفر إذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ) على السرير إذ أتيت به (أَمْ أَكْفُرُ) إذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى ؟ .

وقوله (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن شكر نعمة الله عليه ، وفضله عليه ، فإنما يشكر طلب نفع نفسه ، لأنه ليس بنفع بذلك غير نفسه ، لأنه لاحاجة لله إلى أحد من خلقه ، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع ، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه ، ولا دفع ضرّ عنها ، (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) يقول : ومن كفر نعمه وإحسانه إليه ، وفضله عليه لنفسه ظلم وحظّها بخس ، والله غنىّ عن شكره ، لاحاجة به إليه ، لايضرّه كفر من كفر به من خلقه كريم ، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه ، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : قال سليمان لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ ، وقدمت هى عليه لجنده : غيّروا لهذه المرأة سريرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : غيروا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فلما أتته (قالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : وتنكير العرش ، أنه زيد فيه ونقص .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : غيِّروه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَكِّرُوا لَها عَرْشَهَا) قال : مجلسها الذى تجلس فيه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أمرهم أن يزيدوا فيه ، وينقصوا منه .

وقوله (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) يقول : ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذى لها (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) يقول : من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها .

وقيل : إن سليمان إنما نكَّر لها عرشها ، وأمر بالصرح يعمل لها ، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها ، وأن رجلها كحافر حمار ، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) قال : زيد فى عرشها ونقص منه ، لينظر إلى عقلها ، فوُجدت ثابتة العقل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) أتعرفه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) قال : تعرفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) : أى أتعقل ، أم تكون من الذين لا يعقلون ؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفه ، أم لا تعرفه ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾

* يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبأ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: (أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟) قالت وشبهته به: (كَأَنَّهُ هُوَ).

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها، ثم قال (أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) قال: شبهته، وكانت قد تركته خلفها.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان أبى يحدثنا هذا الحديث كله، يعنى حديث سليمان، وهذه المرأة؛ فلما جاءت (قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) شكت.

وقوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان، وقال سليمان: (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) أى هذه المرأة، بالله وبقدرته على مايشاء، (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) لله من قبلها.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) قال: سليمان يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: مثله.

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾

* يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ)، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ) قال: كفرها بقضاء الله غير الوثن [1] أن تهتدى للحق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ

(١) لعل العبارة سقط منها كلمة، وهى «صدها» كما تدل الرواية الآتية بعد.

تَعْبُدُ مِنْ دونِ اللهِ) قال : كفرها بقضاء الله ، صدها أن تهتدى للحق . ولو قيل : معنى ذلك : وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله ، بمعنى : منعها وحال بينها وبينه ، كان وجها حسنا . ولو قيل أيضا : وصدّها الله ذلك بتوفيقها للإسلام ، كان أيضا وجها صحيحا .

وقوله (إنّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ) يقول : إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين : وكسرت الألف من قوله « إنها » على الابتداء . ومن تأول قوله (وَصَدَّها ماكانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ) التأويل الذى تأولنا ، كانت « ما » من قوله (ماكانَتْ تَعْبُدُ) فى موضع رفع بالصد ، لأن المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها ، وأنها لاتعقل ، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكان ذلك من دين قومها وآبائها ، فاتبعت فيه آثارهم . ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت « ما » فى موضع نصب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

ذُكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريده ، أمر الشياطين فبنواله صرحا ، وهو كهيئة السطح من قوارير ، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك ، وفهمها على نحو الذى كانت تفعل هى من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبة بذلك كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : أمر سليمان بالصرح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ، ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس ، ثم قال : (ادْخُلِي الصَّرْحَ) ليريها مُلكا هوأعزّ من مُلكها ، وسلطانا هوأعظم من سلطانها (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها) لاتشكّ أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ادخلى إنه صرح ممرّد من قوارير ؛ فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله ، وعلبها فى عبادتها الشمس دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت وسجد معه الناس ، وسقط فى يديها حين أت سليمان صنع ماصنع ؛ فلما رفع سليمان رأسه قال : ويحك ماذا قلت ؟ قال : وأُنْسِيت ماقالت ، فقالت (رَبِّ إنّى ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ للهِ رَبِّ العالَمِينَ) وأسلمت ، فحسُن إسلامها .

وقيل : إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله ، لأن الجنّ خافت من سليمان أن يتزوّجها ، فأرادوا أن يزهدوه فيها ، فقالوا : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجنّ ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجنّ من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : قالت الجنّ لسليمان تزهّده فى بلقيس : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجنّ ، فأمر سليمان بالصرح ، فعمل نسجن فيه دواب البحر : الحيتان ، والضفادع ؛ فلما بصرت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به إلا الغرق ؟ (فَحَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) قال : فإذا أحسن الناس ساقا وقدما ، قال : فضنّ سليمان بساقها عن الموسى ، قال : فاتخذت النورة بذلك السبب .

وجائز عندى أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين الذى قاله وهب ، والذى قاله محمد بن كعب القرظىّ ، ليختبر عقلها ، وينظر إلى ساقها وقدمها ، ليعرف صحة ماقيل له فيها .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى الصرح ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصَّرْحَ) قال : بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها . قال : وكانت بلقيس هلباء شعراء قدمها كحافر الحمار ، وكانت أمها جنية .

حدثنى أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كانَ أحَدُ أبَوَىْ صَاحِبَةِ سَبَإٍ جِنِّيًّا » .

قال : ثنا صفوان بن صالح ، قال : ثنى الوليد ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن بشير بن نهيك ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر النضر بن أنس .

وقوله (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) يقول : فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقيها لتخوضه إلى سليمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : وكان من قوارير ، وكان الماء من خلفه فحسبته لجة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : بحرا .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا ابن سوار ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، فى قوله (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) فإذا هما شعراوان ، فقال : ألا شىء يذهب هذا ؟ قالوا : الموسى ، قال : لا ، الموسى له أثر ، فأمر بالنورة فصنعت .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن عكرمة وأبى صالح قالا :

لما تزوّج سليمان بلقيس قالت له : لم تمسني حديدة قطّ ، قال سليمان للشياطين : انظروا مايُذهب الشعر ؟ قالوا : النورة ، فكان أوّل من صنع النورة .

وقوله (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) يقول جلّ ثناؤه : قال سليمان لها : إن هذا ليس ببحر ، إنه صرح ممرّد من قوارير ، يقول : إنما هو بناء مبنيّ مشيد من قوارير ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، (مُمَرَّدٌ) قال : مشيد .

وقوله (قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره قالت المرأة صاحبة سبأ : ربّ إنى ظلمت نفسى فى عبادتى الشمس ، وسجودى لما دونك (وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلهِ) تقول : وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد ، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كلّ من سواه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابن زيد فى (حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) فعرفت أنها قد غلبت (قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلَى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ) وحده لاشريك له ، ولا تجعلوا معه إلها غيره (فإِذَا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ) يقول : فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون ، ففريق مصدّق صالحا مؤمن به ، وفريق مكذّب به كافر بما جاء به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمدبن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ) قال : مؤمن وكافر ، قولهم صالح مرسل ، وقولهم صالح ليس بمُرسل . ويعنى بقوله (يَخْتَصِمُونَ) يختلفون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَإِذَا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ) قال : مؤمن ، وكافر .

وقوله (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه : ياقوم لأىّ شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قال : السيئة : العذاب ، قبل الحسنة : قبل الرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ) قال بالعذاب قبل الحسنة ، قال : العافية .

وقوله (لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : هلا تتوبون إلى الله من كفركم ، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم ، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لرسولها صالح (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أى تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا ، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب ، فأجابهم صالح فقال لهم (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أى ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه ، لايدرى أىّ ذلك كائن ، أما تظنون من المصائب أو المكاره ، أم ما لاترجونه من العافية والرجاء والمحاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) يقول : مصائبكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) علمكم عند الله .

وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) يقول : بل أنتم قوم تختبرون ، يختبركم ربكم إذ أرسلنى إليكم ، أتطيعونه ، فتعملون بما أمركم به ، فيجزيكم الجزيل من ثوابه ، أم تعصونه ، فتعملون بخلافه ، فيحلّ بكم عقابه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

* يقول تعالى ذكره : وكان فى مدينة صالح ، وهى حجر ثمود ، تسعة أنفس يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وكان إفسادهم فى الأرض : كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، وإنما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون ، وإن كان أهل الكفر كلهم فى الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا فى عقر الناقة ، وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تِسْعَةُ رَهْطٍ) قال : من قوم صالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) هم الذين عقروا الناقة ، وقالوا حين عقروها : نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ماشهدنا من هذا شيئا ، ومالنا به علم ، فدمرهم الله أجمعين .

وقوله (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى أرض حجر ثمود ، ولا يصلحون ، تقاسموا بالله : تحالفوا بالله أيها القوم ، ليحلف بعضكم لبعض : لنبيتن صالحا وأهله ، فلنقتلنه ، ثم لنقولن لوليه : ما شهدنا مهلك أهله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) قال : تحالفوا على إهلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

ويتوجه قوله (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) إلى وجهين : أحدهما النصب على وجه الخبر ، كأنه قيل : قالوا متقاسمين . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَلَا يُصْلِحُونَ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) وليس فيها قالوا ، فذلك من قراءته يدل على وجه النصب فى تقاسموا على ما وصفت . والوجه الآخر : الجزم ، كأنهم قال بعضهم لبعض : اقسموا بالله ، فعلى هذا الوجه الثانى تصلح قراءة (لَتُبَيِّتُنَّهُ) بالياء والنون ، لأن القائل لهم تقاسموا ، وإن كان هو الآمر فهو فيمن أقسم ، كما يقال فى الكلام : انهضوا بنا نمض إلى فلان ، وانهضوا نمضى إليه . وعلى الوجه الأول الذى هو وجه النصب القراءة فيه بالنون أفصح ، لأن معناه : قالوا متقاسمين لنبيتنه ، وقد

تجوز الياء على هذا الوجه كما يقال فى الكلام : قالوا لنكرمنّ أباك ، وليكرمنّ أباك ، وبالنون قرأ ذلك قرّاء المدينة ، وعامة قرّاء البصرة وبعض الكوفيين . وأما الأغلب على قرّاء أهل الكوفة ، فقراءته بالياء ، وضمّ التاء جميعا . وأما بعض المكيين ، فقرأه بالياء .

وأعجب القراءات فى ذلك إلىّ النون ، لأن ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بيّنت من النصب والجزم وإن كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت وأكرهها إلىّ القراءة بها الياء ، لقلة قارئ ذلك كذلك . وقوله (لَنُبَيِّتَنَّهُ) قال : ليبيّتنّ صالحا ثم يفتكوا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلمّ فلنقتل صالحا ، فإن كان صادقا يعنى فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث عجلناه قبله ، وإن كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح ، فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة . وقوله (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) نقول لوليه : وإنا لصادقون ، أنا ما شهدنا مهلك أهله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله ، وصالح لايشعر بذلك (وَمَكَرْنَا مَكْرًا) يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيلنا العذاب لهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمكرنا .

وقد بيّنا فيما مضى معنى : مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرّة ، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غرّة وغفلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن رجل ، عن علىّ ، قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا) قال : احتالوا لأمرهم ، واحتال الله لهم ، مكروا بصالح مكرا ، ومكرنا بهم مكرا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمكرنا وشعرنا بمكرهم ، قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك ، وكان له مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه ، فخرجوا إلى كهف وقالوا : إذا جاء يصلى قتلناه ،

ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، ففرغنا منهم ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَاشَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم ، فخشوا أن تشدخهم ، فبادروا الغار ، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار ، فلا يدرى قومهم أين هم ؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم ؟ فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هنا ، وأنجى الله صالحا ومن معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا) قال : فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم .

وقوله (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فانظر يامحمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح ، كيف كانت ؟ وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم ؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا ، وطغى علينا من سائر الخلق ، فحذر قومك من قريش ، أن ينالهم بتكذيبهم إياك ، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات .

وقوله (إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين ، فلم نبق منهم أحدا .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (إِنَّا) فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ) بفتح الألف . وإذا فتحت كان فى (أنا) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الإتباع لها ، والآخر النصب على الرد على موضع كيف ، لأنها فى موضع نصب إن شئت ، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ؟ كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم .

قال أبوجعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ، ليس فيها منهم أحد ، قد أهلكهم الله فأبادهم (بما ظلموا) : يقول تعالى ذكره : بظلمهم أنفسهم ، بشركهم بالله ، وتكذيبهم رسولهم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعلنا بثمود ماقصصنا عليك يامحمد من القصة ، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم مافعلنا ، من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند

ربك وعبرة (وأنجينا الذين آمنوا) يقول: وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذى أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به (وكانوا يتقون) يقول : وكانوا يتقون بإيمانهم ، وبتصديقهم صالحا الذى حلّ بقومهم من ثمود ما حلّ بهم من عذاب الله ، فكذلك ننجيك يامحمد وأتباعك ، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركى قومك من بين أظهرهم .

وذكر أن صالحا لما أحلّ الله بقومه ما أحلّ ، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام ، فنزل رملة فلسطين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا لوطا إلى قومه ، إذ قال لهم : ياقوم (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أنها فاحشة ، لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد . وقوله (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) منكم بذلك من دون فروج النساء التى أباحها الله لكم بالنكاح . وقوله (بل أنتم قوم تجهلون) يقول : ماذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حقّ الله عليكم ، فخالفتم لذلك أمره ، وعصيتم رسوله .

تمّ الجزء التاسعَ عَشَرَ من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري،
ويليه الجزء العشرون
أوله : القول في تأويل قوله تعالى (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) . . . الخ

جَامِعُ البَيَان

عَن

تَأْوِيلِ آيِ القُرْآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء العشرون

دار الفكر

تأليف

١٢٨٠

فهارس الجزء العشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١ — فهرس الآيات

تفسير سورة العنكبوت

٢ ـ فهرس الموضوعات

٣ ــ فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

* ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾

يقول تعالى ذكره: فلم يكن لقوم لوط جواب له، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) عما نفعله نحن من إتيان الذكران فى أدبارهم.

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: سمعت الحسن بن عُمارة يذكر عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، فى قوله (أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال: من إتيان الرجال والنساء فى أدبارهن.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال: من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال (يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال والنساء، استهزاء بهم يقولون ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة أنه تلا (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال: عابوهم بغير عيب: أى إنهم يتطهرون من أعمال السوء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾

يقول تعالى ذكره: فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم، ثم (قَدَّرْنَاهَا) يقول

فإن امرأته قدرناها : جعلناها بتقديرنا (مِنَ الغابِرِينَ) من الباقين (وأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل (فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ) يقول: فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه ، وخوّفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٥٩

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُل) يامحمد (الحَمْدُ لِلهِ) على نعمه علينا ، وتوفيقه إيانا لما وفّقنا من الهداية (وَسَلامٌ) يقول: وأمنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط ، وقوم صالح ، على الذين اصطفاهم ، يقول : الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدّين الذى بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به ، الجاحدين نبوّة نبيه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق ، يعنى ابن غنام ، عن ابن ظهير ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس (وَسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : قلت لعبد الله بن المبارك : أرأيت قول الله (قُلِ الحَمْدُ لِلهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) من هؤلاء ، فحدثنى عن سفيان الثورى ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (آللهُ خَيْرٌ أمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره: قل يامحمد لهؤلاء الذين زيّنّا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون : آلله الذى أنعم على أوليائه هذه النّعم التى قصّها عليكم فى هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير، أما تشركون من أوثانكم التى لاتنفعكم ولا تضرّكم ، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءا ، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا ، يقول : إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ، ولا دفع ضرّ عنكم فى عبادة من بيده النفع والضرّ ، وله كلّ شىء . ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم ، وأياديه عندهم، وتعريفهم بقلة شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك ، فقال(أمَّنْ خَلَقَ السَّمَواتِ والأرْضَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ ٦٠

* يقول تعالى ذكره للمشركين به من قُرَيش : أعبادة ماتعبدون من أوثانكم التى لاتضرّ ولا تنفع خير ،

أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ (وأنزَلَ لكُمْ مِنَ السَّماءِ ماء) يعنى مطرا ، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التى فجَّرها فى الأرض ، لأن كل ذلك من خلقه (فأنْبَتْنا بِهِ) يعنى بالماء الذى أنزل من السماء (حَدَائِقَ) وهى جمع حديقة ، والحديقة : البستان عليه حائط محوّط ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة . وقوله (ذَاتَ بَهْجَةٍ) يقول : ذات منظر حسن . وقيل ذات بالتوحيد . وقد قيل حدائق ، كما قال (وَلِلهِ الأسماءُ الحُسْنَى) ، وقد بيَّنت ذلك فيما مضى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) قال : البهجة : الفقاح مما يأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) قال : من كل شىء تأكله الناس والأنعام .

وقوله (ماكانَ لكُمْ أنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها) يقول تعالى ذكره : أنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق إذلم يكن لكم ، لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك ، لأنه لايصلح ذلك إلا بالماء . وقوله (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ) يقول تعالى ذكره : أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك ، وأنزل من السماء الماء ، فأنبت به لكم الحدائق ، فقوله : أءله مردود على تأويل : أمع الله إله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : بل هؤلاء المشركون قوم ضلال ، يعدلون عن الحقّ ، ويجورون عليه ، على عمد منهم لذلك ، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم ، بأن من لايقدر على نفع ولا ضرّ ، خير ممن خلق السموات والأرض ، وفعل هذه الأفعال ، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة ، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : أعبادة ماتشركون أيها الناس بربكم خير وهو لايضرّ ولا ينفع ، أم الذى جعل الأرض لكم قرارا تستقرّون عليها لاتميد بكم (وَجَعَلَ) لكم (خِلالَها أنهارًا) يقول : بينها أنهارا (وجعلَ لَها رَوَاسِيَ) وهى ثوابت الجبال ، (وَجَعَلَ بينَ البَحْرَيْنِ حاجِزًا) بين العذب والملح ، أن يفسد أحدهما صاحبه (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ) سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه فى عبادتكم إياه ؟ وقوله (بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون قدر عظمة الله ، وما عليهم من الضرّ

فى إشراكهم فى عبادة الله غيره ، وما لهم من النفع فى إفرادهم الله بالألوهة ، وإخلاصهم له العبادة ، وبراءتهم من كلّ معبود سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : أم ماتُشركون بالله خير ، أم الذى يجيب المضطرّ إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) قال : الضرّ .

وقوله (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأرْضِ) يقول : ويستخلف بعد أمرائكم فى الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم . وقوله (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ) يقول : أءِلَهٌ مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم عليكم هذه النعم ؟ وقوله (قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ) يقول : تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا ، فلذلك أشركتم بالله غيره فى عبادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذى يهديكم فى ظلمات البرّ والبحر إذا ضللتم فيهما الطريق ، فأظلمت عليكم السبل فيهما .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (أمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحْرِ) والظلمات فى البر ، ضلاله الطريق ، والبحر ، ضلاله طريقه وموجه وما يكون فيه . قوله (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ نُشْرًا بينَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) يقول : والذى يرسل الرياح نشرا لموتان الأرض بين يدى رحمته[1] ، يعنى : قدام الغيث الذى يحيى موات الأرض . وقوله (أءِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : أءله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبدوه من دونه ، أوتشركوه فى عبادتكم إياه (تَعالى اللهُ) يقول : لله العلوّ والرفعة عن شرككم الذى تشركون به ، وعبادتكم معه ما تعبدون .

---

(١) (فى اللسان : نشر) . وقوله تعالى : وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته (نشرا بضم النون والشين) وقرئ نشرا ونشرا . بضم النون وفتحها وسكون الشين . والقراءة المشهورة بشرا ، بضم وسكون .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره: أم ماتشركون أيها القوم خير، أم الذى يبدأ الخلق ثم يعيده: فينشئه من غير أصل، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه، والذى يرزقكم من السماء والأرض فينزل من هذه الغيث، وينبت من هذه النبات لأقواتكم، وأقوات أنعامكم (أءِلَٰهٌ مَعَ اللهِ) سوى الله يفعل ذلك؟ وإن زعموا أن إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه فـ(قُلْ) لهم يامحمد (هاتُوا بُرْهانَكُمْ): أى حجتكم على أنّ شيئا سوى الله يفعل ذلك (إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى دعواكم. ومن التى فى «أمَّنْ» وما مبتدأ فى قوله: أما يشركون، والآيات بعدها إلى قوله (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأرْضِ) بمعنى الذى، لا بمعنى الاستفهام، وذلك أن الاستفهام لايدخل على الاستفهام.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هى قائمة (لا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ الْغَيْبَ) الذى قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك (وَما يَشْعُرُونَ) يقول: وما يدرى من فى السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة.

وقد حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبى هند، عن الشعبىّ: عن مسروق، قال: قالت عائشة: من زعم أنه يخبر الناس بما يكون فى غد، فقد أعظم الله على الفرية، والله يقول (لا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللهُ).

واختلف أهل العربية فى وجه رفع الله، فقال بعض البصريين: هو كما تقول إلا قليل منهم. وفى حرف ابن مسعود: قليلا بدلا من الأوّل، لأنك نفيته عنه وجعلته للآخر. وقال بعض الكوفيين: إن شئت أن تتوهم فى من المجهول، فتكون معطوفة على: قل لايعلم أحد الغيب إلا الله. قال: ويجوز أن تكون «من» معرفة، ونزل ما بعد «إلا» عليه، فيكون عطفا ولا يكون بدلا، لأن الأوّل منفى، والثانى مثبت فيكون فى النسق كما تقول: قام زيد إلا عمرو، فيكون الثانى عطفا على الأوّل، والتأويل جحد، ولا يكون

أن يكون الخبر جحدا ، أو الجحد خبرا ، قال : وكذلك (مَا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ) وقليلا من نصب ، فعلى الاستثناء فى عبادتكم إياه ، ومن رفع فعلى العطف ، ولا يكون بدلا .

وقوله (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبى جعفر وعامة قرّاء أهل الكوفة (بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادّارك ، بمعنى : بل تدارك علمهم أى تتابع علمهم بالآخرة هل هى كائنة أم لا ، ثم أدغمت التاء فى الدال كما قيل : (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ) وقد بيّنا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته .

وقرأته عامة قرّاء أهل مكة (بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ (بَلْ أَدْرَكَ) ويقول : إن بل إيجاب والاستفهام فى هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك (بَلْ أَدْرَكَ) لم يكن ذلك لم يدرك علمهم فى الآخرة ، وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذى ذكرت أن أبا عمرو أنكره .

وبنحو الذى ذكرت عن المكيين أنهم قرءوه ذُكر عن مجاهد أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ فى موضع بل : أم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، أنه قرأ (أمْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ) وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه يقرأ بإثبات ياء فى بل ، ثم يبتدى أدّارك بفتح ألفها على وجه الاستفهام وتشديد الدال .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس فى هذه الآية (بَلَى أَدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) : أى لم يدرك .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (بَلَى أَدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) إنما هو استفهام أنه لم يدرك . وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذّبين بالبعث .

※ والصواب من القراءات عندنا فى ذلك القراءتان اللتان ذكرت إحداهما عن قرأة أهل مكة والبصرة ، وهى (بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها ، والأخرى منهما عن قرأة الكوفة ، وهى (بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال من ادّارك ، لأنهما القراءتان المعروفتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا ، فأما القراءة التى ذُكرت عن ابن عباس ، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين ، وذلك أن فى بلى زيادة ياء فى قراءاته ليست فى المصاحف ، وهى مع ذلك قراءة لانعلمها قرأ بها أحد من قرّاء الأمصار . وأما القراءة التى ذكرت عن ابن محيصن ، فإن الذى قال فيها أبو عمرو قول صحيح ، لأن العرب تحقق ببل مابعدها لاتنفيه ، والاستفهام فى هذا الموضع إنكار لاإثبات ، وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة فى شك ، فقال (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه: بل أدرك علمهم فى الآخرة فأيقنوها إذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها ، إذ كانوا بها فى الدنيا مكذّبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ) قال : بصرهم فى الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر .

وقال آخرون : بل معناه : بل غاب علمهم فى الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية،عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) يقول : غاب علمهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) قال : يقول : ضلّ علمهم فى الآخرة فليس لهم فيها علم ، (هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : لم يبلغ لهم فيها علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الوارث بن عبدالصمد ، قال : ثنى أبى ، عن جدى ، قال : ثنا الحسين ، عن قتادة فى قوله (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) قال : كان يقرؤها (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) قال : لم يبلغ لهم فيها علم ، ولا يصل إليها منهم رغبة .

وقال آخرون : معنى ذلك : بل أدْرَكَ : أم أدرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ) قال : أم أدرك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عثمان ، عن مجاهد (بَلْ أدْرَكَ عِلْمُهُمْ) قال : أم أدرك علمهم من أين يدرك علمهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ (بَلْ أدْرَكَ) القول الذى ذكرناه عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك (وَمَا يَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُونَ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك فى الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما فى الدنيا فإنهم منها فى شكّ ، بل هم منها عمون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب على القراءة التى ذُكِرَتْ ، لأن ذلك أظهر معانيه . وإذ كان ذلك معناه كان فى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ماظهر منه عنه . وذلك أن معنى

الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شكٍّ منها . وأما على قراءة من قرأه (بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل : أم ، إذا كان في أوّل الكلام استفهام ، كما قال الشاعر :

فَوَاللهِ ما أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ[1]

يعني بذلك بل كلّ إلى حبيب ، فيكون تأويل الكلام : ومايشعرون أيان يبعثون ، بل تدارك علمهم في الآخرة : يعني تتابع علمهم في الآخرة : أي بعلم الآخرة : أي لم يتتابع بذلك ولم يعلموه ، بل غاب علمهم عنه ، وضلّ فلم يبلغوه ولم يدركوه .

وقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا) يقول : بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدّقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت . (بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) يقول : بل هم من العلم بقيامها عمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال الذين كفروا بالله أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء ، كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا (لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) يقول : لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون وعدوا ذلك آباءنا ، فلم نر لذلك حقيقة ، ولم نتبين له صحة (إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

(١) تغولت : تراءت لي في النوم في صور مختلفة . والشاهد في البيت : أن أم الأولى متصلة ، لأنها معادلة للهمزة ، يقول : لا أدري أهو طيف سلمى عرض لي وتراءى ، أم هو النوم يخلط على صور الأشياء ، وهي أضغاث الأحلام . وأما (أم) الثانية فإنها للإضراب ، بمعنى (بل) يقول : بل كل ذلك حبيب إلى نفسي . يريد ما يتراءى له من طيف الخيال . وما يراه في النوم من الأحلام . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٣٦ من مصورة الجامعة) . وفي (اللسان : درك) : فأما من قرأ : « بل أدارك » ، فإن الفراء قال : معناه لغة : تدارك ، أي تتابع علمهم في الآخرة ؛ يريد بعلم الآخرة : تكون أو لا تكون : ولذلك قال : « بل هم في شك منها ، بل هم منها عمون » قال : وهي في قراءة أبي : « أم تدارك » ؛ والعرب تجعل (بل) مكان (أم) ، و (أم) مكان (بل) إذا كان في أول الكلام استفهام ، مثل قول الشاعر : « فوالله ما أدري . . . البيت » . معنى (أم) : (بل) . وقال أبو معاذ النحوي : ومن قرأ : « بل أدرك » ، ومن قرأ : « بل ادارك » فمعناها واحد . يقول : هم علماء في الآخرة . كقول الله تعالى : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » ونحو ذلك . قال السدي في تفسيره : اجتمع علمهم في الآخرة ، ومعناها عنده : أي علموا في الآخرة أن الذي كانوا يوعدون به حق . وقال الأزهري : والقول في تفسير أدرك وادارك ومعنى الآية : ما قال السدي وذهب إليه أبو معاذ وأبو سعيد . والذي قاله الفراء في معنى تدارك أي تتابع علمهم في الآخرة ، أنها تكون أو لا تكون : ليس بالبين ، إنما المعنى : أنه تتابع علمهم في الآخرة وتوطأ حين حقت القيامة ، وخسروا ، وبان لهم صدق ما وعدوا ، حين لا ينفعهم ذلك العلم . اهـ .

الأوَّلِينَ) يقول: قالوا : ماهذا الوعد إلا ماسطَّر الأوَّلون من الأكاذيب فى كتبهم ، فأثبتوه فيها وتحدَّثوا به من غير أن يكون له صحة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء المكذّبين ماجئتهم به من الأنباء من عند ربك : (سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا) إلى ديار من كان قبلكم من المكذّبين رسلَ الله ومساكنهم كيف هى ، ألم يخرّبها الله ، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردّهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفَّت منهم الرسوم والآثار ، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم ، وذلك سنة ربكم فى كلّ من سلك سبيلهم فى تكذيب رسل ربهم ، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم .

وقوله (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك (وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) يقول : ولا يضق صدرك من مكرهم بك ، فإن الله ناصرك عليهم ، ومهلكهم قتلا بالسيف .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره : ويقول مشركو قومك يامحمد ، المكذّبوك فيما أتيتهم به من عند ربك (مَتَى) يكون (هَذَا الوَعْدُ) الذى تعدُناه من العذاب ، الذى هو بنا فيما تقول حالّ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما تعدوننا به (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) يقول جلّ جلاله : قل لهم يامحمد : عسى أن يكون اقترب لكم ودنا (بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) من عذاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) يقول : اقترب لكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) يقول: اقترب لكم بعض الذى تستعجلون.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) قال: ردف: أعجل لكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) قال: أزف.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (رَدِفَ لَكُمْ) اقترب لكم.

واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله (رَدِفَ لَكُمْ) وكلام العرب المعروف: ردفه أمرٌ، وأردفه كما يقال: تبعه وأتبعه، فقال بعض نحويى البصرة: أدخل اللام فى ذلك، فأضاف بها الفعل كما يقال (لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ - و- لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ). وقال بعض نحويى الكوفة: أدخل اللام فى ذلك للمعنى، لأن معناه: دنا لهم، كما قال الشاعر:

* فَقُلْتُ لَهَا الحَاجَاتُ يَطْرَحْنَ بِالفَتَى[1] *

فأدخل الباء فى يطرحن، وإنما يقال طرحته، لأن معنى الطرح: الرمى، فأدخل الباء للمعنى، إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى، وهذا القول الثانى هو أولاهما عندى بالصواب، وقد مضى البيان عن نظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن تكراره فى هذا الموضع.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (تَسْتَعْجِلُونَ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) قال: من العذاب.

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾

---

(١) هذا صدر بيت من شواهد الفراء فى (معانى القرآن ص ٢٣٦ من مصورة جامعة القاهرة) وعجزه: * وهم تعنانى معنى ركائبه * وهو فى (اللسان: عنا) وفى روايته «تعناه» فى موضع تعنانى. قال: وعانى الشىء: قاساه. يقال: عاناه وتعناه، وتعنى هو. وقال: «فقلت.. الخ». والبيت شاهد على أن الباء فى بالفتى زائدة. مثلها فى قوله تعالى: «ردف لكم».

* يقول تعالى ذكره (وَإِنَّ رَبَّكَ) يامحمد (لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه، وكفرهم به، وذو إحسان إليهم فى ذلك وفى غيره من نعمه عندهم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) على ذلك من إحسانه وفضله عليهم، فيخلصوا له العبادة، ولكنهم يشركون معه فى العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان. وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) يقول: وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفى أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شىء من ذلك، وهو محصيها عليهم حتى يجازى جميعهم بالإحسان إحسانا وبالإساءة جزاءها.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنى الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) قال: السر.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

* يقول تعالى ذكره: (وَمَا مِنْ) مكتوم سر وخفى أمر يغيب عن أبصار الناظرين (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) وهو أم الكتاب الذى أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه إلى يوم القيامة. ويعنى بقوله (مُبِينٍ) أنه يبين لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) يقول: ما من شىء فى السماء والأرض سر ولا علانية إلا يعلمه.

وقوله (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذى أنزلته إليك يامحمد يقص على بنى إسرائيل الحق فى أكثر الأشياء التى اختلفوا فيها، وذلك كالذى اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ماقالت، وقالت النصارى فيه ماقالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التى اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لهدى، يقول: لبيان من الله، بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول: ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) يقول: إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل منهم ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) يقول: وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم، لايقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى.

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ففوض إلى الله يامحمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) لمن تأمله، وفكر مافيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق، دون ماعليه اليهود والنصارى المختلفون من بني إسرائيل، ودون ماعليه أهل الأوثان المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق، يقول: فلا يحزنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وامض لأمر ربك الذي بعثك به.

وقوله (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) يقول: إنك يامحمد لاتقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته، لأن الله قد ختم عليه أن لايفهمه (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ) يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه، لايسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم، ولايصغون للحق، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

اختلف القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وما أنْتَ بِهادِى) بالياء والألف وإضافته إلى العمى بمعنى : لست يامحمد بهادى من عمى عن الحقّ (عَنْ ضَلالَتِهِ) وقراءة عامة قرّاء الكوفة (وَمَا أنْتَ تَهْدِى العُمْىَ) بالتاء ونصب العمى ، بمعنى : ولست تهديهم (عَنْ ضَلالَتِهِمْ) ولكن الله يهديهم إن شاء .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام ماوصفت (وَمَاأنتَ) يامحمد (بِهادِى) من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التى هو فيها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد . وقوله (إنْ تُسْمِعُ إلاّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا) يقول : ماتقدر أن تُفهم الحقّ وتوعيه أحدا إلا سمع من يصدّق بآياتنا يعنى بأدلته وحججه وآى تنزيله (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) فإن أولئك يسمعون منك ماتقول ويتدبرونه ، ويفكرون فيه ، ويعملون به ، فهم الذين يسمعون .

ذكر من قال مثل الذى قلنا فى قوله تعالى (وَقَعَ)[1]

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) قال : حقّ عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) يقول : إذا وجب القول عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) قال : حقّ العذاب .

قال ابن جُرَيج : القول : العذاب .

ذكر من قال قولنا فى معنى القول

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) والقول : الغضب .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن حفصة ، قالت : سألت أبا العالية ، عن قوله (وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) فقال : أوحى الله إلى نوح (إنَّهُ لَنْ يُؤْمِنُ مِنَ قَوْمِكَ إلاّ مَنْ قَدْ آمَنَ) قالت : فكأنما كان على وجهى غطاء فكشف .

وقال جماعة من أهل العلم : خروج هذه الدابة التى ذكرها حين لايأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية العوفى ، عن

---

(١) سقط كلام المؤلف فى تأويل الآية رقم ٨٢ ، ويدل عليه إيراد كلام أهل التأويل فيه .

ابن عمر فى قوله (وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ) قال : هو حين لايأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن الحسن أبوالحسن ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ) قال : ذاك إذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : حين لايأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر .

حدثنى محمد بن عمرو المقدسى ، قال : ثنا أشعث بن عبد الله السجستانى ، قال : ثنا شعبة ، عن عطية ، فى قوله (وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : إذا لم يعرفوا معروفا ، ولم ينكروا منكرا .

وذُكر أن الأرض التى تخرج منها الدابة مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنى الأشجعى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : تخرج الدابة من صَدع فى الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن الفرات القزاز ، عن عامر ابن واثلة أبى الطفيل ، عن حُذيفة بن أسيد الغفارى ، قال : إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون والله لقد رأينا الدابة حتى يبلغ ذلك الإمام ، فيطلب فلا يقدر على شىء ، قال : ثم تخرج فيراها الناس ، فيقولون : والله لقد رأيناها فيبلغ ذلك الإمام فيطلب فلا يرى شيئا ، فيقول : أما إنى إذا حدث الذى يذكرها قال : حتى يعدّ فيها القتل ، قال : فتخرج ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجىء إليهم فتقول : الآن تصلون ، فتخطم الكافر ، وتمسح على جبين المسلم غرّة ، قال : فيعيش الناس زمانا يقول هذا يامؤمن ، وهذا ياكافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عثمان بن مطر ، عن واصل مولى أبى عيينة ، عن أبى الطفيل عن حُذيفة ، وأبى سفيان ، ثنا عن معمر ، عن قيس بن سعد ، عن أبى الطفيل ، عن حُذيفة بن أسيد ، فى قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : للدابة ثلاث خرجات : خرجة فى بعض البوادى ثم تكمن ، وخرجة فى بعض القُرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء ، ثم تكمن ، فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها ، إذ ارتفعت بهم الأرض ، فانطلق الناس هرابا ، وتبقى طائفة من المؤمنين ، ويقولون : إنه لاينجينا من الله شىء ، فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرّىّ ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، وتأتى الرجل يصلى ، فيقول : والله ماكنت من أهل الصلاة

فيلتفت إليها فتخطمه ، قال : تجلو وجه المؤمن ، وتخطم الكافر ، قلنا : فما للناس يومئذ ؟ قال : جيران فى الرباع ، وشركاء فى الأموال ، وأصحاب فى الأسفار .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيلمانى ، عن ابن عمر : يبيت الناس يسيرون إلى جمع ، وتبيت دابة الأرض تسايرهم ، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا مسحته ، ولا من كافر ولا منافق إلا تخبطه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الخيبرى ، عن حيان بن عمير ، عن حسان بن حمصة ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لو شئت لانتعلت بنعلىّ هاتين ، فلم أمسّ الأرض قاعدا حتى أقف على الأحجار التى تخرج الدابة من بينها ، ولكأنى بها قد خرجت فى عقب ركب من الحاجّ ، قال فما حججت قطّ إلا خفت تخرج بعقبنا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : رأيت عبد الله بن عمرو ، وكان منزله قريبا من الصفا ، رفع قدمه وهو قائم ، وقال : لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذى تخرج منه الدابة .

حدثنا عصام بن روّاد بن الجراح ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثورىّ ، قال : ثنا منصور ابن المعتمر ، عن ربعى بن حراش ، قال : سمعت حُذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول : وذكر الدابة ، فقال حُذيفة : قلت يارسول الله ، من أين تخرج ؟ قال : مِنْ أعْظَمِ المَساجِدِ حُرْمَةً عَلَى اللهِ ، بَيْنَما عِيسَى يَطُوفُ بالبَيْتِ وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ ، إذْ تَضْطَرِبُ الأرْضُ تَحْتَهُمْ ، تُحَرِّكُ القِنْدِيلِ ، وَيَنْشَقَ الصَّفا مِمَّا يَلِى المَسْعَى ، وتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا أوّلُ ما يَبْدُو رأسُها مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرِيشٍ ، لَمْ يُدْرِكْها طالِبٌ ، وَلَنْ يَفُوتَها هارِبٌ ، تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِنٌ وكافِرٌ ، أمَّا المُؤْمِنُ فَتَتْرُكُ وَجْهَهُ كأنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ، وتَكْتُبُ بينَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ ، وأمَّا الكافِرُ فَتَنْكُتُ بينَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ كافِرٌ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الحسين ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد بن جدعان ، عن أوس بن خالد ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَها خاتَمُ سُلَيْمانَ وَعَصَا مُوسَى ، فَتَجْلُو وَجْهَ المُؤْمِنِ بالعَصَا ، وتَخْتِمُ أنْفَ الكافِرِ بالخاتَمِ ، حتى إنَّ أهْلَ البَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَذَا يا مُؤْمِنُ ، وَيَقُولُ هَذَا يا كافِرُ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هى دابة ذات زغب وريش ، ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة ، قال : قال عبد الله بن عمر : إنها تنكت فى وجه الكافر نكتة سوداء ، فتفشو فى وجهه ، فيسودّ وجهه ، وتنكت فى وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو فى وجهه ، حتى

يبيضّ وجهه ، فيجلس أهل البيت على المائدة ، فيعرفون المؤمن من الكافر ، ويتبايعون فى الأسواق ، فيعرفون المؤمن من الكافر .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال: ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب ، قالا : ثنا ابن الهاد ، عن عمر بن الحكم ، أنه سمع عبدالله بن عمرو يقول : تخرج الدابة من شعب ، فيمسّ رأسها السحاب ، ورجلاها فى الأرض ماخرجتا ، فتمرّ بالإنسان يصلى ، فتقول : ماالصلاة من حاجتك فتخطمه

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، قال : ثنا يزيد بن عياض ، عن محمد بن إسحاق ، أنه بلغه عن عبدالله بن عمرو ، قال : تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى ، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان ، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيضّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تُكَلِّمُهُمْ)فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (تُكَلِّمُهُمْ) بضمّ التاء وتشديد اللام ، بمعنى تخبرهم وتحدثهم ، وقرأه أبو زرعة بن عمرو (تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى : تسمهم .

والقراءة التى لاأستجيز غيرها فى ذلك ماعليه قرّاء الأمصار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : تحدثهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) وهى فى بعض القراءة تحدثهم تقول لهم (إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ)

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، فى قوله (تُكَلِّمُهُمْ) قال : كلامها تنبئهم (أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ) .

وقوله (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بآيَاتِنا لايُوقِنُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة والشام (إِنَّ النَّاسَ) بكسر الألف من « إن » على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا بآيات الله لايوقنون وهى وإن كسرت فى قراءة هؤلاء فان الكلام لها متناول ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض أهل البصرة (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا) بفتح أن بمعنى : تكلمهم بأن الناس ، فيكون حينئذ نصب بوقوع الكلام عليها .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان فى قراءة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع من كلّ قرن وملة فوجا ، يعنى جماعة منهم ، وزمرة (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا) يقول : ممن يكذّب بأدلتنا وحججنا ، فهو يحبس أوّلهم على آخرهم ، ليجتمع جميعهم ، ثم يساقون إلى النار.

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ) يعنى : الشيعة عند الحشر :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) قال : زمرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) قال : زمرة زمرة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يقول : فهم يدفعون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يحبس أوّلهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : وزعة تردّ أولاهم على أخراهم .

وقد بيَّنت معنى قوله (يُوزَعُونَ) فيما مضى قبل بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (حَتَّى إِذَا جاءُوا قالَ أَكَذَّبْتُمْ بآياتِى) يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء من كلّ أمة فوج ممن يكذّب بآياتنا فاجتمعوا قال الله : (أكذّبتم بآياتى) : أى بحججى وأدلتى (وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْمًا) يقول ولم تعرفوها حقّ معرفتها ؟ (أَمْ ماذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيها من تكذيب أو تصديق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾

❊ يقول تعالى ذكره: ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته (بِمَا ظَلَمُوا) يعنى بتكذيبهم بآيات الله، يوم يحشرون (فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) يقول: فهم لاينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ماحلّ بهم ووقع عليهم من القول. وقوله (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذّبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه، ويهدءون راحة أبدانهم من تعب التصرّف والتقلب نهارا، وهذا مضيئا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم، فيتفكروا فى ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرّف ذلك كذلك هو الإله الذى لايعجزه شىء، ولا يتعذّر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذّر عليه الذهاب بالنهار والمجىء بالليل، والمجىء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره: إن فى تصييرنا الليل سكنا، والنهار مبصرا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾

❊ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى، وبيّنا الصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم يذكر هنالك من الأخبار، فقال بعضهم: هو قرن يُنفخ فيه.

ذكر بعض من لم يُذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) قال كهيئة البوق.

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: الصور: البوق قال: هو البوق صاحبه آخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن بين طرفه، وبين فيه قدر قبضة أو نحوها، قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار، فبرك على ركبة يساره مقعيا على قدمها عقبها تحت فخذه وأليته وأطراف أصابعها فى التراب.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبى بكر بن عبد الله، قال: الصور كهيئة القرن قد رفع إحدى ركبتيه إلى السماء، وخفض الأخرى، لم يلق جفون عينه على غمض منذ خلق الله السموات مستعدا مستجدّا، قد وضع الصور على فيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى، عن إسماعيل بن رافع المدنى، عن يزيد بن زياد «قال أبو جعفر: والصواب: يزيد بن أبى زياد» عن محمد بن كعب القرظى، عن رجل من الأنصار

عن أبي هُريرة : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، ما الصُّور ؟ قال : قَرْنٌ ، قال : وكيف هو ؟ قال : قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ : الأُولى : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ : نَفْخَةُ القِيامِ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ ، يأْمُرُ اللهُ إِسْرافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى ، فيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ ، إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، وَيأْمُرُهُ اللهُ فَيَمُدُّ بِها ويطوِّلُها ، فَلا يَفْتُرُ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ (ما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبالَ ، فَتَكُونُ سَرَابا ، وَتُرَجُّ الأرْضُ بأهْلِها رَجًّا ، وهي التي يَقُولُ اللهُ (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) فَتَكُونُ الأرْضُ كالسَّفِينَةِ المُوثَقَةِ فِي البَحْرِ ، تَضْرِبُها الأمْوَاجُ ، تُكْفَأُ بأهْلِها ، أوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالوَتَرِ ، تُرَجِّحُهُ الأرْياحُ ، فَتَمِيدُ النَّاسُ عَلى ظَهْرِها ، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ ، وَتَشِيبُ الوِلْدانُ ، وَتَطِيرُ الشَّياطِينُ هارِبَةً ، حتى تَأْتِيَ الأقْطارَ ، فَتَتَلَقَّاها المَلائِكَةُ ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها ، فَتَرْجِعُ ، وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ (يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) . فَبَيْنَما هُمْ عَلى ذلكَ إذْ تَصَدَّعَتِ الأرْضُ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ ، فَرَأَوْا أمْرًا عَظِيما ، فأخَذَهُمْ لِذلكَ مِنَ الكَرْبِ ما اللهُ أعْلَمُ بِهِ ، ثم نَظَرُوا إلى السَّماءِ ، فإذَا هِيَ كالمُهْلِ ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُها وَقَمَرُها ، وانْتَثَرَتْ نُجُومُها ، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والأمْوَاتُ لايَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، فمن استثنى الله حين يقول (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) ؟ قال : أُولَئِكَ الشُّهَداءُ ، وإنَّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءِ ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وآمَنَهُمْ ، وَهُوَ عَذابُ اللهِ يَبْعَثُهُ على شِرارِ خَلْقِهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى لَمَّا فَرَغَ مِنَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فأعْطاهُ مَلَكا ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلى فِيهِ ، شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ، قال : قُلْتُ : يا رسول الله ، وما الصُّورُ ؟ قال : قَرْنٌ ، قلت : فكيف هو ؟ قال : عَظِيمٌ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إنَّ عِظَمَ دائِرَةٍ فِيهِ ، لَكَعَرْضِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، يأْمُرُهُ فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ » ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث أبي كُرَيب عن المحاربيّ ، غير أنه قال في حديثه « كالسَّفِينَةِ المُرْفَأَةِ فِي البَحْرِ » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ونُفخ في صُوَر الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ): أى فى الخلق، قوله (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) يقول: ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الجنّ والإنس والشياطين، من هول مايعاينون ذلك اليوم.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ففزع، فجعل فزع وهى فعل مردودة على ينفخ، وهى يَفْعَلُ؟ قيل: العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها إذا، لأن إذا يصلح معها فعل ويفعل، كقولك: أزورك إذا زرتنى، وأزورك إذا تزورنى، فإذا وضع مكان إذا يوم أجرى مجرى إذا. فإن قيل: فأين جواب قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ) قيل: جائز أن يكون مضمرا مع الواو، كأنه قيل: ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون، وذلك يوم ينفخ فى الصور. وجائز أن يكون متروكا اكتفى بدلالة الكلام عليه منه، كما قيل (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فترك جوابه.

وقوله (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قيل: إن الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإن كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرناه فى الخبر الماضى؛

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوّام عمن حدثه، عن أبى هريرة، أنه قرأ هذه الآية (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال: هم الشهداء.

وقوله (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) يقول: وكلّ أتوه صاغرين.

وبمثل الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) يقول: صاغرين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) قال: صاغرين.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) قال: الداخر: الصاغر الراغم، قال: لأن المرء الذى يفزع إذا فزع إنما همته الهرب من الأمر الذى فزع منه، قال: فلما نُفخ فى الصور فزعوا، فلم يكن لهم من الله منجى.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَكُلٌّ آتُوهُ) بمدّ الألف من أتوه على مثال فاعلوه[1]، سوى ابن مسعود، فإنه قرأه (وَكُلٌّ أَتَوْهُ) على مثال فعلوه، واتبعه على القراءة به المتأخرون الأعمش وحمزة، واعتلّ الذين قرءوا ذلك على مثال فاعلوه بإجماع القرّاء على قوله (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ) قالوا: فكذلك قوله: (آتُوهُ) فى الجمع. وأما الذين قرءوا على قراءة عبد الله، فإنهم ردّوه على قوله (فَفَزِعَ) كأنهم وجّهوا معنى الكلام إلى: ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض، وأتوه كلهم داخرين، كما يقال فى الكلام: رأى وفرّ وعاد وهو صاغر.

(١) آتوه: جمع آتى بوزن فاعل. وأصله آتيوه، نقلت الضمة من الياء لاستثقالها إلى التاء، ثم حذفت الياء، لسكونها وسكون الواو بعدها فصار آتوه على وزن فاعلوه. ووزنها قبل حذف الياء فاعلوه، وهو الذى أراده المؤلف.

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، ومتقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره : (وَتَرَى الجِبَالَ) يامحمد (تَحْسَبُهَا) قائمة (وهِىَ تَمُرُّ) .

كالذى حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وتَرَى الجبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً) يقول : قائمة ، وإنما قيل : (وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) لأنها تجمع ثم تسير ، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة ، وهى تسير سيرا حثيثا ، كما قال الجعدى :

بأرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[1]

قوله (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) وأوثق خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) يقول : أحكم كلّ شىء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) يقول : أحسن كلّ شىء خلقه وأوثقه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) قال : أوثق كلّ شىء وسوّى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أتْقَنَ) أوثق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشرّ وطاعة له ومعصية ، وهو مجازى جميعهم على جميع ذلك على الخير الخيرَ ، وعلى الشرّ الشرّ نظيره .

(١) الأرعن : يريد به الجيش العظيم ، شبهه بالجبل الضخم ذى الرعان ، وهى الفضول ، كرعان الجبال . والرعن الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما . وقيل الأرعن : هو المضطرب لكثرته . والطود : الجبل العظيم . والحاج : جمع حاجة ، وتهملج : تمشى المملجة ، والمملجة سير حسن فى سرعة والبيت شاهد على أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرك ، فتحسبه ساكنا ، مع أنه مسرع فى سيره جدا ، وذلك كسير الجيش ، وكسير السفينة فى البحر ، يحسبها الناظر إليها وهى مجدة فى سيرها ، كأنها واقفة . وذلك هو شأن الجبال عند القيامة : تراها كأنها جامدة ، وهى تسير مسرعة كالسحاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠ ﴾

يقول تعالى ذكره : (مَنْ جَاءَ) الله بتوحيده والإيمان به ، وقول لا إله إلا الله موقنا به قلبه ، (فَلَهُ) من هذه الحسنة عند الله (خَيْرٌ) يوم القيامة ، وذلك الخير أن يثيبه الله (مِنْهَا) الجنة ، ويؤمنه (مِنْ فَزَعٍ) الصيحة الكبرى وهى النفخ فى الصور (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) يقول : ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه ، وجحود وحدانيته (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ) فى نار جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف العسقلانى ، قال : ثنى الفضل بن دكين ، قال : ثنا يحيى بن أيوب البجلى ، قال : سمعت أبا زرعة ، قال : قال أبو هريرة ، قال يحيى : أحسبه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) قال : وَهِيَ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ) قال : وهِيَ الشِّرْكُ » .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا أبو يحيى الحمانى ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) قال : من جاء بلا إله إلا الله ، (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فى النَّارِ) ، قال : بالشرك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) يقول : من جاء بلا إله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) وهو الشرك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : بالشرك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : كلمة الإخلاص (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، قال ابن جُرَيج : وسمعت عطاء يقول فيها الشرك ، يعنى فى قوله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبى المحجل ، عن أبى معشر ، عن ابراهيم ، قال : كان يحلف ما يستثنى ، أن (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لا إله إلا الله ، (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عُبيدة ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النارِ) قال : الشرك .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا سعيد بن سعيد ، عن علىّ بن الحسين ، وكان رجلا غزّاء ، قال : بينا هو فى بعض خلواته حتى رفع صوته : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له المُلك وله الحمد يحيى و يميت ، بيده الخير ، وهو على كلّ شىء قدير ؛ قال : فردّ عليه رجل : ما تقول ياعبد الله ؟ قال : أقول ماتسمع ، قال : أما إنها الكلمة التى قال الله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : الإخلاص (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) يعنى : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) : يقول : الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ) قال : السيئة : الشرك الكفر .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ثنا حفص بن عمر العدنى ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : شهادة أن لاإله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : السيئة : الشرك . قال الحكم ، قال عكرمة : كل شىء فى القرآن السيئة فهو الشرك .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) فنها وصل إليه الخير ، يعنى ابن عباس بذلك من الحسنة وصل إلى الذى جاء بها الخير .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا حسين الشهيد ، عن الحسن (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال : له منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : من جاء بلا إله إلا الله ، فله خير منها خيرا ٧ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) يقول : له منها حظ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال : له منها خير ، فأما أن يكون خيرا من الإيمان فلا ، ولكن منها خير يصيب منها خيرا[1] .

(١) يريد أن (من) ليست للتفضيل ، ولذلك قدمها على خير ، وإنما هى للتعليل أو نحوه .

حدثنا سعد بن عبدالله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم ، عن عكرمة ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال: ليس شيء خيرا من لا إله إلا الله ، ولكن له منها خير

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) قال: أعطاه الله بالواحدة عشرا ، فهذا خير منها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ)فقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة (وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) بإضافة فزع إلى اليوم . وقرأ ذلك جماعة قرّاء أهل الكوفة (مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ) بتنوين فزع .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الإضافة أعجب إلىّ ، لأنه فزع معلوم . وإذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك فى سياق قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ) فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه عنى بقوله (وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) من الفزع الذى قد جرى ذكره قبله . وإذا كان ذلك كذلك ، كان لاشكّ أنه معرفة ، وأن الإضافة إذا كان معرفة به أولى من ترك الإضافة ؛ وأخرى أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كلّ أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضف ذلك ، وذلك أنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله .

وقوله (هَلْ تُجْزَوْنَ إلاَّ ماكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هل تجزون أيها المشركون إلا ماكنتم تعملون ، إذ كبكم الله اوجوهكم فى النار ، وإلاجزاء ماكنتم تعملون فى الدنيا بما يسخط ربكم ، وترك يقال لهم اكتفاء بدلالة الكلام عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يامحمد (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ) وهى مكة (الَّذِى حَرَّمَهَا) على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما ،أو يظلموا فيها أحدا ، أو يصاد صيدها ، أو يختلى خلاها دون الأوثان التى تعبدونها أيها المشركون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا) يعنى : مكة .

وقوله (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) يقول : ولربّ هذه البلدة الأشياء كلها ملكا ، فإياه أمرت أن أعبد ، لامن لايملك شيئا . وإنما قال جلّ ثناؤه (رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا) فخصها بالذكر دون سائر

البلدان ، وهو ربّ البلاد كلها ، لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين هم أهل مكة بذلك نعمته عليهم ، وإحسانه إليهم ، وأن الذى ينبغى لهم أن يعبدوه هو الذى حرّم بلدهم ، فمنع الناس منهم ، وهم فى سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا ، لامن لم تجر له عليهم نعمة ، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضرّ . وقوله (وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ) يقول : وأمرنى ربى أن أسلم وجهى له حنيفا ، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم وجدكم أيها المشركون ، لامن خالف دين جدّه المحقّ ، ودان دين إبليس عدوّ الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : (قُلْ إنَّمَا أُمِرْتُ أنْ أعْبُدَ رَبَّ هذهِ البَلْدَةِ) و(أنْ أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ وأنْ أتْلُوَ القُرآنَ ، فَمَنِ اهْتَدَى) يقول : فمن تبعنى وآمن بى وبما جئت به ، فسلك طريق الرشاد (فإنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) يقول : فإنما يسلك سبيل الصواب باتباعه إياى ، وإيمانه بى ، وبما جئت به لنفسه ، لأنه بإيمانه بى ، وبما جئت به يأمن نقمته فى الدنيا وعذابه فى الآخرة . وقوله (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بى وبما جئت به من عند الله (فَقُلْ إنَّمَا أنا مِنَ المُنْذِرِينَ) يقول تعالى ذكره : فقل يامحمد لمن ضلّ عن قصد السبيل ، وكذبك ، ولم يصدّق بما جئت به من عندى ، إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم إياه ، وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش ، فإن قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به ، فحظوظَ أنفسكم تصيبون ، وإن رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم ، وقد بلّغتكم ما أمرت بإبلاغه إياكم ، ونصحت لكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :(قُلْ) يامحمد لهؤلاء القائلين لك من مشركى قومك (مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - الحَمْدُ للهِ) على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحقّ الذى أنتم عنه عمون ، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه ، فتعرفون بها حقيقة نصحى كان لكم ، ويتبين صدق مادعوتكم إليه من الرشاد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) قال : فى أنفسكم ، وفى السماء والأرض والرزق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) قال : فى أنفسكم والسماء والأرض والرزق .

وقوله (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يامحمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل هم بالغوه ، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا يحزنك تكذيبهم إياك ، فإنى من وراء إهلاكهم ، وإنى لهم بالمرصاد ، فأيقن لنفسك بالنصر ، ولعدوّك بالذل والخزى .

آخر تفسير سورة النمل

ولله الحمد والمنة ، وبه الثقة والعصمة

(٢٨) سُورَةُ القَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

طسٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞

قال أبوجعفر: قد بيّنا قبل فيما مضى تأويل قول الله عزّ وجلّ (طسم) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويله . وأما قوله (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ) فإنه يعنى هذه آيات الكتاب الذى أنزلته إليك يامحمد ، المبين أنه من عند الله ، وأنك لم تتقوّله ولم تتخرّصه .

وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ماحدثنى بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طسم . تلكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ) يعنى مبين والله بركته ورشده وهداه .

وقوله (نَتْلُو عَلَيْكَ) يقول : نقرأ عليك ونقصّ فى هذا القرآن من خبر موسى (وَفِرْعَوْنَ بالحَقِّ) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بالحَقّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول فى هذا القرآن نبؤهم . وقوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : لقوم يصدّقون بهذا الكتاب ، ليعلموا أن مانتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم ، وتطمئنّ نفوسهم ، بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى ، ومن آمن به من بنى إسرائيل من فرعون وقومه ، أن نهلكهم كما أهلكناهم ، وننجيهم منهم كما أنجيناهم .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝﴾

❊ يقول تعالى ذكره : إن فرعون تجبر فى أرض مصر وتكبر ، وعلا أهلها وقهرهم ، حتى أقرّوا له بالعبودة .

كما حدثنا محمد بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فى الأَرْضِ) يقول : تجبر فى الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الأَرْضِ) : أى بغى فى الأرض .

وقوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعنى بالشيع : الفِرَق ، يقول : وجعل أهلها فِرقا متفرّقين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) : أى فرقا يذبح طائفة منهم ، ويستحيي طائفة ، ويعذّب طائفة ، ويستعبد طائفة ، قال الله عزّ وجلّ (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا فى منامه ، أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط ، وتركت بنى إسرائيل ، وأحرقت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة[1] ، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه ، يعنون بيت المقدس ، رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فأمر ببنى إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جارية إلا تركت ، وقال للقبط : انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا ، فأدخلوهم ، واجعلوا بنى إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة : فجعل بنى إسرائيل فى أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول : (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعنى بنى إسرائيل حين جعلهم فى الأعمال القذرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : فرّق بينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : فِرَقا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : الشيع : الفِرَق .

وقوله (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده .

---

(١) لعله : الحزاة ، بضم الحاء ، جمع الحازى ، وهو المتكهن . قال فى (اللسان : حزا) التحزى : التكهن ؛ حزى حزيا وتحزى : تكهن . ولم نجده فى مادة (حوز) معنى التكهن . فلعل ما فى الأصل خطأ الناسخ . ويؤيد ما قلناه أنه سيجىء فى صفحة ٢٩ سطر ٤ صحيحا كما قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة : يستعبد طائفة منهم ، ويذبح طائفة ، ويقتل طائفة ، ويستحيي طائفة :

وقوله (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) يقول : إنه كان ممن يفسد فى الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل ، واستعباده من ليس له استعباده وتجبره فى الأرض على أهلها ، وتكبره على عبادة ربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝

❁ قوله (وَنُرِيدُ) عطف على قوله (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) ومعنى الكلام : أن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها من بنى إسرائيل فرقا يستضعف طائفة منهم (و) نحن (نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ) استضعفهم فرعون من بنى إسرائيل (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً).

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ) قال : بنو إسرائيل .

قوله (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أى ولاة وملوكا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أى ولاة الأمر :

وقوله (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) يقول : ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الأرض من بلد مهلكهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) : أى يرثون الأرض بعد فرعون وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) يقول : يرثون الأرض بعد فرعون :

وقوله (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) يقول : ولنوطئ لهم فى أرض الشام ومصر (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ

وهامانَ وَجُنُودَهُمَا). كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل ، فكانوا من ذلك على وجل منهم ، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) شيئا ما حذر القوم . قال : وذُكر لنا أن حازيا حزا لعدوّ الله فرعون ، فقال : يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك ، فتتبّع أبناءهم ذلك العام ، يقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم حذرا مما قال له الحازي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره ، يعني أنه كاهن ، فقال له : إنه يولد في هذا العام غلام يذهب بملككم ، فكان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم حذرا ، فذلك قوله (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجنودهما مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) بمعنى : ونرى نحن بالنون عطفا بذلك على قوله (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ) وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (وَيَرَى فِرْعَوْنُ) على أن الفعل لفرعون ، بمعنى : ويعاين فرعون ، بالياء من يرى ، ورفع فرعون وهامان والجنود .

﴿ والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب ، لأنه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى ، إلا بأن يريه الله عزّ وجلّ منه ، ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه إلا رآه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) حين ولدت موسى (أَنْ أَرْضِعِيهِ) .

وكان قتادة يقول ، في معنى ذلك (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) قذفنا في قلبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) وحيا جاءها من الله ، فقذف في قلبها ، وليس بوحي نبوّة أن أرضعي موسى (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) قال : قذف في نفسها :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أمر فرعون أن يذبح من ولد من بنى إسرائيل سنة ، ويتركوا سنة ؛ فلما كان فى السنة التى يذبحون فيها حملت بموسى ؛ فلما أرادت وضعه ، حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها (أَنْ أَرْضِعِيهِ فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى اليَمِّ) .

واختلف أهل التأويل فى الحال التى أمرت أمّ موسى أن تلقى موسى فى اليم ، فقال بعضهم : أُمرت أن تلقيه فى اليمّ بعد ميلاده بأربعة أشهر ، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبىّ بعد حال سقوطه من بطن أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (أَنْ أَرْضِعِيهِ فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) قال : إذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك (فَأَلْقِيهِ) حينئذ (فى اليَمِّ) فذلك قوله (فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : لم يقل لها : إذا ولدتيه فألقيه فى اليمّ ، إنما قال لها (أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فإذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى اليَمِّ) بذلك أُمرت ، قال: جعلته فى بستان ، فكانت تأتيه كلّ يوم فترضعه، وتأتيه كلّ ليلة فترضعه ، فيكفيه ذلك .

وقال آخرون : بل أُمِرت أن تلقيه فى اليم بعد ولادها إياه ، وبعد رضاعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال: لما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا ، فجعل له تابوتا ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه ، فألقته فى اليمّ .

☆ وأولى قول قيل فى ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر أمّ موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدوّ الله فرعون وجنده أن تلقيه فى اليمّ . وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه ، وأىّ ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة فى العقل لبيان أىّ ذلك كان من أىّ، فأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يُقال كما قال جلّ ثناؤه ، واليمّ الذى أُمِرَت أن تلقيه فيه هو النيل .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأَلْقِيهِ فِى اليَمِّ) قال : هو البحر ، وهو النيل . وقد بيَّنا ذلك بشواهده ، وذكر الرواية فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَلا تَخَافِى وَلا تَحْزَنِى) يقول : لا تخافى على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ، ولا تحزنى لفراقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) قال : لاتخافى عليه البحر ، ولا تحزنى لفراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ) .

وقوله (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يقول : إنا رادّو ولدك إليك للرضاع لتكونى أنت ترضعيه ، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ) وباعثوه رسولا إلى هذه الطاغية ، وجاعلو هلاكه ونجاة بنى إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه ، وأصله من اللقطة ، وهو ما وُجد ضالا فأخذ ، والعرب تقول : لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة ، أصبته التقاطا ، ولقيت فلانا التقاطا ؛ ومنه قول الراجز :

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ الْتِقَاطَا ... لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدْتُهُ فُرَّاطَا (١)

يعنى : فجأة .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (آلُ فِرْعَوْنَ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بذلك : جوارى امرأة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أقبل الموج بالتابوت يرفعه

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لنقادة الأسدى ، أوردهما فى (اللسان : لقط) وأورد معهما بيتا ثالثا ، وهو : «إلا الحمام الورق والغطاطا » قال : ولقيته التقاطا : إذا لقيته من غير أن ترجوه أو تحسبه ؛ قال نقادة الأسدى : « ومنهل وردته . . . » الأبيات الثلاثة . وقال سيبويه : التقاطا : أى فجأة ، وهو من المصادر التى وقعت أحوالا ، نحو جاء ركضا . ووردت الماء والشئ التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ، ولم تحتسبه . وحكى ابن الأعرابى : لقيته لقاطا : مواجهة . وفى حديث عمر أن رجلا من تميم التقط شبكة ، فطلب أن يجعلها له . الشبكة : الآبار القريبة الماء . والتقاطه : عثوره عليها من غير طلب . اهـ . وقال فى (فرط) : وفراط القطا : متقدماتها إلى الوادى والماء . وأنشد البيت ونسبه إلى نقادة الأسدى . (وفى غطط) : والغطاط القطا ، بفتح الغين . وقيل : ضرب من القطا ، واحدته : غطاطة . وقيل القطا : ضربان ؛ فالقصار الأرجل ، الصفر الأعناق ، السود القوام . الصهب الخوافى هى الكدرية والجونية (بضم أولهما) والطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون : هى الغطاط . وقيل : الغطاط : ضرب من الطير ، ليس من القطا ، هن غبر البطون والظهور والأبدان ، سود الأجنحة . وقيل : سود بطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق ، لطاف . اهـ . وانظر أقوالا أخرى فى (اللسان : غطط) . والبيت الأول فى (معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ، بترتيب مصطفى السقا ص ٧٧٩) . وفى الكتاب لسيبويه (١ : ١٨٦) .

مرّة ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية ، وظنّ أن فيه مالا ؛ فلما نظرت إليه آسية ، وقعت عليها رحمته فأحبته ؛ فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، قال : إنى أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه هلاكنا ، فذلك قول الله (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) .

وقال آخرون : بل عنى به ابنة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : كانت بنت فرعون برصاء ، فجاءت إلى النيل ، فإذا التابوت فى النيل تخفقه الأمواج ، فأخذته بنت فرعون ، فلما فتحت التابوت ، فإذا هى بصبىّ ، فلما اطلعت فى وجهه برأت من البرص ، فجاءت به إلى أمها ، فقالت : إن هذا الصبىّ مبارك لما نظرت إليه برئت ، فقال فرعون : هذا من صبيان بنى إسرائيل ، هلمّ حتى أقتله ، فقالت (قُرَّةُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ ، لا تَقْتُلُوهُ) .

وقال آخرون : عنى به أعوان فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة ؛ فبينا هو جالس ، إذ مرّ النيل بالتابوت يقذف به ، وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه ، فقالت : إن هذا لشيء فى البحر ، فأتونى به ، فخرج إليه أعوانه ، حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبىّ فى مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه ، قالت امرأته آسية : (لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

ولا قول فى ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عزّ وجلّ (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) وقد بيّنا معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته ههنا .

وقوله (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) فيقول القائل : ليكون موسى لآل فرعون عدوّا وحزنا فالتقطوه ، فيقال (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قيل : إنهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك ، بل لما تقدّم ذكره . ولكنه إن شاء الله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، فى قوله (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قال : ليكون فى عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به ، وليس لذلك أخذوه ، ولكن امرأة فرعون قالت (قُرَّةُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ) فكان قول الله (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) لما هو كائن فى عاقبة أمره لهم ، وهو كقول الآخر إذا قرّعه لفعل ، كان فعله وهو يحسب محسنا فى فعله ، فأدّاه فعله ذلك إلى مساءة مندّما له على فعله : فعلت هذا لضرّ نفسك ، ولتضرّ به نفسك فعلت . وقد كان الفاعل فى حال فعله ذلك عند نفسه يفعله راجيا نفعه ، غير

أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو . فكذلك قوله (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) إنما هو : فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم ، ليكون قرة عين لهم ، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه .

وقوله (عَدُوًّا وَحَزَنًا) يقول : يكون لهم عدوا فى دينهم ، وحزنا على ما ينالهم منه من المكروه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) عدو لهم فى دينهم ، وحزنا لما يأتيهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَحَزَنًا) بفتح الحاء والزاى . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (وَحُزْنًا) بضم الحاء وتسكين الزاى ، والحَزَن بفتح الحاء والزاى مصدر من حزنت حزنا ، والحُزْن بضم الحاء وتسكين الزاى الاسم : كالعَدَم والعُدْم ونحوه .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العَدَم ، والعُدْم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ) يقول تعالى ذكره : إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين ، فلذلك كان لهم موسى عَدُوًّا وحَزَنًا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَقالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) له هذا (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) يافرعون ، فقرّة عين مرفوعة بمضمر هو هذا ، أوهو . وقوله (لاتَقْتُلُوهُ) مسئلة من امرأة فرعون أن لايقتله ، وذُكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون ، قال فرعون : أمّا لك فنعم ، وأما لى فلا ، فكان كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى مَعْشر ، عن محمد بن قيس ، قال : قالت امرأة فرعون (قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكَ ، لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) قال فرعون : قرّة عين لك ، أما لى فلا . قال محمد بن قيس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ قالَ فِرْعَوْنُ : قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلَكِ ، لَكانَ لَهُما جَمِيعا » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : اتخذه فرعونُ ولدا ، ودُعِىَ على أنه ابن فرعون ؛ فلما تحرّك الغلام أرته أمه آسية صبيا ، فبينما هى ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ،

وقالت : خذه قرة عين لى ولك ، قال فرعون : هو قرّة عين لك ، لا لى . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لى قرّة عين إذن لآمن به ، ولكنه أبى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قالت امرأة فرعون (قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلكَ) تعنى بذلك موسى .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال: أخبرنا الأصبغ بن يزيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال: لما أتت بموسى امرأة فرعونَ فرعونَ قالت : (قُرَّةُ عَيْنٍ لى وَلكَ) قال فرعون : يكون لك ، فأما لى فلاحاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِى يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتْ ، لَهَدَاهُ اللهُ بِهِ كَمَا هَدَى بِهِ امْرأَتَهُ ، وَلَكِنَّ اللهَ حَرَمَهُ ذلكَ » .

وقوله (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) ذُكِرَ أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين همّ بقتله . قال بعضهم : حين أُتىَ به يوم التقطه من اليم . وقال بعضهم : يوم نَتَفَ من لحيته أو ضربه بعصا كانت فى يده .

ذكر من قال : قالت ذلك يوم نتف لحيته

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى فرعون به صبيا أخذه إليه ، فأخذ موسى بلحيته فنتفها ، قال فرعون : علىّ بالذباحين هو هذا ، قالت آسية (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) إنما هو صبىّ لايعقل ، وإنما صنع هذا من صباه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) قال : أُلقِيَتْ عليه رحمتها حين أبصرته .

وقوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وهم لايشعرون هلاكهم على يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : وهم لايشعرون أن هلكتهم على يديه ، وفى زمانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : إن هلاكهم على يديه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : آل فرعون إنه لهم عدوّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) بما هو كائن من أمرهم وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت امرأة فرعون آسية (لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) يقول الله : وهم لا يشعرون أى بما هو كائن بما أراد الله به .

وقال آخرون : بل معنى قوله (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) بنو إسرائيل لا يشعرون أنَّا التقطناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس (لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) قال : يقول : لا تدرى بنو إسرائيل أنَّا التقطناه .

❊ والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : معنى ذلك : وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به لأنه عُقَيب قوله (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ ، لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وإذا كان ذلك عقبه ، فهو بأن يكون بيانا عن القول الذى هو عقبه أحقّ من أن يكون بيانا عن غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝

اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عَنَى الله أنه أصبح منه فؤاد أمّ موسى فارغا ، فقال بعضهم : الذى عَنى جلّ ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أمّ موسى فارغا : كل شىء سوى ذكر ابنها موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن العلاء ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، وحسان أبى الأشرس عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فرغ من كلّ شىء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من كلّ شىء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من كلّ شيء إلا من همّ موسى .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : يقول : لاتذكروا إلا موسى .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، مجاهد (وَأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) قال : من كل شيء غير ذكر موسى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرمليّ ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شَوذَب ، عن مطر ، في قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من كلّ شيء إلا من همّ موسَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) : أي لاغيا من كلّ شيء ، إلا من ذكر موسى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فرغ من كلّ شيء غير ذكر موسى .

وقال آخرون : بل عنى أن فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها ، إذ أمرها أن تلقيه في اليمّ فقال (وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي ، إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ ، وَجاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ) قال : فحزنت ونسيت عهد الله إليها ، فقال الله عزّ وجلّ (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) من وحينا الذي أوحيناه إليها :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) قال : فارغا من الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ، ولا تخاف ولا تحزن ، قال : فجاءها الشيطان ، فقال : يا أمّ موسى ، كرهت أن يقتل فرعون موسى ، فيكون لك أجره وثوابه وتولّيت قتله ، فألقيتيه في البحر وغرقتيه ، فقال الله (وأصْبَحَ فُؤَادِ أُمِّ مُوسَى فارِغا) من الوحي الذي أوحاه إليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : ثنى الحسن ، قال : أصبح فارغا من العهد الذي عهدنا إليها ، والوعد الذي وعدناها أن نردّ عليها ابنها ، فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تُبْدِي به لولا أن ربطنا على قلبها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : قد كانت أمّ موسى ترفع له حين قذفته في البحر ، هل تسمع له بذكر ، حتى أتاها الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا في النيل في التابوت ، فعرفت الصفة ، ورأت أنه وقع في يدى عدوّه الذي فرّت به منه ، وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله إليها فيه

قد أنساها عظيم البلاء ماكان من العهد عندها من الله فيه . وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب : معنى ذلك : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) من الحزن ، لعلمها بأنه لم يغرق . قال : وهو من قولهم : دم فرغ : أي لاقود ولا دية ، وهذا قول لامعنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل .

قال أبوجعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال : معناه : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) من كل شيء إلا من هم موسى .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب لدلالة قوله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) ولو كان عنى بذلك: فراغ قلبها من الوحي لم يعقب بقوله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) لأنها إن كانت قاربت أن تبدى الوحي ، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه ، وولوعها به ، ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة . وإذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها ، وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء ، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه . وقد ذُكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه (وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَازِعاً) من الفزع .

وقوله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عادت عليه الهاء في قوله (بِهِ) فقال بعضهم : هي من ذكر موسى ، وعليه عادت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد وحسان أبي الأشرس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

قال : ثني يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

حدثنا محمد بن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال: ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أي لتبدى به أنه ابنها من شدّة وجدها .

حدثنا موسى ، قال: ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما جاءت أمه أخذ منها ، يعني الرضاع ، فكادت أن تقول : هو ابني ، فعصمها الله ، فذلك قول الله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) .

وقال آخرون (بِمَا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْهَا) : أي تظفر .

والصواب من القول في ذلك ماقاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا : إن كادت لتقول : يا بنياه لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، وأنه عقيب قوله (وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارغا) فلأن يكون لو لم

(١) في (اللسان : فرغ) يقال : ذهب دمه فرغا وفرغا (بفتح الفاء وكسرها مع سكون الراء) أي باطلا هدرا، لم يطلب به .

يكن ممن ذكرنا فى ذلك إجماع على ذلك من ذكر موسى ، لقربه منه ، أشبه من أن يكون من ذكر الوحى .

وقال بعضهم : بل معنى ذلك (إنْ كادَتْ لَتُبْدِي) بموسى فتقول : هو ابنى قال وذلك أن صدرها ضاق إذ نُسب إلى فرعون ، وقيل ابن فرعون . وعنى بقوله (لِتُبْدِي بِهِ) لتظهره وتخبر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) لتشعر به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) قال : لتُعلِن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين .

وقوله (لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلَى قَلْبِها) يقول : لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتنا ها وتوفيقناها للسكوت عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله (لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلَى قَلْبِها) : أى بالإيمان (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كادت تقول : هو ابنى ، فعصمها الله ، فذلك قول الله (إنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلَى قَلْبِها) .

وقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها ، وثبتناها للعهد الذى عهدنا إليها (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوعد الله ، الموقنين به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقالَتْ) أمّ موسى لأخت موسى حين ألقته فى اليم (قُصِّيهِ) يقول : قصى أثر موسى ، اتبعى أثره ، تقول : قصصت آثار القوم : إذا اتبعت آثارهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال : اتبعى أثره كيف يصنع به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قُصِّيهِ) أى قصى أثره .

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال : اتبعى أثره .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أى انظرى ماذا يفعلون به .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) يعنى : قصى أثره .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أى قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا ، أحىّ ابنى أو قد أكلته دوابّ البحر وحيتانه ، ونسيت الذى كان الله وعدها .

وقوله (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) يقول تعالى ذكره : فقصت أخت موسى أثره ، فبصرت به عن جُنُب : يقول فبصرت بموسى عن بُعد لم تدن منه ولم تقرب ، لئلا يعلم أنها منه بسبيل ، يقال منه : بصرت به وأبصرته ، لغتان مشهورتان ، وأبصرت عن جنب ، وعن جنابة ، كما قال الشاعر :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِى جَاحِدًا (١)

يعنى بقوله : عن جنابة : عن بُعد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنْ جُنُبٍ) قال : بُعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج عن مجاهد (عَنْ جُنُبٍ) قال : عن بُعد . قال ابن جُرَيج (عَنْ جُنُبٍ) قال : هى على الحدّ فى الأرض ، وموسى يجرى به النيل وهما متحاذيان كذلك تنظر إليه نظرة ، وإلى الناس نظرة ، وقد جعل فى تابوت مقير ظهره وبطنه ، وأقفلته عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى سفيان ، عن معمر ، عن قَتادة : (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) يقول : بصرت به وهى محاذيته لم تأته .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنى القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) والجنب : أن يسمو بصر الإنسان إلى الشىء البعيد ، وهو إلى جنبه لا يشعر به .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ص ٦٥) قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى ، ويذم الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشى ، وقد صغر اسمه تحقيرا له وذما . وعن جنابة عن بعد وغربة . ورجل جنب أيضا : يعنى غريب . والجاحد : الذى ينكر ما يعلم . جحده حقه ، وبحقه . قاله فى اللسان . والشاهد فى البيت « عن جنابة » ومعناه : عن بعد .

وقوله (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول : وقوم فرعون لايشعرون بأخت موسى أنها أخته .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) قال : آل فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) أنها أخته ، قال : جعلت تنظر إليه كأنها لاتريده .

حدثنا موسى ، قال: ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) أنها أخته .

حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) أى لايعرفون أنها منه بسبيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهنّ من قبل أمه ، ذكر أن أختا لموسى هى التى قالت لآل فرعون (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال: ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قوله (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَه لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) فلما جاءت أمه أخذ منها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : لايقبل ثدى امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال: كان لايؤتى بمرضع فيقبلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قوله (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : لايرضع ثدى امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها ، قال : (فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه ، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم[1] ذلك ، فيؤتى بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل شيئاً منهن (فَقَالَتْ) لهم أخته حين رأت من وجدهم به ، وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) . ويعني بقوله (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) : يضمونه لكم . وقوله (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) ذكر أنها أخذت ، فقيل : قد عرفته ، فقالت : إنما عنيت أنهم للملك ناصحون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قالت أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام ، فدلينا على أهله ، فقالت : ما أعرفه ، ولكني إنما قلت : هم للملك ناصحون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) قال : فعلقوها حين قالت : وهم له ناصحون ، قالوا قد عرفته ، قالت : إنما أردت هم للملك ناصحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أي لمنزلته عندكم ، وحرصكم على مسرة الملك ، قالوا : هاتي .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : (فَرَدَدْنَا) موسى (إِلَى أُمِّهِ) بعد أن التقطه آل فرعون ، لتقر عينها بابنها ، إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون (وَلَا تَحْزَنَ) على فراقه إياها (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) الذي وعدها إذ قال لها (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) ... الآية ، حق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ) فقرأ حتى بلغ (لَا يَعْلَمُونَ) ووعدها أنه رادّه إليها وجاعله من المرسلين ، ففعل الله ذلك بها .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق لا يصدقون بأن ذلك كذلك .

(١) في (اللسان : رمض) والرمض : حرقة الغيظ . وقد أرمضني هذا الأمر ، فرمضت . ويقال : ارمضني : أوجعني .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَمَّا بَلَغَ) موسى (أَشُدَّهُ) ، يعنى حان شدّة بدنه وقواه ، وانتهى ذلك منه . وقد بيّنا معنى الأشدّ فيما مضى بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَاسْتَوَى) يقول : تناهى شبابه ، وتمّ خلقه واستحكم . وقد اختلف فى مبلغ عدد سنى الاستواء ، فقال بعضهم : يكون ذلك فى أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَاسْتَوَى) قال : أربعين سنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . قوله (وَاسْتَوَى) قال : بلغ أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَلَما بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

قال : ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَما بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال : أربعين سنة ، وأشدّه : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى) قال : كان أبى يقول : الأشدّ : الجلَد ، والاستواء : أربعون سنة .

وقال بعضهم : يكون ذلك فى ثلاثين سنة .

وقوله (وآتَيْناهُ حُكْما وَعِلْما) يعنى بالحكم : الفهم بالدين والمعرفة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (آتَيْناهُ حُكْما وَعِلْما) قال : الفقه والعقل والعمل قبل النبوّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (آتَيْناه حُكْما وَعِلْما) قال : الفقه والعمل قبل النبوّة .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) آتاه الله حكما وعلما فقها فى دينه ودين آبائه، وعلما بما فى دينه وشرائعه وحدوده .

وقوله (وكذلك نجزى المحسنين) يقول تعالى ذكره : وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا، كذلك نجزى كلّ من أحسن من رسلنا وعبادنا، فصبر على أمرنا وأطاعنا، وانتهى عما نهيناه عنه :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره (وَدَخَلَ) موسى (الْمَدِينَةَ) مدينة منف من مصر (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) وذلك عند القائلة نصف النهار .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله دخل موسى هذه المدينة فى هذا الوقت، فقال بعضهم : دخلها متبعا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد؛ فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره، وأدركه المقيل فى هذه المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى، قال : ثنا عمرو، قال : ثنا أسباط، عن السدىّ، قال : كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، وكان إنما يُدعى موسى بن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى ؛ فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب، فركب فى أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، وليس فى طرقها أحد، وهى التى يقول الله (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) .

وقال آخرون : بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه، لأنه كان قد خالفهم فى دينهم، وعاب ما كانوا عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال : لما بلغ موسى أشده واستوى، آتاه الله حكما وعلما، فكانت له من بنى إسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون إليه، فلما استد[1] رأيه، وعرف ما هو عليه من الحقّ، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا فى دينه، فتكلم وعادى وأنكر،

(١) استد رأيه : من السداد ؛ أى أحكم عقله، وقويت تجاربه .

حتى ذكر ذلك منه ، وحتى أخافوه وخافهم ، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا ، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها .

وقال آخرون : بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا ، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشدّه . قالوا : ومعنى الكلام : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى : أى من بعد نسيانهم خبره وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) قال : ليس غفلة من ساعة ، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره . وقال فرعون لامرأته : أخرجيه عنى حين ضرب رأسه بالعصا ، هذا الذى قُتِلَتْ فيه بنو إسرائيل ، فقالت : هو صغير ، وهو كذا ، هات جمرا ، فأتى بجمر ، فأخذ جمرة فطرحها فى فيه فصارت عقدة فى لسانه ، فكانت تلك العقدة التى قال الله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) قال : أخرجيه عنى ، فأخرج ، فلم يدخل عليهم حتى كبر ، فدخل على حين غفلة من ذكره .

☆ وأولى الأقوال فى الصحة بذلك أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) .

واختلفوا فى الوقت الذى عُنِى بقوله (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) فقال بعضهم : ذلك نصف النهار

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قوله (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) قال : نصف النهار . قال ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قال : يقولون فى القائلة ، قال : وبين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) قال : دخلها بعد ما بلغ أشدّه عند القائلة نصف النهار .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : دخل نصف النهار .

وقوله (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) يقول : هذا من أهل دين موسى من بنى إسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) من القبط من قوم فرعون (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) يقول : فاستغاثه الذى هو من أهل دين موسى على الذى من عدوّه من القبط (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) يقول : فلكزه ولهزه فى صدره بجمع كفه .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : أساء موسى من حيث أساء ، وهو شديد الغضب شديد القوّة ، فمرّ برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين ، قال : فلما رأى موسى استغاث به ، قال : ياموسى ، فقال موسى : خلّ سبيله ، فقال : قد هممت أن أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) قال : حتى إذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر قال : فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر فى مثل حدّه ؛ قال: فقال ياموسى ، قال : فاشتدّ غضب موسى ، قال : فأهوى ، قال : فخاف أن يكون إياه يريد ، قال : فقال (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ؟) قال : فقال الرجل : ألا أراك يا موسى أنت الذى قتلت ؟ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جُبير (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ) قال : رجل من بنى إسرائيل يقاتل جبارا لفرعون (فاسْتَغَاثَهُ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) فلما كان من الغد ، استصرخ به فوجده يقاتل آخر ، فأغاثه ، فقال (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ) فعرفوا أنه موسى ، فخرج منها خائفا يترقب ، قال عثام أو نحو هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أما الذى من شيعته فمن بنى إسرائيل ، وأما الذى من عدوّه فقبطىّ من آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) يقول : من القبط (فاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ابن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : لما بلغ موسى أشدّه ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلّ الامتناع ، فبينا هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان : أحدهما من بنى إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى ، فغضب موسى واشتدّ غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبل الرضاعة من أمّ موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونى فقتله ، ولم يرهما أحد إلا الله والإسرائيلى ، فـ(قَالَ) موسى حين قتل الرجل (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) مسلم ، وهذا من أهل دين فرعون كافر (فاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ

عَدُوِّه)وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق، وشدّة فى البطش فغضب بعدوّهما فنازعه (فَوَكَزَهُ مُوسَى) وكزة قتله منها وهولايريد قتله ، ف(قال هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، قوله (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) قال : من قومه من بنى إسرائيل ، وكان فرعون من فارس من إصطخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) إسرائيلى (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) قبطى (فاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ) .

وبنحو الذى قلنا أيضا قالوا فى معنى قوله (فَوَكَزَهُ مُوسَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَوَكَزَهُ مُوسَى) قال : بجمع كفه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ،عن قتادة (فَوَكَزَهُ مُوسَى) نبىّ الله، ولم يتعمد قتله

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قتله وهو لايريد قتله .

وقوله (فَقَضَى عَلَيْهِ) يقول : ففرغ من قتله . وقد بيّنت فيما مضى أن معنى القضاء : الفراغ بما أغنى عن إعادته ههنا .

ذكر أنه قتله ثم دفنه فى الرمل

كما حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) ثم دفنه فى الرمل .

وقوله(قالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : قال موسى حين قتل القتيل : هذا القتل من تسبب الشيطان لى بأن هيّج غضبى حتى ضربت هذا فهلك من ضربتى ، (إِنَّهُ عَدُوٌّ) يقول : إن الشيطان عدوّ لابن آدم (مُضِلٌّ) له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال ، وتحسينه ذلك له (مُبِينٌ) يعنى أنه يبين عداوته لهم قديما ، وإضلاله إياهم .

القول فى تأويل قوله تعالى:

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التى قتلها ، وتوبته إليه منه ، ومسئلته غفرانه من ذلك (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتل النفس التى لم تأمرنى بقتلها ، فاعف عن ذنبى ذلك ، واستره علىّ ، ولا تؤاخذنى به فتعاقبنى عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِي) قال : بقتلى من أجل أنه لاينبغى لنبىّ أن يقتل حتى يؤمر ، ولم يُؤمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : عرف المخرج ، فقال (ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لى ، فَغَفَرَ لَهُ) .

وقوله (فَغَفَرَ لَهُ) يقول تعالى ذكره : فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به (إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الساتر على المنيبين إليه من ذنوبهم على ذنوبهم ، المتفضل عليهم بالعفو عنها ، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها. وقوله (قالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ) يقول تعالى ذكره : قال موسى رب بانعامك علىّ بعفوك عن قتل هذه النفس (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) يعنى المشركين ، كأنه أقسم بذلك ، وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبدالله (فَلا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) كأنه على هذه القراءة دعا ربه ، فقال : اللهمّ لن أكون ظهيرا ولم يستثن عليه السلام حين قال (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) فابتلى .

وكان قَتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) يقول : فلن أعين بعدها ظالما على فُجره ، قال : وقلما قالها رجل إلا ابتُلِى ، قال : فابتلى كما تسمعون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : فأصبح موسى فى مدينة فرعون خائفا من جنايته التى جناها ، وقتله النفس التى قتلها أن يُؤخذ فيقتل بها (يَتَرَقَّبُ) يقول : يترقب الأخبار : أى ينتظر ما الذى يتحدّث به الناس ، مما هم صانعون فى أمره وأمر قتيله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم

عن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (فأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خائِفا يَترَقَّبُ) قال : خائفا من قتله النفس ، يترقب أن يؤخذ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فأَصْبَحَ فى المَدِينَةِ خائِفا يَترَقَّبُ) قال : خائفا أن يُؤخذ .

وقوله (فإذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يقول تعالى ذكره : فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل ، فإذا الإسرائيلى الذى استنصره بالأمس على الفرعونىّ يقاتله فرعونىّ آخر ، فرآه الإسرائيلى فاستصرخه على الفرعونىّ : يقول : فاستغاثه أيضا على الفرعونىّ ، وأصله من الصُّراخ ، كما يقال : قال بنو فلان : يا صباحاه ، قال له موسى (إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) يقول جلّ ثناؤه : قال موسى للإسرائيلى الذى استصرخه ، وقد صادف موسى نادما على ماسلف منه من قتله بالأمس القتيل ، وهو يستصرخه اليوم على آخر : إنك أيها المستصرخ لغوىّ : يقول : إنك لذو غواية ، مبين : يقول : قد تبيَّنت غوايتك بقتالك أمس رجلا ، واليوم آخر .

وبنحو الذى قلنا ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : أتى فرعون ، فقيل له : إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك ، قال : ابغونى[1] قاتله ومن يشهد عليه ، لا يستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثَبَت[2] فاطلبوا ذلك ، فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئا ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلى يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونىّ ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذى رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونىّ ، فقال للإسرائيلى لما فعل بالأمس واليوم (إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) ، فنظر الإسرائيلى إلى موسى بعد ما قال هذا ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعونىّ ، فخاف أن يكون بعد ما قال له (إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) إياه أراد ، ولم يكن أراده ، إنما أراد الفرعونىّ ، فخاف الإسرائيلى فحاجه ، فقال (يا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ؟ إنْ تُرِيدُ إلا أنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، فتتاركا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) قال : الاستنصار والاستصراخ واحد .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فإذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يقول : يستغيثه .

(١) ابغونى قاتله : هاتوا لى قاتله .

(٢) فى (اللسان : ثبت) الثبت : بالتحريك : الحجة والبينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قتل موسى القتيل ، خرج فلحق بمنزله من مصر ، وتحدّث الناس بشأنه ، وقيل : قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك إلى فرعون ، فأصبح موسى غاديا الغدَ ، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوّه ، فقال له موسى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) أمس رجلا ، واليوم آخر ؟ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَير والشَّيْبانى ، عن عكرمة قال : الذى استنصره : هو الذى استصرخه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فلما أراد موسى أن يبطش بالفرعونىّ الذى هو عدوّ له وللإسرائيلى ، قال الإسرائيلى لموسى وظنّ أنه إياه يريد (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ) : خافه الذى من شيعته حين قال له موسى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال موسى للإسرائيلى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الإسرائيلى ، (قال) الإسرائيلى ، وفَرِق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام : (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) فتركه موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قال : ندم بعد أن قتل القتيل ، فقال (هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) قال : ثم استنصره بعد ذلك الإسرائيلى على قبطى آخر ، فقال له موسى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) فلما أراد أن يبطش بالقبطى ، ظنّ الإسرائيلى أنه إياه يريد ، فقال : ياموسى (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ)؟ .

قال : وقال ابن جُرَيج ، أو ابن أبى نجيح « الطبرى يشكّ » وهو فى الكتاب ابن أبى نجيح أن موسى لما أصبح ، أصبح نادما تائبا ، يودّ أن لم يبطش بواحد منهما وقد قال للإسرائيلى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) فعلم الإسرائيلى أن موسى غير ناصره ؛ فلما أراد الإسرائيلى أن يبطش بالقبطى نهاه موسى ففرق الإسرائيلى من موسى فقال : (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) ؟ فسعى بها القبطىّ .

وقوله (إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الإسرائيلي لموسى : (إن تريد) ما تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض . وكان من فعل الجبابرة : قتل النفوس ظلما ، بغير حق . وقيل : إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلي ، لأنه كان عندهم مَن قتل نفسين : من الجبابرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي قال : من قتل رجلين فهو جبار ؛ قال : ثم قرأ (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) إن الجبابرة هكذا ، تقتل النفس بغير النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، (إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) قال : تلك سيرة الجبابرة أن تقتل النفس بغير النفس . وقوله(وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) يقول : ما تريد أن تكون ممن يعمل فى الأرض بما فيه صلاح أهلها ، من طاعة الله .

وذكرعن ابن إسحاق أنه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) أى ماهكذا يكون الإصلاح .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

ذُكِر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه ، وأعلم به أهل القتيل ، فحينئذ طلب فرعون موسى ، وأمر بقتله ؛ فلما أمر بقتله ، جاء موسى مخبر ، وخبره بما قد أمر به فرعون فى أمره ، وأشار عليه بالخروج من مصر ، بلد فرعون وقومه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : انطلق الفرعونى الذى كان يقاتل الإسرائيلي إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى من الخبر حين يقول (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ) ؟ فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى ، فأخذوا الطريق الأعظم ، وهم لايخافون أن يفوتهم ، وكان رجل من شيعة موسى فى أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : أعلمهم القبطي الذى هو عدو

لهما ، فأتمر الملأ ليقتلوه ، فجاء رجل من أقصى المدينة ، وقرأ (إنّ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كنا نحدّث أنه مؤمن آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذهب القبطى ، يعنى الذى كان يقاتل الإسرائيلى ، فأفشى عليه أن موسى هو الذى قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه فى بنيات[١] الطريق ، فإن موسى غلام لا يهتدى الطريق ، وأخذ موسى فى بنيات الطريق ، وقد جاءه الرجل فأخبره (إنّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قالوا : لما سمع القبطىّ قول الإسرائيلىّ لموسى (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بالأَمْسِ) سعى بها إلى أهل المقتول فقال : إن موسى هو قتل صاحبكم ، ولولم يسمعه من الإسرائيلى لم يعلمه أحد ؛ فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا ، فطلبه القوم فسبقهم ؛ قال : وقال ابن أبى نجيح : سعى القبطى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، قال : قال الإسرائيلى لموسى (أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بالأَمْسِ) وقبطى قريب منهما يسمع ، فأفشى عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمع ذلك عدوّ ، فأفشى عليهما .

وقوله (وَجاءَ رَجُلٌ) ذُكر أنه مؤمن آل فرعون ، وكان اسمه فيما قيل : سمعان ؛ وقال بعضهم : بل كان اسمه شمعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبئىّ ، قال : اسمه شمعون الذى قال لموسى (إنّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه ، فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان ، فقال (يا مُوسَى إنّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فاخْرُجْ إنّى لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى) إلى موسى (قالَ يا مُوسَى إنّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فاخْرُجْ إنّى لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ) .

وقوله (مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ) يقول : من آخر مدينة فرعون (يَسْعَى) يقول : يعجل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى) قال : يعجل ليس بالشدّ .

وقوله (قالَ يامُوسَى إنّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) يقول جلّ ثناؤه : قال الرجل الذى

(١) بنيات الطريق : تصغير بنات الطريق ، وهى الطرق الصغار ، تتشعب من الطرق الكبار .

جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى : ياموسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك، ويتشاورون ويرتئون فيك ؛ ومنه قول الشاعر :

مَا تَأْتَمِرْ فِينَا فَأَمْرُكَ فِي يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكْ[١]

يعني : ما ترتئي ، وتهمّ به ؛ ومنه قول النمر بن تولب :

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ[٢]

أَيْ يُتَشَاوَرُ وَيُرْتَأَى فِيهَا .

وقوله (فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) يقول : فاخرج من هذه المدينة، إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به يترقب : يقول : ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) خائفا من قتله النفس يترقب الطلب (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) قال : خائفا من قتل النفس ، يترقب أن يأخذه الطلب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لي أنه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدري أيّ وجه يسلك ، وهو يقول (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، في قوله (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) قال : يترقب مخافة الطلب .

---

(١) في (اللسان : أمر) : وفي التنزيل : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » قال أبو عبيدة أي يتشاورون عليك ليقتلوك . وجعل منه المؤلف قول الشاعر « ما تأتمر فينا » . يريد أن ما تشاور فيه أهل الرأي في أمرنا ، فهو أمر نافذ لامعترض عليه . لكن تفسير المؤلف البيت بقوله « يعني ما ترتئي ، وتهم به » يجعل المعنى ليس من الائتمار ، بمعنى المشاورة ، ولكن من الائتمار بمعنى الاستبداد بالرأي ، دون مشورة أحد غير نفسه قال الأزهري : ائتمر فلان رأيه : إذا شاور عقله في الصواب الذي يأتيه ، وقد يصيب الذي يأتمر رأيه مرة ، ويخطىء أخرى .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٨ : ا) . والشيمة : الخلق. يريد : أحدثوا أخلاقا لم تعرف من قبل . يشير الشاعر إلى ما حدث من إثارة الشكوك والجدل في مسائل السياسة كالخلافة أو العقائد كالقول في القدر أو نحو ذلك . فهذه هي الأخلاق التي أحدثها الناس في الصدر الأول من حياة المسلمين ، بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنمر بن تولب شاعر مخضرم . والشاهد في قوله « يؤتمر » أي يحدث التشاور وتداول الآراء والجدل . ولعل الشاعر رأى مقدمات الخلاف ، وأمارات الفرقة تلوح من خلال الحوادث ، فأنذر بها .

وقوله (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا : ربّ نجنى من هؤلاء القوم الكافرين ، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك .

وقوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) يقول تعالى ذكره : ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ، ماضيا إليها ، شاخصا عن مدينة فرعون ، وخارجا عن سلطانه ، (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) وعنى بقوله : « تلقاء » : نحو مدين ؛ ويقال : فعل ذلك من تلقاء نفسه ، يعنى به : مِن قِبَل نفسه ويقال : داره تلقاءَ دار فلان : إذا كانت محاذيتها ، ولم يصرف اسم مدين لأنها اسم بلدة معروفة ، كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ؛ ومنه قول الشاعر :

رُهْبانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكِ تَنَزَّلُوا والعُصْمُ مِنْ شَعَفِ العُقُولِ الفادِرِ[1]

وقوله (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) يقول : عسى ربى أن يبين لى قصد السبيل إلى مدين ، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها .

وذُكر أن الله قيّض له إذ قال (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ملكا سدّده الطريق ، وعرفه إياه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أخذ موسى فى بنيات الطريق جاءه مَلَك على فرس بيده عَنَزة ؛ فلما رآه موسى سجد له من الفَرَق قال : لا تسجد لى ولكن اتبعنى فاتبعه ، فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) فانطلق به حتى انتهى به إلى مَدين .

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : خرج موسى متوجها نحو مدين ، وليس له علم بالطريق[2] إلا حُسن ظنه بربه ، فإنه قال (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لى أنه خرج وهو يقول (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فهيأ الله الطريق إلى مدين ، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف ، خائفا يترقب ، حتى وقع إلى أمة من الناس يسقون بمَدين .

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مَدْين ، وبينها وبينها مسيرة ثمان ، قال : وكان يُقال نحو من الكوفة إلى البصرة ، ولم يكن له طعام إلا وَرَق الشجر ، وخرج حافيا ، فما وصل إليها حتى وقع خفّ قدمه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عَثّام ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لجرير ، وقد تقدم الاستشهاد به على أن الرهبان جمع راهب فى (٧ : ٣) من هذا التفسير . واستشهد به هنا على أن مدين ممنوعة من الصرف لأنها علم على بلدة ، ففيها العلمية والتأنيث .

(٢) الظهر : الدابة التى يركب ظهرها ، من جمل ونحوه

قال : لما خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينه وبينها ثمان ليال ، كان يقال : نحوٌ من البصرة إلى الكوفة ثم ذكر نحوه ، ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) ومدين : ماء كان عليه قوم شعيب (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

وأما قوله (سَوَاءَ السَّبِيلِ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : الطريق إلى مدين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : قصد السبيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبّاد بن راشد ، عن الحسن (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : الطريق المستقيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَمَّا وَرَدَ) موسى (مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) يعني جماعة (مِنَ النَّاسِ) يَسْقُونَ) نعمهم ومواشيهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) يقول : كثرة من الناس يسقون .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أُمَّةً مِنَ النَّاسِ) قال : أناسا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء .

حدثنا علىّ بن موسى وابن بشّار، قالا : ثنا أبو داود ، قال : أخبرنا عمران القطان ، قال : ثنا أبو حمزة عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ) قال علىّ بن موسى قال : مثل ماء جوبكم هذا ، يعنى المحدثة . وقال ابن بشار : مثل محدثتكم هذه ، يعنى جوابكم هذا .

وقوله (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول : ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء، امرأتين تذودان ، يعنى بقوله (تَذُودَانِ) تحبسان غنمهما ؛ يقال منه : ذاد فلان غنمه وماشيته : إذا أراد شيء من ذلك يشذّ ويذهب ، فردّه ومنعه يذودها ذَوْدا . وقال بعض أهل العربية من الكوفيين : لايجوز أن يقال : ذدت الرجل بمعنى : حبسته ، إنما يقال ذلك للغنم والإبل . وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنى لبِعقرِ حَوْضِي أذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بعصَايَ » فقد جعل الذَّود صلى الله عليه وسلم فى الناس ؛ ومن الذَّود قول سُوَيد بن كُراع :

أبِيتُ عَلَى بابِ القَوَافِي كأنَّمَا ... أذُودُ بِها سِرْبا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا[1]

وقول الآخر :

وَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ ... فَمَا تَدْرِى بأىِّ عَصًا تَذُودُ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَذُودانِ) يقول : تحبسان .

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَوَجَدَ مِنْ دونِهِمُ امْرأتَيْنِ تَذُودانِ) يعنى بذلك أنهما حابستان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جُبَير ، فى قوله (امْرأتَيْنِ تَذُودَانِ) قال : حابستين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَوَجَدَ مِنْ دونِهِمُ امْرأتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول : تحبسان غنمهما .

❊ واختلف أهل التأويل فى الذى كانت عنه تذود هاتان المرأتان ، فقال بعضهم : كانتا تذودان غنمهما عن الماء ، حتى يَصْدُرَ عنه مواشى الناس ، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما .

---

(١) البيت لسويد بن كراع العكلى ، وكان هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها : (تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا) ؟ والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن . قال عندقوله تعالى : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان » : مجازه : تمنعان وتردان وتضربان : قال سويد بن كراع « أبيت على باب القوافى » . . . البيت وقد أورد صاحب الأغانى أبيات سويد بن كراع التى منها بيت الشاهد فى الجزء (١٢ : ٣٤٤) طبعة دار الكتب . وفيه « أصادى » فى موضع « أذود » قال محققه : صاداه : داراه وساتره . ولا شاهد فيه حينئذ .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن الورقة ١٧٨ ب) قال : تذودان مجازه : تمنعان وتردان وتضربان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك قوله : (امرأتَيْنِ تَذُودانِ) قال : تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امرأتَيْنِ) يعني دون القوم تذودان غنمهما عن الماء ، وهو ماء مدين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تذودان الناس عن غنمهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امرأتَيْنِ تَذُودانِ) قال : أي حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه (تَذُودانِ) قال : تذودان الناس عن غنمهما .

⁂ وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه : تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله (ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) على أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شكا أنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذَوْدِهما ، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس ، كان لاشكّ أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس ، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يُصْدِر الرعاء .

وقوله (قالَ ما خَطْبُكُما) يقول تعالى ذكره : قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس ، هلا تسقونها مع مواشي الناس والعرب ، تقول للرجل : ما خَطْبُك : بمعنى ما أمرك وحالك ، كما قال الراجز :

يا عَجَبًا ما خَطْبُهُ وَخَطْبِي (١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثني سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : قال لهما (ما خطْبُكُما) معتزلتين لا تسقيان مع الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وجد لهما رحمة ، ودخلته فيهما خشية ، لما رأى من ضعفهما ، وغَلَبَةِ الناس على الماء دونهما ، فقال لهما : ما خطبكما : أي ما شأنكما .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في معاني القرآن (الورقة ١٨٧ - ا) قال في تفسير قوله تعالى : « ما خطبكما » : أي ما أمركما وشأنكما ؟ قال : ياعجبا ما خطبه وخطبي . والبيت : من مشطور الرجز لرؤبة بن العجاج (ديوانه ص ١٦) من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة ، وهو عامر بن عبدالله بن قيس ، مطلعها : « أتعتبني والهوى ذو عتب »

وقوله (قالَتا لانَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) يقول جلّ ثناؤه : قالت المرأتان لموسى : لانسقى ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيَهم ، لأنا لانطيق أن نسقى ، وإنما نسقى مواشينا ما أفضلَتْ مواشى الرعاء فى الحوض ، والرّعاء : جمع راع ، والراعى جمعه رعاء ورُعاة ورعيان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال: أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس، قال : لما قال موسى للمرأتين (ما خَطْبُكُما ؟ قالَتا لانَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) : أى لانستطيع أن نسقى حتى يسقى الناس ، ثم نَتَتَبَّع فضلاتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) قال : تنتظران تسقيان من فضول ما فى الحياض حياض الرعاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَتا لانَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) امرأتان لانستطيع أن نزاحم الرجال (وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لايقدر أن يمسّ ذلك من نفسه ، ولا يسقى ماشيته ، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز سوى أبى جعفر القارئ وعامة قرّاء العراق سوى أبى عمرو (يُصْدِرَ الرِّعاء) بضم الياء ، وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بفتح الياء من يصدر الرعاء عن الحوض . وأما الآخرون فإنهم ضموا الياء ، بمعنى :أصدر الرعاءُ مواشيهم ، وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) يقولان : لايستطيع من الكبر والضعف أن يسقىَ ماشيته .

وقوله (فَسَقَى لَهُما) ذُكِرَ أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليها حَجَر لايطيق رفعه إلا جماعة من الناس ، ثم استقى فسقى لهما ماشيتهما منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فتح لهما عن بئر حجرا على فيها ، فسقى لهما منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه ، وزاد فيه : قال ابن جريج : حجرا كان لايطيقه إلا عشرة رَهْط .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجّاج ، عن الحكم ، عن شريح ، قال : انتهى إلى حجر لايرفعه إلا عشرة رجال ، فرفعه وحده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : رحمهما موسى حين (قالَتا لانَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) فأتى إلى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من

أهل مَدْيَنَ يجتمعون عليها ، حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما ، فرجعتا سريعا ، وكانتا إنما تسقيان من فُضول الحياض .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (فَسَقَى لَهُما) فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيرا حتى كانت أول الرعاء ريا ، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : تصدّق عليهما نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فسقى لهما ، فلم يلبث أن أروى غنمهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أخذ دلوهُما موسى ، ثم تقدّم إلى السقاء بفضل قوّته ، فزاحم القوم على الماء حتى أخّرهم عنه ، ثم سقى لهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ، ثم تولى إلى ظلّ شجرة ذُكِر أنها سَمُرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ تَوَلَّى) موسى إلى ظلّ شجرة سَمُرة ، فقال (رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثني العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال: أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : انصرف موسى إلى شجرة ، فاستظلّ بظلّها ، (فقالَ : رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبدالله ، قال : حثثت على جَمَل لى ليلتين حتى صبحت مدين ، فسألت عن الشجرة التى أوى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترِفّ ، فأهوى إليها جملى وكان جائعا ، فأخذها جملى ، فعالجها ساعة ، ثم لفظها ، فدعوت الله لموسى عليه السلام ، ثم انصرفت ، وقوله ، (فقالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) محتاج ، وذُكر أن نبىّ الله موسى عليه السلام قال هذا القول ، وهو بجهد شديد ، وعَرّض ذلك للمرأتين تعريضا لهما ، لعلهما أن تُطعماه مما به من شدّة الجوع . وقيل : إن الخير الذى قال نبىّ الله (إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) محتاج ، إنَّمَا عَنى به : شَبْعَة من طعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب موسى

من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت تُرَى أمعاؤه من ظاهر الصِّفاق ؛ فلما سقى للمرأتين ، وأوى إلى الظلِّ ، قال (رَبِّ إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال : ورد الماء وإنه ليتراءى خُضرة البقل فى بطنه من الهُزال ، (فقال رَبِّ إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : شَبْعة .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ ، قال : ثنا حَكَّام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبى حُصَيْن ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال : ورد الماء ، وإنَّ خُضرة البقل لتُرى فى بطنه من الهُزال .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سَلْم ، عن عنبسة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبَير (إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : شَبْعَة يومئذ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله ، فقال (رَبِّ إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : قال هذا وما معه درهم ولا دينار .

قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : ماسأل إلا الطَّعام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة بن الفضل ، عن سفيان الثورىّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله فقال (رَبِّ إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : ما سأل ربه إلا الطعام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ رَبِّ إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى : ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضرة أمعائه من شدة الجوع ، وما يسأل الله إلا أُكْلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (رَبِّ إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : كان نبىّ الله بجهد .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن عطاء بن السائب فى قوله (إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : بلغنى أن موسى قالها وأسمع المرأة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : طعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : طعام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : الطعامَ يَسْتَطْعِم ، لم يكن معه طعام ، وإنما سأل الطعام .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٢٥

يقول تعالى ذكره : فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشى على استحياء من موسى ، قد سترت وجهها بثوبها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى قوله (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : مستترة بكمّ درعها ، أو بكمّ قميصها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حماد بن عمرو الأسدى ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل عن عمر رضى الله عنه ، قال : واضعة يدها على وجهها مستترة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : قد سترت وجهها بيديها .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : قائلة بيديها على وجهها ، ووضع أبى يده على وجهه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : ليست بسلفع من النساء خرّاجة ولاّجة واضعة ثوبها على وجهها ، تقول (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : لم تكن سلفعا من النساء خرّاجة ولاّجة ، قائلة بيدها على وجهها (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول ، فى قوله (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : بعيدة من البذاء .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : أتته تمشى على استحياء منه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : واضعة يدها على جبينها .

وقوله (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) يقول تعالى ذكره : قالت المرأة التى جاءت موسى تمشى على استحياء : إن أبى يدعوك ليجزيك : تقول : يثيبك أجر ما سقيت لنا .

وقوله (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) يقول : فمضى موسى معها إلى أبيها ، فلما جاء أباها وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط ، قال له أبوها (لَا تَخَفْ) فقد (نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يعنى : من فرعون وقومه ، لأنه لا سلطان له بأرضنا التى أتو بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنا .

❊ قال أبو جعفر : أحسبه قال : فأخبرتاه الخبر ؛ فلما أتاه موسى كلمه ، (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا فى مملكته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعا سألهما ، فأخبرتاه خبر موسى ، فأرسل إليه إحداهما ، فأتته تمشى على استحياء ، وهو يستحى منه (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فقام معها وقال لها : امضى ، فمشت بين يديه ، فضربتها الريح ، فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشى خلفى ، ودلينى على الطريق إن أخطأت فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) قال : قال مطرف : أما والله لو كان عند نبى الله شىء ما تتبع مذقيهما (١) ، ولكن إنما حمله على ذلك الجهد (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : رجعتا إلى أبيهما فى ساعة كانتا لا ترجعان فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما فأخبرتاه الخبر ، فقال لإحداهما : عجلى على به ، فأتته على استحياء فجاءته ، فقالت (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فقام معها كما ذكر لى ، فقال لها : امشى خلفى ، وانعتى لى الطريق ، وأنا أمشى أمامك ، فإنا لا ننظر إلى أدبار النساء ؛ فلما جاءه أخبره الخبر ، وما أخرجه من بلاده (فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وقد أخبرت أباها بقوله إنا لا ننظر إلى أدبار النساء .

(١) مذقيهما : مثنى مذق ، وهو اللبن يخلط بالماء ، ويشرب . يريد أن موسى عليه السلام ، لم يكن معه مال ولا زاد .

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيها حين أتاهُ موسى، وكان اسم إحداهما صفُّورا، واسم الأخرى ليّا، وقيل: شَرْفا كذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: أخبرني وهب بن سليمان الرمادي، عن شعيب الجَبَئِي، قال: اسم الجاريتين ليّا، وصفُّورا، وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون[1] كاهن مدين، والكاهن: حبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: إحداهما صَفُّورا ابنة يثرون وأختها شرفا، ويقال: ليا، وهما اللتان كانتا تذودان. وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف، فقال بعضهم: كان اسمه يثرون[1].

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عُبيدة، قال: كان الذي استأجر موسى ابنُ أخي شعيب يثرون[1].

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عُبيدة، قال: الذي استأجر موسى يثرون ابنُ أخي شعيب عليه السلام.

وقال آخرون: بل اسمه: يَثْرَى[1].

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس قال: الذي استأجر موسى: يثرى[1] صاحب مدين.

حدثني أبو العالية العبديّ إسماعيل بن الهيثم، قال: ثنا أبو قُتيبة، عن حماد بن سلمة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس، قال: الذي استأجر موسى: يثرى[1] صاحب مدين.

حدثني أبو العالية العبديّ إسماعيل بن الهيثم، قال: ثنا أبو قُتيبة، عن حماد بن سلمة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس، قال: اسم أبي المرأة: يثرى[1].

وقال آخرون: بل اسمه شعيب، وقالوا: هو شعيب النبيّ عليه السلام.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا قرّة بن خالد، قال: سمعت الحسن يقول: يقولون شعيب صاحب موسى، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ.

﴿ قال أبو جعفر: وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى

(١) يثرون ويثرى: كذا في الأصل. وفي العرائس (قصص الأنبياء، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ص ١٧٤: «ثبرون»). ولعله تحريف من الناسخ.

بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ ... قَالَتْ إحْدَاهُمَا : يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) تعنى بقولها : استأجره ليرعى عليك ماشيتك (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) تقول : إن خير من تستأجره للرعى القوىّ على حفظ ماشيتك والقيام عليها فى إصلاحها وصلاحها ، الأمين الذى لا تخاف خيانته ، فيما تأمنه عليه . وقيل : إنها لما قالت ذلك لأبيها ، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه فقال لها : وما علمك بذلك ، فقالت : أما قوّته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقى على البئر ، وأما الأمانة فما رأيت من غضّ البصر عنى .

وبنحو ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال (قالَتْ إحْدَاهُمَا يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) قال : فأحفظته الغَيْرة أن قال : وما يدريك ما قوّته وأمانته ؟ قالت : أما قوّته ، فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلا قطّ أقوى فى ذلك السقى منه ؛ وأما أمانته ، فانه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أنى امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه ، ولم ينظر إلىّ حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : امشى خلفى وانعتى لى الطريق ، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين ، فسُرِّىَ عن أبيها وصدّقها وظنّ به الذى قالت .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله لموسى (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) يقول : أمين فيما وَلِىَ ، أمين على ما استُودع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالَتْ إحْدَاهُمَا يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) قال : إن موسى لما سَقَى لهما ، ورأت قوّته ، وحرّك حجرا على الركيّة ، لم يستطعه ثلاثون رجلا ، فأزاله عن الركية ، وانطلق مع الجارية حين دعته ، فقال لها : امشى خلفى وأنا أمامك ، كراهية أن يرى شيئا من خلفها مما حرّم الله أن ينظر إليه ، وكان يوما فيه ريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، ، عن عبد الرحمن بن أبى نعم ، فى قوله (يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ) قال لها أبوها : ما رأيت من أمانته ؟ قالت : لما دعوته مشيت بين يديه ، فجعلت الريح تضرب ثيابى ، فتلزق بجسدى ، فقال : كونى خلفى ، فإذا بلغت الطريق فاذهبى . قالت : ورأيته يملأ الحوض بسجل واحد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (القَوِيُّ الأمِينُ) قال : غضّ طرفه عنهما ، قال محمد بن عمرو فى حديثه حين ، أو حتى سقى لهما فصدرتا . وقال الحارث فى حديثه : حتى سقى بغير شك.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : فتح عن بئر حجرا على فيها ، فسقى لهما بها ، والأمين : أنه غضّ بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر وهانئ بن سعيد ، عن الحجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمينُ) قال : رفع حجرا لايرفعه إلا فئام من الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، قال عمرو بن ميمون ، في قوله (القَوِيُّ الأمينُ) قال : كان يوم ريح ، فقال : لاتمشي أمامي ، فيصفك الريح لي ، ولكن امشي خلفي ودلّيني على الطريق ؛ قال : فقال لها : كيف عرفت قوّته ؟ قالت : كان الحجر لايطيقه إلا عشرة فرفعه وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو معاوية ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن شريح في قوله (القَوِيُّ الأَمينُ) قال : أما قوّته : فانتهى إلى حجر لايرفعه إلا عشرة ، فرفعه وحده . وأما أمانته : فإنها مشت أمامه فوصفها الريح ، فقال لها : امشي خلفي وصفي لي الطريق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، قال : سألت تميم بن إبراهيم : بم عرفت أمانته ؟ قال : في طرفه ، بغضّ طرفه عنها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمينُ) قال : القويّ في الصنعة ، الأمين فيما وَلِي . قال : وذُكر لنا أن الذى رأت من قوّته : أنه لم تلبث ماشيتها حتى أرْواها ؛ وأن الأمانة التى رأت منه أنها حين جاءت تدعوه ، قال لها : كوني ورائي ، وكره أن يستدبرها ، فذلك مارأت من قوّته وأمانته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيّ الأَمينُ) قال : بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما . وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد[1] . وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشي خلفه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (قالَتْ إحْداهُما : يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمينُ) وهي الجارية التي دعته ، قال الشيخ : هذه القوّة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، أرأيت أمانته ، مايدريك ماهي ؟ قالت : مشيت قدّامه فلم يحبّ أن يخونني في نفسي ، فأمرني أن أمشي خلفه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قالَتْ إحْداهُما : يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِي الأَمينُ) فقال لها : وماعلمك بقوّته وأمانته ، فقالت : أما قوّته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ، وكان لايكشفها دون سبعة نفر . وأما أمانته فإني لما جئت أدعوه قال : كوني خلْفَ ظهري ، وأشيري لي إلى منزلك ، فعرفت أن ذلك منه أمانة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَتْ يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ

---

(١) الدلو : الذى يستقى به من البئر ونحوها : يذكر ويؤنث (عن اللسان) .

مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) لما رأت من قوته وقوله لها ماقال: أن امشى خلفى ، لئلا يرى منها شيئا مما يكره ، فزاده ذلك فيه رغبة :

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (قالَ) أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى : (إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ) يعنى بقوله (عَلَى أن تَأْجُرَنِي) : على أن تثيبنى من تزويجها رعى ماشيتى ثمانى حجج ، من قول الناس: آجرك الله فهو يأجرك ، بمعنى : أثابك الله ؛ والعرب تقول: أجَرت الأجير أجره ، بمعنى : أعطيته ذلك ، كما يقال : أخذته فأنا آخذه . وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب : أجَرْت غلامى فهو مأجور ، وآجرته فهو مُؤْجَر ، يريد : أفعلته . قال : وقال بعضهم : آجره فهو مؤاجِر ، أراد فاعلته ؛ وكأن أباها عندى جعل صداق ابنته التى زوجها موسى رَعْى موسى عليه ماشيته ثمانىَ حجج ، والحِجَج : السنون .

وقوله (فإنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ) يقول: فإن أتممت الثمانى الحجج عشرا التى شرطتها عليك بإنكاحى إياك إحدى ابنتىّ ، فجعلتها عشر حجج ، فإحسان من عندك ، وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتى (وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) باشتراط الثمانى الحِجَج عَشْرا عليك (سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) فى الوفاء بما قلت لك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) أى فى حُسن الصحبة والوفاء بما قلت .

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : (قالَ) موسى لأبى المرأتين (ذلكَ بَيْنِى وبَيْنَكَ) أى هذا الذى قلت من أنك تزوجنى إحدى ابنتيك على أن آجرك ثمانى حِجَج ، واجب بينى وبينك ، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه .

وقوله (أَيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ) يقول: أىّ الأجلين من الثمانى الحجج والعشر الحجج قضيت ، يقول : فرغت منها فوفيتكها رعى غنمك وماشيتك (فَلا عُدْوانَ عَلَىَّ) يقول : فليس لك أن تعتدى علىّ ، فتطالبنى بأكثر منه ، و«ما» فى قوله (أَيَّمَا الأجَلَيْنِ) صلة يوصل بها أىّ على الدوام[١] ، وزعم أهل العربية أن هذا أكثر فى كلام العرب من أىّ[١] ، وأنشد قول الشاعر :

(١) يظهر أن فى عبارة الأصل سقطا ، يعلم من عبارة الفراء فى شرح البيت الآتى . وقوله « على الدوام » أى أن (ما) الزائدة تلحق بلفظ أى دائما ، وقوله وزعم أهل العربية الخ : يريد أن أهل العربية قالوا : إن ما إما أن تلحق بلفظ أى ، أو تجىء بعد ما أضيف إليه « أى» ، وهذا أكثر فى كلام العرب كما يعلم من الشاهدين الآتيين بعد .

وأيُّهُما ما أتْبَعَنَّ فإنَّني حَريصٌ عَلَى أثْرِ الّذِي أنا تابِعُ[1]

وقال عباس بن مرداس :

فأَيِّي ما وأيُّكَ كانَ شَرًّا فَقِيدَ إلى المَقامَةِ لا يَرَاها[2]

وقوله (وَاللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) كان ابن إسحاق يرى هذا القول من أبي المرأتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال موسى (ذلكَ بَيْنِي وبَيْنَكَ أيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال : نعم . (واللهُ عَلَى مانَقُولُ وَكِيلٌ) فزوّجه ، وأقام معه يكفيه ، ويعمل له فى رعاية غنمه ، وما يحتاج إليه منه ، وزوجة موسى صفورا أو أختها : شرفا أو ليّا :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال ابن عباس : الجارية التى دعته هى التى تزوّج .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال له (إنّى أُرِيدُ أنْ أُنْكِحَكَ إحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلَى أنْ تَأْجُرَنِي) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأيتهما تريد أن تنكحنى ؟ قال : التى دعتك ، قال : لا . ألا وهى بريئة مما دخل نفسك عليها ، فقال : هى عندك كذلك ، فزوّجه .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (أيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ ذلكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) إما ثمانيا ، وإما عشرا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وسأله رجل قال (أيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال : فقال القاسم : ما أبالى أىّ ذلك كان ، إنما هو موعد وقضاء :

وقوله (وَاللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) يقول : والله على ما أوجب كلّ واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول ، شهيد وحفيظ .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَاللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) قال : شهيد على قول موسى وختنه . وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ٢٤١) على أن (ما) قد تزاد بعد المضاف إلى «أى» أداة الجزاء . قال : قوله «أيما الأجلين» فجعل ما وهى صلة من صلات الجزاء مع أى . وهى فى قراءة عبد الله : « أى الأجلين ما قضيت فلا عدوان على » . وهذا أكثر فى كلام العرب من الأول . ويتضح من هذا أن عبارة المؤلف قاصرة أو فيها جزء ساقط قبل قوله : « وزعم أهل العربية » . . . الخ .

(٢) البيت لعباس بن مرداس . وقد تقدم الاستشهاد به فى مواضع والشاهد هنا فى زيادة « ما » بعد ما أضيف إليه . أى والمقامة : المجلس . وقيد إلى المقامة : دعاء عليه بأن يعمى ، فلا يصل إلى مجلس قومه إلا إذا قيد .

هذا العقد ، أمر إحدى ابنتيه أن تعطيَ موسى عصاً من العصيّ التى تكون مع الرعاة ، فأعطته إياه ، فذكر بعضهم أنها العصا التى جعلها الله له آية . وقال بعضهم تلك عصا أعطاه إياها جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أمر يعنى أبا المرأتين إحدى ابنتيه أن تأتيه ، يعنى أن تأتىَ موسى بعصاً ، فأتته بعصاً ، وكانت تلك العصا عصاً استودعها إياه مَلَك فى صورة رجل ، فدفعها إليه ، فدخلت الجارية ، فأخذت العصا ، فأتته بها ؛ فلما رآها الشيخ قال : لا ، ائتيه بغيرها ، فألقتها تريد أن تأخذ غيرها ، فلا يقع فى يدها إلا هى ، وجعل يردّدها ، وكل ذلك لايخرج فى يدها غيرها ؛ فلما رأى ذلك عمد إليها ، فأخرجها معه ، فرعَى بها ، ثم إن الشيخ ندم وقال : كانت وديعة ، فخرج يتلقّى موسى ، فلما لقيهُ قال : أعطنى العصا ، فقال موسى : هى عصَاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما ، فرضيا أن يجعلا بينهما أوّل رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشى ، فقال : ضعوها فى الأرض ، فمن حملها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذ موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعَى له عشر سنين . قال عبد الله ابن عباس ؛ كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال يعنى أبا الجارية لما زوّجها موسى لموسى : أدخل ذلك البيت فخذ عصا ، فتوكأ عليها ، فدخل ، فلما وقف على باب البيت ، طارت إليه تلك العصا ، فأخذها ، فقال : اردُدها وخذ أخرى مكانها ، قال : فردّها ، ثم ذهب ليأخذ أخرى ، فطارت إليه كما هى ، فقال : لاأردها ، فعل ذلك ثلاثا ، فقال : ارددها ، فقال : لاأجد غيرها اليوم ، فالتفت إلى ابنته ، فقال لابنته : إن زوجك لنبىّ .

ذكر من قال التى كانت آيةً عصاً أعطاها موسى جبرائيل عليه السلام :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، قال : سألت عكرمة قال : أما عصا موسى ، فإنها خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام ، فلقّى موسى بها ليلا ، فدفعها إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : فلما وفّى موسى صاحبه الأجل الذى فارقه عليه ، عند إنكاحه إياه ابنته ، وذكر أن الذى وفّاه من الأجلين ، أتمهما وأكملهما ، وذلك العشر الحجج ، على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال : زاد مع العشر عَشْرا أخرى .

ذكر من قال : الذى قضى من ذلك هو الحجج العشر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت ابن عباس : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : خيرهما وأوفاهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس سئل : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأخيَرَهما .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيدالله بن موسى ، قال : ثنا موسى بن عُبَيْدة ، عن أخيه ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : قضى موسى آخِر الأجلين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، سئل ابن عباس : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأوفاهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جُبَيْر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهَّز للحجّ : إنى أراك رجلا تتتبع العلم ، أخبرنى أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لاأعلم ، وأنا الآن قادم على حَبْر العرب ، يعنى ابن عباس ، فسائله عن ذلك ؛ فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودىّ ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبىّ إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى ، فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى هذا ، والله العالم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : سألنى رجل من أهل النصرانية : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لاأعلم ، وأنا يومئذ لاأعلم ، فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانى ، فقال : أماكنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه ، لم يكن نبىّ الله نقص منها شيئا ، وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عِدَته التى وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) قال : حدّث ابن عباس ، قال : رعى عليه نبىّ الله أكثرها وأطيبها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أوْفاهُما وأَتَمَّهُما » .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحميدى أبوبكر بن عبد الله بن الزُّبير (١) ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألْتُ جِبْرَائِيلَ : أىَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قال : أتَمَّهُما وأَكْمَلَهُما » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال مجاهد : إن النبىّ

(١) فى الخلاصة للخزرجى : عبد الله بن الزبير بن عبد الله (أبو عبيدالله) الأسدى الحميدى المكى أحد الأئمة .

صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل « أيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قال سَوْفَ أَسأَلُ إِسْرَافِيلَ ، فَسأَلَهُ فَقَالَ : سَوْفَ أَسأَلُ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى ، فَسأَلَهُ ، فَقَالَ : أَبَرَّهُما وأَوْفاهُما »

ذكر من قال : قضى العَشْر الحِجَج وزاد على العشْر عشرا أخرى

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) قال : عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قَضَى مُوسَى الأجَلَ) عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس ، قال : لما دعا نبيُّ الله موسى صاحبه إلى الأجل الذى كان بينهما ، قال له صاحبه : كلُّ شاة ولدت على غير لونها فلك ولد ، فعمد ، فرفع خيالا على الماء ، فلما رأت الخيال ، فزعت ، فجالت جولة فولدن كلهنّ بُلْقا ، إلا شاة واحدة ، فذهب بأولادهنّ ذلك العام .

وقوله (وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطورِ نارًا) يقول تعالى ذكره : (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ) شاخصا بهم إلى منزله من مصر (آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ) يعنى بقوله : آنس : أبصر وأحسّ كما قال العجّاج :

آنَسَ خِرْبانَ فَضاءٍ فانْكَدَرْ دَاَنى جَناحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ؛ غير أنا نذكر ههنا بعض ما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ نارًا قالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نارًا) : أى أحسست نارا .

وقد بيّنا معنى الطور فيما مضى بشواهده ، وما فيه من الرواية عن أهل التأويل .

وقوله (لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نارًا) يقول : قال موسى لأهله : تمهّلوا وانتظروا . إنى أبصرت نارا (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها) يعنى من النار (بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) يقول : أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ، وهى مثل الجِذْمة من أصل الشجرة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧) ورقم البيت الأول هو ٧٦ ورقم الثانى هو ٧٤ . وفى رواية الأول : « أبصر » فى موضع « آنس » وهما بمعنى . والخربان بالكسر جمع خرب كسبب ، وهو ذكر الحبارى ، وقيل هو الحبارى كلها . ومن جموعه أيضا : أخراب ، وخراب . وانكدر : أسرع وانقض . والضمير فى الفعلين للبازى المذكور فى البيت قبله ، وقد شبه الممدوح عمر بن عبيد الله بالبازى ينقض على أعدائه ، كما ينقض البازى على الحبارى ، فيصيدها . وانظر شرح البيت الثانى مطولا فى الجزء (٩ : ٢٤٣) . وهذه الأرجوزة يمدح بها العجاج عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولاه ابن الزبير العراق لمحاربة عبيد الله بن بشير بن الماجوز من الخوارج ، فعهد فى حربهم إلى أخيه عثمان بن عبيد الله بن معمر ، فقتل . (انظر البلاذرى . مخطوط بدار الكتب المصرية) .

باتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذَا غيرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ[1]

وفى الجِذوة لغات للعرب ثلاث : جِذوة بكسر الجيم ، وبها قرأت قرّاء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة ، وهى أشهر اللغات الثلاث فيها . وجَذوة بفتح الجيم ، وبها قرأ أيضا بعض قرّاء الكوفة .[2] وهذه اللغات الثلاث وإن كنّ مشهورات فى كلام العرب ، فالقراءة بأشهرها أعجب إلىّ ، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الجَذوة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) يقول شهاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ جَذْوَةٍ) والجذوة : أصل شجرة فيها نار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : أصل الشجرة فى طرَفها النار ، فذلك قوله (أَوْ جَذْوَةٍ) ٧ قال : السَّعف فيه النار . قال مَعْمر ، وقال قتادة (أَوْ جَذْوَةٍ) : أو شُعلة من النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : أصل شجرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : أصل شجرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) قال : الجَذوة : العود من الحطب الذى فيه النار ، ذلك الجذوة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول : لعلكم تسخَنون بها من البرد ، وكان فى شتاء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

---

(١) البيت لتميم بن أبى بن مقبل (اللسان : جذا) قال : يقال لأصل الشجرة جذية وجذاة (الأولى بكسر الجيم ، والثانية بفتحها) . الأصمعى : جذم كل شىء وجذيه : أصله . والجذاء : أصول الشجر العظام العادية . التى بلى أعلاها . وبقى أسفلها ؛ قال تميم بن مقبل « باتت حواطب ليلى » . . . . البيت . اهـ : والحواطب : جمع حاطبة ، وهى الأمة تجمع الحطب . وقال أبو عبيدة فى مجازى القرآن » : « جذوة من النار » : أى قطعة غليظة من الحطب ، ليس فيها لهب ، وهى مثل الجذمة ، من أصل الشجرة : قال ابن مقبل . « باتت حواطب ليلى » . . . البيت . اهـ . والخوار : الضعيف . والدعر : العود يدخن كثيرا ولا يتقد ، وهو الردىء الدخان . وقيل : الدعر من الحطب : البالى .

(٢) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة ، وهى : جذوة (بضم الجيم) وبها قرئ أيضا .

يقول تعالى ذكره : فلما أتى موسى النارَ التى (آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) (نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ) يعنى بالشاطئ : الشطّ ، وهو جانب الوادى وعدوته ، والشاطئ يجمع شواطئ وشطآن والشطّ : الشُّطوطَ والأيمن : نعت من الشاطئ عن يمين موسى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ شاطِئِ الوَادِ الأيمَنِ) قال ابن عمرو فى حديثه عند الطور . وقال الحارث فى حديثه من شاطئ الوادى الأيمن عند الطور عن يمين موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الوَادِ الأيمَنِ) قال : شِقّ الوادى عن يمين موسى عند الطور .

وقوله (فى البُقْعة المباركة) من صلة الشاطئ .

وتأويل الكلام : فلما أتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة منه من الشجرة : (أنْ يامُوسَى إنّى أنا اللهُ رَبّ العالَمِينَ) .

وقيل : إن معنى قوله (مِنَ الشَّجَرَةِ) : عند الشجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا أتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الوَادِ الأيمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال : نودى من عند الشجرة (أنْ يا مُوسَى إنى أنا اللهُ رَبّ العالَمِينَ) .

وقيل : إن الشجرة التى نادى موسى منها ربه : شجرة عَوْسَج . وقال بعضهم : بل كانت شجرة العُلّيق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (البُقْعَةِ المباركَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال : الشجرة عوسج . قال معمر ، عن قتادة عصا موسى من العَوْسج : والشجرة من العَوْسَج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض من لا يتهم ، عن بعض أهل العلم (إنّى آنَسْتُ نارًا) قال : خرج نحوها ، فإذا هى شجرة من العُلّيق ، وبعض أهل الكتاب يقول : هى عَوْسجة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : رأيت الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام ، شجرة سَمْراء خضراء ترفّ

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ

أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره: نُودى موسى: (أن ياموسى إنّى أنا اللهُ ربُّ العالَمين. وأنْ ألْقِ عَصَاكَ) فألقاها موسى، فصارت حية تسعى (فَلَمَّا رآها) موسى (تَهْتَزُّ) يقول: تتحرّك وتضطرب (كأنّها جانٌّ) والجانّ: واحد الجِنَّان، وهي نوع معروف من أنواع الحيات، وهي منها عظام. ومعنى الكلام: كأنها جانّ من الحيات (وَلَّى مُدْبِرًا) يقول: ولى موسى هاربا منها.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَّى مُدْبِرًا) فارا منها، (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يرجع على عقبه.

وقد ذكرنا الرواية في ذلك، وما قاله أهل التأويل فيما مضى، فكرهنا إعادته، غير أنا نذكر في ذلك بعض ما لم نذكره هنالك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يعقب: أي لم يلتفت من الفرق.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: لم ينتظر.

وقوله (يا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره: فنودى موسى: ياموسى أقبل إلىّ ولا تخف من الذى تهرب منه (إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ) من أن يضرك، إنما هو عصاك.

وقوله (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) يقول: أدخل يدك وفيه لغتان: سلكته، وأسلكته (فى جَيْبِكَ) يقول: فى جيب قميصك.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ): أى فى جيب قميصك.

وقد بيَّنا فيما مضى السبب الذى من أجله أُمر أن يدخل يده فى الجيب دون الكمّ.

وقوله (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) يقول: تخرج بيضاء من غير برص.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا ابن المفضل، قال: ثنا قرة بن خالد، عن الحسن، فى قوله (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال: فخرجت كأنها المصباح، فأيقن موسى أنه لقى ربه.

وقوله (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) يقول: واضمم إليك يدك.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال: يدك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال:

وجناحاه : الذراع . والعضد : هو الجناح . والكفّ : اليد ، (اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) .

وقوله (مِنَ الرَّهْبِ) يقول : من الخوف والفرَق الذى قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنَ الرَّهْبِ) قال : الفرَق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) : أى من الرعب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنَ الرَّهْبِ) قال : مما دخله من الفرَق من الحية والخوف ، وقال : ذلك الرهب ، وقرأ قول الله (يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) قال : خوفا وطمعا .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل الحجاز والبصرة (مِنَ الرَّهَبِ) بفتح الراء والهاء . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (مِنَ الرُّهْبِ) بضم الراء وتسكين الهاء ، والقول فى ذلك أنهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : فهذان اللذان أريتكهما ياموسى من تحوّل العصا حية ، ويدك وهى سمراء ، بيضاء تلمع من غير برص ، برهانان : يقول : آيتان وحجتان ؛ وأصل البرهان : البيان ، يقال للرجل : يقول القول إذا سئل الحجة عليه : هات برهانك على ما تقول : أى هات تبيان ذلك ومصداقه :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَذَانِكَ برهانان مِنْ رَبِّكَ) العصا واليد آيتان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) تبيانان من ربك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) هذان برهانان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) فقرأ (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ذلك آية نعرفها ، وقال : برهانان آيتان من الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَذَانِكَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، سوى ابن كثير وأبى عمرو

(فَذَانِكَ) بتخفيف النون ، لأنها نون الاثنين ، وقرأه ابن كثير وأبوعمرو (فَذَانِّكَ) بتشديد النون . واختلف أهل العربية فى وجه تشديدها ، فقال بعض نحويّي البصرة : ثقل النون من ثقلها للتوكيد ، كما أدخلوا اللام فى ذلك . وقال بعض نحويّي الكوفة : شددت فرقا بينها وبين النون التى تسقط للإضافة ، لأن هاتان وهذان لاتضاف . وقال آخر منهم : هو من لغة من قال : هذا آقال ذلك ، فزاد على الألف ألفا ، كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الأسماء المتمكنة ، وقال فى ذانك إنما كانت ذلك فيمن قال : هذان ياهذا ، فكرهوا تثنية الإضافة فأعقبوها باللام ، لأن الإضافة تعقب باللام . وكان أبوعمرو يقول : التشديد فى النون فى (ذَانِكَ) من لغة قريش (إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) يقول : إلى فرعون وأشراف قومه ، حجة عليهم ، ودلالة على حقيقة نبوّتك ياموسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول : إن فرعون وملأه كانوا قوما كافرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى : ربّ إنى قتلت من قوم فرعون نفسا ، فأخاف إن أتيتهم فلم أبن عن نفسى بحجة أن يقتلون ، لأن فى لسانى عقدة ، ولا أبين معها ما أريد من الكلام ، وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ، يقول : أحسن بيانا عما يريد أن يبينه (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا) يقول : عونا يصدّقنى : أى يبين لهم عنى ما أخاطبهم به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) : أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به ، فإنه يفهم ما لايفهمون . وقيل : إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه ، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخبر ، كانت النفس إلى تصديقهما ، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) لأن الاثنين أحرى أن يصدّقا من واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) قال عونا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) : أى عونا.

وقال آخرون : معنى ذلك : كيما يصدقنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) يقول : كى يصدّقنى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) يقول : كيما يصدّقنى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) يقول : كيما يصدّقنى . والردء فى كلام العرب : هو العون ، يقال منه : قد أردأت فلانا على أمره : أى أكفيته وأعنته .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُصَدِّقُنِي) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (رِدْءًا يُصَدِّقْنِي) بجزم يصدقنى . وقرأ عاصم وحمزة (يُصَدِّقُنِي) برفعه ، فمن رفعه جعله صلة للردء ، بمعنى : فأرسله معى ردءًا من صفته يصدّقنى ؛ ومن جزمه جعله جوابا لقوله فأرسله ، فإنك إذا أرسلته صدّقنى ، على وجه الخبر. والرفع فى ذلك أحبّ القراءتين إلىّ ، لأنه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عونا له بهذه الصفة .

وقوله (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) يقول : إنى أخاف أن لا يصدقون على قولى لهم إنى أرسلت إليكم.

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) ؛ أى نقوّيك ونُعينك بأخيك ، تقول العرب إذا أعزّ رجل رجلا ، وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم ، قد شدّ فلان على عَضُد فلان ، وهو من عاضده على أمره : إذا أعانه ، ومنه قول ابن مقبل :

عاضَدْتُها بعَتُودٍ غيرِ مُعْتَلَثٍ كأنّهُ وَقْفُ عاجٍ ، باتَ مَكْنُونا[1]

(١) البيت لتميم بن أبى بن مقبل ، قاله المؤلف ، نقلا عن مجاز القرآن لأبى عبيدة ، قال : سنشد عضدك بأخيك » : أى سنقويك به ونعينك به . يقال إذا أعز رجل رجلا ومنعه : قد شد فلان على عضد فلان . وهو من عاضدته على أمره ، أى عاونته عليه وآزرته : قال ابن مقبل : « عاضدته . . . . . بات مكنونا » . يعنى قوسا ، أى عاضدها بسهم . اه . انظر المصورة (رقم ٢٦٠٥٩ بجامعة القاهرة) : والعتود : : السدرة أو الطلحة ، ولعل سهم بن مقبل كان من شجر السدر أو الطاح . والمعتلث : إما من اعتلث الزند إذا لم يور ، فهو حينئذ بكسر اللام : وإما من اعتاث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدرى أيورى أم يصلد . وقال أبو حنيفة : اعتلث زنده ، إذا اعترض الشجر اعتراضا ، فاتخذه مما وجد ، والذين لغة ، عنه أيضا . وهو حينئذ بفتح اللام . والوقف من العاج : —

يعني بذلك : قوسا عاضدها بسهم . وفي العضُد لغات أربع : أجودها : العَضُد ، ثم العَضْد ، ثم العُضُد ، والعُضْد . يجمع جميع ذلك على أعضاد .

وقوله (وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطانا) يقول : ونجعل لكما حجة :

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَكُما سُلْطانا) حجة .

حدثنا القاسم قال : قال : ثنا الحسين قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطانا) والسلطان : الحجة .

وقوله (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء : وقوله (بِآياتِنا) يقول تعالى ذكره : (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما) فرعون وقومه (بِآياتِنا أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُما الغالِبُونَ) فالباء في قوله بآياتنا من صلة غالبون . ومعنى الكلام : أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا أي بحجتنا وسلطاننا الذى نجعله لكما .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ماجاء به موسى من عند ربه ، قالوا لموسى : ماهذا الذى جئتنا به إلا سحرا افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا (وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) الذى تدعونا إليه من عبادة من تدعونا إلى عبادته فى أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره (وَقالَ مُوسَى) مجيبا لفرعون (رَبِّي أَعْلَمُ) بالمحق منا يافرعون من المبطل ، ومن الذى جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده ، ومن الذى له العقبى المحمودة فى الدار الآخرة منا ، وهذه معارضة من نبىّ الله موسى عليه السلام لفرعون ، وجميل مخاطبة ، إذ ترك أن يقول له ، بل الذى غرّ قومه وأهلك جنوده ، وأضلّ أتباعه أنت لا أنا ، ولكنه قال (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالهُدَى

كهيئة السوار ، يريد ما فى السهم من خطوط سود سمة له كالتى تكون فى الوقف من العاج ، وقوله « بات مكنوز ؟ » هذه رواية أبى عبيدة ، ولعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ . ومعناه : أن السهم قد أعد وهيىء ووضع فى الكنانة ، وهى جعبة السهام ، وبق فيها إلى أن ركب فى القوس .

مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) ثم بالغ فى ذمّ عدوّ الله بأجمل من الخطاب فقال (إِنَّهُ لايُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لاينجح ولايدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى ،يعنى بذلك فرعون إنه لايفلح ولا ينجح لكفره به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم (يا أيُّها المَلأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) فتعبدوه ، وتصدّقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيرى ومعبودا سواى ، (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلَى الطِّينِ) يقول : فاعمل لى آجرا ، وذُكر أنه أوّل من طبخ الآجر وبنى به :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد(فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلَى الطِّينِ) قال : على المدَر يكون لَبِنا مطبوخا .

قال ابن جُرَيج : أوّ ل من أمر بصنعة الآجرّ وبنى به فرعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلَى الطِّينِ) قال : فكان أوّل من طبخ الآجرّ يبنى به الصرح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (فَأَوْقِدْ لى ياهامانُ عَلَى الطِّينِ) قال : المطبوخ الذى يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان .

وقوله (فاجْعَلْ لى صَرْحا) يقول : ابن لى بالآجرّ بناء ، وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر ؛ ومنه قول الشاعر :

بِهِنَّ نَعامٌ بَناها الرِّجا ... لُ تَحْسَبُ أعْلامَهُنَّ الصُّرُوحا[1]

يعنى بالصروح : جمع صرح .

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى يصف طرق المفازة (اللسان : نعم) . قال : النعامة : كل بناء أوظلة أوعلم يهتدى به من أعلام المفاوز . وقيل : كل بناء على الجبل كالظلة والعلم . والجمع : نعام . قال أبوذؤيب يصف طرق المفازة : « بهن نعام . . . . البيت قال : . وروى الجوهرى عجزه « تلق النفائض فيه السريحا » قال : والنفائض المزل من الإبل : اه . وفى (اللسان : نفض) النفيضة نحو الطليعة ، وهم الجماعة يبعثون فى الأرض متجسسين ، لينظروا : هل فيها عدو ؟ وخوف . والجمع النفائض . هذا تفسير الأصمعى . وهكذا رواه أبوعمرو بالفاء إلا أنه قال فى تفسيره إنها المزل من الإبل . قال ابن برى : النعام : خشبات يستظل تحتها . والرجال : الرجالة . والسريح : سيور تشد بها النعال ، يريد أن نعال النفائض تقطعت . والصروح : جمع صرح ، وهو كما فى (اللسان : صرح) بيت واحد يبنى منفردا ضخما ، طويلا فى السماء . قال أبو ذؤيب :

عَلَى طُرُقٍ كَنُحُورِ الظِّبَا ... ءِ تَحْسَبُ آرَامَهُنَّ الصُّرُوحَا

وقال الزجاج فى قوله تعالى : « قيل لها ادخلى الصرح » قال : الصرح فى اللغة القصر ، والصحن . يقال : هذه صرحة الدار وقارعتها :

وقوله (لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلى إِلَهِ مُوسَى) يقول : أنظر إلى معبود موسى ، الذى يعبده ، ويدعو إلى عبادته (وإِنِّى لَأَظُنُّهُ) فيما يقول من أن له معبودا يعبده فى السماء ، وأنه هو الذى يؤيده وينصره ، وهو الذى أرسله إلينا من الكاذبين ، فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح ، فارتقى فوقه .

فكان من قصته وقصة ارتقائه ، ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال فرعون لقومه (يا أيُّها المَلأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى ، فَأَوْقِدْ لى يا هامانُ عَلَى الطِّينِ ، فاجْعَلْ لى صَرْحا) لعلى أذهب فى السماء ، فأنظر إلى إله موسى ؛ فلما بُنِى له الصرح ، ارتقى فوقه ، فأمر بنُشّابة فرمى بها نحو السماء ، فردّت إليه وهى متلطخة دما ، فقال : قد قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : واستكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر عن تصديق موسى ، واتباعه على مادعاهم إليه من توحيد الله ، والإقرار بالعبودية له (بغير الحقّ) يعنى تعدّيا وعتوّا على ربهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ) يقول : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لايبعثون ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد ، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة .

وقوله (فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ) يقول تعالى ذكره : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط (فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ) يقول : فألقيناهم جميعهم فى البحر ، فغرقناهم فيه ، كما قال أبو الأسود الدُّؤَلِىّ :

نَظَرْتُ إلى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعالِكا[1]

وذُكر أن ذلك بحر من وراء مصر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ) قال : كان اليم بحرا يقال له إساف ، من وراء مصر ، غرّقهم الله فيه .

وقوله (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : فانظر يامحمد بعين قلبك : كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بربهم وردّوا على رسوله نصيحته ، ألم نهلكهم فنورّث ديارهم وأموالهم أولياءنا ، ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ، ومقام كريم ، بعد أن كانوا

متن من أى ساحتها وعرصتها . وقال بعض المفسرين : الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير . والصرح : الأرض المملسة . والصرح : متن من الأرض مستو . اه . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : الصرح : البناء والقصر . ولم يزد ، وروى البيت كرواية صاحب اللسان .

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى ، كما قاله المؤلف وهو منقول عن مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ١٨٠ ب) قال : « فأخذناه وجنوده » أى فجمعناه وجنوده . « فنبذناهم فى اليم » : أى فألقيناهم فى البحر ، وأهلكناهم وغرقناهم . قال أبو الأسود الدؤلى : « نظرت إلى عنوانه » . . . . البيت . اه . وفى « اللسان : نبذ » النبذ : طرحك الشىء من يدك ، أمامك أو وراءك . ونبذت الشىء : إذا رميته وأبعدته .

مستضعفين ، تقتل أبناؤهم ، وتُستحيا نساؤهم ، فإنا كذلك بك وبمن آمن بك وصدّقك فاعلون مخوّلوك وإياهم ديار مَنْ كذّبك ، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم ، ومهلكوهم قتلا بالسيف ، سنة الله فى الذين خلَوا من قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتمّ بهم أهل العتوّ على الله ، والكفر به ، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار (وَيَوْمَ القِيامَةِ لايُنْصَرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ويوم القيامة لاينصرهم الله إذا عذّبهم ناصر ، وقد كانوا فى الدنيا يتناصرون ، فاضمحلت تلك النصرة يومئذ .

وقوله (وأتْبَعْناهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : وألزمنا فرعون وقومه فى هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم ، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيِّئ ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة ، فمخزوهم بها الخزى الدائم ، ومهينوهم الهوانَ اللازم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأتْبَعْناهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) قال : لعنوا فى الدنيا والآخرة ، قال : هو كقوله (وأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ القِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (وأتْبَعْناهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ) لعنة أخرى ، ثم استقبل فقال (هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ) وقوله (هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ) يقول تعالى ذكره : هم من القوم الذين قبحهم الله ، فأهلكهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعظين

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التى كانت قبله ، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) يقول : ضياء لبنى إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من

أمر دينهم (وَهُدًى) يقول: وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول: ليتذكروا نِعَمَ الله بذلك عليهم ، فيشكروه عليها ولا يكفروا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد وعبد الوهاب ، قالا : ثنا عوف ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التى مسخوا قردة ، ألم تر أن الله يقول (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) غربىّ الجبل (إِذْ قَضَيْنَا إِلى مُوسَى الأَمْرَ) يقول : إذ فرضنا إلى موسى الأمر فيما ألزمناه وقومه، وعهدنا إليه من عهد (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) يقول : وماكنت لذلك من الشاهدين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتَ) يامحمد (بِجَانِبِ الغَرْبِىِّ) يقول : بجانب غربى الجبل (إِذْ قَضَيْنَا إلى مُوسَى الأَمْرَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : غربىّ الجبل .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن علىّ بن مدرك ، عن أبى زرعة بن عمرو ، قال : إنكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتم قبل أن تسألوا ، وقرأ (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَا إلى مُوسَى الأَمْرَ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونا) ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من بعد ذلك (فَتَطَاوَلَ

عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) . وقوله (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) يقول : وما كنت مقيما فى أهل مدين ؛ يقال : ثويت بالمكان أثوِى به ثَواء ، قال أعشى ثعلبة :

أثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدا ... فَمَضَى وأخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) قال : الثاوى : المقيم (تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) يقول : تقرأ عليهم كتابنا (وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) يقول : لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد ، ولكنا كنا نحن نفعل ذلك ونرسل الرسل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وماكنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن (سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) ... الآية .

كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علىّ بن مدرك ، عن أبى زُرْعة ، فى قول الله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى ، وأجبتكم قبل أن تدعونى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نُودوا : يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى ، واستجبت لكم قبل أن تدعونى .

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا حرملة بن قيس النخعىّ ، قال : سمعت هذا الحديث من أبى زُرْعة بن عمرو بن جرير ، عن أبى هريرة (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى ، واستجبت لكم قبل أن تدعونى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر عن سليمان ، وسفيان عن سليمان ، وحجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن علىّ بن مدرك ، عن أبى زرعة بن عمرو ، عن أبى هريرة ، فى قوله (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نُودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى . واستجبت

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (اللسان : ثوى . والديوان طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) . وهو من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد . وفى البيت : ليلة ... فمضت . فى موضع ليله ... ومضى . وفى رواية مجاز القرآن لأبى عبيدة : فمضى ورواية الديوان أحسن ، لقوله بعده : « ومضى لحاجته » . قال شارح الديوان : ثوى وأثوى بمعنى واحد ، أى أقام . وقصر ؛ توانى . وأخلف فلانا وجد موعده خلفا (بكسر الخاء) أى مختلفا يقول : عدل عن سفره ، فأقام وتخلف ليلة ليتزود من قتيلة ، فمضت الليلة ، وأخلفته قتيلة الموعد

لكم قبل أن تدعونى ، قال : وهو قوله حين قال موسى (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ) . . . الاية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج مثل ذلك .

وقوله (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : لم تشهد شيئا من ذلك يامحمد فتعلمه ، ولكنا عرفناكه ، وأنزلنا إليك ، فاقتصصنا ذلك كله عليك فى كتابنا ، وابتعثناك بما أنزلنا إليك من ذلك رسولا إلى من ابتعثناك إليه من الخلق رحمة منا لك ولهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) ماقصصنا عليك (لِتُنْذِرَ قَوْمًا) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) قال : كان رحمة من ربك النبوّة .

وقوله (لِتُنْذِرَ قَوْمًا ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير ، وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله إليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام ، وإشراكهم به الأوثان والأنداد .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا خطأ ماهم عليه مقيمون من كفرهم بربهم ، فينيبوا إلى الإقرار لله بالوحدانية ، وإفراده بالعبادة دون كلّ ماسواه من الآلهة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) قال : الذى أنزلنا عليك من القرآن (لِتُنْذِرَ قَوْمًا ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يامحمد إليهم ، لو حلّ بهم بأسنا ، أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربهم ، واكتسابهم الآثام ، واجترامهم المعاصى : ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحلّ بنا سخطك ، وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك ، وآى كتابك الذى تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك ، المصدّقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا ، لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك إليهم ، ولكنا بعثناك إليهم نذيرا بأسنا على كفرهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل . والمصيبة فى هذا الموضع : العذاب والنقمة . ويعنى بقوله (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بما اكتسبوا.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يامحمد نذير فبعثناك إليهم نذيرا (الحقّ من عِنْدِنَا) ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله إليهم ، قالوا : تمرّدا على الله، وتماديا فى الغىّ : هلا أوتى هذا الذى أرسل إلينا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى بن عمران من الكتاب ، يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لقومك من قريش ، القائلين لك (لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى) أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتى موسى من قبلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتى موسى ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لقريش يقولوا لهم : أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (قالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى) قال : اليهود تأمر قريشا ، ثم ذكر نحوه (قالوا ساحِرَانِ تَظاهَرَا)

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ((قالُوا ساحِرَانِ تَظاهَرَا) بمعنى : أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ، وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم فى قول بعض المفسرين ، وفى قول بعضهم لموسى وهارون عليهما السلام ، وفى قول بعضهم : لعيسى ومحمد ساحران تعاونا . وقرأ عامة قرّاء الكوفة (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) بمعنى : وقالوا للتوراة والفرقان فى قول بعض أهل التأويل ، وفى قول بعضهم للإنجيل والفُرقان .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على قدر اختلاف القرّاء فى قراءته .

ذكر من قال : عُنِيَ بالساحرين اللذين تظاهرا محمد وموسى صلى الله عليهما .

حدثنا سليمان بن محمد بن معدى كرب الرعينى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة قال : سمعت مسلم بن يسار ، يحدّث عن ابن عباس ، فى قول الله (ساحِرانِ تَظاهَرَا) قال : موسى ومحمد .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سمعت مسلم ابن يسار ، قال : سألت ابن عباس ، عن هذه الآية (ساحِرَانِ تَظاهَرَا) قال : موسى ومحمد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، أن ابن عباس ، قرأ (ساحِرَانِ) قال موسى ومحمد عليهما السلام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن كيسان أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، عن ابن عباس ، مثله .

ومن قال : موسى وهارون عليهما السلام

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ساحِرانِ تَظاهَرَا) قال : يهودُ لموسى وهارون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (قالُوا ساحِرَانِ تَظاهَرَا) قول يهودَ لموسى وهارون عليهما السلام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جُبَير وأبي رزين أن أحدهما قرأ (ساحِرَانِ تَظاهَرَا) ، والآخر : (سِحْرَانِ) ، قال الذي قرأ (سِحْرَانِ) قال : التوراة والإنجيل . وقال الذي قرأ (ساحِرَانِ) قال : موسى وهارون .

وقال آخرون : عنوا بالساحرين : عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قوله (ساحِرَانِ تَظاهَرَا) قال : عيسى ومحمد ، أو قال موسى صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عنوا بذلك التوراة والفرقان ، ووجه تأويله إلى قراءة من قرأ (سِحْرانِ تَظاهَرَا)

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سِحْرانِ تَظاهَرَا) يقول : التوراة والقرآن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) يعني : التوراة والفرقان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) قال : كتاب موسى ، وكتاب رسول الله صلى الله عله وسلم .

ذكر من قال : عنوا به التوراة والإنجيل

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت إلى جنب ابن عباس وهو يتعوّذ بين الركن والمقام ، فقلت : كيف تقرأ سِحْران ، أو ساحران ؟ فلم يردّ عليّ شيئا ، فقال

عكرمة : ساحران ، وظننت أنه لو كره ذلك أنكره علىّ ، قال حميد : فلقيت عكرمة بعد ذلك فذكرت ذلك له ، وقلت : كيف كان يقرؤها ؟ قال : كان يقرأ (سِحْران تَظاهَرَا) أى التوراة والإنجيل .

ذكر من قال : عنوا به الفرقان والإنجيل

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، أنه قرأ (سِحْران تظاهرا) يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) قالت ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان ، فمن قال (ساحِرَانِ) فيقول : محمد ، وعيسى ابن مريم .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأه (قالُوا سِحْرَانِ تَظاهَرَا) بمعنى : كتاب موسى وهو التوراة ، وكتاب عيسى وهو الإنجيل .

وإنما قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب ، وهو قوله (وَقالُوا لَوْلا أُوتِىَ مِثْلَ ما أُوتِىَ مُوسَى) والذى يليه من بعده ذكر الكتاب ، وهو قوله (فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ) فالذى بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره . وإذ كان ذلك هو الأولى بالقراءة ، فمعلوم أن معنى الكلام : قل يامحمد أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتى موسى من قبل ، وقالوا لما أوتى موسى [1] من الكتاب وما أوتيته أنت ، سحران تعاونا .

وقوله (وَقالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وقالت اليهود : إنا بكل كتاب فى الأرض من توراة وإنجيل ، وزبور وفرقان كافرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ، وخالفه فيه مخالفون .

ذكر من قال مثل الذى قلنا فى ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) قالوا : نكفر أيضا بما أوتى محمد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) قال : يهود أيضا نكفر بما أوتى محمد أيضا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقالوا إنا بكلّ الكتابين الفرقان والإنجيل كافرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك (وَقالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) يقول : بالإنجيل والقرآن .

(١) لعله : لما أوتى عيسى ... الخ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقالُوا إنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) : يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَقالُوا إنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) قال : هم أهل الكتاب ، يقول : بالكتابين : التوراة والفُرقان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقالُوا إنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) الذى جاء به موسى ، والذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للقائلين للتوراة والإنجيل : هما سحران تظاهرا : ائتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما لطريق الحقّ ، ولسبيل الرشاد (أتَّبِعْهُ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى زعمكم أن هذين الكتابين سحران ، وأن الحقّ فى غيرهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال الله تعالى (قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أهْدَى مِنْهُما) . . . الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فقال الله (ائْتُونِى بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أهْدَى مِنْهُما) من هذين الكتابين ؛ الذى بعث به موسى ، والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل : سحران تظاهرا ، الزاعمون أن الحقّ فى غيرهما ، من اليهود يامحمد ، إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وأن الذى ينطقون به ، ويقولون فى الكتابين ، قول كذب وباطل ، لاحقيقة له ، ولعل قائلا أن يقول : أو لم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلم يعلم أن ماقال القائلون من اليهود وغيرهم فى التوراة والإنجيل من الإفك والزور ، المسموهما سحرين : باطل من القول ، إلا بأن لايجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما ؟ قيل : هذا كلام

خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به المقول لهم أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل من كفار قريش ، وذلك أنه قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قريش : أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا : هلا أوتى محمد مثل ما أوتى موسى ، بالذى أوتى موسى من قبل هذا القرآن ، ويقولوا للذى أنزل عليه وعلى عيسى (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) فقولوا لهم إن كنتم صادقين أن ما أوتى موسى وعيسى سحر ، فأتونى بكتاب من عند الله ، هو أهدى من كتابيهما ، فإن هم لم يجيبوكم إلى ذلك فاعلموا أنهم كذبة ، وأنهم إنما يتبعون فى تكذيبهم محمدا ، وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ، ويتركون الحقّ وهم يعلمون ، يقول تعالى ذكره : ومن أضلّ عن طريق الرشاد ، وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله ، وعهد من الله ، ويترك عهد الله الذى عهده إلى خلقه فى وحيه وتنزيله (إنَّ اللهَ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إن الله لايوفق لإصابة الحقّ وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته ، وكذّبوا رسوله ، وبدّلوا عهده ، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد وصلنا يامحمد لقومك من قريش ولليهود من بنى إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا ، إذ كذّبوا رسلنا ، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم ، واحتذى فى الكفر بالله ، وتكذيب رسله مثالهم ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا ؛ وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض؛ ومنه قول الشاعر :

فَقُلْ لِبَنِى مَرْوَانَ مابالُ ذِمَّةٍ ... وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزَالُ يُوَصَّلُ [١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإنّ اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله ، فقال بعضهم : معناه بيَّنا . وقال بعضهم : معناه : فصلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ) قال : فصلنا لهم القول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ) قال :

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ١٨١ ب) قال : « ولقد وصلنا لهم القول » أى أتممناه . و (فى اللسان : وصل) : وفى التنزيل العزيز « ولقد وصلنا لهم القول » : أى وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى : بعضها ببعض . والذمة : العهد . والحبل : العهد . وقوله « ما يزال يوصل » أى قدرث وبلى ، ويجدد ما بلى منه ، حتى كثر فيه الترقيع .

وصل الله لهم القول فى هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى، وكيف هو صانع؟ (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا محمد بن عيسى أبو جعفر، عن سفيان بن عيينة: وصلنا: بيَّنّا.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ) الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدوها فى الدنيا، بما نريهم من الآيات فى الدنيا وأشباهها. وقرأ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ) وقال: إنا سوف ننجزهم ماوعدناهم فى الآخرة، كما أنجزنا للأنبياء ماوعدناهم، نقضى بينهم وبين قومهم.

واختلف أهل التأويل، فيمن عنى بالهاء والميم من قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ) فقال بعضهم: عنى بهما قريشا.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: لقريش.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) قال: يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: عُنِى بهما اليهود.

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر بن آدم، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن رفاعة القرظى، قال: نزلت هذه الآية فى عشرة أنا أحدهم (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القُرَظِىّ قال: نزلت هذه الآية (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) حتى بلغ (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) فى عشرة أنا أحدهم، فكأن ابن عباس أراد بقوله يعنى محمدا، لعلهم يتذكرون عهد الله فى محمد إليهم، فيقرّون بنبوّته ويصدّقونه.

وقوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) يعنى بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدّقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون، فيقرّون أنه حقّ من عند الله، ويكذّب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال : يعنى من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ) . . . إلى قوله (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) فى مسلمة أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) . . . إلى قوله (الْجَاهِلِينَ) قال : هم مُسْلِمة أهل الكتاب . قال ابن جُرَيج : أخبرنى عمرو بن دينار : أن يحيى بن جعدة أخبره ، عن علىّ بن رفاعة ، قال : خرج عشرة رَهْط من أهل الكتاب ، منهم أبو رِفاعة ، يعنى أباه ، إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا ، فأُوذوا ، فنزلت (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) قبل القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال : كنا نحدّث أنها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ ، يأخذون بها ، وينتهون إليها ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به ، وصدّقوا به ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين ، بصبرهم على الكتاب الأوّل ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك ، وذكر أن منهم سلْمان ، وعبد الله بن سلَام .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) . . . إلى قوله (مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) : ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل ، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به ، فآتاهم الله أجرهم مرّتين بما صبروا : بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وباتباعهم إياه حين بعث ، فذلك قوله (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا يُتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن (قَالُوا آمَنَّا بِهِ) يقول : يقولون : صدّقنا به (إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا) يعنى من عند ربنا نزل ، إنا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجىء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم من الكتب ، وفى كتبهم صفة محمد ونعته ، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدّقين قبل نزول القرآن ، فلذلك قالوا (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم، يُؤْتَوْن ثواب عملهم مرّتين بما صبروا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الصبر الذى وعد الله ما وعد عليه ، فقال بعضهم : وعدهم ماوعد جلّ ثناؤه ، بصبرهم على الكتاب الأوّل ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك . وذلك قول قتادة ، وقد ذكرناه قبل .

وقال آخرون : بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وباتباعهم إياه حين بعث . وذلك قول الضحاك بن مزاحم ، وقد ذكرناه أيضا قبل ، وممن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا كُنَّا من قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ على دين عيسى ، فلما جاء النبىّ صلى الله عليه وسلم أسلموا ، فكان لهم أجرهم مرّتين : بما صبروا أوّل مرّة، ودخلوا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الإسلام .

وقال قوم فى ذلك بما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : إن قوما كانوا مشركين أسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ، فنزلت (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) وقوله (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يقول : ويدفعون بحسنات أفعالهم التى يفعلونها سيئاتهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) من الأموال (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله ، إما فى جهاد فى سبيل الله ، وإما فى صدقة على محتاج ، أو فى صلة رَحِم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) قال الله (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنَ بِمَا صَبَرُوا) وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون ، فقال (وَيَدْرَءُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب : اللغو ، وهو الباطل من القول . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لانَبْتَغِى الجاهِلِينَ) لايجارون أهل الجهل والباطل فى باطلهم ، أتاهم من أمر الله ماوقذهم عن ذلك .

وقال آخرون : عُنِى باللغو فى هذا الموضع : ما كان أهل الكتاب ألحقوه فى كتاب الله ، مما ليس هو منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه لأهل الكتاب ، إذا سمعوا اللغو الذى كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله ، وقالوا : هو من عند الله ، إذا سمعه الذين أسلموا ، ومرّوا به يتلونه ، أعرضوا عنه . وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى . ألا ترى أنهم يقولون : (إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ) قال : نزلت فى قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جويرية ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) قال : كان ناس من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم ، فكانوا يصفحون عنهم ، يقولون (سَلامٌ عَلَيْكُمْ لانَبْتَغِى الجاهِلِينَ) .

وقوله (أعْرَضُوا عَنْهُ) يقول : لم يصغوا إليه ولم يستمعوه (وَقالُوا لَنا أعمالُنا وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) وهذا يدلّ على أن اللغو الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، إنما هو ماقاله مجاهد ، من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول مايكرهون منه فى أنفسهم ، وأنهم أجابوهم بالجميل من القول (لَنا أعمالُنا) قد رضينا بها لأنفسنا (وَلَكُمْ أعمالُكُمْ) قد رضيتم بها لأنفسكم . وقوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) يقول : أَمَنة لكم منا أن نسابّكم ، أو تسمعوا منا ما لاتحبون (لانَبْتَغِى الجاهِلِينَ) يقول : لانريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّكَ) يامحمد (لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) هدايته ، (وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ) أن يهديه من خلقه ، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله . ولو قيل : معناه : إنك لاتهدى من أحببته ، لقرابته منك ، ولكن الله يهدى من يشاء ، كان مذهبا (وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ) : يقول جلّ ثناؤه : والله أعلم من سبق له فى علمه أنه يهتدى للرشاد ، ذلك الذى يهديه الله فيسدّده ويوفّقه .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبى طالب عمه من إجابته ، إذ دعاه إلى الإيمان بالله ، إلى ما دعاه إليه من ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب والحسين بن عليّ الصُّدائى ، قالا : ثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت : « قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ أشْهَدْ لَكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ » قال : لولا أن تعيرنى قريش لأقررت عينك ، فأنزل الله (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، قال : ثنى أبو حازم الأشجعى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه : « قُلْ لا إله إلاَّ اللهُ » ثم ذكر مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعى ، يذكر عن أبى هريرة قال : لما حضرتْ وفاة أبى طالب ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عَمَّاهُ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » فذكر مثله ، إلا أنه قال : لولا أن تعيرنى قريش ، يقولون : ماحمله عليه إلا جزع الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث أبى كُرَيب الصدائى .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ، عن الزهرى قال : ثنى سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عَمّ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمَةً أشْهَدُ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ » فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبى أُمَيَّة : يا أبا طالب : أترغب عن ملَّة عبد المطَّلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ » ، فأنزل الله (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولى قُرْبَى) ، وأنزل الله فى أبى طالب ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى) . . . الآية » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن أبى سعيد بن رافع ، قال : قلت لابن عمر : (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) نزلت فى أبى طالب ؟ قال : نعم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) قال : قول

محمد لأبي طالب « قُلْ كَلِمَةَ الإِخلاصِ أُجادِلُ عَنْكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ » قال محمد بن عمرو فى حديثه : قال : يا ابن أخى ملة الأشياخ ، أو سنة الأشياخ . وقال الحارث فى حديثه : قال يا ابن أخى ملة الأشياخ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) قال : قال محمد لأبى طالب « اشْهَدْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ أُجادِلْ عَنْكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ » قال : أى ابن أخى ملة الأشياخ ، فأنزل الله (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) قال : نزلت هذه الآية فى أبى طالب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) ذُكر لنا أنها نزلت فى أبى طالب قال الأصم [1] عند موته يقول لا إله إلا الله لكيما تحلّ له بها الشفاعة ، فأبى عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر : لما حضر أبا طالب الموت ، قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يا عَمَّاهُ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ أَشْهَدْ لَكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ » فقال له : يا ابن أخى ، إنه لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل ، فقال له ذلك مرارا ، فلما مات اشتدّ ذلك على النبىّ صلى الله عليه وسلم وقالوا : ماتنفع قرابة أبى طالب منك ، فقال « بَلَى والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُ السَّاعَةَ لَفِى ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ عَلَيْهِ نَعْلانِ مِنْ نارٍ تَغْلِى مِنْهُما أُمُّ رأْسِهِ . وما مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ إِنْسانٍ هُوَ أَهْوَنُ عَذَابًا مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) » .

وقوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول : وهو أعلم بمن قضى له الهدى .

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) قال بمن قدّر له الهدى والضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : وقالت كفار قريش : إن نتبع الحقّ الذى جئتنا به معك ، ونتبرأ من الأنداد والآلهة ، يتخطفنا الناس من أرضنا باجماع جميعهم على خلافنا وحربنا ، يقول الله لنبيه : فقل (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا) يقول : أو لم نوطئ لهم بلدا حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه ، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء ، وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة ، أو قتل ، أو سباء .

(١) الذى فى الدر عن قتادة قال : التمس منه عند موته أن يقول الخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، أن الحارث بن نوفل ، الذى قال (إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) وزعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ، ولكنا نخاف أن نُتخطف من أرضنا ، أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ) الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقالُوا إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) قال : هم أناس من قريش قالوا لمحمد : إن نتبعك يتخطفْنا الناس ، فقال الله (أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ويُتَخَطَّف الناس من حولهم : قال : كان يغير بعضهم على بعض .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمنا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَقالُوا إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) قال الله (أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) يقول : أو لم يكونوا آمنين فى حرمهم لايغزون فيه ولا يخافون ، يجبى إليه ثمرات كلّ شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قَتادة (أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمنا) قال : كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا ، إذا خرج أحدهم فقال : إنى من أهل الحرم لم يُتَعرَّض له ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قُتِل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) قال : آمناكم به ، قال : هى مكة ، وهم قريش .

وقوله (يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) يقول يجمع إليه ، وهو من قولهم : جبيت الماء فى الحوض : إذا جمعته فيه ، وإنما أريد بذلك : يحمل إليه ثمرات كلّ بلد .

كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عثمان بن أبى زرعة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى (يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) قال : ثمرات الأرض .

وقوله (رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا) يقول : ورزقا رزقناهم من لدنا ، يعنى : من عندنا (وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنا) لايعلمون أنا نحن الذين مكّنّا لهم حرما آمنا ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كلّ أرض تجبى إليهم ، فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون ، لايشكرون من أنعم عليهم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها ، فبطرت ، وأشرت ، وطغت . فكفرت ربها . وقيل : بطرت معيشتها ، فجعل الفعل للقرية ، وهو فى الأصل للمعيشة ، كما يقال : أسفهك رأيك فسفهته ، وأبطرك مالك فبطرته ، والمعيشة منصوبة على التفسير .

وقد بينّا نظائر ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) قال : البطر : أشرُّ أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصى الله . وقال : ذلك البطر فى النعمة (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلا) يقول : فتلك دور القوم الذين أهلكناهم بكفرهم بربهم ومنازلهم ، لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، يقول : خربت من بعدهم . فلم يعمر منها إلا أقلها ، وأكثرها خراب . ولفظ الكلام وإن كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا ، فإن معناه : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها ، كما يقال : قضيت حقك إلا قليلا منه .

وقوله (وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) يقول : ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث ، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها ، لامالك لها إلا الله ، الذى له ميراث السموات والأرض .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَا كَانَ رَبُّكَ) يامحمد (مُهْلِكَ الْقُرَى) التى حوالى مكة فى زمانك وعصرك . (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً) يقول : حتى يبعث فى مكة رسولا ، وهى أمّ القرى ، يتلو عليهم آيات كتابنا ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَتَّى يَبْعَثَ فى أُمِّهَا رَسُولاً) وأمّ القرى مكة ، وبعث الله إليهم رسولا : محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) يقول : ولم نكن لنهلك قرية وهى بالله مؤمنة إنما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله ، وإنما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) قال الله : لم يهلك قرية بإيمان ، ولكنه يهلك القرى بظلم إذا ظلم أهلها ، ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ، ولكنهم كذّبوا وظلموا ، فبذلك أُهلكوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : وما أُعطيتم أيها الناس من شىء من الأموال والأولاد ، فإنما هو متاع تتمتعون به فى هذه الحياة الدنيا ، وهو من زينتها التى يتزين به فيها ، لا يغنى عنكم عند الله شيئا ، ولا ينفعكم شىء منه فى معادكم ، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم فى هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى ، يقول : وأبقى لأهله ، لأنه دائم لا نفاد له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى قوله (وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) قال : خير ثوابا ، وأبقى عندنا (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشرّ ، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرّهما ، وتؤثرون الدائم الذى لا نفاد له من النعيم ، على الفانى الذى لا بقاء له .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة ، فآمن بما وعدناه وصدّق وأطاعنا ، فاستحقّ بطاعته إيانا أن ننجز له ما وعدناه ، فهو لاق ما وعد ، وصائر إليه كمن متّعناه فى الحياة الدنيا متاعها ، فتمتع به ، ونسى العمل بما وعدنا أهل الطاعة ، وترك طلبه ، وآثر لذّة عاجلة على آجلة ، ثم هو

يوم القيامة إذا ورد على الله من المحضرين ، يعنى من المُشْهَدِين عذابَ الله ، وأليمَ عقابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) قال : هو المؤمن سمع كتاب الله فصدّق به وآمن بما وعد الله فيه (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) هو هذا الكافر ، ليس والله كالمؤمن (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) : أى فى عذاب الله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال ابن عمرو فى حديثه : قوله (مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : أحضروها . وقال الحارث فى حديثه (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أهلَ النار ، أُحْضِروها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : أهل النار ، أُحْضِروها .

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب عن مجاهد (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ ، كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : نزلت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى جهل بن هشام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) قال : النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : نزلت فى حمزة وعلىّ رضى الله عنهما ، وأبى جهل لعنه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بَدَل بن المُحَبَّر التغلبىّ[1] ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : نزلت فى حمزة وعلىّ بن أبى طالب ، وأبى جهل :

قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى حمزة وأبى جهل

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا

(١) فى الخلاصة للخزرجى : بدل بن المحبر ، بضم الميم وفتح المهملة والموحدة ، اليربوعى ، أبو المنير (كمطيع) البصرى . قال أبو حاتم : صدوق . توفى فى حدود سنة خمس عشرة ومئتين .

هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى ربّ العزّة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان فى الدنيا ، فيقول لهم : (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أنهم لى فى الدنيا شركاء ؟(قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يقول : قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته ،وهم الشياطين الذين كانوا يُغْوُون بنى آدم : (رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) قال : هم الشياطين .

وقوله (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) يقول : تبرأنا من وَلايتهم ونُصْرتهم إليك (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ): يقول : لم يكونوا يعبدوننا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد فى الدنيا (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) الذين كنتم تدعون من دون الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) يقول : فلم يُجيبوهم . (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) : يقول : وعاينوا العذاب (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) يقول : فودّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا فى الدنيا مُهتدين للحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين ، فيقول لهم (مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) فيما أرسلناهم به إليكم ، من دعائكم إلى توحيدنا ،والبراءة من الأوثان والأصنام (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ): يقول : فخفيت عليهم الأخبار ، من قولهم : قد عَمِى عنى خبر القوم : إذا خفى : وإنما عُنى بذلك أنهم عميت عليهم الحجة ، فلم يدُروا مايحتجون ، لأن الله تعالى قدكان أبلغ إليهم فى المعذرة ، وتابع عليهم الحجة ، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ، ولا خبر يُخْبِرون به ، مما تكون لهم به نجاة ومَخْلَص .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْباءُ) قال : الحجج ، يعنى الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْباءُ) قال : الحجج .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ماذَا أجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ) قال : بلا إله إلا الله ، التوحيد .

وقوله (فَهُمْ لايَتَساءَلُونَ) بالأنساب والقرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فهُمْ لايَتَساءَلُونَ) قال : لايتساءلون بالأنساب ، ولا يتماتُّون بالقرابات ، إنهم كانوا فى الدنيا إذا التقوا تساءلوا وتماتُّوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَهُمْ لايَتَساءَلونَ) قال : بالأنساب . وقيل معنى ذلك : فعَمِيت عليهم الحجج يومئذ ، فسكتوا ، فهم لايتساءلون فى حال سكوتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره (فأمَّا مَنْ تابَ) من المشركين ، فأناب وراجع الحقّ ، وأخلص لله الألوهة ، وأفرد له العبادة ، فلم يشرك فى عبادته شيئا (وآمَنَ) يقول : وصدّق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . (وعَمِلَ صَالِحا) يقول : وعمل بما أمره الله بعمله فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، (فَعَسَى أن يكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ) . يقول : فهو من المُنْجِحِين المُدْرِكين طَلِبتهم عند الله ، الخالدين فى جِنانه ، وعسى من الله واجب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره (ورَبُّكَ) يامحمد (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) أن يخلقه ، (ويَخْتارُ) لولايته الخِيَرة من خلقه ، ومن سبقت له منه السعادة . وإنما قال جلّ ثناؤه (ويَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيرَةُ) والمعنى : ما وصفت ، لأن المشركين كانوا فيما ذُكِر عنهم يختارون أموالهم ، فيجعلونها لآلهتهم ، فقال الله لنبيه محمد

صلى الله عليه وسلم : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ، ما هو فى سابق علمه أنه خِيَرَتهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم ، فكذلك اختيارى لنفسى ، واجتبائى لولايتى ، واصطفائى لخدمتى وطاعتى ، خيارَ مملكتى وخلقى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) قال : كانوا يجعلون خَيْرَ أموالهم لآلهتهم فى الجاهلية . فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلاشكّ أن « ما » من قوله (وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) : فى موضع نصب ، بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذى .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت ، من أن « ما » اسم منصوب بوقوع قوله (يَخْتارُ) عليها ، فأين خبر كان ؟ فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن فى كان ذِكْرا من ما ، ولا بدّ لكان إذا كان كذلك من تمام ، وأين التمام ؟ قيل : إن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها أحيانا ، أخبارا ، كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها ، ذَكر الفرّاء أن القاسمَ بن مَعْن أنشده قول عنترة :

أمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كانَ ذا مِنْكِ قبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ[1]

فرفع معروفا بحرف الصفة ، وهو لاشكّ خبر لذا ، وذُكر أن المفَضّل أنشده ذلك :

* لَوْ أنَّ ذا مِنْكَ قَبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ *

ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) البيت من شعر عنترة بن عمرو بن شداد العبسى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص ٣٩٤) والرواية فيه رواية المفضل ، التى أشار إليها المؤلف :

أمِنْ سُهَيَّةَ دَمْعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ لوْ كانَ ذَا مِنكِ قبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ

قال شارحه : سهية ، وقيل سمية : امرأة أبيه . روى صاحب الأغانى بسنده عن على بن سليمان الأخفش الأصغر : قال : أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، عن محمد بن حبيب ، قال أبو سعيد : وذكر ذلك أبوعمرو الشيبانى ، قالا : كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه ، حرشت عليه امرأة أبيه . وقالت إنه . . . عن نفسى ، فغضب من ذلك شداد (شداد : أبوه فى بعض الروايات) غضبا شديدا . وضربه ضربا مبرحا ، وضربه بالسيف ، فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه ؛ فلما رأت ما به من الجراح بكت . وقوله « مذروف » : من ذرفت عينه تذرف ذريفا ، وذرفانا : وهو قطر يكاد يتصل . وقوله « لو أن ذا منك قبيل اليوم معروف » : أى قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك ؛ لأنه لو كان معروفا قبل ذلك لم ينكره . اهـ . وعلى هذه الرواية لاشاهد فى البيت . أما على رواية المؤلف ، وهى التى نقلها الفراء عن القاسم بن معن القاضى ، فإنه جعل قوله « لو كان ذا منك قبل اليوم معروف » برفع معروف على أنه خبر بعد الصفة . أى الجار والمجرور « منك » ، التى هى خبر عن ذا ، قال : لأن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها ، أخبارا ، كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها » . . . ثم أنشد البيت وقال : « فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لاشك خبر لذا » . اهـ . قلت : وكأن مراده أن حرف الصفة موضوع موضع ضمير مبتدأ ، ومعروف : خبره ، وكأنه قال : لو كان ذا هو معروف ، أو نحو ذلك . وفى هذا التعبير من التعسف ما فيه . ولو قال إن « معروف » خبر عن مبتدأ محذوف تقديره : هو منك معروف ، والجملة خبر كان ، لكان أوضح تعبيرا . ولم أجد البيت ولا توجيه إعرابه فى معانى القرآن للفراء .

قُلْتُ أجيبِي عاشِقا   بِحُبِّكُمْ مُكَلَّفُ
فِيها ثَلاث كالدُّمَى   وكاعِبٌ ومُسْلِفُ[١]

فمكلَّف من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة ، وهو الباء ، فى أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، فكذلك قوله (وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيرَةُ) رُفعت الخيَرةُ بالصفة ، وهى لهم ، وإن كانت خبرا لما ، لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم . لاشكّ أن قائما لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوبا ، فكذلك وجه رفع الخيَرة ، وهو خبر لما .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون « ما » فى هذا الموضع جَحْدا ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله (ويَخْتارُ) نهاية الخبر عن الخلق والاختيار . ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة : أى لم يكن للخلق الخيَرة ، وإنما الخيَرة لله وحده؟

قيل : هذا قول لايخفى فساده على ذى حجا ، من وجوه ، لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول . فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه ، فأما أحد وجوه فساده ، فهو أن قوله (ما كانَ لَهُمُ الخيرَةُ) لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن « ما » بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذى ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره . أن تكون لهم الخيَرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيَرة ، لأن قول القائل : ما كان لك هذا ، لاشكّ إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى . وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل ، وذلك من الكلام لاشكّ خُلْف ، لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديما ، فليس ذلك لهم أبدا . وبعد ، لو أريد ذلك المعنى ، لكان الكلام : فليس . وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ليس لهم الخيرة ، ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبلُ وفيما بعد .

والثانى : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شىء غير مفهوم المعنى . وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء : ما كان لفلان الخيَرة ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك . فكذلك قوله « وَيَخْتارُ ، ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادّعى أنه كان له الخيَرة ، فيقال له : ما كان لك الخيَرة ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحا ، وأتبع ذلك جلّ ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحا منهم ، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ماقلنا من ذلك إبانة قوله (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ

---

(١) البيتان لعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى شاعر الغزل زمن بنى أمية ، كما قال المؤلف . ومكلف : من الكلف بالشىء ، وهو الحب والولوع بالشىء ، كلف بالشىء كلفا وكلفة ، فهو كلف ومكلف : لهج به . وثلاث : أى جوار أو نساء . والدمى : جمع دمية ، وهى التمثال من العاج أو الرخام أو نحوهما . والكاعب : الفتاة التى تكعب ثديها وبرز . والمسلف : قال فى (اللسان : سلف) : المسلف من النساء : النصف . وقيل : هى التى بلغت خمسا وأربعين ونحوها ، وهو وصف خص به الإناث ، قال عمر بن أبى ربيعة « فيها ثلاث . . . الخ البيت » . ومحل الشاهد فى البيت : أن قوله مكلف بالرفع ، على أنه خبر ، لأنه وقع بعد حرف الجر الذى وضع موضع المبتدأ ، كأنه قال : أجيبى عاشقا هو مكلف . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله من قول عنترة « لو كان ذا منك قبل اليوم معرف » . اهـ .

ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة ، والعلانية الرضية .

والثالث : أن معنى الخيرة فى هذا الموضع : إنما هو الخيرة ، وهو الشيء الذى يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أُعطى الخيرة والخِيَرَة .مثل الطِّيرة والطِّيَرَة ،وليس بالاختيار ، وإذا كانت الخيرة ماوصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق مايشاء،ويختار ما يشاء، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام ، أو خير رجل أو امرأة .

فإن قال: فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا ، وذلك أنها إذا كانت مصدرا كان معنى الكلام : وربك يخلق مايشاء ويختار كون الخيرة لهم . وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لاتكون الشرار لهم من البهائم والأنعام ؛ وإذا لم يكن لهم شرار ذلك وجب أن لايكون لها مالك ، وذلك ما لايخفى خطؤه ، لأن لخيارها ولشرارها أربابا يملكونها بتمليك الله إياهم ذلك ، وفى كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له، وعلوا عما أضاف إليه المشركون من الشرك ، وما تخرّصوه من الكذب والباطل عليه . وتأويل الكلام : سبحان الله وتعالى عن شركهم . وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى : وتعالى عن الذى يشركون به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد يعلم ما تخفى صدور خلقه ، وهو من أكننت الشيء فى صدرى : إذا أضمرته فيه ، وكننت الشيء : إذا صنته ، وما يعلنون : يقول : وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم ، وإنما يعنى بذلك أن اختيار من يختار منهم للإيمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها ، وأنه يختار للخير أهله ، فيوفقهم له ، ويولى الشرّ أهله ، ويخليهم وإياه . وقوله (وَهُوَ اللهُ لاإلَهَ إلاَّ هُوَ) يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، ولا معبود تجوز عبادته غيره (لَهُ الحَمْدُ فِى الأُولى) يعنى فى الدنيا والآخرة (وَلَهُ الحُكْمُ) يقول : وله القضاء بين خلقه (وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردّون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله : أيها القوم أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل دائما لانهار إلى يوم القيامة يعقبه . والعرب تقول لكلّ ما كان متصلا لاينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (سَرْمَدًا) دائما لاينقطع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) يقول : دائما .

وقوله (مَنْ إلَهٌ غيرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ) يقول : من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شىء يأتيكم بضياء النهار ، فتستضيئون به (أفَلا تَسْمَعُونَ) يقول : أفلا ترْعُون ذلك سمعكم ، وتفكرون فيه فتتعظون ، وتعلمون أن ربكم هو الذى يأتى بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء ، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل ، فينعم باختلافهما كذلك عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لمشركى قومك (أرأيْتُمْ) أيها القوم (إنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَدا) دائما لاليل معه أبدا (إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ إلَهٌ غيرُ اللهِ) من معبود غير المعبود الذى له عبادة كلّ شىء (يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ) فتستقرّون وتهدءون فيه (أفَلا تُبْصِرُونَ) يقول : أفلاترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهارعليكم ، رحمة من الله لكم ، وحجة منه عليكم ، فتعلموا بذلك أن العبادة لاتصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ، ولمن له القُدرة التى خالف بها بين ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) بكم أيها الناس (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ) فخالف بينهما ،

فجعل هذا الليل ظلاما (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وتهدءوا وتستقرّوا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرّف الذى تتصرّفون نهارا لمعايشكم ، وفى الهاء التى فى قوله (لِتَسْكُنُوا) فيه وجهان : أحدهما : أن تكون من ذكر الليل خاصة ، ويضمر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى . والثانى : أن تكون من ذكر الليل والنهار ، فيكون وجه توحيدها وهى لهما وجه توحيد العرب فى قولهم : إقبالك وإدبارك يؤذينى ، لأن الإقبال والإدبار فعل ، والفعل يوحَّد كثيره وقليله ، وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه ، فتتصرّفون بأبصاركم فيه لمعايشكم ، وابتغاء رزقه الذى قسمه بينكم بفضله الذى تفضل عليكم .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك ، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر ، وتخلصوا له الحمد ، لأنه لم يشركه فى إنعامه عليكم بذلك شريك ، فلذلك ينبغى أن لايكون له شريك فى الحمد عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

يعنى تعالى ذكره : ويوم ينادى ربك يامحمد هؤلاء المشركين فيقول لهم (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أيها القوم فى الدنيا أنهم شركائى .

وقوله (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وأحضرنا من كلّ جماعة شهيدها وهو نبيها الذى يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة . وقيل : ونزعنا من قوله : نزع فلان بحجة كذا ، بمعنى : أحضرها وأخرجها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشهيدُها : نبيها ، يشهد عليها أنه قد بلّغ رسالة ربه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال ، ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ؛ عن ابن أبى نجيح ؛ عن مجاهد ؛ قوله (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) قال : رسولا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقوله (فَقُلْنَا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) يقول : فقلنا لأمة كلّ نبىّ منهم التى ردّت نصيحته ، وكذّبت بما جاءها به من عند ربهم ، إذ شهد نبيها عليها بإبلاغه إياها رسالة الله (هاتُوا بُرْهانَكُمْ) يقول : فقال لهم : هاتوا حجتكم على إشراككم بالله ماكنتم تشركون مع إعذار الله إليكم با لرسل[1] وإقامته عليكم بالحجج

(١) فى الأصل : للرسل ، باللام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقُلْنَا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) أى بينتكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَقُلْنَا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) قال : حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج عن مجاهد (فَقُلْنَا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) قال : حجتكم بما كنتم تعبدون .

وقوله (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) يقول : فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم ، وأن الحقّ لله ، والصدق خبره ، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : واضمحلّ فذهب الذى كانوا يُشركون بالله فى الدنيا ، وما كانوا يتخرّصون ، ويكذبون على ربهم ؛ فلم ينفعهم هنالك بل ضرّهم وأصلاهم نار جهنم

القول فى تأويل قوله تعالى :

* إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ قارُونَ) وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) يقول : كان من عشيرة موسى بن عمران النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث ، وموسى : هو موسى بن عمران بن قاهث ، كذا نسبه ابن جُرَيج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : ابن عمه ابن أخى أبيه ، فان قارون بن يصفر ، هكذا قال القاسم ، وإنما هو يصهر بن قاهث ، وموسى بن عومر بن قاهث ، وعومر بالعربية : عمران .

وأما ابن إسحاق فان ابن حميد حدثنا ، قال : ثنا سلمة عنه ، أن يصهر بن قاهث تزوّج سميت [1] بنت بتاويت بن بركنا بن بتشان بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ، فنكح عمران بحنت بنت شمويل بن بركنا بن بقشان بن بركنا ، فولدت له هارون بن عمران ، وموسى بن عمران صفىّ الله ونبيه ، فموسى على ما ذكر ابن إسحاق ابن أخى قارون ، وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه ولأمه . وأكثر أهل العلم فى ذلك على ما قاله ابن جُرَيج .

(١) فى كتاب العرائس (قصص الأنبياء للثعلبى المفسر) سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشمان بن إبراهيم . وفى صفحة ٢١٣ طبعة الحلبى : عن ابن إسحاق : تزوج يصهر بن قاهث « سمين بنت ماريب بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم » وفى أسماء العبرانيين اختلاف كثير بين العلماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن إبراهيم ، فى قوله (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمّ موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب قال : ثنا سعيد عن قتادة (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) كنا نحدّث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنوّر من حُسن صوته بالتوراة ، ولكن عدوّ الله نافق ، كما نافق السامرىّ ، فأهلكه البغى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال كان ابن عمه فبغى عليه .

قال : ثنا يحيى القطان ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عمّ موسى .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن ابن أبى خالد ، عن إبراهيم (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمه .

حدثنى بشر بن هلال الصوّاف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِىُّ ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغنى أن موسى بن عمران كان ابن عمّ قارون .

وقوله (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) يقول : فتجاوز حدّه فى الكبر والتجبر عليهم .

وكان بعضهم يقول : كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها فى طول ثيابه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ وأبو السائب وابن وكيع قالوا : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) قال : زاد عليهم فى الثياب شبرا .

وقال آخرون : كان بغيه عليهم بكثرة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إنما بغى عليهم بكثرة ماله .

وقوله (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولى القُوَّةِ) يقول تعالى ذكره : وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مفاتحه ، وهى جمع مفتح ، وهو الذى يفتح به الأبواب .

وقال بعضهم : عنى بالمفاتح فى هذا الموضع : الخزائن لتثقل العصبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى معنى مفاتح

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا ، كلّ مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الأصبع من جلود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتح كنوز قارون من

جلود كل مفتاح مثل الأصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدة ، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلاً أغرّ محجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن خيثمة ، فى قوله (ما إنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ) قال : نجد مكتوبا فى الإنجيل مفاتيح قارون وِقر ستين بغلا غرّا محجلة ، ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع ، لكل مفتاح منها كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، قال : كانت المفاتيح من جلود الإبل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) قال : مفاتح من جلود كمفاتح العيدان . وقال قوم : عنى بالمفاتح فى هذا الموضع : خزائنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح . فى قوله (ما إنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) قال : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حجيرَ ، عن الضحاك (ما إنّ مَفَاتِحَهُ) قال : أوعيته .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، فى قوله (لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) قال : لتثقل بالعصبة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) يقول : تَثْقُل . وأما العُصبة فإنها الجماعة .

واختلف أهل التأويل فى مبلغ عددها الذى أريد فى هذا الموضع ، فأما مبلغ عدد العصبة فى كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه ، والرواية فى ذلك ، والشواهد على الصحيح من قولهم فى ذلك بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : كانت مفاتحه تنوء بعصبة ؛ مبلغ عددها أربعون رجلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، قوله (لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) قال : أربعون رجلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة (لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ) قال : ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين .

حُدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ) يزعمون أن العصبة : أربعون رجلا ، ينقلون مفاتحه من كثرة عددها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ) قال : أربعون رجلا .

وقال آخرون : ستون ، وقال : كانت مفاتحه تحمل على ستين بغلا .

حدثنا كذلك ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة .

وقال آخرون : كانت تحمل على مابين ثلاثة إلى عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق عن الضحاك ، عن ابن عباس (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العصبة : ثلاثة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحك ، عن ابن عباس (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العصبة : ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال آخرون : كانت تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العُصْبَة : ما بين العشرة إلى الخمسة عشر .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) قال : العصبة : خمسة عشر رجلا .

وقوله (أُولِى القُوَّةِ) يعني : أولى الشدّة .

وقال مجاهد في ذلك ماحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (أُولِى القُوَّةِ) قال : خمسةَ عَشَر .

❊ فإن قال قائل : وكيف قيل (وآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) وكيف تنوء المفاتح بالعصبة ، وإنما العصبة هي التي تنوء بها . قيل : اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب ، فقال بعض أهل البصرة : مجاز ذلك : ما إن العصبة ذوى القوّة لتنوء بمفاتح نعمه . قال : ويقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هو تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله ، قال : والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال الشاعر :

فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمالِى ... وَما آلُوكَ إلاَّ ما أُطِيقُ[1]

والمعنى : فديت بنفسي وبمالى نفسه .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ، (الورقة ١٨٢ ب) عند تفسير قوله تعالى : « ما إن مفاتحه لتنوء » قال : أي مفاتح خزائنه . ومجازه : ما إن العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه . يقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هي تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمله . والعرب قد تفعل مثل هذا قال : « فديت بنفسه نفسى . . . البيت » . والمعنى : فديت بنفسي ومالى =

وقال آخر : وَتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوَادَةَ بَيْنَها　　　وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحُمْرِ[١]

وإنما تشقى الضياطرة بالرماح . قال : والخيل هاهنا : الرجال .

وقال آخر منهم (ما إنَّ مَفاتِحَهُ) قال : وهذا موضع لايكاد يبتدأ فيه « إن » ، وقد قال : إن الموت الذى تفرّون منه فإنه ملاقيكم . وقوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) إنما العصبة تنوء بها ؛ وفى الشعر :

تَنُوءُ بِها فَتُثْقِلُها عَجِيزَتُها[٢]

وليست العجيزة تنوء بها ، ولكنها هى تنوء بالعجيزة ؛ وقال الأعشى :

ما كُنْتَ فِى الحَرْبِ العَوَانِ مُغَمَّرًا　　　إذْ شَبَّ حَرُّ وَقُودِها أجْذالَها[٣]

وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يُنكر هذا الذى قاله هذا القائل ، وابتداء إن بعد ما ، ويقول ذلك جائز مع ما ومن ،وهو مع ما ومَنْ أجود منه مع الذى ، لأن الذى لايعمل فى صلته ،ولا تعمل صلته فيه . فلذلك جاز ، وصارت الجملة عائد ما ، إذ كانت لاتعمل فى « ما » ، ولا تعمل « ما » فيها؛ قال : وحَسُن مع « ما » و « من » ، لأنهما يكونان بتأويل النكرة إن شئت ،والمعرفة إن شئت ، فتقول : ضربت رجلا ليقومنّ ، وضربت رجلا إنه لمحسن ، فتكون « مَنْ و ما » تأويل هذا ، ومع الذى أقبح . لأنه لايكون بتأويل النكرة .

وقال آخر منهم فى قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) : نَوْءُها بالعصبة :أن تُثْقِلهم .وقال المعنى :إن مفاتحه لَتُنِيءُ العصبة :تميلهن من ثقلها ، فإذا أدخلت الباء قلت تَنُوء بهم . كما قال (آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) قال والمعنى :آتونى بقطر أفرغ عليه ؛فإذا حُذفت الباء ،زدت على الفعل ألفا فى أوّله ، ومثله (فأجاءَها

= نفسه . وقوله « وما آلوك . . . الخ » هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . ومعناه : ما أستطيع . والعرب تقول : أتانى فلان فى حاجة فما استطعت رده . وأتانى فى حاجة فألوت فيها : أى اجتهدت . (اللسان : ألا يألو) .

قلت : وجعل المؤلف البيت فى القلب نظير الآية « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة » أى ما إن العصبة أولى القوة تنوء وتعجز عن حمله ، كما قال أبو عبيدة .

(١) البيت لخداش بن زهير (اللسان : ضطر) . والضياطرة : جمع ضيطر ، كالضيطرى والجمع : ضياطر وضياطرة . وهم العظماء من الرجال ؛ وفى كلام على عليه السلام : من يعذرنى مع هؤلاء الضياطرة ، وهم الضخام الذين لاغناء عندهم . قال فى اللسان : وقول خداش ابن زهير : « وتركب خيلا . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون على أن الرماح تشقى بهم ، أى لأنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن بها . (قلت : وعلى هذا التوجيه ، لا شاهد فى البيت) . ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، يعنى أنهم يقتلون بها . والهوادة : المصالحة والموادعة . قلت : وعلى التوجيه الثانى من كلام ابن سيده ، يصح الاستشهاد بالبيت ، لما فيه من القلب . قال أبو عبيدة : وإنما يشقى الضياطرة بالرماح . اهـ . قلت وهو شاذ كالذى قبله .

(٢) لم أقف على هذا الشعر .

(٣) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣١) وهو من قصيدة يمدح بها قيس ابن معد يكرب . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة ثانية بعد الأولى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والمغمر : الذى لم يجرب الأمور . وشب النار : أوقدها . والأجذال : جمع جذل (بكسر الجيم ، وسكون الذال) وهو ماعظم من أصول الشجر المقطع ، يجعل حطبا ووقودا للنار . والبيت خطاب للممدوح يقول له الشاعر : أقسم بمن جعل الشهور علامة ومواقيت للناس (فى البيت الذى قبل البيت) أنك لم تكن فى الحرب الشديدة جاهلا بإدارتها على الأعداء ، حين أوقد حرها الأجذال والحطب . وقد جعل الشاعر الحر هو الذى أوقد الأجذال . وفى هذا قلب للمعنى ، والأصل : إذا شبت الأجذال حر الحرب . وعلى هذا القلب استشهد به المؤلف ، وهو كالشاهدين قبله .

المَخاضُ) معناه : فجاء بها المخاض ؛ وقال : قد قال رجل من أهل العربية : ما إن العصبة تَنُوء بمفاتحه ، فحوّل الفعل إلى المفاتح ، كما قال الشاعر :

إنَّ سِرَاجا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهْ تَحْلَى بِهِ العَيْنُ إذَا ما تَجْهَرُهْ[١]

وهو الذى يحلَى بالعين ، قال : فإن كان سمع أثرا بهذا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى ، قال : وأنشدنى بعض العرب :

حتى إذَا ما الْتَأَمَتْ مَوَاصِلُهْ وَنَاءَ فِى شِقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ[٢]

يعنى : الرامى لما أخذ القوس ، ونزع مال عليها . قال : ونرى أن قول العرب : ما ساءك ، وناءك من ذلك ، ومعناه : ما ساءك وأناءك من ذلك ، إلا أنه ألقى الألف لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما فهنأنى ومرأنى ، ومعناه : إذا أفردت وأمرأنى فحذفت منه الألف لما أتبع ما ليس فيه ألف .

وهذا القول الآخر فى تأويل قوله (لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ) : أولى بالصواب من الأقوال الأُخَر ، لمعنيين : أحدهما : أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل . والثانى : أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل : بنحو هذا المعنى جاءت ، وأن قول من قال : معنى ذلك : ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه ، إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه : ما إن العصبة لتنهض بمفاتحه ؛ وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه ، على نحو مافيه ، إذا وجه إلى أن معناه : إن مفاتحه تثقل العصبة وتميلها ، لأنه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير ؛ وإنما قصد جلّ ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك ، وإذا أريد به الخبر عن كثرته ، كان لاشكّ أن الذى قاله من ذكرنا قوله ، من أن معناه : لتنوء العصبة بمفاتحه ، قول لامعنى له ، هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك .

---

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٢) وقد تقدم الاستشهاد به فى (٢ : ٨١) من هذا التفسير ، على مثل ما استشهد به هنا ، مع أبيات أخر . وقلنا فى تفسيره هناك : جهرت فلانا العين تجهره : نظرت إليه فرأته عظيما ، فحلى هو فيها . هذا هو أصل المعنى ، ولكن الشاعر قلب المعنى . فجعل العين تحلى بالمرئى إذا رأته ، فهو كالشاهدين اللذين قبله . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فى التعليق على قول الله تعالى : « ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبةأولى القوة » : ونوءها بالعصبة أن تثقلهم . والعصبة هاهنا : أربعون رجلا . ومفاتحه : خزائنه . والمعنى : ما إن مفاتحه لتنىء العصبة ، أى تميلهم من ثقلها ؛ فإذا دخلت الباء قلت : تنوء بهم ، كما قال : « آتونى أفرغ عليه قطرا » والمعنى : ائتونى بقطر أفرغ عليه . فإذا حذفت الباء زددت فى الفعل ألفا فى أوله . ومثله : فأجاءها المخاض . معناه : فجاء بها المخاض . وقد قال رجل من أهل العربية : إن المعنى : ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه ، فحول الفعل إلى المفاتح ، كما قال الشاعر : « إن سراجا . . . البيت » ، وهو الذى يحلى بالعين . فإن كان سمع بهذا أثرا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى . اهـ .

(٢) البيتان : مما أنشده بعض العرب الفراء (انظر معانى القرآن له ص ٢٤٢ ، واللسان : ناء) قال الفراء بعد الذى نقلناه من قوله فى الشاهد السابق : ولقد أنشدنى بعض العرب : * حتى إذا ما التأمت مواصله وناء فى شق الشمال كاهله * يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع ، مال على شقه ، فذلك نوءه عليها . ونرى أن قول العرب « ما ساءك وناءك » : من ذلك ، ومعناه : ساءك وأناءك ، إلا أنه ألقى الألف ، لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما ، فهنأنى ومرأنى . ومعناه إذا أفردت : وأمرأنى ، فحذفت منه الألف ، لما أن أتبع مالا ألف فيه .

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاتَفْرَحْ ، إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) يقول: إذ قال قومه : لاتبغ ولا تَبْطَر فرحا ، إن الله لايحبّ من خلقه الأَشِرين البَطِرين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) يقول : المَرِحين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، فى قوله(لاتَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : المتبذّخين الأَشِرين البَطِرين ، الذين لايشكرون الله على ما أعطاهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن جابر ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية (إن اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : الأَشِرين البَطِرين البَذِخين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن مجاهد ، فى قوله (لاتَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : يعنى به البغى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، فى قول الله (لاتَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : المتبذّخين الأشرين ، الذين لايشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : المتبذّخين .

حدثنا محمد بن عبد الله المُخَرِّمى ، قال : ثنى شَبَابة ، قال: ثنى ورقاء، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاتَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : الأشِرينَ البَطِرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، إذ قال له قومه (لاتَفْرَحْ) : أى لاتمرح (إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) : أى إن الله لايحبّ المَرِحين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (لاتَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : الأَشِرين البطرين ، الذين لايشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن مجاهد ، فى قوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاتَفْرَحْ ، إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الفَرِحِينَ) قال : هو فَرَح البَغْى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيل قوم قارون له : لاتبغ ياقارون على قومك ، بكثرة مالك ، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله فى الدنيا . وقوله (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) يقول : ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا ، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة ، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ) يقول : لاتترك أن تعمل لله فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن ابن عباس (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : أن تعمل فيها لآخرتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عون بن عبد الله (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : إن قوما يضعونها على غير موضعها ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، تعمل فيها بطاعة الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : العمل بطاعته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : تعمل فى دنياك لآخرتك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : العمل فيها بطاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عيسى الجُرَشِىّ ، عن مجاهد (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : أن تعمل فى دنياك لآخرتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن مجاهد ، قال : العمل بطاعة الله : نصيبه من الدنيا ، الذى يُثاب عليه فى الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : لاتنس أن تقدّم من دنياك لآخرتك ، فإنما تجد فى آخرتك ما قدّمت فى الدنيا ، فيما رزقك الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتترك أن تطلب فيها حظّك من الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) : قال الحسن : ما أحلّ الله لك منها ، فإن لك فيه غِنًى وكفاية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المَعْمَرِىّ ، عن مَعْمر ، عن قتادة : (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) قال : طَلَبَ الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الحسن (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) : قال : قدِّم الفضل ، وأمسك ما يبلغك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : الحلال فيها .

وقوله (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ) يقول : وأحسن فى الدنيا إنفاق مالك الذى آتاكه الله ، فى وجوهه وسُبله ، كما أحسن الله إليك ، فوسع عليك منه ، وبسط لك فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ) قال : أحسن فيما رزقك الله (وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ) يقول : ولا تلتمس ما حرّم الله عليك من البغى على قومك (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) يقول : إن الله لا يحبّ بُغاة البغى والمعاصى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال قارون لقومه الذين وعظوه : إنما أوتيتُ هذه الكنوز على فضل علم عندى ، علمه الله منى ، فرضى بذلك عنى ، وفضلنى بهذا المال عليكم ، لعلمه بفضلى عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) قال : على خبر عندى .

قال : حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) قال : لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا ، وقرأ (أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وأَكْثَرُ جَمْعا) . . . الآية .

وقد قيل : إن معنى قوله (عِنْدِى) بمعنى : أرَى ، كأنه قال : إنما أوتيته لفضل علمى فيما أرَى .

وقوله (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) يقول جلّ ثناؤه : أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتى الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه ، فاستحقّ بذلك أن يؤتى ما أُوتى من الكنوز ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشدّ منه بطشا ، وأكثر جمعا للأموال ؛ ولو كان الله يؤتى الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا ، لأن من كان الله عنه راضيا ، فمحال أن يهلكه الله ، وهو عنه راض ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا .

وقوله (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قيل : إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر ، عن قتادة (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال : يدخلون النار بغير حساب . وقيل : معنى ذلك : أن الملائكة لا تسأل عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) كقوله (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) زرقا سود الوجوه ، والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم . وقيل معنى ذلك : ولا يُسئل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال : عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا ، فالهاء والميم فى قوله (عَنْ ذُنُوبِهِمْ) على هذا التأويل لمن الذى فى قوله (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) وعلى التأويل الأوّل الذى قاله مجاهد وقتادة للمجرمين ، وهى بأن تكون من ذكر المجرمين أولى ، لأن الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب ، لا مؤمن ولا كافر . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين ، لو كانت الهاء والميم اللتان فى قوله (عَنْ ذُنُوبِهِمْ) لمن الذى فى قوله (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) من دون المؤمنين ، يعنى لأنه غير مسئول عن ذلك مؤمن ولا كافر ، إلا الذين ركبوه واكتسبوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)

❊ يقول تعالى ذكره : فخرج قارون على قومه فى زينته ، وهى فيما ذكر ثياب الأُرْجُوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن أبى الزبير ، عن جابر (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى القِرْمز .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب حُمْر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : على بَراذين بيض ، عليها سروج الأُرْجُوان ، عليهم المعصفرات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : عليه ثوبان مُعَصْفران .

وقال ابن جُرَيج : على بغلة شهباء عليها الأُرجوان ، وثلاثمئة جارية على البغال الشُّهْب ، عليهن ثياب حمر .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنى أبى ويحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب حُمر وصُفر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، أنه سمع إبراهيم النخَعِىّ ، قال فى هذه الآية (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب حمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم النخعىّ ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا محمد بن عمرو بن علىّ المقدمى ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، قال : دخلنا على مالك بن دينار عشية ، وإذا هو فى ذكر قارون ، قال : وإذا رجل من جيرانه عليه ثياب مُعَصفرة ، قال : فقال مالك : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : فى ثياب مثل ثياب هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) : ذُكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليهم وعلى دوابهمُ الأُرجُوان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال : خرج فى سبعين ألفا ، عليهمُ المعصفرات ، فيما كان أبى يذكر لنا (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ !) يقول تعالى ذكره : قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون : يا ليتنا أُعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها ! (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول : إن قارون لذو نصيب من الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

☆ يقول تعالى ذكره: وقال الذين أوتوا العلم بالله، حين رأوا قارون خارجا عليهم فى زينته، للذين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون: ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال فى الآخرة، خير مما أوتى قارون من زينته وماله لقارون. وقوله (وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) يقول: ولا يلقاها: أى ولا يوفّق لقيل هذه الكلمة، وهى قوله (ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) والهاء والألف كناية عن الكلمة. وقال (إِلَّا الصَّابِرُونَ) يعنى بذلك: الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا ماعند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال على لذّات الدنيا وشهواتها، فجدّوا فى طاعة الله، ورفضوا الحياة الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

☆ يقول تعالى ذكره: فخسفنا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره، لأنه ذكر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جلسائه فى داره، وكانوا جماعة جلوسا معه، وهم على مثل الذى هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله ابن الحارث، عن ابن عباس، قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كلّ ألف دينار دينارا، وكلّ ألف شىء شيئا، أوقال: وكلّ ألف شاة شاة «الطبرىّ يشكّ»، قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا، فجمع بنى إسرائيل، فقال: يابنى إسرائيل إن موسى قد أمركم بكلّ شىء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغىّ، فتجعلوا لها جعلا، فتقذفه بنفسها، فدعوها فجعل لها جعلا على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال لموسى: إن بنى إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم، فخرج إليهم وهم فى براح من الأرض، فقال: يا بنى إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت، أو رجمناه حتى يموت «الطبرى يشكّ»، فقال له

قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا ، قال : فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة . قال : ادعوها ، فإن قالت ، فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى : يافلانة ، قالت : يالبّيك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت: لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لى جُعْلا على أن أقذفك بنفسى ، فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه : مُرِ الأرض بما شئت ، قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال: يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى حقيهم[1] ؛ ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ قال: فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، ويتضرّعون إليه ؛ قال: يا أرض خذيهم ،فانطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : ياموسى ، يقول لك عبادى : ياموسى ، ياموسى ؛ فلا ترحمهم ؟ أما لو إياى دعَوا ، لوجدونى قريبا مجيبا ؛قال: فذلك قول الله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ) وكانت زينته أنه خرج على دوابّ شُقْر عليها سُروج حُمْر ، عليهم ثياب مُصَبَّغة بالبَهْرَمان[2] (قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا : يا لَيْتَ لَنامِثْلَ ما أُوتِىَ قارُونُ) . . . إلى قوله (إنَّه لايُفْلِحُ الكافِرُونَ) يا محمد (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأرْضِ وَلا فَسادًا ،والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما أمر الله موسى بالزكاة ، قال : رَمَوه بالزنا ، فجزع من ذلك ، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها ، على أن ترميه بنفسها ؛ فلما جاءت عظم عليها ، وسألها بالذى فلق البحر لبنى إسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى إلاّ صَدَقت . قالت: إذ قد استحلفتنى ، فإنى أشهد أنك برئ ، وأنك رسول الله، فخرّ ساجدا يبكى ، فأوحى الله تبارك وتعالى : مايبكيك؟ قد سلطناك على الأرض ، فمرها بما شئت ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا : ياموسى ياموسى ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا يا موسى ياموسى ، فخسفنهم . قال : وأصاب بنى إسرائيل بعد ذلك شدّة وجوع شديد، فأتوا موسى ، فقالوا : ادع لنا ربك ؛ قال : فدعا لهم ، فأوحى الله إليه : ياموسى ، أتكلمنى فى قوم قد أظلم مابينى وبينهم خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ، أما إيّاى لو دَعَوا لأجبتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الأرْضَ) قال : قيل للأرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعقابهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أحقائهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ ثم قيل لها: خذيهم، فخُسِف بهم ، فذلك قوله (فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرْضَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال:ثنا علىّ بن هاشم بن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى فى ناحية بنى إسرائيل ، وقارون فى ناحية ، قال : فدعا بَغِيَّة كانت فى بنى إسرائيل ،فجعل لها جُعْلا على أن ترمى موسى بنفسها ، فتركته إذا كان يوم تجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى ، أتاه قارون

(١) الحقو : مقعد الإزار . جمعه : أحق ، وأحقاء ، وحقى (بشد الياء) وحقاء (اللسان حقا) .

(٢) البهرمان ، بفتح الباء والراء : العصفر أوضرب منه (اللسان : بهرم) .

فقال : ياموسى ما حدّ من سرق ؟ قال : أن تنقطع يده ، قال : وإن كنتَ أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فما حدّ مَن زنى ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنك قد فعلت ، قال : وَيْلَك بمن ؟ قال : بفلانة ، فدعاها موسى ، فقال : أنْشُدك بالذى أنزل التوراة ، أَصَدقَ قارون ؟ قالت : اللهمّ إذ نَشَدْتنى ، فانى أشهد أنك برىء ، وأنك رسول الله ، وأن عدوّ الله قارون جعل لى جُعلا على أن أرميك بنفسى ؛ قال : فوثب موسى ، فخرّ ساجدا لله ، فأوحى الله إليه : أنِ ارفعْ رأسك ، فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : يا أرضُ خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحقْو ، قال : يا موسى ؛ قال : خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذيهم ، قال : فذهبوا . قال فأوحى الله إليه ياموسى : استغاث بك فلم تغثه ، أما لو استغاث بى لأجبته ولأغثته .

حدثنا بشر بن هلال الصوّاف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، قال : ثنا علىّ بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة ؛ فلما خرج منها ، جلس وتساند عليها ، وجلسنا إليه ، فذكر سليمانَ بن داود (وَقالَ يا أيُّها المَلأُ أيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) . . . إلى قوله (إنَّ رَبّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ) ثم سكت عن ذكر سليمان ، فقال (إنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) وكان قد أوتى من الكنوز ماذكر الله فى كتابه (ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ) ، (قالَ إنَّما أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) قال : وعادى موسى ، وكان مؤذيا له ، وكان موسى يصفح عنه ويعفو ، للقرابة ، حتى بنى دارا ، وجعل باب داره من ذهب ، وضرب على جدرانه صفائح الذهب ، وكان الملأ من بنى إسرائيل يَغْدُون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ، ويحدّثونه ويضحكونه ، فلم تدعْه شقوته والبلاء ، حتى أرسل إلى امرأة من بنى إسرائيل مشهورة بالخنا ، مشهورة بالسّبّ ، فأرسل إليها فجاءته ، فقال لها : هل لك أن أُموّلك وأعطيَك ، وأخلطَك فى نسائى ، على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون : ألا تنهى عنّى موسى ، قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاء الملأ من بنى إسرائيل ، أرسل إليها ، فجاءت فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ، فقالت فى نفسها : لأن أُحدِث اليوم توبة ، أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذّب عدوّ الله له . فقالت : إن قارون قال لى : هل لك أن أموّلك وأعطيَك ، وأخلطك بنسائى ، على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : ياقارون ألاَ تنهى عنى موسى ، فلم أجد توبة أفضل من أن لا أُوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذّب عدوّ الله ؛ فلما تكلمت بهذا الكلام ، سُقِط فى يدى قارون ، ونكّس رأسه ، وسكت الملأ ، وعرف أنه قد وقع فى هلَكة ، وشاع كلامها فى الناس ، حتى بلغ موسى ؛ فلما بلغ موسى اشتدّ غضبه ، فتوضأ من الماء ، وصلّى وبكى ، وقال : يا ربّ عدوّك لى مؤذ ، أراد فضيحتى وشَيْنى ، يا ربّ سلطنى عليه ، فأوحى الله إليه أن مُرِ الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه ، عرف الشرّ فى وجه موسى له ، فقال : ياموسى ارحمنى ؛ قال : يا أرض خذيهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : ياموسى ، فأخذتهم إلى رُكَبهم ، وهو يتضرّع

إلى موسى : ياموسى ارحمنى ؛ قال : يا أرض خذيهم ، قال : فاضطربت داره وساخت ،وخُسف بقارون وأصحابه إلى سُرَرِهم ،وهو يتضرّع إلى موسى : يا موسى ارحمنى ؛ قال : يا أرض خذيهم ، فخُسِف به وبداره وأصحابه . قال : وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم : ياموسى ما أفظّك . أما وعزّتى لو إياىَ نادى لأجبته

حدثنى بشر بن هلال ،قال : ثنا جعفر بن سليمان ،عن أبى عِمران الجَوْنىّ ، قال : بلغنى أنه قيل لموسى : لاأُعَبِّدُ الأرض لأحد بعدك أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، وعبد الحميد الحِمّانى ، عن سفيان ، عن الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة بن حُصين ، قال عبد الحميد ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس ، ولم يذكر ابن مهدى أبا نصر (فَخَسَفنا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) قال : الأرض السابعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : بلغنا أنه يخسف به كلّ يوم مِئَة قامة ، ولا يبلغ أسفل الأرض إلى يوم القيامة ، فهو يتجلْجَل فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالك بن دينار ، قال : بلغنى أن قارون يُخْسَف به كلّ يوم مِئَة قامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) ذُكر لنا أنه يُخسَف به كلّ يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها ، لايبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

وقوله (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : فلم يكن له جند يرجع إليهم ، ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه ، بل تبرّءوا منه (وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ) يقول : ولا كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحلّ به نقمته ، فيمتنع لقوّته منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ) أى جند ينصرونه ، وما عنده منعة يمتنع بها من الله .

وقد بيّنّا معنى الفئة فيما مضى ، وأنها الجماعة من الناس ، وأصلها الجماعة التى يفىء إليها الرجل عند الحاجة إليهم ،للعون على العدوّ ، ثم تستعمل ذلك العرب فى كلّ جماعة كانت عونا للرجل ،وظَهْرا له ؛ ومنه قول خفاف :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ حَيًّا لَقَاحاً	وَجَدِّكَ بينَ نَاضِحَةٍ وحَجْرِ
أشَدَّ على صُرُوفِ الدَّهْرِ آدا	وأكبرَ منهُمْ فِئَـةً بِصَبْرِ[1]

(١) البيتان من شعر خفاف بن ندبة ، وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣ ب) قال عند قوله تعالى : « فما كان له من فئة » أى من أعوان وظهر ، قال : خفاف : فلم أر مثلهم حيا لقاحا . . . . البيتين » . وفى « (اللسان : لقح) : وحى لقاح : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم فى الجاهلية سباء . وقال ثعلب : الحى اللقاح : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقحت =

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وأصبح الذين تمنَّوا مكانه بالأمس من الدنيا، وغناه وكثرة ماله ، وما بسط له منها بالأمس ، يعنى قبل أن ينزل به مانزل من سخط الله وعقابه ، يقولون : ويْكأنّ الله . . .

اختلف فى معنى (وَيْكَأَنَّ اللّهَ) فأما قَتادة ، فإنه رُوى عنه فى ذلك قولان :

أحدهما : ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عَثْمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، قال فى قوله (وَيْكَأَنَّهُ) قال : ألم تر أنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (وَيْكَأَنَّهُ) : أوَلا تَرَى أنه .

وحدثنى إسماعيل بن المتوكل الأشجعى ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنى معمر ، عن قَتادة : (وَيْكَأَنَّهُ) قال : ألم تَرَ أنه .

والقول الآخر : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قَتادة ، فى قوله (وَيْكَأَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) قال : أو لم يعلم أن الله (وَيْكَأَنَّهُ) : أوَلا يَعلمُ أنه .

وتأوّل هذا التأويل الذى ذكرناه عن قَتادة فى ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك ، بقول الشاعر :

سألَتانِي الطَّلاقَ أنْ رَأَتانِي قَلَّ مالى ، قَدْ جِئْتُما بِنُكْرِ
وَيْكأنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْبَبْ ومَنْ يفْتَقِرْ يعِشْ عَيْشَ ضُرِّ(١)

= لم تطاوع الفحل . وناضحة بالضاد : لعله تحريف ناصحة ، وهى كما فى معجم البلدان : ماء لمعاوية بن حزن بنجد . وحجر (بفتح فسكون) : قصبة اليمامة . والآد والأيد : القوة . والفئة : الجماعة من الناس ، وهو من الكلمات الثنائية الوضع .

(١) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٩٥ — ٩٧) وقبلهما بيت ثالث وهو :

تِلكَ عِرْساىَ تَنْطِقانِ عَلَى عَمْدٍ إلى اليَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهِتْرِ

والشاعر ينكر حال زوجيه معه ، بعد أن كبر وافتقر . وفى البيت الثانى : « أن رأتا مالى قليلا . . . الخ » والعرس : الزوجة . والهتر بفتح الهاء : مصدر هتره يهتره هترا من باب نصر : إذا مزق عرضه . وبكسر الهاء : الكذب ، والداهية ، والأمر العجب ، والسقط من الكلام ، والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . والنكر : الأمر القبيح المنكر . والنشب : المال الأصيل، من الناطق والصامت . والشاهد فى قوله « ويكأن » فقد اختلف فيها البصريون والكوفيون : أهى كلمة واحدة أم كلمتان؟ فقال سيبويه : سألت الخليل عن قوله تعالى : « ويكأنه لايفلح الكافرون » وعن قوله « ويكأن الله » فزعم أنها : « وى » مفصولة من « كأن » . والمعنى على أن القوم انتبهوا ، فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا ، فقيل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا؟ وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٣) : « ويكأن » . . . فى كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله ؟ وأنشدنى : « ويكأن من يكن . . . البيت » . وأخبرنى شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ، ويلك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه أما ترينه وراء البيت . . . إلى آخر ما نقله عنه المؤلف . قلت : والذى قاله الخليل وسيبويه من حيث اللفظ أقرب إلى الصواب ، لأن الكلمة مركبة من ثلاثة أشياء : وى ، والكاف ، وأن . والذى قاله الفراء من جهة المعنى : حسن واضح .

وقال بعض نحويّي الكوفة : « ويكأنّ » فى كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صُنع الله وإحسانه ، وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها : أين ابننا ، فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترينه وراء البيت ؟ قال : وقد يَذْهَب بها بعض النحويين إلى أنها كلمتان ، يريد : وَيْلَكَ أَنّه ، كأنه أراد ويْلَكَ ، فحذف اللام ، فتجعل « أَنّ » مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويْلَكَ اعلمْ أنه وراء البيت . فأضمر « اعلم » . قال : ولم نجد العرب تُعْمِل الظنّ مضمرا ، ولا العلم وأشباهه فى « أَنّ » . وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين ، أو فى آخر الكلمة ، فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ؛ ألا ترى أنه لايجوز فى الابتداء أن يقول : ياهذا ، أنك قائم ، ويا هذا أَنْ قمت ، يريد : علمت ، أو اعلم ، أو ظننت ، أو أظنّ . وأما حذف اللام من قولك : ويْلَكَ حتى تصير : ويْك ، فقد تقوله العرب ؛ لكثرتها فى الكلام ، قال عنترة :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِى وأَبْرَأَ سُقْمَهَا　　قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[1]

قال : وقال آخرون : إن معنى قوله (وَيْكَأَنَّ) : « وى » منفصلة من كأنّ ، كقولك للرجل : وَىْ أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : « وى » ثم استأنف ، كأن الله يبسط الرزق ، وهى تعجب ، وكأنّ فى معنى الظنّ والعلم ، فهذا وجه يستقيم . قال : ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كَثُرَ بها الكلام ، فوُصِلت بما ليست منه .

وقال آخر منهم : إن « وَىْ » : تنبيه ، وكأن حرف آخر غيره ، بمعنى : لعلّ الأمر كذا ، وأظنّ الأمر كذا ، لأن كأنّ بمنزلة أظنّ وأحسب وأعلم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : القول الذى ذكرنا عن قَتادة ، من أن معناه : ألم تَرَ ، ألم تعلَمْ ، للشاهد الذى ذكرنا فيه من قول الشاعر ، والرواية عن العرب ؛ وأنّ « ويكأن » فى خطّ المصحف حرف واحد . ومتى وجه ذلك إلى غير التأويل الذى ذكرنا عن قَتادة ، فإنه يصير حرفين ، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوّله بمعنى : وَيْلَكَ اعلم أن الله ، وجب أن يفصل « وَيْكَ » من « أَنّ » ، وذلك خلاف خطّ جميع المصاحف . مع فساده فى العربية ، لما ذكرنا . وإن وُجِّه إلى قول من يقول : « وَىْ » بمعنى التنبيه ، ثم استأنف الكلام بكأن ، وجب أن يُفْصَل « وَىْ » من « كأن »[2] ، وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها .

فإذا كان ذلك حرفا واحدا ، فالصواب من التأويل : ما قاله قَتادة ، وإذ كان ذلك هو الصواب ، فتأويل الكلام : وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس ، يقولون لمَّا عاينوا ما أحلّ الله به من

---

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، من معلقته (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ص ٣٧٩) قال شارحه : يريد أن تعويل أصحابه عليه ، والتجاءهم إليه . شفى نفسه ، ونفى غمه . اهـ . ووى : كلمة يقولها المتعجب من شىء ، وهى بداية ثنائية الوضع . لأنها من أسماء الأصوات ، ثم صارت اسم فعل ، وقد تدخلها كاف الخطاب ، وقد يزيدون عليها لاما ، فتصير ويل أو الحاء ، فتصير ويح ، وتستعمل الأولى فى الإنذار بالشر ، والثانية فى الإشعار بالرحمة ، فيقال ويلك ، وويحك ؛ وويسك ، وويبك : مثل ويلك . وروايته البيت هنا كروايته فى معانى القرآن للفراء (ص ٢٤٣) فقد نقله فى كلامه الذى نقله المؤلف ، وذكر فيه هذا الشاهد . وفى مختار الشعر : قيل الفوارس : فى موضع : قول الفوارس ، وهما بمعنى .

(٢) قلت : العجب من المؤلف ، على إمامته وعلو كعبه فى العلم ، كيف يجعل رسم المصاحف دليلا على المعنى ، مع أن المصاحف مختلفة رسمها اختلافا بينا وليس لاختلاف المعانى أى دخل فى ذلك الرسم ، وإنما وجد إلى أسباب أخرى .

نقمته ، ألم تر ياهذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فيوسّع عليه ، لالفضل منزلته عنده ، ولا لكرامته عليه ، كما كان بسط من ذلك لقارون ، لالفضله ولا لكرامته عليه (وَيَقْدِرُ) يقول : ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ، ويقتّر عليه ، لا لهوانه ، ولا لسُخْطه عمله .

وقوله (لَوْلا أنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا) يقول : لولا أن تفضل علينا ، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس . (لَخَسَفَ بِنا) .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى شيبة (لَخُسِفَ بِنا) بضم الخاء ، وكسر السين ، وذُكر عن شيبة والحسن (لَخَسَفَ بِنَا) بفتح الخاء والسين ، بمعنى : لخسف اللهُ بنا .

وقوله (وَيْكَأنَّهُ لايُفْلِحُ الكافِرُونَ) يقول : ألم تعلم أنه لايفلح الكافرون ، فتُنْجِح طَلِباتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

يقول تعالى ذكره : تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لايريدون تكبرا عن الحقّ في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا : يقول : ولا ظلم الناس بغير حقّ ، وعملا بمعاصي الله فيها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن زياد بن أبي زياد ، قال : سمعت عكرمة يقول (لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ وَلا فَسادًا) قال : العلوّ : التجبّر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ وَلا فَسادًا) قال : العلوّ : التكبر في الحقّ ، والفساد : الأخذ بغير الحقّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين (لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ) قال : التكبر في الأرض بغير الحقّ (وَلا فَسادًا) أخذ المال بغير حقّ .

قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ) قال : البغي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قوله (لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ) قال : تعظّما وتجبرا ، (ولا فسادا) : عملا بالمعاصي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السمان ، عن أبي سلمان الأعرج ، عن عليّ رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه ، فيدخل في قوله (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ وَلا فَسادًا ، والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقوله (وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والجنة للمتقين ، وهم الذين اتقوا معاصى الله ، وأدّوا فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى معنى العاقبة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أى الجنة للمتقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره: من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد ، فله خير . وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ، ومن جاء بالسيئة ، وهى الشرك بالله .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد قال ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) : أى له منها حظّ خير ، والحسنة : الإخلاص ، والسيئة : الشرك .

وقد بيَّنا ذلك باختلاف المختلفين ، ودللنا على الصواب من القول فيه .

وقوله (فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ) يقول : فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة (إلاّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إلا جزاء ما كانوا يعملون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن الذى أنزل عليك يامحمد القرآن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد . فى قوله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ) قال : الذى أعطاك القرآن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ) قال : الذى أعطاكه .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) فقال بعضهم : معناه : لمصيرك إلى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى معدنك من الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ، قال : إلى الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن إبراهيم بن حبان ، سمعت أبا جعفر ، عن ابن عباس ، عن أبى سعيد الخدرىّ (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : معاده آخرته الجنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، فى (إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى الجنة ليسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، قال : الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : إلى الجنة .

حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : يردّك إلى الجنة ، ثم يسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد ، قالا : إلى الجنة

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبى قَزَعة والحسن ، قالوا : يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : يجىء بك يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهرى ، قالا : معاده يوم القيامة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : يجىء بك يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، فى قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : معادُك من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، فى قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ) قال : كان الحسن يقول : إىْ والله ، إن له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ، ويدخله الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لرادّك إلى الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثورى ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت .

قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن سعيد (لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : إلى الموت .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ عمن سمع ابن عباس . قال إلى الموت.

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبَيْر . قال : إلى الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبَيْر فى قوله (لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت ، أو إلى مكة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لرادّك إلى الموضع الذى خرجت منه ، وهو مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان العصفرىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : إلى مكة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : يقول : لرادّك إلى مكة ، كما أخرجك منها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، قال : مولده بمكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن يونس ابن أبى إسحاق ، قال : سمعت مجاهدا يقول : (لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن عمرو ، وهو ابن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبى ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن مجاهد أبى الحجاج ، فى قوله (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ) قال : إلى مولده بمكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى بن يونس ، عن أبيه ، عن مجاهد قال : إلى مولدك بمكة .

☼ والصواب من القول في ذلك عندي: قول من قال : لرادّك إلى عادتك من الموت ، أو إلى عادتك حيث وُلدت ، وذلك أن المعاد في هذا الموضع : المَفْعَل من العادة ، ليس من العَوْد ، إلا أن يوجّه مُوَجِّه تأويل قوله (لَرَادُّكَ) لمصيرك ، فيتوجه حينئذ قوله (إلى مَعادٍ) إلى معنى العود ، ويكون تأويله : إن الذي فرض عليك القرآن لمُصَيِّرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك .

فإن قال قائل : فهذه الوجوه التي وصفت في ذلك قد فهمناها ، فما وجه تأويل من تأوّله بمعنى : لرادّك إلى الجنة ؟ قيل : ينبغي أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر ، وهو لمصيرك إلى أن تعود إلى الجنة .

فإن قال قائل : أوَ كان أُخرج من الجنة ، فيقالَ له : نحن نعيدك إليها ؟ قيل : لذلك وجهان : أحدهما : أنه إن كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها ، فكأن ولده بإخراج الله إياه منها ، قد أخرجوا منها ، فمن دخلها فكأنما يُرد إليها بعد الخروج . والثاني أن يُقال : إنه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أُسرِي به ، كما رُوي عنه أنه قال : « دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فَرَأَيْتُ فِيها قَصْرًا ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا ؟ فَقالُوا لعُمَرَ بنِ الخطّابِ » ، ونحو ذلك من الأخبار التي رُويت عنه بذلك ، ثم رُدّ إلى الأرض ، فيقال له : إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك لمصيرك إلى الموضع الذي خرجت منه من الجنة ، إلى أن تعود إليه ، فذلك إن شاء الله قول من قال ذلك .

وقوله (قُلْ رَبّي أعْلَمُ مَنْ جاءَ بالهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المشركين : ربي أعلم مَن جاء بالهُدى الذي من سلكه نجا ، ومن هو في جور عن قصد السبيل منا ومنكم . وقوله (مُبِينٌ) يعني أنه يُبِين للمفكر الفهم إذا تأمّله وتدبّره ، أنه ضلال وجور عن الهدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾

☼ يقول تعالى ذكره : وما كنت ترجو يامحمد أن يَنْزل عليك هذا القرآن ، فتعلم الأنباء والأخبار عن الماضين قبلك ، والحادثة بعدك ، مما لم يكن بعدُ ، مما لم تشهده ولا تشهده ، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش ، إلا أن ربك رحمك ، فأنزله عليك ، فقوله (إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) استثناء منقطع .

وقوله (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا للْكافِرِينَ) يقول : فاحمَدْ ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك ، بانزاله عليك هذا الكتاب ، ولا تكونَنّ عونا لمن كفر بربك على كفره به . وقيل : إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم . وإن معنى اللام : إن الذي فرض عليك القرآن ، فأنزله عليك ، وماكنت ترجو أن ينزل عليك ، فتكون نبيا قبلَ ذلك ، لرادّك إلى مَعاد .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ولا يصرفنّك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم (لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى) وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها (وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول: ولا تتركنّ الدعاء إلى ربك، وتبليغ المشركين رسالته. فتكون ممن فعل فِعل المشركين بمعصيته ربه، وخلافه أمره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كلّ شيء معبودا آخر سواه. وقوله (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله الذي كلّ شيء هالك إلا وجهه.

واختلف في معنى قوله (إِلاَّ وَجْهَهُ) فقال بعضهم: معناه: كلّ شيء هالك إلا هو.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبا لَسْتُ مُحْصِيَهُ	رَبُّ العِبادِ إلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ(١)

وقوله (لَهُ الحُكْمُ) يقول: له الحكم بين خلقه دون غيره، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول: وإليه تردّون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالعدل، فيجازي مؤمنيكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم.

آخر تفسير سورة القصص

---

(٢٩) سُورَةُ العَنكَبُوتِ مَكِّيَّة
وآياتها تسع وستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾

---

(١) البيت من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سيبويه ولا يعرف قائلها. وهو شاهد عند النحاة على أن أصله «أستغفر الله من ذنب» ثم أسقط الجار، فاتصل المجرور بالفعل، فنصب مفعولا به. واستشهد به المؤلف هنا تبعا للفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة، الورقة ٢٤٤) قال: (كل شيء هالك إلا وجهه) إلا هو. وقال الشاعر: «أستغفر الله ... البيت» أي أوجه عملي.

قال أبو جعفر : وقد بيّنا معنى قول الله تعالى ذكره (الم) وذكرنا أقوال أهل التأويل فى تأويله ، والذى هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا ، بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) فإن معناه : أظنّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم ،أن نتركهم بغير اختبار ،ولا ابتلاء امتحان ، بأن قالوا : آمنا بك يا محمد ، فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله ، كلاّ لنختبرهم ،ليتبين الصادق منهم من الكاذب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) قال : يُبْتَلَوْن فى أنفسهم وأموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) : أى لا يُبْتَلَون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد ، فى قوله (وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) قال : لا يُبْتَلَون .

فأَنِ الأولى منصوبة بحسب ،والثانية منصوبة فى قول بعض أهل العربية ، بتعلق يتركوا بها ،وأن معنى الكلام على قوله (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) لأن يقولوا آمنا ؛ فلما حذفت اللام الخافضة من لأنْ ، نصبت على ما ذكرت . وأما على قول غيره فهى فى موضع خفض باضمار الخافض ، ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب ،فتدخل أنْ فى الكلام ، وإنما تقول تركته يذهب ، وإنما أدخلت أن هاهنا لاكتفاء الكلام بقوله (أَنْ يُتْرَكُوا) إذ كان معناه : أحسب الناس أن يُتركوا وهم لا يفتنون ، من أجل أن يقولوا آمنا ، فكان قوله (أَنْ يُتْرَكُوا) مكتفية بوقوعها على الناس ،دون أخبارهم . وإن جعلت « أن » فى قوله (أَنْ يَقُولُوا) منصوبة بنية تكرير أحسب ، كان جائزا ، فيكون معنى الكلام : أحسب الناس أن يتركوا : أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم ، ممن أرسلنا إليهم رسلنا ، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم ، وتمكيننا إياهم من أذاهم ، كموسى إذ أرسلناه إلى بنى إسرائيل ، فابتليناهم بفرعون وملئهم ، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بنى إسرائيل ، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه . فكذلك ابتلينا أتباعك

بمخالفيك من أعدائك (فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) منهم فى قيلهم آمنا (وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِين) منهم فى قيلهم ذلك ، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار ، وفى حال الاختبار ، وبعد الاختبار ، ولكن معنى ذلك : وليُظْهِرَنَّ الله صدق الصادق منهم فى قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه ، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه ، على نحو ما قد بيَّنَّاه فيما مضى قبلُ .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين عذّبهم المشركون ، ففتن بعضهم ، وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : نزلت ، يعنى هذه الآية (الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا) ... إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ) فى عمَّار بن ياسر ، إذ كان يعذّب فى الله .

وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة ، وتخلفوا عن الهجرة ؛ والفتنة التى فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء ، هى الهجرة التى امتحنوا بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الشعبىّ ، قال : إنها نزلت ، يعنى (الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) الآيتين فى أناس كانوا بمكة أقرّوا بالإسلام ، فكتب إليهم أصحاب محمد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : إنه لايقبل منكم إقرارًا بالإسلام حتى تهاجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة ، فاتبعهم المشركون ، فردّوهم ، فنزلت فيهم هذه الآية ؛ فكتبوا إليهم : إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا ، فقالوا : نخرج ، فإن اتبعنا أحد قاتلناه ؛ قال : فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم ؛ فمنهم من قتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله فيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ، ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا) قال : ابتلينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال : ابتلينا الذين من قبلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى ابتلينا .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره: أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره، وهم المعنيون بقوله (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونا) يقول: أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أى الشرك أن يسبقونا.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (أَنْ يَسْبِقُونا) أن يعجزونا.

وقوله (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره: ساء حكمهم الذى يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع فى ثوابه، فإن أجل الله الذى أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا، وهو السميع، يقول: والله الذى يرجوه هذا الراجي بلقائه ثوابه، السميع لقوله: آمنا بالله، العليم بصدق قيله، إنه قد آمن من كذبه فيه. وقوله (وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ) يقول: ومن يجاهد عدوّه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غنىّ عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله، فصحّ إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدّوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم (وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) التى

سلفت منهم فى شركهم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم فى إسلامهم ، أحسن ما كانوا يعملون فى حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره (وَوَصَّيْنَا الإنْسانَ) فيما أنزلنا إلى رسولنا (بِوالِدَيْهِ) أن يفعل بهما (حُسْنا) .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب الحسن ، فقال بعض نحويى البصرة : نُصب ذلك على نية تكرير وصّينا . وكأن معنى الكلام عنده : ووصينا الإنسان بوالديه ، ووصيناه حسنا . وقال : قد يقول الرجل وصيته خيرا : أى بخير .

وقال بعض نحويى الكوفة : معنى ذلك : ووصينا الإنسان أن يفعل حُسنا ، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه إذا كان فيما بقى الدلالة على ماسقط ، وتعمل ما بقى فيما كان يعمل فيه المحذوف . فنصب قوله (حُسْنا) وإن كان المعنى ما وصفت وصينا ، لأنه قد ناب عن الساقط ، وأنشد فى ذلك :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إذْ تَشْكُونا		وَمِنْ أبى دَهْماءَ إذْ يُوصِينا
خَيْرًا بها كأنَّنا جافُونا [1]

وقال : معنى قوله : يوصينا خيرا : أن نفعل بها خيرا ، فاكتفى بيوصينا منه . وقال ذلك نحو قوله (فَطَفِقَ مَسْحا) أى يمسح مسحا .

وقوله (وَإنْ جاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما) يقول : ووصينا الإنسان ، فقلنا له : إن جاهداك والداك لتشرك بى ما ليس لك به علم أنه ليس لى شريك ، فلا تطعهما فتشرك بى ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما ، ولكن خالفهما فى ذلك إلىَّ مرجعكم : يقول تعالى ذكره : إلىَّ معادكم ومصيركم يوم القيامة (فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فأخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها ، ثم أجازيكم عليها المحسن بالإحسان ، والمسىء بما هو أهله .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبى وقاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْنا) ... إلى قوله (فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نزلت فى سعد بن أبى وقّاص لما هاجر ، قالت أمه : والله لا يُظِلّنى بيت حتى يرجع ، فأنزل الله فى ذلك أن يُحسن إليهما ، ولا يطيعهما فى الشرك .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور السريع ، وهى من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٧٨) قال : والعرب تقول : أوصيك به خيرا ، وآمرك به خيرا ، وكان معناه : آمرك أن تفعل به ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية ، وبالأمر ، قال الشاعر : « عجبت . . . الأبيات » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الأعمال ، وذلك أن يُؤَدُّوا فرائض الله ، ويجتنبوا محارمه (لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) في مَدْخل الصالحين ، وذلك الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يقول : أقررنا بالله فوحّدناه ، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله ، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا ، كعذاب الله في الآخرة ، فارتدّ عن إيمانه بالله ، راجعا على الكفر به (وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ) يامحمد أهل الإيمان به (لَيَقُولُنَّ) هؤلاء المرتدّون عن إيمانهم ، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله : (إِنَّا كُنَّا) أيها المؤمنون (مَعَكُمْ) ننصركم على أعدائكم ، كذبا وإفكا ، يقول الله (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أيها القوم من كلّ أحد (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) جميع خلقه ، القائلين آمنا بالله وغيرهم ، فإذا أُوذي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ، ولا يستتر عنه سرا ولا علانية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) قال : فتنته أن يرتدّ عن دين الله إذا أوذي في الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال : أناس يؤمنون بألسنتهم ، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا ، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) ... الآية ، نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين ، رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم ، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قول الله (فإذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) قال : هو المنافق إذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر ، وجعل فتنة الناس كعذاب الله .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة ، فخرجوا مهاجرين ، فأدركوا وأُخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بإسلامهم . فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم وقتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت (إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم ، فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ ، فإذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) . . . إلى آخر الآية . فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير ، ثم نزلت فيهم (ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ، ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجا ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم ، حتى نجا من نجا ، وقُتل من قُتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ ، فإذَا أُوذِيَ فِي اللهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافِقِينَ) قال : هذه الآيات أنزلت فى القوم الذين ردّهم المشركون إلى مكة ، وهذه الآيات العشر مدنية إلى ههنا وسائرها مكيّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ ١١

يقول تعالى ذكره : وليعلمنّ الله أولياء الله ، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم ، وليعلمنّ المنافقين منكم حتى يميزوا كلّ فريق منكم من الفريق الآخر ، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام ، وتثاقل المتثاقل منكم عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ١٢

* يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) يقول : قالوا : كونوا على مثل مانحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يقول : قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا فى ذلك ، فبعثتم من بعد الممات ، وجوزيتم على الأعمال ، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) قال : قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم ، يقول : قالوا : لانبعث نحن ولا أنتم ، فاتبعونا إن كان عليكم شىء فهو علينا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هم القادة من الكفار ، قالوا لمن آمن من الأتباع : اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا ، وهذا أعنى قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) وإن كان خرج مخرج الأمر ، فإن فيه تأويل الجزاء ، ومعناه : ما قلت : إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ ادْعِى وأَدْعُ فإنَّ أنْدَى ... لِصَوْتٍ أنْ يُنَادِىَ دَاعِيَانِ [1]

يريد : ادعى ولأدع ، ومعناه : إن دعوت دعوت .

وقوله (وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : وكذبوا فى قيلهم ذلك لهم ، ماهم بحاملين من آثام خطاياهم من شىء ، إنهم لكاذبوا فيما قالوا لهم ووعدوهم ، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم .

---

(١) البيت لدثار بن شيبان النمرى (اللسان : ندى) قال : وفلان أندى صوتا من فلان : أى أبعد مذهبا ، وأرفع صوتا . وأنشد الأصمعى لدثار بن شيبان النمرى :

تقول خليلتى لما اشتكينا ... سيدركنا بنو القرم الهجان

فقلت ادعى وأدع فإن أندى ... لصوت أن ينادى داعيان

وفى فرائد القلائد ، وهى شرح الشواهد الصغير للعينى فى باب إعراب الفعل ، قاله الأعشى أو الحطيئة ، فيما زعم ابن يعيش ، أو ربيعة ، حشم فيما زعم الزمخشرى أو دثار بن شيبان النمرى ، فيما زعم ابن برى . والشاهد فى « أدعو » حيث نصب الواو فيه بتقدير « أن » بعد واو الجمع ، أى وأن أدعو . ويروى : وادع » على الأمر ، بحذف اللام ، إذ أصله : ولأدع . اه . وهذا التوجيه الثانى هو توجيه الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٤٤) قال : وقوله « اتبعوا سبيلنا ولنحمل » : هو أمر فيه تأويل جزاء ، كما أن قوله « ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم » نهى فيه تأويل الجزاء ، وهو كثير فى كلام العرب . قال الشاعر : « فقلت ادعى وأدع » . . . البيت . أراد ادعى ولأدع ، فإن أندى ، فكأنه قال : إن دعوت دعوت . اه . وقد نقله المؤلف بحذافيره .

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره: وليحملنّ هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم. وليسئلنّ يوم القيامة عما كانوا يكذّبونهم فى الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل. وقيلهم لهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أى أوزارهم (وأثقالاً مَعَ أثْقالِهِمْ) يقول: أوزار من أضلوا.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ. وأثقالاً مَعَ أثْقالِهِمْ). وقرأ قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) قال: فهذا قوله (وأثقالاً مَعَ أثْقالِهِمْ).

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش، القائلين للذين آمنوا: اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإنى وإن أمليت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلوّ والظفر بهم، والنجاة مما يحلّ بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح، إذ أرسلناه إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وفراق الآلهة والأوثان، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارا.

وذُكر أنه أُرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة.

كما حدثنا نصر بن علىّ الجهضمى، قال: ثنا نوح بن قيس، قال: ثنا عون بن أبى شداد، قال: إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة، فأخذهم الطوفان، يقول تعالى ذكره: فأهلكهم الماء الكثير، وكلّ ماء كثير فاش طامّ، فهو عند العرب طوفان، سيلا كان أوغيره، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا، فهو أيضا عندهم طوفان؛ ومنه قول الراجز:

أَفْناهُمْ طُوفانُ مَوْتٍ جارِفِ [1]

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ) قال : هو الماء الذى أرسل عليهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الطوفان : الغرق .

وقوله (وَهُمْ ظالِمُونَ) يقول : وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته ، وهم الذين حملهم فى سفينته من ولده وأزواجهم . وقد بيَّنَّا ذلك فيما مضى قبل ، وذكرنا الروايات فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

(وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ) يقول : وجعلنا السفينة التى أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين ، وحجة عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (فَأَنْجَيْناهُ وأَصْحابَ السَّفِينَةِ) . . . الآية . قال : أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودىّ . ولو قيل : معنى (وَجَعَلْناها آيَةً لِلعالَمِينَ) وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الهاء والألف فى قوله (وَجَعَلْناها) كناية عن العقوبة أو السخط ، ونحو ذلك ، إذ كان قد تقدم ذلك فى قوله (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ) كان وجها من التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

❊ يقول تعالى ذكرة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يامحمد إبراهيم خليل الرحمن ، إذ قال لقومه : اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام ، فإنه لاإله لكم غيره ، واتقوه : يقول :

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٤ ـ ١) قال : الطوفان : مجازه كل ماء طام فاش ، من سيل كان أو من غيره وهو كذلك من الموت إذا كان جارفا فاشيا كثيرا . قال : « أفناهم طوفان . . . البيت » . ونقله المؤلف بحروفه . وفى (اللسان : طوف) : والطوفان الماء الذى يغشى كل مكان . وقيل المطر الغالب ، الذى يغرق من كثرته . وقيل : الطوفان : الموت العظيم . وقيل : الطوفان من كل شيء : ما كان كثيرا محيطا مطيفا بالجماعة كلها ، كالغرق الذى يشتمل على المدن الكثيرة ؛ والقتل الذريع والموت الجارف ، يقال له طوفان . وبذلك كله فسر قوله تعالى : « فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » .

واتقوا سخطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ما هو خير لكم مما هو شرّ لكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله إبراهيم لقومه : إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا . يعنى مُثُلاً كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا) أصناما .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) فقال بعضهم : معناه : وتصنعون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تصنعون كذبا .

وقال آخرون : وتقولون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : وتقولون إفكا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تقولون كذبا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتنحتون إفكا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) قال : تنحتون تصوّرون إفكا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) : أى تصنعون أصناما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) الأوثان التى ينحتونها بأيديهم .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : وتصنعون كذبا . وقد بيّنا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . فتأويل الكلام إذن : إنما تعبدون من دون الله أوثانا . وتصنعون كذبا وباطلا . وإنما فى قوله [1] (إفكا) مردود على إنما ، كقول القائل : إنما تفعلون كذا ، وإنما تفعلون كذا .

(١) لعل مراده : وإنما المقدرة فى قوله إفكا : مردود . . . الخ ، والمقصود منه واضح .

وقرأ جميع قرّاء الأمصار (وَتَخْلُقُونَ إفْكاً) بتخفيف الخاء من قوله (وَتَخْلُقُونَ) وضمّ اللام : من الخَلْق. وذُكر عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ أنه قرأ (وَتُخَلِّقونَ إفْكا) بفتح الخاء وتشديد اللام من التخليق.

☆ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ماعليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً) يقول جلّ ثناؤه : إن أوثانكم التى تعبدونها ، لا تقدر أن ترزقكم شيئا (فابتغُوا عندَ اللهِ الرِّزْقَ) يقول : فالتمسوا عند الله الرزق لامن عند أوثانكم ، تدركوا ماتبتغون من ذلك (وَاعْبُدُوهُ) يقول : وذلوا له (وَاشْكُرُوا لَهُ) على رزقه إياكم ، ونعمه التى أنعمها عليكم ، يقال : شكرته وشكرتُ له ، أفصح من شكرته . وقوله (إلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : إلى الله تُرَدّون من بعد مماتكم ، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه ، وفى نعمه تتقلّبون ، ورزقه تأكلون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾

☆ يقول تعالى ذكره : وإن تكذّبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم ، والبراءة من الأوثان، فقد كَذّبت جماعات من قبلكم رسلَها فيما دعتهم إليه الرسل من الحقّ ، فحلّ بها من الله سخطه ، ونزل بها منه عاجل عقوبته ، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه (وَما على الرَّسُولِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ) يقول : وما على محمد إلا أن يبلّغكم عن الله رسالته، ويؤدّى إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربُّه . ويعنى بالبلاغ المبين : الذى يُبين لمن سمعه ما يراد به ، ويفهم به مايعنى به .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

☆ يقول تعالى ذكره : أو لم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلا صغيرا ، ثم غلاما يافعا ، ثم رجلا مجتمعا ، ثم كهلا ، يقال منه : أبدأ وأعاد ، وبدأ وعاد ، لغتان بمعنى واحد . وقوله (ثُمَّ يُعيدُهُ) يقول ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه ، كما بدأه أوّل مرّة خلقا جديدا ، لايتعذّر عليه ذلك (إنَّ ذلكَ على اللهِ يَسيرٌ) سهل كما كان يسيرًا عليه إبداؤه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ): بالبعث بعد الموت.

وقوله (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداء، فلم يتعذر عليه إحداثها مبدئا، فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدا (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) خلق السموات والأرض (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ): أى البعث بعد الموت.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس؛ قوله (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) قال: هى الحياة بعد الموت، وهو النشور.

وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره: إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فنائه، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شىء أراده.

القول فى تأويل قوله تعالى

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره: ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم، فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه فى أيام حياته، ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) يقول: وإليه ترجعون وتردون.

وأما قوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) فإن ابن زيد قال فى ذلك ما حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) قال: لا يعجزه أهل الأرضين فى الأرضين ولا أهل السموات فى السموات إن عصوه، وقرأ (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ).

وقال فى ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة: وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا من فى السماء معجزين قال: وهو من غامض العربية للضمير الذى لم يظهر فى الثانى. قال: ومثله قول حسان ابن ثابت:

أمَنْ يهجو رسولَ الله منكمْ ويمدحُه وينصرُه سواءُ ؟(١)

أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر « مَنْ » . قال: وقد يقع فى وهم السامع أن النصر والمدح لمَنْ هذه الظاهرة ؛ ومثله فى الكلام : أكرمْ من أتاك وأتى أباك ، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا . تريد : ومن لم يأت زيدا فيكتفى باختلاف الأفعال من إعادة مَنْ ، كأنه قال : أمَنْ يهجو ، ومن يمدحه ، ومن ينصره . ومنه قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) وهذا القول أصحّ عندى فى المعنى من القول الآخر ، ولو قال قائل : معناه : ولا أنتم بمعجزين فى الأرض ، ولا أنتم لو كنتم فى السماء بمعجزين كان مذهبا .

وقوله (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولىّ يلى أموركم ، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءا ولا يمنعكم منه إن أحلّ بكم عقوبته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

❊ يقول تعالى ذكره : والذين كفروا حُجَجَ الله، وأنكروا أدلته ، وجحدوا لقاءه والورود عليه ، يوم تقوم الساعة (أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِى) يقول تعالى ذكره ؛ أولئك يئسوا من رحمتى فى الآخرة لما عاينوا ما أعدّ لهم من العذاب ، وأولئك لهم عذاب مُوجِع .

فإن قال قائل : وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله (وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إلى قوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وترك ضمير قوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) وهو من قصة إبراهيم . وقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) . . . إلى قوله (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

قيل : فعل ذلك كذلك ، لأن الخبر عن أمر نوح وإبراهيم وقومهما ، وسائر مَنْ ذَكَر الله من الرسل والأمم فى هذه السورة وغيرها ، إنما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الَّذِينَ يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر ، وتحذير منه لهم أن يحلّ بهم ما حلّ بهم ، فكأنه قيل فى هذا الموضع : فاعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ، فكذّبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا ، كما كذّب أولئك إبراهيم ، ثم جَعَل مكان : فكذّبتم : وإن تكذبوا فقد كَذّب أمم من قبلكم ، إذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم ، ثم عاد إلى الخبر عن إبراهيم وقومه ، وتتميم قصته وقصتهم بقوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) .

---

(١) البيت لحسان بن ثابت وقد تقدم الاستشهاد به ، وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٤٤ من مصورة الجامعة) قال : وقوله « وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء » يقول القائل : وكيف وصفهم أنهم لايعجزون فى الأرض ولا فى السماء ، وليسوا من أهل السماء ؟ فالمعنى ، والله أعلم ، ما أنتم بمعجزين فى الأرض ، ولا من فى السماء بمعجز . وهو من غامض العربية ، الضمير الذى لم يظهر فى الثانى . ومثله قول حسان : « فمن يهجو . . . البيت » . أراد : ومن ينصره ويمدحه ، فأضمر « من » ، وقد يقع فى وهم السامع أن المدح والنصر لمن هذه الظاهرة . ومثله فى الكلام : أكرم من أتاك وأتى أباك ، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا ؛ تريد : ومن لم يأت زيدا . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم : اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إلا أن قال بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرّقوه بالنار ، ففعلوا ، فأرادوا إحراقه بالنار ، فأضرموا له النار ، فألقوه فيها ، فأنجاه الله منها ، ولم يسلطها عليه ، بل جعلها عليه بَرْدا وسلاما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله «فَمَا كانَ جَوَابَ قَوْمِ إبراهيم (إلاَّ أنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أوْ حَرِّقُوهُ ، فأنجاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ) قال : قال كعب : ماحرقت منه إلاّ وثاقه (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى إنجائنا لإبراهيم من النار ، وقد ألقى فيها وهى تسعر ، وتصييرها عليه بردا وسلاما ، لأدلة وحججا لقوم يصدّقون بالأدلة والحجج إذا عاينوا ورأوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه (وَقالَ) إبراهيم لقومه : ياقوم (إنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أوْثانا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والشأم وبعض الكوفيين (مَوَدَّةً) بنصب مودة بغير إضافة بينكم بنصبها . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) بنصب المودّة وإضافتها إلى قوله (بَيْنِكُمْ) ، وخفض بينكم. وكأن هؤلاء الذين قرءوا قوله (مَوَدَّةَ) نصبا وجّهوا معنى الكلام : إلى إنما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم ، فجعلوا إنما حرفا واحدا ، وأوقعوا قوله (اتَّخَذْتُمْ) على الأوثان ، فنصبوها بمعنى : اتخذتموها مودّة بينكم فى الحياة الدنيا ، تتحابّون على عبادتها ، وتتوادّون على خدمتها ، فتتواصلون عليها . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة (مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ) برفع المودة وإضافتها إلى البين ، وخفض البين. وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك ، جعلوا « إنَّ مَا » حرفين ، بتأويل : إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانا إنما هو مودّتكم للدنيا ، فرفعوا مودة على خبر إن . وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله « إنما » أن تكون حرفا واحدا ، ويكون الخبر متناهيا عند قوله (إنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أوْثانا) ثم يبتدئُ الخبر فيقال : ماموَدتكم تلك الأوثان بنافعتكم ،

إنما مودّة بينكم فى حياتكم الدنيا ، ثم هى منقطعة ، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودّة مرفوعة بالصفة بقوله (فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودّة ، رفعها على ضمير هى .

وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعانى ، لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها ، اتخذوها مودة بينهم ، وكانت لهم فى الحياة الدنيا مودة ، ثم هى عنهم منقطعة ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معانى ذلك ، وشهرة القراءة بكلّ واحدة منهنّ فى قرّاء الأمصار .

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) قال : صارت كلّ خُلَّة فى الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خُلَّة المتقين .

وقوله (ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) يقول تعالى ذكره : ثم يوم القيامة أيها المتوادّون على عبادة الأوثان والأصنام ، والمتواصلون على خدمتها عند ورودكم على ربكم ، ومعاينتكم ما أعدّ الله لكم على التواصل ، والتوادّ فى الدنيا من ألم العذاب ، يكفر بعضكم ببعض : يقول : يتبرأ بعضكم من بعض ، ويلعن بعضكم بعضا .

وقوله (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ) يقول جلّ ثناؤه : ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النارُ (وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ) يقول : وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة ، من دون الله مودّة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم ، فينقذونكم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

* فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : فصدّق إبراهيم خليل الله لوط (وَقَالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إلى رَبِّى) يقول : وقال إبراهيم : إنى مهاجر دار قومى إلى ربى إلى الشام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ) قال : صدّق لوط (وَقَالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إلى رَبِّى) قال : هو إبراهيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ) أى فصدّقه لوط (وَقَالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إلى رَبِّى) قال : هاجرا جميعا من كوثى ، وهى من سواد الكوفة إلى الشام . قال : وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنها سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ ، يَنْحازُ

أَهْلُ الأَرْضِ إلى مُهاجَرِ إبْرَاهِيمَ ، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِها ،حتى تَلْفِظَهُمْ وَتَقْذَرَهُمْ وَتَحْشُرَهُمُ النَّارُ مَعَ القِرَدَةِ والخَنازِيرِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ) قال : صدّقه لوط ، صدق إبراهيم قال : أرأيت المؤمنين ، أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ؟ قال : فالإيمان : التصديق . وفى قوله (إنّى مُهاجِرٌ إلى رَبّى) قال : كانت هِجْرته إلى الشأم .

وقال ابن زيد فى حديث الذئب الذى كلم الرجل ، فأخبر به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَآمَنْتُ لَهُ أنا وأبُو بَكْرٍ وعُمَر ؛ ولَيْسَ أبُو بَكْرٍ ولا عُمَرُ مَعَهُ » يعنى آمنت له : صدّقته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إنّى مُهاجِرٌ إلى رَبّى) قال : إلى حرّان ، ثم أُمر بعد بالشأم الذى هاجر إبراهيم ، وهو أوّل من هاجَر . يقول : (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إبْراهِيمُ إنّى مُهاجِرٌ) . . . الآية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول . فى قوله (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إنّى مُهاجِرٌ إلى رَبّى) إبراهيم القائل : إنى مهاجر إلى ربى .

وقوله (إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : إن ربى هو العزيز الذى لايذلّ من نَصَره . ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء ؛ وإليه هجرته ، الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ورزقناه من لدنا إسحاق ولدا ، ويعقوبَ من بعده وَلَدَ وَلَدِ .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَوَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ وَيَعْقُوبَ) قال : هما ولدا إبراهيم .

وقوله (وَجَعَلْنا فِى ذُرّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتابَ) بمعنى الجمع ، يراد به الكتب ، ولكنه خرّج مُخْرج قولهم : كثر الدرهم والدينار عند فلان .

وقوله (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِى الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه ثواب بلائه فينا فى الدنيا (وَإنَّهُ) مع ذلك (فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) فله هناك أيضا جزاء الصالحين ، غير منتقص حَظُّه بما أعطى فى الدنيا من الأجر على بلائه فى الله ، عما له عنده فى الآخرة .

وقيل : إن الأجر الذى ذكره الله عزّ وجلّ ، أنه آتاه إبراهيم فى الدنيا : هو الثناء الحسن ، والولد الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآتَيْناه أجْرَهُ فِي الدُّنْيا) قال : الثناء .

حدثني أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قوله (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا ، وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) قال : قال أجره في الدنيا أن كل ملة تتولاه ، وهو عند الله من الصالحين ، قال : فرجع إلى مجاهد فقال : أصاب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مندل ، عمن ذكره ، عن ابن عباس (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا) قال : الولد الصالح والثناء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا) يقول : الذكر الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآتَيْناهُ أجْرَهُ فِي الدُّنْيا) قال : عافية وعملا صالحا ، وثناء حسنا ، فلست بلاق أحدا من الملل إلا يرى إبراهيم ويتولاه (وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر لوطا إذ قال لقومه : إنكم لتأتون الذكران (ما سَبَقَكُمْ بِها) يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها ، وهي إتيان الذكران (مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار ، في قوله (إنَّكُمْ لَتأْتُونَ الفاحِشَةَ ماسَبَقَكُمْ بِها مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) قال : ما نَزَا ذَكَرٌ على ذَكَر حتى كان قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه (أئِنَّكُمْ) أيها القوم (لَتأْتُونَ الرِّجالَ) في أدبارهم

(وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) يقول : وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث ، وذلك أنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين ، من ورد بلادهم من الغرباء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) قال : السبيل : الطريق . المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قطَعوا به ، وعملوا به ذلك العمل الخبيث .

وقوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) اختلف أهل التأويل فى المنكر الذى عناه الله ، الذى كان هؤلاء القوم يأتونه فى ناديهم ، فقال بعضهم : كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا رَوْح بن عُطيفة الثقفىّ ، عن عمرو بن مصعب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، فى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال الضراط .

وقال آخرون : بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع قالا : ثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبى صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبى صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم عن قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قالَ : كانُوا يَحْذِفُونَ أهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » فهو المنكر الذى كانوا يأتون .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا أبو أُسامة ، بإسناده عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبى ، قال : ثنا سليم بن أخضر ، قال : ثنا أبو يونس القُشَيرى ، عن سماك بن حرب ، عن أبى صالح مولى أمّ هانئ ، أن أمّ هانئ سُئلت عن هذه الآية (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) فقالت : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « كانُوا يَحْذِفُونَ أهْلَ الطَّرِيقِ . وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبى زائدة ، قال : سمعت عكرمة يقول فى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مرّ بهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن عمر بن أبى زائدة ، قال : سمعت عكرمة قال : الحذف .

حدثنا موسى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كان كلّ من مرّ بهم حذفوه فهو المنكر .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن باذام ، عن أبى صالح مولى أمّ هانئ ، عن أمّ هانئ ، قالت : « سألت رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال « كانُوا يَجْلِسُونَ بالطَّرِيقِ ، فَيَحْذِفُونَ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

وقال بعضهم : بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة فى مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم ، يعنى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد الليثىّ ، قال : ثنا فضيل بن غياض ، عن منصور ابن المعتمر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كان يأتى بعضهم بعضا فى المجالس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : المجالس ، والمنكر : إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) قال : ناديهم : المجالس ، والمنكر : عملهم الخبيث الذى كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه ويركبونه . وقرأ (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ، وقرأ (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) يقول : فى مجالسكم .

☼ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : وتحذفون فى مجالسكم المارّة بكم ، وتسخرون منهم لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التى حرمها الله إلا قيلهم : ائتنا بعذاب الله الذى تعدنا ، إن كنت من الصادقين فيما تقول ، والمنجزين لما تعد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَما جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بالبُشْرَى) من الله بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ،(قالُوا إنَّا مُهْلِكُوا أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ) يقول : قالت رسل الله لإبراهيم : إنا مهلكو أهل هذه القرية ، قرية سَدُوم ، وهى قرية قوم لوط (إنَّ أهْلَها كانُوا ظالِمِينَ) يقول : إن أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله ، وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا ابْرَاهِيمَ بالبُشْرَى) . . . إلى قوله (نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيها) قال : فجادل إبراهيم الملائكة فى قوم لوط أن يتركوا ؛ قال : فقال أرأيتم إن كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة أبيات ، ولا خمسة ، ولا أربعة ، ولا ثلاثة ، ولا اثنان ؛ قال : فحزن على لوط وأهل بيته ، فقال(إنَّ فِيها لُوطاً ، قالُوا نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيها ،لَنُنَجِّيَنَّهُ وأهْلَهُ ، إلاَّ امْرأتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ) فذلك قوله (يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ ، إنَّ إبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أوَّاهٌ مُنِيبٌ) . فقالت الملائكة : (يا إبْرَاهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إنَّهُ قَدْ جاءَ أمْرُ رَبِّكَ ، وإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غيرُ مَرْدودٍ) فبعث الله إليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فانتسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه ، فجعل عاليها سافلها ، وتتبعهم بالحجارة بكل أرض .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للرسل من الملائكة ، إذ قالوا له (إنَّا مُهْلِكُوا أهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ إنَّ أهْلَها كانُوا ظالِمِينَ) فلم يستثنوا منهم أحدا ، إذ وصفوهم بالظلم : إن فيها لوطا ، وليس من الظالمين ، بل هو من رسل الله ، وأهل الإيمان به ، والطاعة له ، فقالت الرسل له :(نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيها) من الظالمين الكافرين بالله منك ، وإن لوطا ليس منهم ، بل هو كما قلت من أولياء الله ، لننجينه وأهله من الهلاك الذى هوَ نازل بأهل قريته (إلاَّ امْرأتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ) الذين أبقتهم الدهور والأيام ، وتطاولت أعمارهم وحياتهم ، وأنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً) من الملائكة (سِيءَ بِهِمْ) يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تضيفوه، فساءوه بذلك، فقوله (سِيءَ بِهِمْ) : فُعِلَ بهم مِنْ ساءه بذلك.

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول: ساء ظنه بقومه، وضاق بضيفه ذَرْعا.

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعمَر عنه (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعا) يقول: وضاق ذرعه بضيافتهم لِما علم من خُبث فعل قومه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شرّ قومه.

وقوله (وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ) يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: لاتخف علينا أن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أنَّا مهلكوهم، وذلك أن الرسل قالت له (يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ. إِنَّا مُنَجُّوكَ) من العذاب الذى هو نازل بقومك (وَأَهْلَكَ) يقول: ومنجو أهلك معك (إِلاَّ امْرَأَتَكَ) فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها، كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط (إِنَّا مُنْزِلُونَ) يالُوط (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) سَدُوم (رِجْزاً مِنَ السَّماءِ) يعني عذابا.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً) : أى عذابا.

وقد بيَّنا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

وقوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يقول: بما كانوا يأتون من معصية الله، ويركبون من الفاحشة.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فعلتنا التى فعلنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويتفكرون فى مواعظه، وتلك الآية البينة هى عندى عفو آثارهم، ودروس معالمهم.

وذُكر عن قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) قال: هى الحجارة التى أُمطرت عليهم.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً) قال: عبرة.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: وأرسلت إلى مَدْين أخاهم شعيبا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وذلوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة (وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) يقول: وارجوا بعبادتكم إياى جزاء اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول: ولا تكثروا فى الأرض معصية الله، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله (وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) بمعنى: واخشوا اليوم الآخر. وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول: لم نجد الرجاء بمعنى الخوف فى كلام العرب إلا إذا قارنه الجحد.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: فكذب أهل مَدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا فى دارهم جاثمين جثوما، بعضهم على بعض موتى.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ): أى ميتين.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم عادا وثمود، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلاؤها

منهم بوقائعنا بهم ، وحلول سطوتنا بجميعهم (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : وحسّن لهم الشيطان كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسله (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول : فردّهم بتزيينه لهم ما زيّن لهم من الكفر ، عن سبيل الله ، التى هى الإيمان به ورسله ، وما جاءوهم به من عند ربهم (وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم ، مُعْجَبين بها ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ، وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : كانوا مستبصرين فى دينهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) فى الضلالة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) فى ضلالتهم مُعْجَبين بها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : فى دينهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى ذكره : واذكر يامحمد قارون وفرعون وهامان ، ولقد جاء جميعهم موسى بالبيّنات ، يعنى بالواضحات من الآيات ، فاستكبروا فى الأرض عن التصديق بالبينات من الآيات ، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه (وما كانوا سابقين) : يقول تعالى ذكره : وما كانوا سابقينا بأنفسهم ، فيفوتونا ، بل كنا مقتدرين عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : فأخذنا جميع هذه الأمم التى ذكرناها لك يامحمد بعذابنا (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) وهم قوم لوط ، الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجّيل منضود ، والعرب تسمى الريح العاصف التى فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البَرَد والجليد حاصبا ؛ ومنه قول الأخطل :

وَلقدْ عَلِمْتُ إذا العِشارُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّئالِ يَكُبُّهُنَّ شَمالا
تَرْمِى العِضاهَ بِحاصِبٍ مِن ثَلْجِها حتى يَبِيتَ على العِضاهِ جُفالا[١]

وقال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج . قال : قال ابن عباس : (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً) قوم لوط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِبًا) وهم قوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) .

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنوا بذلك ، فقال بعضهم : هم ثمود قوم صالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج . قال : قال ابن عباس (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) ثمود .

وقال آخرون : بل هم قوم شعيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) قوم شعيب .

☼ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة فى كتابه فى غير هذا الموضع ، ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : فمن الأمم التى أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبا ، ومنهم مَنْ أخذته الصيحة . فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض مَنْ أخذته الصيحة من الأمم دون بعض . وكلا الأمتين أعنى ثمود ومَدين قد أخذتهم الصَّيحة .

وقوله (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الأَرْضَ) : يعنى بذلك قارون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج . قال : قال ابن عباس :

---

(١) البيتان للأخطل ، وقد سبق الاستشهاد بهما فى غير هذا الموضع من التفسير انظره فى (١٥ : ١٢٤) .

(٢) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة رقم ١٨٥) قال : « أرسلنا عليه حاصبا » : أى ريحا عاصفا فيها حصى ، ويكون فى كلام العرب الحاصب من الجليد ونحوه أيضا . وقال الفرزدق : « مستقبلين شمال الشام » . . . البيت . اهـ .

(وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ) قارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) يعنى :قوم نوح وفرعون وقومه.
واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : عُنى بذلك : قومُ نوح عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) قومُ نوح .
وقال آخرون : بل هم قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) قوم فرعون .
⁂ والصواب من القول فى ذلك ،أن يُقال :عُنى به قوم نوح وفرعونُ وقومه ؛ لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى ، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما ، فهما مَعْنيتان به .
وقوله (وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم، فيظلمَهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق ، بل إنما أهلكهم بذنوبهم ، وكفرهم بربهم ، وجحودهم نعمه عليهم ، مع تتابع إحسانه عليهم ، وكثرة أياديه عندهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرّفهم فى نعم ربهم ، وتقلبهم فى آلائه وعبادتهم غيره ، ومعصيتهم من أنعم عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

⁂ يقول تعالى ذكره:مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها فى ضعف احتيالهم ، وقبح رواياتهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، كَمَثَل العنكبوت فى ضعفها ، وقلة احتيالها لنفسها ، اتخذت بيتا لنفسها ، كيما يُكِنَّها ،فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمرالله ، وحل بهم سخطه أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا ، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ، إن مثله كمثل بيت العنكبوت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ) قال : هذا مثل ضربه الله للمشرك مَثَلُ إلهه الذى يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لاينفعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) قال : هذ امثل ضربه الله ، لايغنى أولياؤهم عنهم شيئا كما لايغنى العنكبوت بيتها هذا .

وقوله (وإنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ) يقول : وإن أضعف البيوت (لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله فى قلة غنائهم عنهم ، كغناء بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَدْعُونَ) بالتاء بمعنى الخطاب لمشركى قريش (إنَّ اللهَ) أيها الناس (يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ إلَيْهِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) . وقرأ ذلك أبو عمرو (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ) بالياء بمعنى الخبر عن الأمم . إن الله يعلم مايدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم من دونه من شيء .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأ بالتاء ، لأن ذلك لو كان خبرا عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكهم ، لكان الكلام : إن الله يعلم ما كانوا يدعون ، لأن القوم فى حال نزول هذا الخبر على نبيّ الله لم يكونوا موجودين ، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا ، وإنما يقال : إن الله يعلم ما تدعون إذا أريد به الخبر عن موجودين ، لاعمن قد هلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا : إن الله يعلم أيها القوم حال ماتعبدون من دونه من شيء ؛ وأن ذلك لاينفعكم ولايضرّكم ، إن أراد الله بكم سوءا ، ولا يغنى عنكم شيئا ؛ وإن مثله فى قلة غنائه عنكم ، مَثَلُ بيت العنكبوت فى غَنائه عنها .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به ، وأشرك فى عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم ، كما نزل بالأمم الذين قصّ الله قصصهم فى هذه السورة عليكم ، فإنه إن نزل بكم عقابُه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء ، كما لم يُغْنِ

عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه ، الحكيم في تدبيره خلقه[1] ، فمهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح ، والمؤخر من أخر هلاكه من كفرة خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه الصلاح .

وقوله (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الأمثال ، وهي الأشباه والنظائر نضربها للناس يقول : نمثلها ونشبهها ونحتجّ بها للناس ، كما قال الأعشى :

هَلْ تَذْكُرُ العَهْدَ مِنْ تَنَمُّصَ إذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِداً بِها مَثَلا[2]

(وَما يَعْقِلُها إلاَّ العالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحقّ فيما ضربت له مثلا إلا العالمون بالله وآياته .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : خلق الله يامحمد السموات والأرض وحده منفردا بخلقها ، لايشركه في خلقها شريك (إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً) : يقول إن في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها ، والآيات إذا رآها .

القول في تأويل قوله تعالى :

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (اتْلُ) يعني اقرأ (ما أُوحِيَ إلَيْكَ) مِنَ الكِتابِ يعني ما أنزل إليك من هذا القرآن (وأقِمِ الصَّلاةَ) يعني : وأدّ الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) اختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذكرت في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة ، أو في الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الوفاء ، عن أبيه ، عن ابن عمر (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) قال : القرآن الذي يقرأ في المساجد .

---

(١) العبارة من أول قوله « كما لم يغن عنهم . . . إلى هنا » : عسرة الفهم . فلتتأمل .

(٢) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٣٧) وفيه « في » في موضع « من » و « في » أوجه . وتنمص ، بفتح أوله وثانيه ، بعده ميم مشددة مضمومة . وصاد مهملة : موضع . هكذا ذكره أبو حاتم ، وأنشد للأعشى : هل تعرف الدر في تنمص إذ تضرب لي قاعدا بها مثلا

وتنمص في ديار حمير ، لأنه مدح بها ذا فائش الحميري ، وزعم أنه قال له : مالك لاتمدحني ، وضرب له مثلا . (انظر معجم ما استعجم للبكري . ترتيب مصطفى السقا ص ٣٢٢) . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١٨٥ - ١) وروايته : هل تذكر العهد في تنمص . والمؤلف استشهد به عند قوله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس » . قال أبو عبيدة : مجازه : هذه الأشباه والنظائر نحتج بها .

وقال آخرون : بل عنى بها الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ : قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) يقول : فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن العلاء بن المسيب ، عمن ذكره ، عن ابن عباس ، فى قول الله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعدا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد ، قال : قال العلاء بن المسيب ، عن سمرة بن عطية ، قال : قيل لابن مسعود ، إن فلانا كثير الصلاة ، قال : فإنها لاتنفع إلا من أطاعها .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، قال : من لم تأمره صلاته بالمعروف ، وتنهه عن المنكر ، لم يزدد بها من الله إلا بعدا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عليّ بن هاشم بن البريد ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاصَلاةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ الصَّلاةَ ، وَطاعَةُ الصَّلاةِ أنْ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ » قال : قال سفيان (قالُوا يا شُعَيْبُ أصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ) قال : فقال سفيان : إى والله تأمره وتنهاه .

قال على : وحدثنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى صَلاةً لَمْ تَنْهَهُ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ بِها مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْدًا » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، قال : من تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بعدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة والحسن ، قالا : من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فإنه لايزداد من الله بذلك إلا بعدا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال ابن عباس وابن مسعود .

فإن قال قائل : وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها ؟ قيل : تنهى من كان فيها ، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش ، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر ، ولذلك قال ابن مسعود : من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدا . وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها . وفى طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر .

حدثنا أبوحميد الحمصى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، فى قول الله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) قال : إذا كنت فى صلاة ، فأنت فى معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر ، والفحشاء : هو الزنا ، والمنكر : معاصى الله ، ومن أتى فاحشة أو عصَى الله فى صلاته بما يفسد صلاته ، فلا شكّ أنه لاصلاة له .

وقوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبدالله بن ربيعة ، قال : قال لى ابن عباس : هل تدرى ماقوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَر) قال : قلت : نعم ، قال : فما هو ؟ قال : قلت : التسبيح والتحميد والتكبير فى الصلاة ، وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال : لقد قلت قولا عجبا وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن ربيعة ، عن ابن عباس قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبدالله بن ربيعة ، قال : سألنى ابن عباس ، عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) فقلت : ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن حسن ، وذكره عند المحارم فيحتجز عنها ، فقال : لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ، ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبدالله بن ربيعة ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه .

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع ، قال ابن المثنى : ثنى عبد الأعلى ، وقال ابن وكيع : ثنا عبد الأعلى قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبى موسى ، قال : كنت قاعدا عند ابن عباس ، فجاءه رجل ، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر ، فقال ابن عباس : الصلاة والصوم قال : ذاك ذكر الله ، قال رجل : إنى تركت رجلا فى رحلى يقول غير هذا ، قال (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه ، فقال ابن عباس : صدق والله صاحبك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : حدثنى عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَر) قال : ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود ، عن عكرمة (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرَ) قال : ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : هو قوله (فاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ) وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللهِ) لعباده إذا ذكروه (أَكْبَرُ) من ذكركم إياه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة أو غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرة ، عن سلمان ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثني عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي عَرِيب ، عن كثير بن مرّة الحضرميّ ، قال : سمعت أبا الدرداء ، يقول : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير من أن تغزوا عدوّكم ، فتضربوا أعناقهم ، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم ؟ قالوا : ماهو ؟ قال : ذكركم ربكم ، وذكر الله أكبر » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرّة ، عن سلمان (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثني أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : سألت أبا قرة ، عن قوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه

قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : هو كقوله (اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا حسن بن عليّ ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن عبد الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه .

قال : ثنا أبو يزيد الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولذكركم الله أفضل من كلّ شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، عن العيزار بن حريث ، عن رجل ، عن سلمان ، أنه سئل : أيّ العمل أفضل ؟ قال : أما تقرأ القرآن (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) : لا شيء أفضل من ذكر الله .

حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا عليّ بن عياش ، قال : ثنا الليث ، قال : ثني معاوية ، عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أمّ الدرداء ، أنها قالت (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) فإن صليت فهو من ذكر الله ، وإن صمت فهو من ذكر الله ، وكلّ خير تعمله فهو من ذكر الله وكل شرّ تجتنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك تسبيحُ الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ) قال : لاشيء أكبر من ذكر الله ، قال : أكبر الأشياء كلها ، وقرأ (أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى) قال : لذكر الله : وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، قال : قال رجل لسلمان : أىّ العمل أفضل ، قال : ذكر الله .

وقال آخرون : هو محتمل للوجهين جميعا ، يعنون القول الأوّل الذى ذكرناه والثانى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ) قال : لها وجهان : ذكر الله أكبر مما سواه ، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى (وَلَذِكْرُ اللهِ أكْبَر) قال : لها وجهان : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ، وذكر الله عند ماحرُم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لذكر الله العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيدالله ، عن إسرائيل ، عن السُّدّى عن أبى مالك ، فى قوله (وَلَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ) قال : ذكر الله العبد فى الصلاة ، أكبر من الصلاة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللصلاة التى أتيت أنت بها ، وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر .

حدثنى أحمد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، فى قول الله (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ) والذى أنت فيه من ذكر الله أكبر .

❁ قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه .

وقوله (وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ) يقول : والله يعلم ما تصنعون أيها الناس فى صلاتكم من إقامة حدودها ، وترك ذلك وغيره من أموركم ، وهو مجازيكم على ذلك ، يقول : فاتقوا أن تضيعوا شيئا من حدودها ، والله أعلم .

تمّ الجزء العشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ

ويليه : الجزء الحادى والعشرون ،

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ) . . . الخ

حدثنا بشر ، [illegible]

أكبر من ذكر الله ، قال : [illegible]

لم يصله عند القتال إلا أنها أكبر [illegible]

حدثنا ابن وكيع ، قال [illegible]

الصلاة أفضل ، قال : ذكر الله [illegible]

وقال آخرون : هو [illegible]

[illegible]

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن [illegible]

الله أكبر) قال : لها وجهان : ذكر الله أكبر [illegible]

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل [illegible]

عن [illegible] (ولذكر الله أكبر) قال : [illegible]

[illegible]

وقال آخرون : بل معنى ذلك : [illegible]

ذكر من قال [illegible]

حدثنا ابن وكيع ، قال : [illegible]

الله أكبر) قال : ذكر الله العبد في الصلاة [illegible]

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والصلاة [illegible]

من الفحشاء والمنكر [illegible]

حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : [illegible]

في قول الله (إن الصلاة تنهى عن [illegible]

قال أبو جعفر : [illegible]

من ذكركم إياه [illegible]

وقوله (والله يعلم ما تصنعون [illegible]

[illegible] وذلك [illegible]

[illegible]

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الحادي والعشرون

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت لبنان

المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً: فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الحادي والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١ ـ فهرس الآيات

٣ — فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَلَا تُجَادِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَا تُجَادِلُوا) أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى ، وهم (أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حُجَجه .

وقوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ؛ فقال بعضهم: معناه : إلا الذين أبوا أن يقرّوا لكم باعطاء الجزية ، ونصبوا دون ذلك لكم حربا ، فإنهم ظلمة ، فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا منهم) قال : من قاتل ولم يُعط الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، بنحوه . إلا أنه قال : من قاتلك ولم يعطك الجزية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقا جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : إن قالوا شرًّا ، فقولوا خيرا ، (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فانتصروا منهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : قالوا

مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مَغْلولة ، أو الله فقير ، أو آذَوْا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : أهل الحرب ، مَنْ لاعهد له ، جادِلْه بالسيف .

وقال آخرون : معنى ذلك : (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ) الذين قد آمنوا به ، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم (إلاَّ بالتي هِيَ أحْسَنُ ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) . فأقاموا على كفرهم ، وقالوا : هذه الآية مُحْكَمة ، وليست بمنسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ) قال : ليست بمنسوخة ، لاينبغي أن تجادل من آمن منهم ، لعلهم يحسنون شيئا في كتاب الله ، لاتعلمه أنت ، فلا تجادله ، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا ، المقيمَ منهم على دينه . فقال : هوالذي يُجادَلُ ، ويُقال له بالسيف[1] . قال : وهؤلاء يهود . قال : ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد ، إنما كانوا يهودا هم الذين كلَّموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغدرت النضير يوم أُحُد ، وغدرت قُريظة يوم الأحزاب .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقتال ، وقالوا : هي منسوخة نسخها قوله (قاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ باللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قوله (وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ) ثم نسخ بعد ذلك ، فأمر بقتالهم في سورة براءة ، ولا مجادلة أشدّ من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يقرّوا بالخَرَاج .

⁂ وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) : إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب .

فإن قال قائل : أو غير ظالم من أهل الكتاب ، إلا من لم يؤدّ الجزية ؟ قيل : إن جميعهم وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظَلَمة ، فإنه لم يعن بقوله (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ظُلْمَ أنفسهم . وإنما عنى به : إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أذِن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل

---

(١) يقال له بالسيف : أى يرفع عليه السيف . قال في (اللسان : قول) : والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده : أى أخذ ، وقال برجله : أى مشى وقال الشاعر : « وقالت له العينان سمعا وطاعة » أى أومأت . وقال بثوب : أى رفعه . وكل ذلك على المجاز والاتساع . وفي الأصل : و « يقال له السبت » ، تحريف من الناسخ .

الكتاب بغير الذى هو أحسن ، بقوله (إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فمعلوم إذ كان قد أذن لهم فى جدالهم ، أن الذين لم يؤذن لهم فى جدالهم إلا بالتى هى أحسن ، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم ، وأنهم غير المؤمن . لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا فى غير الحقّ ، لأنه إذا جاء بغير الحقّ ، فقد صار فى معنى الظلمة فى الذى خالف فيه الحقّ . فإذ كان ذلك كذلك ، تبين أن لامعنى لقول من قال : عنى بقوله (وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ) أهل الإيمان منهم ؛ وكذلك لامعنى لقول من قال : نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال ، وزعم أنها منسوخة ، لأنه لاخبر بذلك يقطع العذر ، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل .

وقد بيَّنا فى غير موضع من كتابنا ، أنه لايجوز أن يحكم على حكم الله فى كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل .

وقوله (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنا وإِلَهُكُمْ واحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم ، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين ، وأن يكونوا فيه كاذبين ، ولم تعلموا أمرهم وحالهم فى ذلك فقولوا لهم (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) مما فى التوراة والإنجيل (وَإِلَهُنا وإِلَهُكُمْ واحِدٌ) يقول : ومعبودنا ومعبودكم واحد (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول : ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا علىّ ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنا وإِلَهُكُمْ واحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم قال : ثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ؛ قال : كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لاتُصَدِّقُوهُمْ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) .

قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن عمارة بن عمير ، عن حريث بن ظهير ؛ عن عبد الله ، قال : لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفى قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال[1] .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ماحدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلاَّ الَّذِينَ

(١) تالية اسم فاعل من تلاه يتلوه : إذا تبعه . يريد : داعية تدعوه إلى الاستمساك بدينه . وتالية المال : لعل المراد به : التابعة التى تتبع أماتها من صغار الإبل ونحوها .

ظلموا منهم) قال : قالوا مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مغلولة ، أو الله فقير ، أو آذوا محمدا ، (وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم) لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل (كذلك أنزلنا إليك) هذا (الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب) من قبلك من بنى إسرائيل (يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به) يقول : ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به ككعبد الله بن سلام ، ومن آمن برسوله من بنى إسرائيل .

وقوله (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) يقول تعالى ذكره : وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذى يجحد نعمنا عليه ، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) قال : إنما يكون الجحود بعد المعرفة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : (وما كنت) يا محمد (تتلوا) يعنى تقرأ (من قبله) يعنى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك (من كتاب ولا تخطه بيمينك) يقول : ولم تكن تكتب بيمينك ، ولكنك كنت أميا (إذا لارتاب المبطلون) يقول : ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب ، أو تخطه بيمينك ، إذن لارتاب : يقول : إذن لشك بسبب ذلك فى أمرك ، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذى تتلوه عليهم المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة ، وإنه أساطير الأولين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) قال : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ شيئا ولا يكتب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك) قال : كان نبى الله لا يقرأ كتابا قبله ، ولا يخطه بيمينه ؛ قال : كان أميا ، والأمى : الذى لا يكتب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إدريس الأودى ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) قال : كان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يخطّ بيمينه ، ولا يقرأ كتابا ، فنزلت هذه الآية .

وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله (إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) إذن لقالوا : إنما هذا شيء تعلّمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) قال قريش .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ٤٩

❊ اختلف أهل التأويل فى المعنيّ بقوله (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) فقال بعضهم : عنى به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : بل وجود أهل الكتاب فى كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ ، وأنه أميّ ، آيات بينات فى صدورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) قال : كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل لأهل العلم وعلمه لهم ، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوّته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ، ولا يخطه بيمينه ، وهى الآيات البينات .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ) قال : كان نبيّ الله لا يكتب ولا يقرأ ، وكذلك جعل الله نعته فى التوراة والإنجيل ، أنه نبيّ أميّ لا يقرأ ولا يكتب ، وهى الآية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) من أهل الكتاب صدّقوا بمحمد ونعته ونبوّته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) قال : أنزل الله شأن محمد فى التوراة والإنجيل لأهل العلم ، بل هو آية بينة فى صدور الذين أوتوا العلم ، يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عنى بذلك القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : بل هذا القرآن آيات بيِّنات فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله : (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، يعنى المؤمنين .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى بذلك : بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ، ولا تخطه بيمينك ، آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب .

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن قوله (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل .

وقوله (وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ الظَّالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ما يجحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته ، ويُنكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ومبعثه إلا الظالمون ، يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عزّ وجلّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝

⁂ يقول تعالى ذكره : وقالت المشركون من قريش : هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لنا علينا كما جعلت الناقة لصالح ، والمائدة آية لعيسى ، قل يامحمد ، إنما الآيات عند الله لايقدر على الإتيان بها غيره (وَإنَّمَا أنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) وإنما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله وما جاءكم به من عند ربكم مبين : يقول : قد أبان لكم إنذاره .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

⁂ يقول تعالى ذكره : أو لم يكف هؤلاء المشركين يامحمد ، القائلين : لولا أنزل على محمد صلى الله عايه وسلم آية من ربه ، من الآيات والحجج (أنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ) هذا (الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) يقول

يُقرأ عليهم (إنَّ في ذلكَ لَرَحْمَةً) يقول: إن في هذا الكتاب الذى أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين، أتوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: كفى بها حماقة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ماجاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم، فنزلت (أوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إنَّ في ذلكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يامحمد للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك، كفى الله ياهؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعليَّ، لأنه يعلم المحقَّ منا من المبطل، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، لايخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازى كل فريق منا بما هو أهله، المحقَّ على ثباته على الحقِّ، والمبطل على باطله، بما هو أهله (وَالَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ) يقول: صدَّقوا بالشرك، فأقرّوا به وكفروا به: يقول: وجحدوا الله (أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول: هم المغبونون في صفقتهم.

وبنحو الذى قلنا في قوله (والَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ): الشرك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يامحمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب،

ويقولون: (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذاهُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَاحِجارَةً مِنَ السَّماءِ) ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه ، لجاءهم العذاب عاجلا . وقوله (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) يقول : وليأتينهم العذاب فجأة وهم لايشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ) قال : قال ناس من جهلة هذه الأمة (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره : يستعجلك يامحمد هؤلاء المشركون بمجىء العذاب ونزوله بهم ، والنار بهم محيطة لم يبق إلا أن يدخلوها . وقيل : إن ذلك هو البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عكرمة يقول فى هذه الآية (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ) قال : البحر .

أخبرنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ) يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم فى جهنم ، ومن تحت أرجلهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَغْشاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) : أى فى النار .

وقوله (وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه : ويقول الله لهم : ذوقوا ما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ، وما يسخطه فيها . وبالياء فى ويقول (ذُوقُوا) قرأت عامة قرّاء الأمصار خلا أبى جعفر ، وأبى عمرو ، فإنهما قرآ ذلك بالنون (وَنَقُولُ) . والقراءة التى هى القراءة عندنا بالياء لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : ياعبادى الذين وحدونى وآمنوا بى وبرسولى محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أريد من الخبر عن سعة الأرض ، فقال بعضهم : أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لايحلّ لكم المُقام فيه ، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصى الله فلم تقدروا على تغييره ، فاهرُبوا منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عُمِل فيها بالمعاصى ، فاخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن سعيد ابن جُبَيْر ، فى قوله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمل فيها بالمعاصى ، فاخرج منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبَيْر : قال : اهرُبوا فإن أرضى واسعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن منصور ، عن عطاء ، قال : إذا أُمِرتم بالمعاصى فاهرُبوا ، فإن أرضى واسعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن عطاء (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : مجانبة أهل المعاصى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) ، فهاجروا وجاهدوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فإِيَّايَ فاعْبُدُونِ) فقلت : يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين ، فقال : نعم .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ما أخرج من أرضى لكم من الرزق واسع لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى زيد بن الحباب ، عن شدّاد بن سعيد بن مالك أبى طلحة الراسبى عن غَيْلان بن جرير المِعْولى ، عن مطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامرى ، فى قول الله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : إن رزقى لكم واسع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، عن شدّاد ، عن غَيلان بن جرير ، عن مُطَرّف بن الشّخّير (إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : رزقي لكم واسع .

وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : إن أرضى واسعة ، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتى لدلالة قوله (فإيّاىَ فاعبُدُونِ) على ذلك ، وأن ذلك هو أظهر معنييه ، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسَعَة ، فالغالب من وصفه إياها بذلك ، أنها لاتضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع ، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب .

وقوله (فإيّاىَ فاعبُدُونِ) يقول : فأخلِصوا لى عبادتكم وطاعتكم ، ولا تطيعوا فى معصيتى أحدا

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه : هاجِرُوا من أرض الشرك من مكة ، إلى أرض الإسلام المدينة ، فإن أرضى واسعة ، فاصبروا على عبادتى ، وأخلِصوا طاعتى ، فإنكم ميتون ، وصائرون إلىّ ، لأن كل نفس حية ذائقة الموت ، ثم إلينا بعد الموت [تُرَدّون ، ثم أخبرهم جلّ ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته ، من كرامته عنده ، فقال : (والّذين آمنوا) ، يعنى صدّقوا الله ورسوله ، فيما جاء به من عند الله ، (وعَمِلوا الصّالحات) : يقول : وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّةِ غُرَفًا) يقول : لننزلنهم من الجنة عَلالىّ .

واختلفت القُرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) بالباء وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالثاء (لَنُثْوِيَنَّهُمْ) .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة ، منهما علماء من القُرّاء متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئُ فمصيب ، وذلك أن قوله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) من بوأته منزلا : أى أنزلته ، وكذلك لنُثْوينهم ؛ إنما هو من أثويته مَسْكَنا إذا أنزلته منزلا ، من الثواء ، وهو المُقام.

وقوله (تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . (خالِدِينَ فِيها) يقول : ماكثين فيها إلى غير نهاية (نِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ) يقول : نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرفُ التى يُثْوِيهِمُوها الله فى جنّاته ، تجرى من تحتها الأنهار ، الذين صبروا على أذى المشركين فى الدنيا ، وما كانوا يلْقَون منهم ، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه ، وجهاد أعدائه (وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فى أرزاقهم

وجهاد أعدائهم ، فلا ينكلون عنهم ثقة منهم بأن الله معلى كلمته ، وموهن كيد الكافرين ، وأن ماقسم لهم من الرزق فلن يفوتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارا ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لاتحمل رزقها ، يعني غذاءها لا تحمله ، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك (اللهُ يَرْزُقُها وإيَّاكُمْ) يوما بيوم (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة (العَلِيمُ) مافي أنفسكم ، وماإليه صائر أمركم ، وأمر عدوكم من إذلال الله إياهم ، ونصرتكم عليهم ، وغير ذلك من أموركم ، لايخفى عليه شيء من أمور خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وكأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها) قال : الطيرُ والبهائم لاتحمل الرزق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران ، عن أبي مجلز فى هذه الآية (وكأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها ، اللهُ يَرْزُقُها وإيَّاكُمْ) قال : من الدوابّ ما لايستطيع أن يدّخر لغد ، يوفّق لرزقه كلّ يوم حتى يموت .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن على بن الأقمر (وكأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها) قال : لاتدّخر شيئا لغد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فسوّاهن ، وسخّر الشمس والقمر لعباده ، يجريان دائبين لمصالح خلق الله ، ليقولنّ الذى خلق ذلك وفعله الله (فأنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول جلّ ثناؤه : فأنى يصرفون عمن صنع ذلك ، فيعدلون عن إخلاص العبادة له .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فأنّى يُؤْفَكُونَ) : أي يعدلون.

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيقتّر لمن يشاء منهم : يقول : فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي دون كل أحد سواي، أبسط لمن شئت منها، وأقتر على من شئت، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة (إنَّ اللهَ بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله عليم بمصالحكم، ومن لايصلُح له إلا البسط في الرزق، ومن لايصلح له إلا التقتير عليه، وهو عالم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب (فأحْيَا بِهِ الأرْضِ) يقول : فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحياؤها : إنباتُه النباتَ فيها (منْ بعدِ مَوْتِها) من بعد جدوبها وقحوطها.

وقوله (لَيَقُولُنَّ اللهُ) يقول : ليقولنّ الذي فعل ذلك الله الذي له عبادة كل شيء. وقوله (قُلِ الحَمْدُ لله) يقول : وإذا قالوا ذلك، فقل الحمد لله (بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لايعقلون مالهم فيه النفع من أمر دينهم، ومافيه الضرّ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زُلْفة وقربة، ولايعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيا) التي يتمتع منها هؤلاء المشركون (إلاّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ) يقول : إلا تعليل النفوس بما تلتذّ به، ثم هو منقضٍ عن قريب، لابقاء له ولا دوام (وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) يقول : وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لازوال لها ولاانقطاع ولا موت معها.

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةِ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) حياة لاموت فيها.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَهِيَ الحَيَوَانُ) قال : لاموتَ فيها .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) يقول : باقية .

وقوله (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : لوكان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لقصّروا عن تكذيبهم بالله ، وإشراكهم غيره في عبادته ، ولكنهم لايعلمون ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ٦٥

يقول تعالى ذكره : فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر ، فخافوا الغرق والهلاك فيه (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد ، وأفردوا له الطاعة ، وأذعنوا له بالعبودة ، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ، ولكن بالله الذي خلقهم (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ) يقول : فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلّمهم، فصاروا إلى البرّ إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم ، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا نَجَّيهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم ، ثم يشركون بعد ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٦٦ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ٦٧

يقول تعالى ذكره : فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ يشركون بالله الآلهة والأنداد (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم .

(وَلِيَتَمَتَّعُوا) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (وَلِيَتَمَتَّعُوا) بكسر اللام ، بمعنى : وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَلْيَتَمَتَّعُوا) بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ : أي اكفروا فإنكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد ، وذلك أن الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفا بها على اللام التي في قوله (لِيَكْفُرُوا) ، وأن قوله (لِيَكْفُرُوا) لما كان معناه : كي يكفروا كان الصواب في قوله (وَلِيَتَمَتَّعُوا) أن يكون :

وكى يتمتعوا ، إذ كان عطفا على قوله : ليكفروا عندهم ، وليس الذى ذهبوا من ذلك بمذهب ، وذلك لأن لام قوله (لِيَكْفُرُوا) صلحت أن تكون بمعنى كى ، لأنها شرط لقوله : إذا هم يشركون بالله كى يكفروا بما آتيناهم من النعم ، وليس ذلك كذلك فى قوله (وَلِيَتَمَتَّعُوا) لأن إشراكهم بالله كان كفرا بنعمته ، وليس إشراكهم به تمتعا بالدنيا ، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها فإذ كان ذلك كذلك فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى : وكى يتمتعوا ، وبعد فقد ذكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ (وَتَمَتَّعُوا) وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد

وقوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا) يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : لولا أنزل عليه آية من ربه ، نِعْمَتَهُ عليهم التى خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم بنعمته وإشراكهم فى عبادته الآلهة والأنداد ، أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش ، ماخصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا ، فيشكرونا على ذلك ، وينزجروا عن كفرهم بنا ، وإشراكهم ما لاينفعنا ولا يضرّهم فى عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرما ، حرّمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب آمنا ، يأمن فيه من سكنه ، فأوى إليه من السباء والخوف والحرام الذى لايأمنه غيرهم من الناس (وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) يقول : وتُسْلَبُ الناس من حولهم قتلا وسباء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قال : كان لهم فى ذلك آية أن الناس يُغزَون ويُتَخطَّفون وهم آمنون .

وقوله (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) يقول : أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان بأن يصدّقوا ، وبنعمة الله التى خصهم بها من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون ، يعنى بقوله « يكفرون » : يجحدون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) : أى بالشرك (وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) : أى يجحدون .

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا ، فقالوا إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، والله لايأمر بالفحشاء (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ) يقول : أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من توحيده ، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ) يقول : أليس فى النار مَثْوًى ومَسْكَن لمن كفر بالله ، وجحد توحيده وكذّب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقرير ، وليس باستفهام ، إنما هو كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ (١)

إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَنًا فى النار ، ومنزلا يَثْوُون فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش ، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا ، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا ، ونُصرة ديننا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا) يقول : لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة ، وذلك إصابة دين الله الذى هو الإسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ) يقول : وإن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك ، مُصَدِّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له ، والنصرة على من جاهد من أعدائه

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا) فقلت له : قاتلوا فينا ، قال : نعم .

آخر تفسير سورة العنكبوت

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّة
وآياتها ستون

القول في تأويل قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾

---

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى ، من قصيدة يمدح بها عبدالملك بن مروان (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٩٨) والمطايا : جمع مطية ، وهى الإبل يركب مطاها ، أى ظهرها فى الأسفار . والراح : جمع راحة اليد . والبيت شاهد عند المؤلف وعند أبى عبيدة على أن المراد بالاستفهام فيه التقرير ، لا حقيقة الاستفهام . والتقرير : حمل المخاطب على أن يتقرر بالمسئول عنه ويعترف به . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، الورقة (١٨٦ ا) عند قوله تعالى : « أليس فى جهنم مثوى للكافرين » مجازه مجاز الإيجاب ، لأن هذه الألف تكون للاستفهام والإيجاب ، فهى هاهنا للإيجاب . وقال جرير : « ألستم . . . البيت » ، فهذا لم يشك ، ولكن أوجب لهم أنهم كذلك ، ولولا ذلك ما أثابوه ؛ والرجل يعاتب عبده ويقول : أفعلت كذا ؟ وهو لا يشك . ويروى أن عبد الملك لما سمع هذا البيت أجابه بقوله : نعم نحن كذلك .

﴿ قال أبوجعفر : قد بيَّنا فيما مضى قبلُ معنى قوله (الم) وذكرنا مافيه من أقوال أهل التأويل ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (غُلِبَتِ الرُّومُ) بضمّ الغين ، بمعنى : أن فارس غَلَبت الروم .

وروى عن ابن عمر وأبى سعيد فى ذلك ماحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن الحسن الجفرى ، عن سليط ، قال : سمعت ابن عمر يقرأ (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، على أىّ شىء غَلَبوا ؟ قال : على ريف الشام .

﴿ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الذى لايجوز غيره (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : غلبت فارس الروم (فِي أَدْنَى الأَرْضِ) من أرض الشام إلى أرض فارس (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم (سَيَغْلِبُونَ) فارس (فِي بِضْعِ سِنِينَ . لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ) غلبتهم فارس (وَمِنْ بَعْدُ) غلبتهم إياها ، يقضى فى خلقه ما يشاء ، ويحكم مايريد ، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) يقول : ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين ، ونُصْرة الروم على فارس (يَنْصُرُ) اللهُ تعالى ذكره (مَنْ يَشَاءُ) من خلقه ، على من يشاء ، وهو نُصرة المؤمنين على المشركين ببدر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول : والله الشديد فى انتقامه من أعدائه ، لايمنعه من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينه حائل (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه ، وراجع طاعته أن يعذّبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، أو سعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعد من أهل طَرَسُوس ، قال : ثنا أبو إسحاق الفزارى ، عن سفيان بن سعيد الثورى ، عن حبيب بن أبى عَمرة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : كان المسلمون يُحبون أن تغلب الرومُ أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس ، لأنهم أهل أوثان ، قال : فذكروا ذلك لأبى بكر ، فذكره أبو بكر للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أما إنهم سَيَهْزِمُونَ ، قال : فذكر ذلك أبو بكر للمشركين ، قال : فقالوا : أفنجعل بيننا وبينكم أجلا ، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا ، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا ؛ قال : فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين ، قال : فمضت فلم يُغلَبوا ؛ قال : فذكر ذلك أبو بكر للنبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له : أفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ ، قال سعيد : والبِضْع مادون العشر ، قال : فَغَلَبَ الروم ، ثم غلبت ؛ قال : فذلك قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) قال : البضع : ما دون العشر (للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) قال سفيان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، قال : ثنا موسى بن هارون البردىّ ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا عبدالله بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ) . . . الآية ، ناحب أبوبكر قريشا ، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إنى قد ناحبتهم ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : هَلاَّ احْتَطْتَ فإنَّ البِضْعَ ما بينَ الثلاثِ إلى التِّسْعِ . قال الجمحى : المناحبة : المراهنة ، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) قال : قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم ، وكانت فارس قد غلبتهم ، ثم غلبت الروم بعد ذلك ، ولقى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم مشركى العرب ، يوم التقت الروم وفارس ، فنصر الله النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركى العرب ، ونصر أهل الكتاب على مشركى العجم ، ففرح المؤمنون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم . قال عطية : فسألت أباسعيد الخدرىّ عن ذلك ، فقال : التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركى العرب ، والتقت الروم وفارس ، فنصرنا الله على مشركى العرب ، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس ، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس ، فذلك قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) .

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، في قوله (آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) غلبتهم فارس ، ثم غلبت الروم .

حدثني أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبدالله خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : قد مضى (آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ) .... إلى قوله (أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) قال : ذكر غلبة فارس إياهم ، وإدالة الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة ، أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض ، قالوا : وأدنى الأرض يومئذ أذرعات ، بها التقوا ، فهزمت الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ، فشقّ ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتوا ، فلقوا أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أمّيّون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) . . . الآيات ، فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفّار ، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ، ولا يقرّنّ الله أعينكم ، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أُبيّ بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبوبكر رضي الله عنه : أنت أكذب ياعدوّ الله ، فقال : أناحبك عشر قلائص مني ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمتَ إلى ثلاث سنين ؛ ثم جاء أبوبكر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنّما البِضْعُ مابينَ الثّلاثِ إلى التّسْعِ ، فزايِدْهُ في الخَطَرِ ، ومادّه في الأَجَلِ ، فخرج أبو بكر فلقي أُبيًّا ، فقال : لعلك ندمت ، فقال : لا ، فقال : أزايدك في الخطر ، وأمادّك في الأجل ، فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لاتلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك ، فأشيري عليّ أيهم أستعمل ؛ فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صرد ، وهذا فرخان ، وهو أنفذ من سنان ، وهذا شهربراز ، وهو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت ، قال : إني قد استعملت الحليم ، فاستعمل شهربراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليهم ، فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ؛ قال أبوبكر : فحدّثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لورأيتها ، لرأيت المدائن التي خرّبت ، والزيتون الذي قُطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته .

قال عطاء الخراساني : ثني يحيى بن يعمر ، أن قيصر بعث رجلا يُدعى قطمة بجيش من الروم ، وبعث كسرى شهربراز ، فالتقيا بأذرعات وبصرى ، وهي أدنى الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كفار قريش ، وكرهه المسلمون ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) . . . الآيات ، ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يزل شهربراز يطؤهم ، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى ، فبلغهم موته ، فانهزم شهربراز وأصحابه ، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك ، فأتبعوهم يقتلونهم قال : وقال عكرمة في حديثه : لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كسرى ، فكتب إلى شهربُراز : إذا أتاك كتابي فابعث إليّ

برأس فَرُّخان ،فكتب إليه : أيها الملك،إنك لن تجد مثل فَرُّخان ، إن له نكاية وضربا فى العدوّ ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن فى رجال فارس خَلَفا منه ، فعجِّل إلىّ برأسه، فراجعه، فغضب كسرى: فلم يجبه: وبعث بريدا إلى أهل فارس، إنى قد نزعت عنكم شَهْرَبَرَاز، واستعملت عليكم فَرُّخان ؛ ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة : إذا وَلِيَ فَرُّخان المُلك ، وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه ؛ فلما قرأ شَهْرَبَرَاز الكتاب ،قال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره ،وجلس فَرُّخان ، ودفع الصحيفة إليه ، قال : ائتونى بشهربَرَاز ، فقدّمه ليضرب عنقه ، قال : لاتعجل حتى أكتب وصيتى ، قال : نعم، فدعا بالسَّفَط ، فأعطاه ثلاث صحائف . وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى ، وأنت أردت أن تقتلنى بكتاب واحد ، فردّ الملك، وكتب شهربَرَاز إلى قيصر ملك الروم : إن لى إليك حاجة لايحملها البريد،ولا تبلّغها الصحف ، فالْقَنِى .ولا تَلْقَنى إلا فى خمسين رُوميا ، فإنى ألقاك فى خمسين فارسيا ، فأقبل قيصر فى خَمْسِ مئة ألف رومىّ،وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به ،حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا . ثم بُسِط لهما: والتقيا فى قبة ديباج ضُرِبت لهما ،مع كل واحد منهما سِكِّين ، فدعيا ترجمانا بينهما ، فقال شَهْرَبَرَاز : إن الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخى ، بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرى حسدنا ، فأراد أن أقتل أخى ، فأبيت ، ثم أمر أخى أن يقتلنى ، فقد خلعناه جميعا ، فنحن نقاتله معك ، فقال : قد أصبتما ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين ، فإذا جاوز اثنين فشا : قال : أجل ، فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما ، فأهلك الله كسرى ، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيْبيَة ، ففرح ومن معه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ) قال : غَلَبَتهم فارسُ على أدنى الشام (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) . . . الآية ، قال : لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدّق المسلمون ربهم ، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس، فاقتمروا هم والمشركون خمسَ قلائص ، خمس قلائص، وأجّلوا بينهم خمس سنين ، فولى قِمار المسلمين أبو بكر رضى الله عنه ، وولى قِمار المشركين أُبَيّ بن خلف ، وذلك قبل أن يُنْهَى عن القمار ، فحلّ الأجل ، ولم يظهر الروم على فارس ، وسأل المشركون قِمارهم ، فذكر ذلك أصحاب النبيّ للنبيّ صلى الله عليه وسلم قال : لَمْ تَكُونُوا أحِقّاءَ أنْ تُؤَجِّلُوا دُونَ العَشْرِ ، فإنّ البِضْعَ ما بينَ الثَّلاثِ إلى العَشْرِ، وَزَايِدُوهُمْ فِى القِمار ، وَمادُّوهُمْ فِى الأجَلِ ، ففعلوا ذلك ، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل ، وكان ذلك مرجعه من الحديبية ، ففرح المسلمون بصلحهم الذى كان ، وبظهور أهل الكتاب على المجوس ، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) . . . الآية » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، فى قوله (الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستُغْلَب ، قال : فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يُحِبون ظهور الروم على فارس ، لأنهم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن عبد الله ، قال : « كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارسُ على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم : فلما نزلت (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) ... إلى (فِي بِضْعِ سِنِينَ) قالوا : يا أبا بكر : إنّ صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين ، قال : صدق ، قالوا : هل لك أن نقامرك ؟ فبايعوه على أربع قلائص ، إلى سبع سنين ، فمضت السبع ، ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك ، وشقّ على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ ؟ قالوا : دون العشر ، قال : اذْهَبْ فزَايِدْهُمْ وَازْدَدْ سَنَتَيْنِ » قال : فما مضت السنتان ، حتى جاءت الركبان بظهور الرُّوم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، ومطر عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : مضت الروم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) قال : أدنى الأرض : الشأم (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) قال : كانت فارس قد غَلَبت الروم ، ثم أديلَ الرومُ على فارس ، وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فارِسا ، فقال المشركون : هذا مما يَتَخَرَّص محمد ، فقال أبو بكر : تُنَاحِبونني ؟ والمناحبة : المجاعلة ، قالوا : نعم ، فناحبهم أبو بكر ، فجعل السنين أربعا أو خمسا ، ثم جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ البِضْعَ فِيما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ ، فارْجِعْ إلى القَوْمِ ، فَزِدْ فِي المُناحَبَةِ ، فرجع إليهم ، قالوا : فناحَبَهم فزاد ، قال : فغَلَبت الروم فارسا ، فذلك قول الله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) يوم أُديلت الرومُ على فارس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفَزاريّ ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (الم . غُلِبَتِ الرومُ) قال : غُلِبت وغَلَبت ؛ فأما الذين قرءوا ذلك (غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين ، فإنهم قالوا : نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غَلَبَة الروم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سليمان ، يعني الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يومُ ظهر الروم على فارس ، فأعجبَ ذلك المؤمنين ، فنزلت (الم . غَلَبَتِ الرُّومُ) على فارس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن سليمان ، عن عطية ، عن

أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، غلبت الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله (آلم غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال: ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، لأنهم أهل كتاب ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) قال : كانوا قد غلبوا قبل ذلك ، ثم قرأ حتى بلغ (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ) .

وقوله (فِي أَدْنَى الأَرْضِ) قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدّم قبل ، وأذكر قول من لم يذكر قوله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فى أدنى الأرْضِ) يقول : فى طرف الشام . ومعنى قوله أدنى : أقرب ، وهو أفعل من الدنوّ والقرب . وإنما معناه : فى أدنى الأرض من فارس ، فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ماظهر من قوله (فِي أَدْنَى الأَرْضِ) عليه منه . وقوله (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس . وقوله (مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) مصدر من قول القائل : غلبته غلبة ، فحذفت الهاء من الغلبة . وقيل : من بعد غلبهم ، ولم يقل : من بعد غلبتهم للإضافة ، كما حذفت من قوله (وَإِقَامِ الصَّلاةِ) للإضافة . وإنما الكلام : وإقامة الصلاة .

وأما قوله (سَيَغْلِبُونَ) فإن القرّاء أجمعين على فتح الياء فيها ، والواجب على قراءة من قرأ (الم . غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين، أن يقرأ قوله (سَيُغْلَبُونَ) بضم الياء، فيكون معناه : وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون ، حتى يصحّ معنى الكلام ، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء ، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون ، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر .

وقوله (فِي بِضْعِ سِنِينَ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معنى البضع فيما مضى ، وأتينا على الصحيح من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا خلاد بن أسلم الصفار ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قلت له : ما البضع ؟ قال : زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع .

وأما قوله (لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ) دولة فارس على الروم (وَمِنْ بَعْدُ) دولة الروم على فارس .

وأما قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) فقد ذكرنا الرواية فى تأويله قبل ، وبيّنا معناه .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وعد الله جلّ ثناؤه ، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم ، ونصب (وَعْدَ اللهِ) على المصدر من قوله (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون ، فكأنه قال : وعد الله ذلك المؤمنين وعدا (لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس ، لا يخلفهم وعده ذلك ، لأنه ليس فى مواعيده خلف (ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايعْلَمُونَ) يقول : ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين ، من أن الروم تغلب فارس ، لايعلمون أن ذلك كذلك ، وأنه لايجوز أن يكون فى وعد الله إخلاف .

القول في تأويل قوله تعالى:

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾

❊ يقول تعالى ذكره : يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهرا من حياتهم الدنيا ، وتدبير معايشهم فيها ، وما يصلحهم ، وهم عن أمر آخرتهم ، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون ، لايفكرون فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة يحيى بن واضح الأنصارى ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا يزيد النحوى عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) يعنى معايشهم ، متى يحصدون ومتى يغرسون .

حدثنى أحمد بن الوليد الرملىّ ، قال ثنا : عمرو بن عثمان بن عمر ، عن عاصم بن علىّ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلة ، قال : ثنا ابن واقد ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا من الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : متى يَتَزَرَّعون ، متى يَغْرِسون .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى شرقى ، عن عكرمة ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هو السراج أونحوه .

حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبعى ، قال : ثنا أبو قُتَيْبة ، قال : ثنا شعبة ، عن شرقى ، عن عكرمة ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : السراجون .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا شعبة ، عن شرقى ، عن عكرمة ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدنْيا) قال : الخرازون والسراجون .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : معايشهم وما يصلحهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

حدثنى بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة . وعن منصور عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : معايشهم .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) يعنى الكفار ، يعرفون عُمران الدنيا ، وهم فى أمر الدين جهال .

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : معايشهم ، وما يصلحهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) من حِرْفتها وتصرّفها وبغيتها (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : يعلمون متى زَرْعُهم ، ومتى حَصادهم .

قال : ثنا حفص بن راشد الهلالىّ ، عن شعبة ، عن شَرْقىّ ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : السرّاج ونحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : صرفها فى معيشتها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا ، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [١]) .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : تسترق الشياطين السمع ، فيسمعون الكلمة التى قد نزلت ، ينبغى لها أن تكون فى الأرض ، قال : ويُرْمَوْن بالشُّهب ، فلا ينجو أن يحترق ، أو يصيبه شرر منه ؛ قال : فيسقط فلا يعود أبدا ؛ قال : ويرمى بذاك الذى سمع إلى أوليائه من الإنس ، قال : فيحملون عليه ألف كذبة ، قال : فما رأيت الناس يقولون : يكون كذا وكذا ، قال : فيجىء الصحيح منه كما يقولون ، الذى سمعوه من السماء ، ويعقبه من الكذب الذى يخوضون فيه .

(١) كذا فى النسخ ، ولم يذكر التفسير ، ولعله سقط من قلم الناسخ ، أو لعله كلمة « نحوه » أو « مثله » ، وكثيرا ما يتركها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : أولم يتفكّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يامحمد من قومك فى خلق الله إياهم ، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا ، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا ، فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا ، ثم يجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره ، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله ، لأنه العدل الذى لا يجور ماخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ، وإقامة الحقّ ، وأجل مسمى : يقول : وبأجل مؤقت مسمى ، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله ، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهّار ، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون ، جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم ، وغفلة منهم عن الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم يسر هؤلاء المكذّبون بالله ، الغافلون عن الآخرة من قريش فى البلاد التى يسلكونها تجرا ، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة ، كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها ، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة ، وأثاروا الأرض : يقول : واستخرجوا الأرض ، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء ، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم ، فلم يقدروا على الامتناع ، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله ، ولا نفعتهم عمارتهم ماعمروا من الأرض ، إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات ، فكذّبوهم ، فأحلّ الله بهم بأسه ، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وأثارُوا الأرْضَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أوَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وأثارُوا الأرْضَ وعَمَرُوها أكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها) قال : ملكوا الأرض وعمروها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ؛ عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأثارُوا الأرْضَ) قال : حرثوها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (أو لَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ) . . . إلى قوله (وأثارُوا الأرْضَ وعَمَرُوها) كقوله (وآثارًا فِي الأرْضِ) ، وقوله (وعَمَرُوها) أكثر مما عمر هؤلاء (وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالْبَيِّناتِ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله ، وكذّبوا رسلهم ، فأساءوا بذلك من فعلهم . السوأى : يعني الخلة التى هى أسوأ من فعلهم ؛ أما فى الدنيا ، فالبوار والهلاك ، وأما فى الآخرة فالنار لايخرجون منها ، ولا هم يستعتبون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قا : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأَى) : الذين أشركوا السوءَى : أى النار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأَى) يقول : الذين كفروا جزاؤهم العذاب .

وكان بعض أهل العربية يقول : السوأى فى هذا الموضع : مصدر ، مثل البُقوى ، وخالفه فى ذلك غيره فقال : هى اسم .

وقوله (أنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ) يقول :كانت لهم السوأى ، لأنهم كذّبوا فى الدنيا بآيات الله ؛ وكانوا بها يستهزءون : يقول : وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

يقول تعالى ذكره : الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير ، فيحدثه من غير شيء ، بل بقدرته عزّ وجل ، ثم يعيده خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه ، كما بدأه خلقا سويا ، ولم يك شيئا (ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردّون ، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أساءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى) .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۝١٢ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ۝١٣ ﴾

﷽ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب (يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ) يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون، كما قال العجاج:

يا صَاحِ هلْ تعرفُ رَسْمًا مُكْرَسا ... قالَ نَعَمْ أعْـرِفُهُ وأبْلَسا [1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يُبْلِسُ) قال: يكتئب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ) أي في النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ) قال: المبلس: الذي قد نزل به الشرّ إذا أبلس الرجل؛ فقد نزل به بلاء.

وقوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ) يقول تعالى ذكره: ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله، شفعاء يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه، (وكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ) يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله كافرين؛ يجحدون ولايتهم، ويتبرءون منهم، كما قال جلّ ثناؤه (إذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا، ورأوُا العَذابَ وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبابُ. وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كما تَبَرَّءُوا مِنَّا).

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ ﴾

---

(١) البيتان من الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٣١) ومعاني القرآن للفراء (الورقة ٢٤٧) و (مجاز القرآن لأبي عبيدة» (الورقة ١٨٦ ب) قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون»: أي يتندمون، ويكتئبون وييأسون قال «ياصاح...» البيتان. وفي (اللسان: كرس): ورسم مكرس (اسم مفعول) ومكرس (اسم فاعل) وهو، الذي قد بعرت فيه الإبل وبولت، فركب بعضه بعضا. وقال في (بلس): أبلس الرجل: قطع به، عن ثعلب. وأبلس: سكت؛ وأبلس من رحمة الله: أي يئس وندم.

❊ يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء الساعة التى يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ ، يقول فى ذلك اليوم يتفرّقون يعنى : يتفرّق أهل الإيمان بالله ، وأهل الكفر به ، فأما أهل الإيمان ، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) قال : فرقة والله لااجتماع بعدها (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) يقول : فهم فى الرياحين والنباتات الملتفة ، وبين أنواع الزهر فى الجنان يسرون ، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنىّ ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة فى هذا الموضع ، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا ، ولا أطيب نشرا من الرياض ؛ ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

مارَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحُسْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشَّمسَ مِنْها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْما بأطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائِحَةٍ ... وَلا بأحْسَنَ مِنْها إذ دَنا الأُصُلُ[1]

فأعلمهم بذلك تعالى ، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق . واللذيذ من الأرابيح ؛ والعيش الهنىّ فيما يحبون ، ويسرّون به ، ويغبطون عليه . والحبرة عند العرب : السرور والغبطة ؛ قال العجاج :

فالْحَمْدُ للهِ الَّذِى أعْطَى الحَبَرْ ... مَوَالِىَ الحَقِّ إنَّ المَوْلَى شَكَرْ[2]

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم فى روضة يكرمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال : يكرمون .

وقال آخرون : معناه : ينعمون .

---

(١) الأبيات الثلاثة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٧ (والرواية فيه : من رياض الحزن . وهو المرتفع من الأرض . وأورد أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٧) البيت الأول والثالث . والرواية فيه : من رياض الحزم . وهو بمعنى الحزن أى الغليظ من الأرض . قال أبو عبيدة : « فى روضة يحبرون » : مجازه يفرحون ويسرون . وليس شىء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة ، ولا أطيب ريحا ؛ قال الأعشى : « ما روضة ... الخ » . اهـ . قلت : ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات ، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات ، لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها ، ولأن الأقدام لاتطؤها ، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها فيزكوا زرعها وينضر . والمسبل : المطر . والهطل : الغزير : والكوكب النور والشرق : الزاهى والمؤزر الذى حوله نبات آخر ، فهو كالإزار له . والمكتهل : الذى قد بلغ وتم . والنشر : تضوع الرائحة . والأصل : جمع أصيل ، وهو وقت الغروب أو قبيله بقليل ، حين تصفر الشمس وتدنو من الغروب .

(٢) البيتان للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ،) و (مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ١٨٧ ب) وقد أورده عطفا على قول الأعشى الذى قبله . وفى (اللسان : حبر) : الحبر بفتح فسكون (والحبر بفتحتين) والحبرة (بفتح فسكون) والحبور : كله السرور . قال العجاج : « فالحمد لله . . . البيت » من قولهم ، حبرنى هذا الأمر حبرا ، أى سرنى . وقد حرك الباء فيهما ، وأصله التسكين . وأحبرنى الأمر : سرنى ويروى الشبر اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يُحْبَرُونَ) قال : ينعمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال : ينعمون .

وقال آخرون : يلذذون بالسماع والغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن موسى الحرسي ، قال : ثني عامر بن يساف ، قال : سألت يحيى بن أبي كثير ، عن قول الله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال : الحبرة : اللذة والسماع .

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير في قوله (يُحْبَرُونَ) قال : السماع في الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .

وكل هذه الألفاظ التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه تعود إلى معنى ما قلنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسله ، وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة ، فأولئك في عذاب الله محضرون ، وقد أحضرهم الله إياها ، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون[1] .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : فسبحوا الله أيها الناس : أي صلوا له حين تمسون ، وذلك صلاة المغرب ، وحين تصبحون ، وذلك صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة ، والأرض من أهلها ، من جميع أصناف خلقه فيها ،

(١) كذا في الأصل بحذف ضمير الرابط . أي يكذبون به .

(وَعَشِيًّا) يقول : وسبّحوه أيضا عشيا ، وذلك صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) يقول : وحين تدخلون فى وقت الظهر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس : هل نجدا : ميقات الصلوات الخمس فى كتاب الله ؟ قال : نعم (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) الظهر ، قال : ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس فى القرآن ، قال : نعم ، فقرأ (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) قال : صلاة المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) قال : صلاة الصبح (وَعَشِيًّا) قال : صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر ، ثم قرأ (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ)

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم بن أبى عياض ، عن ابن عباس ، قال : جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) قال : المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبى عياض ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبى عياض ، عن ابن عباس فى قوله (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) ... إلى قوله (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) قال : جمعت الصلوات ، فسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء (وَحِين تُصْبِحُونَ) صلاة الصبح (وَعَشِيًّا) صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازى ، عن أبى سنان ، عن ليث ، عن مجاهد (فسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) الظهر ، وكلّ سجدة فى القرآن فهى صلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ) لصلاة المغرب (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) لصلاة الصبح (وَعَشِيًّا) لصلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر أربع صلوات .

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ

(١) (هل تجد) : ساقطة من الأصل ، وأوردها الشوكانى فى تفسيره فتح القدير (٤ : ١١٤) وسقط منه بعدها كلمة « ميقات التى أوردها المؤلف هنا .

تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ : وَلَهُ الحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) .
قال : حين تمسون : صلاة المغرب ، وحين تصبحون : صلاة الصبح ، وعشيا : صلاة العصر ، وحين تظهرون : صلاة الظهر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره : صلُّوا فى هذه الأوقات التى أمركم بالصلاة فيها أيها الناس ، لله الذى يخرج الحىّ من الميت ، وهو الإنسان الحىّ من الماء الميت ، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحىّ (وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) فينبتها ، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها (وكذلك تُخْرَجُونَ) يقول : كما يحيى الأرض بعد موتها ، فيخرج نباتها وزرعها ، كذلك يحييكم من بعد مماتكم ، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب .

وقد بيَّنَّا فيما مضى قبل تأويل قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك إن شاء الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) قال : يخرج من الإنسان ماء ميتا[1] فيخلق منه بشرا ، فذلك الميت من الحىّ ، ويخرج الحىّ من الميت ، فيعنى بذلك أنه يخلق من الماء بشرا ، فذلك الحىّ من الميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وأبومعاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) قال : النُّطْفة ماء الرجل ميتة وهو حىّ ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ومن حُججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء ، وإيجاد

(١) قوله « ماء ميتا » بحسب الظاهر للأعين المجردة ؛ فأما بعد اختراع المجهر المكبر ، فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت . والله سبحانه يخرج النبات الحى من الأرض الميتة وأمثلة المفسرين القدماء تحتاج إلى تحقيق .

وإعدم ، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب ، يعنى بذلك خلق آدم من تراب ، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب ، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذى قد بيَّنا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم : فعلنا بكم وفعلنا .

وقوله (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) يقول : ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه من تراب بشر تنتشرون ، يقول : تتصرّفون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) خلق آدم عليه السلام من تراب (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) يعنى ذرّيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها ، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجا) خلقها لكم من ضلع من أضلاعه .

وقوله (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) يقول : جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودّة تتوادّون بها ، وتتواصلون من أجلها ، ورحمة رحمكم بها ، فعطف بعضكم بذلك على بعض (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون فى حجج الله وأدلته ، فيعلمون أنه الإله الذى لا يُعجزه شيء أراده ، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته أيضا على أنه لا يُعجزه شيء ، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ، ثم إذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه ، بل بقدرته التى لا يمتنع معها عليه شيء أراده (وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) يقول : واختلاف

منطق ألسنتكم ولغاتها (وألْوانِكُمْ) يقول: واختلاف ألوان أجسامكم (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ للْعالَمِينَ) يقول: إن فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه إعادتهم لهيئتهم التى كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم. وقد بيَّنا معنى العالمين فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها القوم تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئا لتصرفكم فى معايشكم والتماسكم فيه من رزق بكم (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره: إن فى فعل الله ذلك كذلك، لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده لقوم يسمعون مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: ومن حججه (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا) لكم إذا كنتم سفرا، أن تمطروا فتتأذَّوا به (وطَمَعا) لكم، إذا كنتم فى إقامة أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً) يقول: وينزّل من السماء مطرا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة، فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعنى جدوبها ودروسها (إن فِي ذلكَ لآياتٍ) يقول: إن فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الله حججه وأدلته.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، فى قوله (وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً) قال: خوفا للمسافر، وطمعا للمقيم. واختلف أهل العربية فى وجه سقوط «أن» فى قوله (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً) فقال بعض نحويي البصرة: لم يذكر ههنا «أن» لأن هذا يدل على المعنى؛ وقال الشاعر:

ألا أيُّهَـذَا الزَّاجِرِي أحْضُرَ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَل أنْتَ مُخْلِدِي ١

قال : وقال :

لَوْ قُلْتُ ما فِي قَوْمِها لَمْ تِيثَمِ يَفْضُلُها في حَسَبٍ وَمِيسَمِ ٢

وقال : يريد : مافى قومها أحد . وقال بعض نحويى الكوفيين : إذا أظهرت « أن » فهى فى موضع رفع ، كما قال (وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ ـ وَمَنَامُكُمْ) فإذا حذفت جعلت من مؤدية عن اسم متروك ، يكون الفعل صلة ، كقول الشاعر :

وَما الدَّهْرُ إلاَّ تارَتانِ فَمِنْهُما أموتُ وأُخْرَى أبْتَغِي العَيْشَ أكْدَحُ ٣

كأنه أراد : فمنهما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها ؛ وكذلك : ومن آياته يريكم آية البرق ، وآية لكذا ، وإن شئت أردت : ويريكم من آياته البرق ، فلا تضمر « أن » ولا غيره . وقال بعض من أنكر قول البصرى : إنما ينبغى أن تحذف « أن » من الموضع الذى يدل على حذفها ، فأما فى كل موضع فلا ، فأما مع أحضر الوغى فلما كان زجرتك أن تقوم ، وزجرتك لأن تقوم ، يدل على الاستقبال جاز حذف « أن » ؛ لأن الموضع معروف لايقع فى كل الكلام ، فأما قوله : ومن آياته أنك قائم ، وأنك تقوم ؛ وأن تقوم ، فهذا الموضع لايحذف ، لأنه لايدل على شىء واحد .

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكرى من معلقته (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٣١٧) . ورواية البيت عند البصريين أحضر بالرفع ، لأنه لما أضمر (أن) قبله ذهب عملها ، لأنها لاتعمل عندهم وهى مضمرة إلا فى المواضع العشرة المخصوصة . وعند الكوفيين أحضر بالنصب ، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها ؛ فكأنه قال : أن أحضر . والوغى : الحرب . وأصله أصوات المحاربين فيها . يقول : أيها الإنسان الذى يلومنى على شهودى الحرب ، وتحصيل اللذات ، هل تخلدنى فى الدنيا إذا كففت عن الحرب ؟ وقوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق . . . الخ » إما أن يتعلق« من آياته » بيريكم ، فيكون فى موضع نصب ، ومن لابتداء الغاية أو « يريكم » على إضمار (أن) كما قال طرفة : « ألا أيهذا . . . البيت » برفع أحضر ، كرواية البصريين ، والتقدير : أن أحضر ، فلما حذف (أن) ارتفع الفعل ، فيكون التقدير : ومن آياته إراءتكم إياكم البرق .

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربعى التميمى ، وهو راجز إسلامى كان فى زمن العجاج ، وقد نسبه إليه سيبويه فى الكتاب (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣١١) . وأنشده الفراء فى معانى القرآن عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من بفتح الميم) فى مبتدإ الكلام (بمن بكسر الميم) ، فيقولون : منا يقول ذلك ومنا لايقوله ؛ وذلك أن (من بالكسر) بعض لما هى منه فلذلك أدت عن المعنى المتروك ؛ قال الله تعالى : « وما منا إلا له مقام معلوم » وقال « وإن منكم إلا واردها » . ولا يجوز إضمار (من) بالفتح فى شىء من الصفات (حروف الجر) إلا على هذا الذى نبأتك به ، وقد قالها الشاعر فى (فى) و لست أشتهيها . قال : لوقلت . البيت . وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من(بالكسر) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول : فينا ، الصالحون ، وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا . وقال الفراء فى قوله تعالى « ومن آياته يريكم البرق » . فمن أضمر (أن) فهى موضع اسم مرفوع ، كما قال : « ومن آياته منامكم » فإذا حذفت أن ، جعلت من (بالكسر) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل (فى) صلة له ، كقول الشاعر « وما الدهر إلا تارتان . . . . الخ البيت » . كأن أراد: فنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك ، ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا . وإن شئت يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولا غيره . اه .

(٣) البيت لتميم بن أبى مقبل ، وهو شاعر إسلامى(خزانة الأدب الكبرى للبغدادى) ٢ : ٣٠٨ (وهو شاهد على أن جملة أموت صفة لموصوف محذوف أى تارة أموت فيها أوأموتها ، وتارة أخرى أبتغى العيش فيها . هكذا قدره سيبويه . وقال الفراء فى (معانى القرآن ، الورقة ٢٤٧) : كأنه أراد : فنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك : ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا ، وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر (أن) ولا غيره . اه . وأنشد البيت الزجاج فى تفسيره ، عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » أى قوم يحرفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما : تارة أموت فيها . فحذف تارة ، وأقام الجملة التى هى صفة نائبة عنها . . . الخ .

والصواب من القول فى ذلك أن « من » فى قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ) تدل على المحذوف ، وذلك أنها تأتى بمعنى التبعيض . وإذا كانت كذلك ، كان معلوما أنها تقتضى البعض ، فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه أيها القوم على قدرته على مايشاء ، قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يقول : إذا أنتم تخرجون من الأرض ، إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) قامتا بأمره بغير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) قال : دعاهم فخرجوا من الأرض .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يقول : من الأرض .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولله من فى السموات والأرض من ملك وجنّ وإنس عبيد وملك (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) يقول : كلّ له مطيعون ، فيقول قائل : وكيف قيل (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) وقد علم أن أكثر الإنس والجنّ له عاصون ؟ فنقول : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فنذكر اختلافهم ، ثم نبين الصواب عندنا فى ذلك من القول ، فقال بعضهم : ذلك كلام مخرجه مخرج العموم ، والمراد به الخصوص ، ومعناه : كلّ له قانتون فى الحياة والبقاء والموت ، والفناء والبعث والنشور ، لايمتنع عليه شىء من ذلك ، وإن عصاه بعضهم فى غير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السَّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ) . . . إلى (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) يقول : مطيعون ، يعنى الحياة والنشور والموت ، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كلٌّ له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) : أى مطيع مقرٌّ بأن الله ربه وخالقه .

وقال آخرون : هو على الخصوص ، والمعنى : وله من فى السموات والأرض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) قال : كلٌّ له مطيعون ، المطيع : القانت ، قال : وليس شيء إلا وهو مطيع ، إلا ابن آدم ، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله . وفى قوله (وَقُومُوا لِلهِ قانِتِينَ) قال : هذا فى الصلاة ، لاتتكلموا فى الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب فى الصلاة ، قال : وأهل الكتاب يمشى بعضهم إلى بعض فى الصلاة ، قال : ويتقابلون فى الصلاة ، فإذا قيل لهم فى ذلك ، قالوا : لكى تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض ، فقال الله : وقوموا لله قانتين لاتزولوا كما يزولون . قانتين لاتتكلموا كما يتكلمون . قال : فأما ما سوى هذا كله فى القرآن من القنوت فهو الطاعة ، إلا هذه الواحدة .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أن كلٌّ من فى السموات والأرض من خلق لله مطيع فى تصرّفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت ، وما أشبه ذلك ، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله ، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم ، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون ، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى فيه عاص هو ما وصفت ، والذى هو له قانت ما بينت .

وقوله (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : والذى له هذه الصفات تبارك وتعالى ، هو الذى يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده ، بعد أن لم يكن شيئا ، ثم يفنيه بعد ذلك ، ثم يعيده ، كما بدأه بعد فنائه ، وهو أهون عليه .

اختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله (وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) فقال بعضهم : معناه : وهو هين عله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن سفيان عمن ذكره ، عن منذر الثوريّ ، عن الربيع بن خيثم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : ما شيء عليه بعزيز .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) يقول : كلّ شيء عليه هين .

وقال آخرون : معناه : وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : يقول : أيسر عليه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هين .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة قرأ هذا الحرف (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى ، قال : فنزلت هذه الآية (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) : يقول : إعادته أهون عليه من بدئه ، وكلّ على الله هين . وفي بعض القراءة : وكلّ على الله هين .

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين ، غير القولين اللذين ذكرت ، وهو أن يكون معناه : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون على الخلق : أي إعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه . والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد ، قول أيضا له وجه .

وقد وجّه غير واحد من أهل العربية قول ذي الرُّمّة :

أخي قفرات دبّبت في عظامه شُفافاتُ أعجاز الكرى فهو أخضعُ[1]

إلى أنه بمعنى خاضع ؛ وقول الآخر :

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع جامعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٤٨ . قال في شرحه : شفافات : بقايا أعجاز الكرى ، أواخر النوم ، فاستعار له المنهل ، فكأنه قد سكر ، فهو أخضع .

لَعَمْرُكَ إنَّ الزِّبْرِقَانَ لَبَاذِلٌ　　لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَ السِّنِينَ وأفْضَلُ
كَرِيمٌ لَهُ عَنْ كُلِّ ذَمٍّ تأخُّرٌ　　وفي كُلِّ أسْبَابِ المَكارِمِ أوَّلُ [١]

إلى أنه بمعنى : وفاضل ؛ وقول معن :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنِّي لأوْجَلُ　　على أيِّنا تَعْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ [٢]

إلى أنه بمعنى : وإني لوجل ؛ وقول الآخر :

تَمَنَّى مُرَيْءُ القَيْسِ مَوْتِي وإنْ أمُتْ　　فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ [٣]

إلى أنه بمعنى : لست فيها بواحد ؛ وقول الفرزدق :

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا　　بَيْتًا دَعائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ [٤]

إلى أنه بمعنى : عزيزة طويلة . قالوا : ومنه قولهم في الأذان : الله أكبر ، بمعنى : الله كبير ؛ وقالوا :

إن قال قائل :

---

(١) البيتان لم أقف على قائلهما . والزبرقان بن بدر من سادات بنى تميم . والسنون جمع سنة ، والمراد بها الجدب والقحط . والشاهد في قول الشاعر « وأفضل » فإنه بمعنى « فاضل » ولا تفضيل فيه ، كما قال المؤلف : على أنه يمكن تخريج البيت على معنى التفضيل ، كما يأتى في الشواهد الأخرى ، أى وهو أفضل من غيره على كل حال .

(٢) البيت لمعن بن أوس المزنى (ذيل الأمالى لأبي على القالى ص ٢١٨) . واستشهد به المؤلف على أن قوله : « لأوجل » : أى لوجل وانظر شرح البيت وإعرابه في خزانة الأدب الكبرى للبغدادى (٣ : ٥٠٥ – ٥٠٦) .

(٣) البيت لمالك بن القين الخزرجي الأنصارى ، حققه الأستاذ عبدالعزيز الميمنى في شرح ذيل الأمالى ص ١٠٤ (وهو من ثلاثة أبيات كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام وقد بلغه أن يتمنى موته . وقيل كتب بها الوليد إلى أخيه سليمان) كما في مروج الذهب للمسعودى (ورواية صدر البيت الأول مخالفة لما في ذيل الأمالى ص ٢١٨) والأبيات الثلاثة هى :

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وإنْ أمُتْ　　فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ
فَما عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدايَ بضائِرِي　　وَما عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدايَ بمُخْلَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلافَ الَّذِي مَضَى　　تَجَهَّزْ لأُخْرَى مِثْلِها فَكَأنْ قَدِ

وقوله « خلاف الذى مضى » : يريد : أن يخلف على ميراثه أو محله . وقد استشهد المؤلف على أن قوله « بأوحد » معناه بواحد ، مثل قول الله تعالى : « وهو أهون عليه » : أى هين عليه ، فالصيغة وإن كانت صيغة أفعل التى للتفضيل إلا أنه لا تفضيل هنا ، وإنما هو لمجرد الوصف بدون تفضيل . وإنما ذكر يزيد هذه الأبيات على سبيل التمثل بها وليست من شعره . قال القالى فرد عليه هشام ببيتين وهما :

وَمَنْ لا يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ　　وَعَنْ بَعْضِ ما فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ　　يَجِدْها ولا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صاحِبُ

ثم قال : فرد عليه يزيد بقصيدة معن بن أوس التى يقول فيها :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنِّي لأوْجَلُ　　عَلَى أيِّنا تَعْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ

وقد بين البغداد في خزانة الأدب الكبرى (٥٠٠ – ٥٠٢) أن هذا الشاهد وما ماثله يمكن أن يحمل على التفضيل إلا على مجرد الوصف ، فراجعه ثمة .

(٤) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧١٤) . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٧ ب) قال أبو عبيدة : أى عزيزة طويلة . فإن احتج فقال : إن الله عز وجل لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف الخلق ، فزعم أن « وهو أهون عليه » : على الخلق ؛ فإن الحجة عليه قول الله عز وجل : « وكان ذلك على الله يسيرا » . وفي آية أخرى : « ولا يئوده حفظهما » أي لا يثقله .

إن الله لايوصف بهذا ، وإنما يوصف به الخلق ، فزعم أنه وهوأهون على الخلق ، فإن الحجة عليه قول الله (وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسيرًا) ، وقوله (ولا يَئُودُهُ حِفْظُهُما) : أى لايثقله حفظهما .

وقوله (ولَهُ المَثَلُ الأعْلَى) يقول : ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لاشريك له ، ليس كمثله شيء ، فذلك المثل الأعلى ، تعالى ربنا وتقدّس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ولَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ) يقول : ليس كمثله شىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ) مثله أنه لا إله إلا هو ، ولا ربّ غيره .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة ، وبعث ونشر ، وما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : مثل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم ، هل لكم مما ملكت أيمانكم : يقول : من مماليككم من شركاء ، فيما رزقناكم من مال ، فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم إياى ، وأنتم وهم عبيدى ومماليكى ، وأنا مالك جميعكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِيما رَزَقْناكُمْ ، فأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) قال : مثل ضربه الله لمن عدل به شيئا من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركا مملوكه فى فراشه وزوجته ، فكذلكم الله لايرضى أن يعدل به أحد من خلقه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِيما رَزَقْناكُمْ ، فأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ)

قال: هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا فى ماله ، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى ، وتجعل لهم نصيبا فى عبادتى ، كيف يكون هذا ؟ قال : وهذا مثل ضربه الله لهم ، وقرأ (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

❊ واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ، كما يرث بعضكم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قال : فى الآلهة ، وفيه يقول : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضكم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران قال : قال أبو مجلز : إن مملوكك لاتخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذلك ، كذلك الله لاشريك له .

❊ وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك القول الثانى ، لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم فى عبادتهم إياه ؛ وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده ، وعيرهم بفعلهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا ، فهم سواء ، وأنتم فى ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم ، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة ، فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى بينهما إياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ، لأن ذكر الشركة لايدلّ على خيفة الوراثة ، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة .

وقوله (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : كما بيّنا لكم أيها القوم حججنا فى هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على مانشاء من إنشاء ما نشاء ، وإفناء ما نحبّ ، وإعادة مانريد إعادته بعد فنائه ؛ ودللنا على أنه لاتصلح العبادة إلا للواحد القهار ، الذى بيده ملكوت كلّ شىء كذلك نبين حججنا فى كل حقّ لقوم يعقلون ، فيتدبرونها إذا سمعوها ، ويعتبرون فيتعظون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)

❊ يقول تعالى ذكره : ماذلك كذلك ، ولا أشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله الآلهة والأوثان ، لأن لهم

شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم ، فهم وعبيدهم فيه سواء ، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه ، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم ، فأشركوهم فى عبادته ، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ، اتبعوا أهواءهم ، جهلا منهم لحقّ الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان فى عبادته (فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ) يقول : فمن يسدّد للصواب من الطرق ، يعنى بذلك من يوفق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ؟ (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) يقول : وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه ، فينقذونه من الضلال الذى يبتليه به تعالى ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝

❊ يقول تعالى ذكره : فسدّد وجهك نحو الوجه الذى وجهك إليه ربك يامحمد لطاعته ، وهى الدين ، حنيفا ، يقول : مستقيما لدينه وطاعته ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، يقول : صنعةَ الله التى خلق الناس عليها ، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) وذلك أن معنى ذلك : فطر الله الناس على ذلك فطرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قال : الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا ، يقرّون بذلك ، وقرأ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) قال : فهذا قول الله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ) بعد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِطْرَةَ اللهِ) قال : الإسلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبى صالح ، عن يزيد بن أبى مريم ، قال : مرّ عمر بمُعاذ بن جبل ، فقال : ما قِوام هذه الأمة ؟ قال مُعاذ : ثلاث ، وهنّ المنجيات : الإخلاص ، وهو الفطرة (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) . والصلاة ؛ وهى الملة . والطاعة ؛ وهى العصمة ، فقال عمر : صدقت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، عن أبى قِلابة أن عمر قال لمعاذ : ما قِوام هذه الأمة ؟ ثم ذكر نحوه .

وقوله (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) يقول : لاتغيير لدين الله : أى لايصلح ذلك ، ولا ينبغى أن يفعل .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدينه .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) إنما هو الدين ؛ وقرأ (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة (فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) قال : الإسلام .

قال : ثنى أبى ، عن نضر بن عربى ، عن عكرمة (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لدين الله .

قال : ثنا أبى ، عن عبد الجبار بن الورد ، عن القاسم بن أبى بزّة ، قال : قال مجاهد ، فسل عنها عكرمة ، فسألته ، فقال عكرمة : دين الله تعالى ماله أخزاه الله ؟ ألم يسمع إلى قوله (فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ، لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ؟) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) : أى لدين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن عكرمة ، قال : لدين الله .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال سعيد بن جُبَيْر (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : دين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن مسعر وسفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، قال (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا أبى عن جعفر الرازى ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لدين الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتغيير لخلق الله من البهائم بأن يخصى الفحول منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن رجل ، سأل ابن عباس ، عن خصاء البهائم ، فكرهه ، وقال (لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال عكرمة : الإخصاء .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : الإخصاء .

وقوله (ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ) يقول تعالى ذكره : إن إقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدّل هو الدين القيم ، يعنى المستقيم الذى لاعوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة .

وقد وجّه بعضهم معنى الدين فى هذا الموضع إلى الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبوليلى ، عن بريدة (ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ) قال : الحساب القيم (ولَكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ لايَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر الناس لايعلمون أن الدين الذى أمرتك يامحمد به بقولى (فأقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفا) هو الدين الحقّ دون سائر الأديان غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢ ﴾

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (مُنِيبِينَ إلَيْهِ) تائبين راجعين إلى الله مقبلين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُنِيبِينَ إلَيْهِ) قال المنيب إلى الله : المطيع لله ، الذى أناب إلى طاعة الله وأمره ، ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك ، كان القوم كفارا ، فنزعوا ورجعوا إلى الإسلام .

وتأويل الكلام : فأقم وجهك يامحمد للدين حنيفا منيبين إليه إلى الله ، فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك .

❁ فإن قال قائل : وكيف يكون حالا منها ، والكاف كناية عن واحد ، والمنيبون صفة لجماعة ؟ قيل : لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع أمر منه له ولأمته ، فكأنه قيل له : فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله ، منيبين إليه .

وقوله (وَاتَّقُوهُ) يقول جلّ ثناؤه : وخافوا الله وراقبوه أن تفرّطوا فى طاعته ، وتركبوا معصيته (وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ) يقول : ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه ، وركوبكم معاصيه ، وخلافكم الدين الذى دعاكم إليه .

وقوله (مِنَ الّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا) يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوه (وكانُوا شِيَعًا) يقول : وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) : وهم اليهود والنصارى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء يهود ، فلو وجه قوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وأن معناه : من الذين فرّقوا دينهم (وكانُوا شِيَعًا) أحزابا (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) كان وجها يحتمله الكلام .

وقوله (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) يقول : كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحقّ ، فأحدثوا البدع التى أحدثوا بما لديهم فرحون : يقول : بما هم به متمسكون من المذهب ، فرحون مسرورون ، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضرّ ، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط (دَعَوْا رَبَّهُمْ) يقول : أخلصوا لربهم التوحيد ، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه ، واستغاثوا به منيبين إليه ، تائبين إليه من شركهم وكفرهم (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ وفرّجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة ، إذا فريق منهم . يقول : إذا جماعة منهم بربهم يشركون ، يقول : يعبدون معه الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به ، ليكفروا بما أعطيناهم ، يقول : إذا هم بربهم يشركون ، كي يكفروا : أى يجحدوا النعمة التى أنعمها عليهم بكشفى عنهم الضرّ الذى كانوا فيه ، وإبدالى ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية ، وذلك الرخاء والسعة هو الذى آتاهم تعالى ذكره ، الذى قال بما آتيناهم . وقوله (فَتَمَتَّعُوا) يقول : فتمتعوا أيها القوم بالذى آتيناكم من الرخاء والسعة فى هذه الدنيا (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا وردتم على ربكم ماتلقون من عذابه ، وعظيم عقابه على كفركم به فى الدنيا . وقد قرأ بعضهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء ، بمعنى : ليكفروا بما آتيناهم ، فقد تمتعوا على وجه الخبر ، فسوف يعلمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان، كتابا بتصديق مايقولون ، وبحقيقة مايفعلون (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) يقول : فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم ، وإنما يعنى جلّ ثناؤه بذلك : أنه لم يُنْزِل بما يقولون ويفعلون كتابا، ولا أرسل به رسولا ، وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه ، اتباعا منهم لأهوائهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطانا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) يقول : أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء، وعافية فى الأبدان والأموال ، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يقول : بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصى (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) يقول : إذا هم ييأسون من الفرج ، والقنوط : هو الإياس ؛ ومنه قول حميد الأرقط :

قَدْ وَجَدُوا الحَجَّاجَ غيرَ قانِطِ [1]

وقوله (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) هو جواب الجزاء ، لأن إذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه ، فكأنه قيل : وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم وجدتهم يقنطون ، أو تجدهم ، أو رأيتهم ، أو تراهم . وقد كان بعض نحويي البصرة يقول : إذا كانت « إذا » جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأوّل بمنزلة الفاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

(١) البيت لحميد الأرقط (مجاز القرآن لأبى عبيدة ، الورقة ١٨٨ ب) قال : « إذا هم يقنطون » : أى ييئسون ، قال حميد الأرقط « قد وجدوا . . . البيت » . وفى (اللسان : قنط) : القنوط : اليأس . وفى التهذيب اليأس من الخير . وقيل : أشد اليأس من الشيء . وقنط يقنط ويقنط (كضرب ونصر) وقنط قنطا (كتعب) فهو قنط ، وقرئ : ولا تكن من القنطين . وأما قنط يقنط (بالفتح فيهما) وقنط يقنط (بالكسر فيهما) فإنما هو على الجمع بين اللغتين ، كما قاله الأخفش .

يقول تعالى ذكره : أو لم يرهؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب ، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم ،بعيون قلوبهم ، فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله ،وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه ، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن فى بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده فى الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّ بها إذا عاينها ورآها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعط يامحمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبرّ والمسكين وابن السبيل ، مافرض الله لهما فى ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن (فآت ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسكين وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : هو أن توفيهم حقهم إن كان عند يسر ، وإن لم يكن عندك فقل لهم قولا ميسورا ، قل لهم الخير .

وقوله (ذلكَ خَيْرٌ للَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ) يقول تعالى ذكره : إيتاء هؤلاء حقوقهم التى ألزمها الله عباده ، خير للذين يريدون الله باتيانهم ذلك (وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)يقول : ومن يفعل ذلك مبتغيا وجه الله به ، فأولئك هم المنجحون ، المدركون طلباتهم عند الله ، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بايتائهم إياهم ما آتوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد فى أموال الناس برجوع ثوابها إليه ، ممن أعطاه ذلك ، فلا يربو عند الله ، يقول : فلا يزداد ذلك عند الله ، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) يقول : وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ، فأولئك ، يعنى الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم المضعفون ، يقول : هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب : أصبح القوم مسمنين معطشين ، إذا سمنت إبلهم وعطشت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ) قال : هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطى الرجل الرجل العطية ، يريد أن يعطى أكثر منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جُبَيْر (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثيبه .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جُبَيْر ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جُبَيْر (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ) قال : الرجل يعطى ليثاب عليه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : الهدايا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هي الهدايا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : يعطى ماله يبتغى أفضل منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : هو الرجل يهدى إلى الرجل الهدية ، ليثيبه أفضل منها .

قال : ثنا محمد بن حميد المعمري ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : هو الرجل يعطى العطية ويهدى الهدية ، ليثاب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وزر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ) قال : ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا ، ومجازاة الناس ذاك الربا الذي لا يقبله الله ، ولا يجزى به .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون ، يعطى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها ، وهذا للناس عامة .

وأما قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) فهذا للنبيّ خاصة ، لم يكن له أن يعطى إلا لله ، ولم يكن يعطى ليعطى أكثر منه .

وقال آخرون : إنما عنى بهذا الرجل : يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه ، ويخدمه ويعود عليه نفعه ، لا لطلب أجر من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى ومحمد بن فضيل، عن زكريا عن عامر (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ) قال: هو الرجل يلزق بالرجل، فيخفّ له ويخدمه، ويسافر معه، فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه، وإنما أعطاه التماس عونه، ولم يرد وجه الله.

وقال آخرون: هو إعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك، لا طلب ثواب الله.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبى حصين، عن ابن عباس (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ) قال: ألم تر إلى الرجل يقول للرجل: لأموّلنك، فيعطيه، فهذا لا يربو عند الله، لأنه يعطيه لغير الله ليثرى ماله.

قال: ثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبى خالد، قال: سمعت إبراهيم النخعى يقول فى قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال: كان هذا فى الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله.

وقال آخرون: ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة، وأما لغيره فحلال.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن أبى روّاد، عن الضحاك (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) هذا للنبىّ صلى الله عليه وسلم، هذا الربا الحلال.

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأنه أظهر معانيه.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة، (لِيَرْبُوَ) بفتح الياء من يربو، بمعنى: وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا فى أموال الناس. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة (لِتُرْبُوا) بالتاء من تربوا وضمها، بمعنى: وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم فى أموال الناس.

والصواب من القول فى ذلك عندنا، أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما، لأن أرباب المال إذا أربوا ربا المال، وإذا ربا المال فبارباء أربابه إياه ربا. فإذ كان ذلك كذلك، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب.

وأما قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) فإن أهل التأويل قالوا فى تأويله نحو الذى قلنا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) قال: هذا الذى يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها، وأكثر من ذلك.

حُدِّثت عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) قال : هى الهبة ، يهب الشيء يريد أن يُثاب عليه أفضل منه ، فذلك الذى لا يربو عند الله ، لا يؤجر فيه صاحبه ، ولا إثم عليه (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) قال : هى الصدقة تريدون وجه الله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) قال معمر ، قال ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به ، معرّفهم قبح فعلهم ، وخبث صنيعهم : الله أيها القوم الذى لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغى أن تكون لغيره ، هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا ، ثم رزقكم وخوّلكم ، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث بعد الموت .

وقوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : هل من آلهتكم وأوثانكم التى تجعلونهم لله فى عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء ، فيخلق أو يرزق ، أو يميت ، أو ينشر ، وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين . وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئا من ذلك ، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئا من ذلك ، ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التى افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء ، فقال جلّ ثناؤه سبحانه : أى تنزيها لله وتبرئة (وَتَعَالَى) يقول : وعلوّا له (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : عن شرك هؤلاء المشركين به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) لا والله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان :

القول في تأويل قوله تعالى :

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : ظهرت المعاصى فى برّ الأرض وبحرها بكسب أيدى الناس ما نهاهم الله عنه .

واختلف أهل التأويل فى المراد من قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ والبَحْرِ) فقال بعضهم : عنى بالبرّ : الفلوات ، وبالبحر : الأمصار والقُرى التى على المياه والأنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثّام ، قال : ثنا النضْر بن عربىّ ، عن مجاهد (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا) . . . الآية ، قال : إذا ولى سعى بالتعدّى والظلم . فيحبس الله القطر . (فَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ) قال : ثم قرأ مجاهد (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) . . . الآية ، قال : ثم قال : أما والله ماهو بحرُكم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضْر بن عربىّ ، عن عكرمة (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) قال : أَمَا إنى لا أقول بحرُكم هذا ، ولكن كلّ قرية على ماء جار .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عمرو بن فرُّوخ ، عن حبيب بن الزبير ، عن عكرمة (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) قال : إن العرب تسمى الأمصار بحرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ) قال : هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . امتلأت ضلالة وظلما ، فلما بعث الله نبيه ، رجع راجعون من الناس .

قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) أما البرّ فأهل العمود ، وأما البحر فأهل القُرَى والريف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) قال : الذنوب ، وقرأ (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ) قال : أفسدهم الله بذنوبهم ، فى بحر الأرض وبرها ، بأعمالهم الخبيثة.

وقال آخرون : بل عُنِى بالبرّ : ظهر الأرض ، الأمصار وغيرها ، وبالبحر البحر المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) : قال : فى البرّ : ابن آدم الذى قتل أخاه ، وفى البحر : الذى كان يأخذ كلّ سفينة غصبا .

حدثنى يعقوب ، قال : قال أبو بشر : يعنى ابن عُلَيّة ، قال : سمعت ابن أبى نجيح ، يقول فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ) قال : بقتل ابن آدم ، والذى كان يأخذ كل سفينة غصبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرْزوق ، عن عطية (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ) قال : قلت : هذا البرّ والبحر أىّ فساد فيه ؟ قال : فقال : إذا قلّ المطر ، قل الغوْص .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ) قال : قتل ابن آدم أخاه ، والبحر : قال أخذ الملك السفن غَصْبا .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر فى البرّ والبحر عند العرب فى الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فهما جميعا عندهم بحر ، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك فى بحر دون بحر ، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر ، عذبا كان أو ملحا . وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التى على الأنهار والبحار .

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت ، ظهرت معاصى الله فى كل مكان ، من برّ وبحر (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ) : أى بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيهما .

وقوله (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا) يقول جلّ ثناؤه : ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التى عملوا ، ومعصيتهم التى عصوا (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : كى ينيبوا إلى الحقّ ، ويرجعوا إلى التوبة ، ويتركوا معاصىَ الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن (لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون .

قال : ثنا ابن مهدىّ ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يوم بدر ، لعلهم يتوبون .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن منصور عن إبراهيم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : إلى الحقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : لعلّ راجعا أن يرجع ، لعل تائبا أن يتوب ، لعلّ مستعتبا أن يستعتب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يرجع مَنْ بعدَهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِيُذِيقَهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (لِيُذِيقَهُمْ) بالياء ، بمعنى : ليذيقهم الله بعض الذى عملوا ، وذُكر أن أبا عبد الرحمن السُّلَمى قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا فى البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذّبوا رسلَه، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رسُلَ الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم، كان أكثرهم مشركين؛ يقول: فعَلنا ذلك بهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره: فوجّه وجهَك يامحمد نحوَ الوجه الذى وجّهك إليه ربك (للدِّينِ القَيِّمِ) لطاعة ربك، والملةِ المستقيمةِ التى لا اعوجاج فيها عن الحق (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ) يقول تعالى ذكره: من قبل مجىء يوم من أيام الله لامردّ له لمجيئه؛ لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لامحالة جاء (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول: يوم يجىء ذلك اليومُ يصدّع الناسُ، يقول: يتفرّق الناس فرقتين من قولهم: صَدَعتُ الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق فى الجنة، وفريق فى السعير.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ القَيِّمِ) الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فريق فى الجنة، وفريق فى السعير.

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول: يتفرّقون.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (يَصَّدَّعُونَ) قال: يتفرّقون إلى الجنة، وإلى النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه، أو زاد كفره، وآثام جحوده نِعَمَ ربه، (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً): يقول: ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به فى الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها (فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يقول: فلأنفسهم يستعدون، ويسوّون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، كما قال الشاعر:

امْهَدْ لنَفْسِكَ حانَ السُّقْمُ والتَّلَفُ ... وَلا تُضِيعَنَّ نَفْسا ما لَها خَلَفُ[1]

(١) البيت لسليمان بن يزيد العدوى (مجاز القرآن لأبى عبيدة، الورقة ١٨٩-١) قال فى تفسير قوله تعالى: «فلأنفسهم يمهدون»: من (بفتح الميم) يقع على الواحد والاثنين والجميع. ومجازها هنا مجاز الجميع. ويمهد: أى يكسب ويعمل ويستعد. قال سليمان بن يزيد، —

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : يسوّون المضاجع .

حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبوعبد الرحمن العلائى ، قالوا : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : فى القبر .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : للقبر .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، قال : سمعت مجاهدا يقول : فى قوله (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : فى القبر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : (يومئذ يصدّعون لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله (مِنْ فَضْلِهِ) الذى وعد من أطاعه فى الدنيا أن يجزيه يوم القيامة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) يقول تعالى ذكره : إنما خصّ بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله ، إنه لا يحبّ أهل الكفر به . واستأنف الخبر بقوله (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) وفيه المعنى الذى وصفت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كلّ شىء (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) بالغيث والرحمة (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : وليُنزّل عليكم من رحمته ، وهى الغيث الذى يحيى به البلاد ، ولتجرى السفن فى البحار بها بأمره إياها (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول : ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التى قسمها بينكم (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات .

العدوى : « امهد لنفسك . . . البيت » وحان : قرب . والتلف : الموت . وفى اللسان (مهد) لنفسه يمهد مهدا (كفتح) كسبب وعمل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ) قال : بالمطر .

وقالوا فى قوله (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) مثل الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : المطر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) : المطر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقى من قبله من رسله من قومهم ، ومعلمه سنته فيهم وفى قومهم ، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم ، وفى أممهم ، ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة ، كما أرسلناك إلى قومك العابدى الأوثان من دون الله (فجاءُوهُمْ بالبَيِّناتِ) يعنى : بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم كما كذبك قومك ، وردوا عليهم ماجاءوهم به من عند الله ، كما ردوا عليك ماجئتهم به من عند ربك (فانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) يقول : فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام ، واكتسبوا السيئات من قومهم ، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمى قومك (وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ) يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ، إذ جاءهم بأسنا ، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك (وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ) على الكافرين ، ونحن ناصروك ومن آمن بك على مَن كفر بك ، ومظفروك بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : الله يرسل الرياح فتثير سحابا : يقول : فتنشئ الرياح سحابا ، وهى جمع سحابة ، فيبسطه فى السماء كيف يشاء : يقول : فينشره الله ، ويجمعه فى السماء كيف يشاء : وقال : فيبسطه فوحد

الهاء ، وأخرج مخرج كناية المذكر ، والسحاب جمع كما وصفت ردًّا على لفظ السحاب ، لا على معناه ، كما يقال : هذا تمر جيد .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (فَيَبْسُطُهُ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) ويجمعه.

وقوله (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) : يقول : ويجعل السحاب قطعا . متفرّقة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) : أى قطعا .

وقوله (فَتَرَى الوَدْقَ) يعنى : المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) يعنى : من بين السحاب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ).

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قطن ، عن حبيب ، عن عبيد بن عمير (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) قال : الرياح أربع : يبعث الله ريحا فتقمّ الأرض قما ، ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحابا ، فيجعله فى السماء كِسَفا ، ثم يبعث الله الريح الثالثة ، فتؤلف بينه فيجعله ركاما ، ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَتَرَى الوَدْقَ) قال : القطر.

وقوله (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين ، يقول : لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ) : أى قانطين .

واختلف أهل العربية فى وجه تكرير من قبله ، وقد تقدم قبل ذلك قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) فقال بعض نحويى البصرة : ردّ من قبله على التوكيد نحو قوله (فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وقال غيره : ليس ذلك كذلك ، لأن مع (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) حرفا ليس مع الثانية ، قال : فكأنه قال : من قبل التنزيل من قبل المطر فقد اختلفتا ، وأما (كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وكد بأجمعين لأن كلا يكون اسما ويكون توكيدا ، وهو قوله أجمعون . والقول عندى فى قوله (مِنْ قَبْلِهِ) على وجه التوكيد .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾

اختلفت القرّاء فى قوله (فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إلى أثَرِ رَحْمَةِ اللهِ) على التوحيد ، بمعنى : فانظر يامحمد إلى أثر الغيث الذى أصاب الله به من أصاب مَن عباده ، كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ) على الجماع ، بمعنى : فانظر إلى آثار الغيث الذى أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الأرض بعد موتها .

والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها ، فإن الغيث أحياها باحياء الله إياها به ، وإذا أحياها الغيث ، فإن الله هو المحيي به ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب . فتأويل الكلام إذن : فانظر يامحمد إلى آثار الغيث الذى ينزّل الله من السحاب ، كيف يحيي بها الأرض الميتة ، فينبتها ويعشبها من بعد موتها ودثورها ، إن ذلك لمحيي الموتى . يقول جلّ ذكره : إن الذى يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث ، لمحيي الموتى من بعد موتهم ، وهو على كلّ شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير ، لا يعزّ عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذى أنزلناه من السماء ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذى حييت به أرضوهم ، وأعشبت ونبتت به زروعهم ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرّا ، قد فسد بتلك الريح التى أرسلناها ، فصار من بعد خضرته مصفرا ، لظلوا من بعد استبشارهم ، وفرحهم به يكفرون بربهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره (فإنَّكَ) يامحمد (لا تُسْمِعُ المَوْتَى) يقول : لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم ، وإنما هذا مثل معناه : فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، فسلبهم فهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله ، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم ، بأن تجعل لهم أسماعا .

وقوله (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ) يقول : وكما لاتقدر أن تُسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء، إذا هم وَلّوا عنك مدبرين ، كذلك لاتقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهمَ آيات كتابه ، لسماع ذلك وفهمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنَّكَ لاتُسْمِعُ المَوْتَى) : هذا مَثَل ضربه الله للكافر ، فكما لايسمع الميت الدعاء ، كذلك لايسمع الكافر (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يقول : لو أن أصمّ ولّى مدبرا ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لايسمع ولا ينتفع بما يسمع .

وقوله (وَما أنْتَ بِهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يامحمد بمسدّد من أعماه الله عن الاستقامة ، ومَحجة الحقّ ، فلم يوفقه لإصابة الرشد ، فصارفه عن ضلالته التى هو عليها ، وركوبه الجائر من الطرق ، إلى سبيل الرشاد ، يقول : ليس ذلك بيدك ولا إليك ، ولا يقدر على ذلك أحد غيرى ، لأنى القادر على كل شىء . وقيل : بهادى العمى عن ضلالتهم ، ولم يقل : من ضلالتهم . لأن معنى الكلام ما وَصَفْت ، من أنه : وما أنت بصارفهم عنه ، فحمل على المعنى . ولو قيل : من ضلالتهم كان صوابا . وكان معناه : ما أنت بمانعهم من ضلالتهم .

وقوله (إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا) يقول تعالى ذكره لنبيه : ما تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فيعقله ، إلا من يؤمن بآياتنا ، لأن الذى يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبّره وفهمه وعقَله ، وعمل بما فيه ، وانتهى إلى حدود الله ، الذى حدّ فيه ، فهو الذى يسمع السماع النافع .

وقوله (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) يقول : فهم خاضعون لله بطاعته ، متذللون لمواعظ كتابه .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (٥٤)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركى قريش، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء . (اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ ضَعْفٍ) يقول : من نُطْفة وماء مَهين، فأنشأكم بشَرا سويّا (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يقول : ثم جعل لكم قوّة على التصرّف، من بعد خلقه إياكم من ضعف ، ومن بعد ضعفكم، بالصغر والطفولة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفا وَشَيْبَةً) يقول : ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء فى شبابكم وشيبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) أى من نطفة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفا) الهرم (وَشَيْبَةً) الشمط.

وقوله (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) يقول تعالى ذكره : يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة وشباب وشيب (وَهُوَ العَلِيمُ) بتدبير خلقه (القَدِيرُ) على ما يشاء ، لايمتنع عليه شيء أراده ، فكما فعل هذه الأشياء ، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء . يقول : واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

﷽ يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء ساعة البعث ، فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون ، وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ، ويكتسبون فيها الآثام، وإقسامهم: حلفهم بالله . (ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ) : يقول : يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة ، يقول الله جلّ ثناؤه : كذلك فى الدنيا كانوا يُؤْفَكُون: يقول: كذبوا فى قيلهم وقسَمِهِم ما لبثنا غير ساعة ، كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمونَ ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ كَذلكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) أى يكذبون فى الدنيا ، وإنما يعنى بقوله (يُؤْفَكُونَ) عن الصدق ، ويَصُدّون عنه إلى الكذب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

﷽ كان قتادة يقول : هذا من المقدّم الذى معناه التأخير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ الله إلى يَوْمِ البَعْثِ) قال : هذا من مقاديم الكلام . وتأويلها : وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم : لقد لبثتم فى كتاب الله .[1]

وذُكر عن ابن جُرَيج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه .

(١) فى فتح القدير للشوكانى : (٤ : ٢٢٤) قال الواحدى : والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير ، على تقدير : وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله . وهذا غير ما قدره قتادة فى حديثه الذى رواه المؤلف هنا .

وقوله (فِي كِتَابِ اللهِ) يقول : فيما كتب الله مما سبق فى علمه أنكم تلبثونه (فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ) يقول : فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) يقول : ولكنكم كنتم لاتعلمون فى الدنيا أنه يكون ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ، فلذلك كنتم تكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

☼ يقول تعالى ذكره : فيوم يبعثون من قبورهم (لايَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) يعنى المكذّبين بالبعث فى الدنيا معذرتهم ، وهو قولهم : ما علمنا أنه يكون ، ولا أنا نُبعث (وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يقول : ولا هؤلاء الظلمة يُستَرجعون يومئذ عما كانوا يكذّبون به فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾

☼ يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم ، وتنبيها لهم عن وحدانية الله . وقوله (وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ) يقول : ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية : يقول : بدلالة على صدق ما تقول (لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ) يقول ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك ، وأنكروا نبوّتك ، إن أنتم أيها المصدّقون محمدا فيما أتاكم به إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

☼ يقول تعالى ذكره : كذلك يختم الله على قلوب الذين لايعلمون حقيقة ماتأتيهم به يامحمد من عند الله من هذه العبر والعظات ، والآيات البيّنات ، فلا يفقهون عن الله حُجة ، ولا يفهمون عنه مايتلو عليهم من آى كتابه ، فهم لذلك فى طغيانهم يتردّدون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

☼ يقول تعالى ذكره : فاصبر يامحمد لما ينالك من أذاهم ، وبلغهم رسالة ربك ، فإن وعد الله الذى وعدك من النصر عليهم ، والظفر بهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وتبّاعك فى الأرض حقّ (وَلايَسْتَخِفَّنَّكَ

الَّذِينَ لايُوقِنُونَ) يقول : ولايستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لايوقنون بالمعاد ولايصدقون بالبعث بعد الممات ، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سعيد بن جبير ، عن علي بن ربيعة ، أن رجلا من الخوارج ، قرأ خلف علي رضى الله عنه (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) فقال علي (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لايُوقِنُونَ) .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبى زرعة عن علي بن ربيعة قال : نادى رجل من الخوارج عليا رضى الله عنه ، وهو فى صلاة الفجر ، فقال (وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) فأجابه علي رضى الله عنه وهو فى الصلاة (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لايُوقِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لايُوقِنُونَ) قال : قال رجل من الخوارج خلف علي فى صلاة الغداة (وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشركْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) فأنصت له علي رضى الله عنه حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو فى الصلاة (فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لايُوقِنُونَ) .

آخر تفسير سورة الروم

(٣١) سورة لقمان مكية
وآياتها أربع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

الٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞

❊ وقد تقدم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره (الم) . وقوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ) يقول جل ثناؤه : هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا . وقوله (هُدًى وَرَحْمَةً) يقول : هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه ، وعمل به من خلقه ، وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قرّاء الأمصار غير حمزة ، فإنه قرأ ذلك رفعا على وجه الاستئناف ، إذ كان منقطعا عن الآية التى قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح ، والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف ، وقع موقع الحال إذا كان فيه معنى مدح أو ذم . وكلتا القراءتين صواب عندى ، وإن كنت إلى النصب أميل ، لكثرة القراء به

وقوله (لِلْمُحْسِنِينَ) وهم الذين أحسنوا فى العمل بما أنزل الله فى هذا القرآن ، يقول تعالى ذكره : هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا ، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) يقول : الذين يقيمون الصّلاةَ المفروضة بحدودها (وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ) من جعلها الله له المفروضة فى أموالهم (وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك فى الآخرة يوقنون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور (وأُولئِكَ هُمُ المُفْلحونَ) يقول : وهؤلاء هم المنْجحون المدركون ما رَجَوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

اختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) فقال بعضهم : من يشترى الشراء المعروف بالثمن ، ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلاد الصفّار ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ ابن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّياتِ ، وَلا شِراؤُهُنَّ ، وَلا التِّجارَةُ فِيهِنَّ ، وَلا أثمانُهُنَّ ، وفيهنّ نزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن خلاد الصفّار ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال « أَكْلُ ثَمَنِهِنَّ حَرَامٌ » وقال أيضا « وفِيهِنَّ أنْزَلَ اللهُ عَلَىَّ هَذِهِ الآيَةَ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) .

حدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن عمرو ابن قيس الكلابى ، عن أبى المهلّب ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة . قال : وثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن مُطَّرِح بن يزيد ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن زيد ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة الباهلى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يَحِلُّ تَعْلِيمُ المُغَنِّياتِ ، وَلا بَيْعُهُنَّ وَلا شِراؤُهُنَّ ، وَثَمَنُهُنَّ حَرامٌ ، وَقَدْ نَزَلَ تَصْدِيقُ ذلكَ فِى كِتابِ اللهِ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من يختار لهو الحديث ويستحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)والله لعله أن لاينفق فيه مالا ؛ ولكن اشتراؤه استحبابه ، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ ، وما يضرّ على ماينفع .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا ابن شوذب ، عن مطر ، فى قول الله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : اشتراؤه : استحبابه .

❊ وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من قال : معناه : الشراء ، الذى هو بالثمن ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه .

❊ فإن قال قائل : وكيف يشترى لهو الحديث ؟ قيل : يشترى ذات لهو الحديث ، أو ذا لهو الحديث ، فيكون مشتريا لهو الحديث .

وأما الحديث ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو الغناء والاستماع له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يزيد بن يونس ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن أبى الصهباء البكرى[1] ، أنه سمع عبدالله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) فقال عبد الله : الغناء ، والذى لا إله إلا هو ، يردّدها ثلاث مرّات .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد ابن جُبَيْر ، عن أبى الصهباء ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قول الله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا علىّ بن عابس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء وأشباهه .

حدثنا ابن وكيع ، والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا ابن أبى ليلى ، عن الحكم ،

---

(١) أبو الصهباء «كما فى خلاصة الخزرجى» : هو صهيب الهاشمى ، عن مولاه ابن عباس ، وعلى ، وابن مسعود ، ولم يقل فى نسبته البكرى ، وهناك صهيب المكى أبو موسى الحذاء ، ولم يكنه بأبى الصهباء .

عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : هو الغناء والاستماع له ، يعنى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) .

حدثنا الحسن بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا سفيان ، عن قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن جابر ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء والاستماع له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم أو مقسم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : شراء المغنية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص والمحاربى ، عن ليث ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : الغناء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : باطل الحديث : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (وَمِنَ الناسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب عن مجاهد قال : الغناء .

قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء ، وكلّ لعب لهو .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى ، قال : ثنا علىّ بن حفص الهمدانى ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء والاستماع له وكل لهو .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : المغنى والمغنية بالمال الكثير ، أو استماع إليه ، أو إلى مثله من الباطل .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : هو الغناء أو الغناء منه ، أو الاستماع له .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن شعيب بن يسار ، عن عكرمة قال (لَهْوَ الحَدِيثِ) : الغناء .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهَبّاريّ ، قال : ثنا عَثّام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة ، عن عبيد مثله .

حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعي ، قال : ثنا أبو أسامة وعبيد الله ، عن أسامة ، عن عكرمة ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : الغناء .

وقال آخرون : عنى باللهو : الطَّبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج الأعور ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : اللهو : الطبل .

وقال آخرون : عنى بلهو الحديث : الشرك .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ) يعنى الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَها هُزُوًا) قال : هؤلاء أهل الكفر ، ألا ترى إلى قوله (وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كأنْ لَمْ يَسْمَعْها كأنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) فليس هكذا أهل الإسلام ، قال : وناس يقولون : هى فيكم ، وليس كذلك ، قال : وهو الحديث الباطل الذى كانوا يلغَون فيه .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسولُه ، لأن الله تعالى عمّ بقوله (لَهْوَ الحَدِيثِ) ولم يخصص بعضا دون بعض ، فذلك على عمومه ، حتى يأتى ما يدلّ على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : ليصدّ ذلك الذى يشترى من لهو الحديث عن دين الله وطاعته ، وما يقرّب إليه من قراءة قرآن ، وذكر الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : سبيل الله : قراءة القرآن ، وذكر الله إذا ذكره ، وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية .

وقوله (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث ، جهلا منه بما له فى العاقبة عند الله من

وزر ذلك وإثمه . وقوله (وَيَتَّخِذَها هُزُوًا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة (وَيَتَّخِذُها) رفعا، عطفا به على قوله (يَشْتَرِى) كأن معناه عندهم : ومن الناس من يشترى لهو الحديث، ويتخذ آيات الله هزوا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (وَيَتَّخِذَها) نصبا عطفا على يضلّ، بمعنى : ليضلّ عن سبيل الله، وليتخذَها هُزُوًا .

والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان معروفتان فى قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ، فمصيب الصواب فى قراءته، والهاء والألف فى قوله (وَيَتَّخِذَها) من ذكر سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (وَيَتَّخِذَها هُزُوًا) قال : سبيل الله .

وقال آخرون : بل ذلك من ذكر آيات الكتاب .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قال : بحَسْب المرء من الضلالة، أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع . (وَيَتَّخِذَها هُزُوًا) يستهزئ بها ويكذّب بها . وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندى لقربهما منها، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب، واتخاذه ذلك هُزُوًا هو استهزاؤه به .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ فى نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا تُتلى على هذا الذى اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله، آيات كتاب الله، فقرئت عليه (وَلَّى مُسْتَكْبِرًا) يقول : أدبر عنها، واستكبر استكبارا، وأعرض عن سماع الحقّ والإجابة عنه (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها، كأنَّ فِى أُذُنَيهِ وَقْرًا) يقول : ثقلا، فلا يطيق من أجله سماعه .

كما حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا) قال : ثِقَلا .

وقوله (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجِع، وذلك عذاب النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فوحدوه ، وصدّقوا رسوله واتبعوه (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : فأطاعوا الله ، فعملوا بما أمرهم فى كتابه وعلى لسان رسوله ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) يقول لهؤلاء بساتين النعيم (خالدين فيها) يقول : ماكسين فيها إلى غير نهاية (وَعْدَ اللهِ حَقًّا) يقول : وعدهم الله وعدا حقا ، لاشكّ فيه ولا خلف له (وَهُوَ العَزِيزُ) يقول : وهو الشديد فى انتقامه من أهل الشرك به ، والصادّين عن سبيله ، (الحَكِيمُ) فى تدبير خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حكمته أنه (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) ، وقد ذكرت فيا مضى اختلاف أهل التأويل فى معنى قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) وبيّنا الصواب من القول فى ذلك عندنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) قال : لعلها بعمد لاترونها .

وقال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، قال : إنها بعمد لاترونها .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لعلها بعمد لاترونها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، عن سماك ، عن عكرمة فى هذا الحرف (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) قال : ترونها بغير عمد ، وهى بعمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) قال : قال الحسن وقتادة : إنها بغير عمد ترونها ، ليس لها عمد .

وقال ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : لها عمد لاترونها .

وقوله (وأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يقول : وجعل على ظهر الأرض رواسى ،

وهى ثوابت الجبال أن تميد بكم ، أن لاتميد بكم . يقول : أن لاتضطرب بكم ، ولاتتحرّك يمنة ولايسرة ، ولكن تستقرّ بكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وألْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ) : أى جبالا (أنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أثبتها بالجبال ، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خلقا ، وذلك كما قال الراجز :

والمُهْرُ يَأْبَى أنْ يَزَالَ مُلْهَبًا[1]

بمعنى : لايزال .

وقوله (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) يقول : وفرّق فى الأرض من كلّ أنواع الدوابّ . وقيل الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب ، وهوعندى لكلّ مادبّ على الأرض . وقوله(وأنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ ماءً ، فأنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء مطرا ، فأنبتنا بذلك المطر فى الأرض من كل زوج ، يعنى : من كل نوع من النبات كريم ، وهو الحسن النبْتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) : أى حسن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ١١

يقول تعالى ذكره : هذا الذى أعددت عليكم أيها الناس أنى خلقته فى هذه الآية خلق الله الذى له ألوهة كل شىء ، وعبادة كل خلق ، الذى لاتصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغى لشىء سواه ، فأرونى أيها المشركون فى عبادتكم إياه مَن دونه من الآلهة والأوثان ، أىّ شىء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم ، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه ، كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم ، وخالق هذه الأشياء التى عددتها عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَٰذَا خَلْقُ اللهِ) ما ذكر من خلق السموات والأرض ، وما بثّ من الدوابّ ، وما أنبت من كلّ زوج كريم ، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه الأصنام الذين تدعون من دونه .

وقوله (بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : ماعبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا ، ولكنّهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحقّ ، فهم فى ضلال : يقول : فهم فى جور عن الحقّ ، وذهاب عن الاستقامة مبين : يقول : يبين لمن تأمله ، ونظر فيه وفكّر بعقل أنه ضلال لاهدى .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٥١) . قال عند تفسير قوله تعالى « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » : لئلا تميد بكم ؛ و (أن) فى هذا الموضع تكفى من (لا) كما قال الشاعر : * والمهر يأبى أن يزال ملهبا * معناه : يأبى أن لايزال . اه

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢)

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين، والعقل، والإصابة في القول:

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوّة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) أي الفقه في الإسلام، قال قتادة: ولم يكن نبيا، ولم يُوح إليه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن مجاهد، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) قال: الحكمة: الصواب، وقال غير أبي بشر: الصواب في غير النبوّة.

حدثنا ابن المثنى، ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، أنه قال: كان لقمان رجلا صالحا، ولم يكن نبيا.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ وابن حميد، قالا: ثنا حَكّام، عن سعيد الزبيديّ، عن مجاهد، قال: كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، قاضيا على بني إسرائيل.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ، قال: ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان لقمان عبدا أسود، عظيم الشفتين، مُشَقَّق القدمين.

حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا سليمان بن بلال، قال: ثني يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: كان لقمان الحكيم أسود من سُودان مصر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان لقمان عبدا حبشيا.

حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرنا أبي، قال: ثنا الأوزاعيّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن حَرْملة، قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل، فقال له سعيد: لاتحزن من أجل أنك أسود، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان: بلال، ومهجَع مولى عمر بن الخطاب، ولُقمان الحكيم، كان أسود نوبيا ذا مشافر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي الأشهب، عن خالد الرَّبَعيّ، قال: كان لقمان عبدا حبشيا

نجارا ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيب مُضْغَتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال له لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأتاه رجل ، وهو فى مجلس أناس يحدّثهم ، فقال له : ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنينى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ) قال : القرآن .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحكمة : الأمانة .

وقال آخرون : كان نبيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : كان لقمان نبيا .

وقوله (أنِ اشْكُرْ لِلهِ) : يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الحكمة ، أن احمد الله على ما آتاك من فضله ، وجعل قوله (أنِ اشْكُرْ) ترجمة عن الحكمة ، لأن من الحكمة التى كان أوتيها ، كان شكره الله على ما آتاه . وقوله (وَمَنْ يَشْكُرْ فإنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه ، لأن الله يُجزل له على شكره إياه الثواب ، وينقذه به من الهلكة (وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ) يقول : ومن كفر نعمة الله عليه ، إلى نفسه أساء ، لأنّ الله معاقبُه على كفرانه إياه ، والله غنىّ عن شكره إياه على نعمه ، لاحاجة به إليه ، لأن شكره إياه لا يزيد فى سلطانه ، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه . ويعنى بقوله (حَمِيدٌ) محمود على كلّ حال ، له الحمد على نعمه ، كفر العبد نعمته أو شكره عليها ، وهو مصروف من مفعول إلى فعيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَىَّ لا تُشْرِكْ باللهِ ، إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) يقول : لخطأ من القول عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وأمرنا الإنسان ببرّ والديه (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ) يقول: ضعفا على ضعف، وشدّة على شدّة؛ ومنه قول زهير:

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلٍ وَاهِنٍ خَلَقٍ　　لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبابِه هَلَكُوا [١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا فى المعنيّ بذلك، فقال بعضهم: عنى به الحمل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا عَلَى وَهْنٍ) يقول: شدّة بعد شدّة، وخلقا بعد خلق.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، فى قوله (وَهْنا عَلَى وَهْنٍ) يقول: ضعفا على ضعف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا عَلَى وَهْنٍ) أي جهدا على جهد.

وقال آخرون: بل عنى به: وهن الولد وضعفه على ضعف الأمّ.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَهْنا عَلَى وَهْنٍ) قال: وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ٢٥٤). وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب قال:

هَلاَّ سَأَلْتَ الصَّيْدَاءِ كُلَّهِمِ　　بِأَيِّ حَبْلِ بَنِي جِوَارٍ كُنْتُ أَمْتَسِكُ

ومعنى بيت الشاهد: هو حبل شديد محكم، فمن تمسك به نجا، وليس بحبل ضعيف، من تعلق بأسبابه هلك. قالوا: وكان الحارث ابن ورقاء الصيداوي من بني أسد، أغار على بني عبدالله بن غطفان، فغنم، واستاق إبل زهير وراعيه يسارا فخاطبه زهير بهذه القصيدة، وذكره بأنه كان في عهده وجواره، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعي فإنه سيقول فيه من قصائد الهجو ما يفضحه في أحياء العرب. وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى «وهنا على وهن»: أي ضعفا إلى ضعفها. واستشهد بالبيت. اهـ. وفيه الواهي بمعنى الضعيف.

وقوله (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) يقول: وفطامه فى انقضاء عامين. وقيل : (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) وترك ذكر انقضاء اكتفاء بدلالة الكلام عليه، كما قيل (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) يراد به أهل القرية.

وقوله (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) يقول : وعهدنا إليه أن اشكر لى على نعمى عليك ، ولوالديك تربيتهما إياك ، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك . وقوله (إِلَيَّ الْمَصِيرُ) يقول : إلى الله مصيرك أيها الإنسان ، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك ، وعما كان من شكرك لوالديك ، وبرك بهما على مالقيا منك من العناء والمشقة فى حال طفوليتك وصباك ، وما اصطنعا إليك فى برهما بك ، وتحننهما عليك .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى شأن سعد بن أبى وقاص وأمه .

ذكر الرواية الواردة فى ذلك

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، قال : حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب ، حتى يتحول سعد عن دينه ، قال : فأبى عليها ، فلم تزل كذلك حتى غشى عليها ، قال : فأتاها بنوها فسقوها ، قال : فلما أفاقت دعت الله عليه ، فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) . . . إلى قوله (فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : قالت أم سعد لسعد : أليس الله قد أمر بالبر ، فوالله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ، ثم أوجروها ، فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سماك بن حرب ، قال : قال سعد بن مالك : نزلت فى (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) قال : لما أسلمت ، حلفت أمى لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، قال : فناشدتها أول يوم ، فأبت وصبرت ؛ فلما كان اليوم الثانى ناشدتها ، فأبت ؛ فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت ، فقلت : والله لو كانت لك مئة نفس لخرجت قبل أن أدع دينى هذا ؛ فلما رأت ذلك ، وعرفت أنى لست فاعلا أكلت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت أبا هبيرة يقول : قال : نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بى فى عبادتك إياى معى غيرى مما لاتعلم أنه لى شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علوّا كبيرا ، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بى ، (وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفا) يقول : وصاحبهما فى الدنيا بالطاعة لهما فيما لاتبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا إثم . وقوله (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إلىَّ) يقول : واسلك طريق من تاب من شركه ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إلىَّ) : أى من أقبل إلىّ .

وقوله (إلىَّ مَرْجِعُكُمْ فأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فإن إلىّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم فى الدنيا تعملون من خير وشرّ ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

﴿ فإن قال لنا قائل : ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيّى لقمان ابنه ؟ قيل ذلك أيضا ، وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام (وَإذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يا بُنَىَّ لاتُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ولاتطع فى الشرك به والديك (وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفا) فإن الله وصّى بهما فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾

اختلف أهل العربية فى معنى الهاء والألف اللتين فى قوله (إنَّها) فقال بعض نحويى البصرة : ذلك كناية عن المعصية والخطيئة . ومعنى الكلام عنده : يا بنىّ إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل ، أو إن الخطيئة . وقال بعض نحويى الكوفة : وهذه الهاء عماد . وقال : أنّث تك ، لأنه يراد بها الحبة ، فذهب بالتأنيث إليها ، كما قال الشاعر :

وَتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذِى قَدْ أذَعْتَهُ ... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِنَ الدَّمِ [1]

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٢٣) وهو من قصيدة يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنام الشاعر ، ليهاجيه . ورقم البيت (٣٤) ومعنى تشرق : تغص ، وصدر القناة : أعلاها . والقناة : الرمح . اه . وفى « فرائد القلائد ، شرح مختصر الشواهد » للعينى . قال : والشاهد فى شرقت حيث أنث ، مع أن فاعله مذكر ، وهو الصدر ، والقياس : شرق . ولكن لما كان الصدر الذى هو مضاف ، بعض المضاف إليه ، أعطى له حكمه . اه .

وقال صاحب هذه المقالة : يجوز نصب المثقال ورفعه ؛ قال : فمن رفع رفعه بتلك ، واحتملت النكرة أن لايكون لها فعل فى كان وليس وأخواتها ، ومن نصب جعل فى تكن اسما مضمرا مجهولا مثل الهاء التى فى قوله (إِنَّهَا إِنْ تَكُ) قال : ومثله قوله (فَإِنَّهَا لاتَعْمَى الأَبْصَارُ) قال : ولو كان إن يك مثقال حبة كان صوابا ، وجاز فيه الوجهان . وأما صاحب المقالة الأولى ، فإن نصب مثقال فى قوله ، على أنه خبر ، وتمام كان ، وقال : رفع بعضهم فجعلها كان التى لاتحتاج إلى خبر .

❁ وأولى القولين بالصواب عندى ، القول الثانى ، لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم ، فيقال : إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت الله بها ، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما . فإذا كان ذلك كذلك ، كانت الهاء فى قوله (إِنَّهَا) بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية . وأما النصب فى المثقال ، فعلى أن فى « تك » مجهولا ، والرفع فيه على أن الخبر مضمر ، كأنه قيل : إن تك فى موضع مثقال حبة ، لأن النكرات تضمر أخبارها ، ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة .

وعنى بقوله (مِثْقَالَ حَبَّةٍ) : زنة حبة . فتأويل الكلام إذن : إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ عملته ، فتكن فى صخرة ، أو فى السموات ، أو فى الأرض ، يأت بها الله يوم القيامة ، حتى يوفيك جزاءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) من خير أو شرّ .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) فقال بعضهم : عنى بها الصخرة التى عليها الأرض ، وذلك قول رُوى عن ابن عباس وغيره ، وقالوا : هى صخرة خضراء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : الصخرة خضراء على ظهر حوت .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة ، عن عبدالله ، وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : خلق الله الأرض على حوت ، والحوت هو النون الذى ذكر الله فى القرآن (نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة فى الريح ، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ، ولا في الأرض .

وقال آخرون : عنى بها الجبال ، قالوا : ومعنى الكلام : فتكن فى جبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ) : أى جبل.

وقوله (يَأْتِ بِها اللهُ) كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله ، ولا أعرف يأتى به ، بمعنى يعلمه ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان ، إنما وصف الله بذلك ، لأن الله يعلم أماكنه ، لايخفى عليه مكان شىء منه فيكون وجها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالا : ثنا أبو سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَوَاتِ ، أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِها اللهُ) قال : يعلمها الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، مثله .

وقوله (إنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) يقول : إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) : أى لطيف باستخراجها خبير بمستقرّها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه (يا بُنَىَّ أَقِمِ الصَّلاةَ) بحدودها (وَأْمُرْ بالمَعْرُوفِ) يقول : وأمر الناس بطاعة الله ، واتباع أمره (وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ) يقول : وانه الناس عن معاصى الله ومواقعة محارمه (وَاصْبِرْ عَلَى ما أَصَابَكَ) يقول : واصبر على ما أصابك من الناس فى ذات الله إذا أنت أمرتهم بالمعروف ، ونهيتهم عن المنكر ، ولايصدّنك عن ذلك ما نالك منهم (إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) يقول : إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، فى قوله : (يا بُنَىَّ أَقِمِ الصلاةَ ، وَأْمُرْ بالمَعْرُوفِ ،

وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاصْبِرْ عَلى ما أَصَابَكَ) قال : اصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) قال : إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور ، يقول : مما أمر الله به من الأمور .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَا تُصَعِّرْ) فقرأه بعض قرّاء الكوفة والمدنيين والكوفيين (وَلَا تُصَعِّرْ) على مثال تفعل . وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (وَلَا تُصَاعِرْ) على مثال تفاعل .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال ؛ إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام : ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه ، وأصل الصعر داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها حتى تلفت أعناقها عن رءوسها ، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن حُنَىّ التغلبى :

وكُنَّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّما[1]

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) يقول : ولا تتكبر فتحقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك .

---

(١) البيت لعمرو بن حنى (بالنون) التغلبى (معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٠٦ – ٢٠٧) وهو فارس جاهلى مذكور ، يقول فى قتلهم عمرو بن هند ، على رواية محمد بن داود :

نُعاطِي المُلُوكَ الحَقَّ ما قَصَدُوا بِنا وَلَيْسَ عَلَيْنا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمِ
أنِفْتُ لهم مِنْ عَقْلِ عَمْرِو بن مَرْثَدِ إذَا وَرَدُوا ماءً وَرُمْحِ بنِ هَرْثَمِ
وكُنَّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمِ

قال : يريد : فتقوم أنت . وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التى أولها :

يُعَيِّرُنِى أُمِّى رِجالٌ وَلَنْ تَرَى أخا كَرَمٍ إلاَّ بأنْ يَتَكَرَّمَا

وبعده البيت ، وآخره : « أقمنا له من ميله فتقوما » . وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبى . وقال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى « ولا تصعر خدك للناس » : مجازه : لاتقلب وجهك ، ولا تعرض بوجهك فى ناحية ، من الكبر ؛ ومنه الصعر الذى يأخذ الإبل فى رءوسها ، حتى يلفت أعناقها عن رءوسها . وقال عمرو بن حنى التغلبى : « وكنا . . . . فتقوما » . ونسب البيت فى (اللسان صعر) للتملمس جرير بن عبد المسيح . قال : الصعر : ميل فى الوجه . وقيل : الصعر: ميل فى الخد خاصة . وربما كان خلقة فى الإنسان والظليم . وقيل : هو ميل فى العنق ، والانقلاب فى الوجه إلى أحد الشقين . وقد صعر خده وصاعره : أماله من الكبر ، قال المتلمس « وكنا . . . فتقوما » . يقول : إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) يقول : لاتعرض بوجهك عن الناس تكبرا.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلا تُصَعِّرْ) قال : الصدود والإعراض بالوجه عن الناس .

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد في هذه الآية (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : إذا كلمك الإنسان لويت وجهك ، وأعرضت عنه محقرة له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان الرقي ، عن جعفر بن ميمون بن مهران ، قال : هو الرجل يكلم الرجل فيلوي وجهه .

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبومكين ، عن عكرمة ، في قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : لاتُعْرِض بوجهك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) يقول : لاتعرض عن الناس ، يقول : أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : تصعير الخدّ : التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكين ، عن عكرمة ، قال : الإعراض .

وقال آخرون : إنما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صعر ، لاعلى وجه التكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة ، فيراه فيعرض عنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : هو الرجل بينه وبين أخيه حنة فيعرض عنه .

وقال آخرون : هو التشديق :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق أو التشدّق « الطبرى يشكّ » .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم بمثله .

وقوله (وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا) يقول : ولا تمش فى الأرض مختالا .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا) يقول : بالخيلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : نهاه عن التكبر ، قوله (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر ذى فخر .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : متكبر . وقوله : فخور : قال : يعدّد ما أعطى الله ، وهو لايشكر الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

* يقول : وتواضع فى مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ، ولكن اتئد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : أمره بالتواضع فى مشيه ، ومنهم من قال : أمره بترك السرعة فيه .

ذكر من قال : أمره بالتواضع فى مشيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : التواضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : نهاه عن الخيلاء .

ذكر من قال : نهاه عن السرعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الله بن عقبة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، فى قوله (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : من السرعة ، قوله (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) يقول : واخفض من صوتك ، فاجعله قصدا إذا تكلمت .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) قال : أمره بالاقتصاد فى صوته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) قال : اخفض من صوتك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) فقال بعضهم : معناه : إن أقبح الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة وأبان بن تغلب ، قالا : ثنا أبومعاوية عن جُوَيبر ، عن الضحاك (إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ) قال: إن أقبح الأصوات (لَصَوْتُ الحَمِيرِ) .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) أي أقبح الأصوات لصوت الحمير ، أوّله زفير ، وآخره شهيق ، أمره بالاقتصاد في صوته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال: ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقول : (إِنَّ أَنكَرَ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ) [1] صوت الحمير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن أشرّ الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن يحيى بن واضح ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة والحكم بن عُتيبة (إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ) قال : أشرّ الأصوات .

قال جابر : وقال الحسن بن مسلم : أشدّ الأصوات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) قال : لو كان رفع الصوت هو خيرا ماجعله للحمير .

❁ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إن أقبح أو أشرّ الأصوات ، وذلك نظير قولهم : إذا رأوا وجها قبيحا ، أو منظرا شنيعا ما أنكر وجه فلان ، وما أنكر منظره .

وأما قوله (لَصَوْتُ الحَمِيرِ) فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة ، فإن ذلك لوجهين إن شئت ، قلت : الصوت بمعنى الجمع ، كما قيل (لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) وإن شئت قلت : معنى الحمير : معنى الواحد ، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدّي عما يؤدّى عنه الجمع .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره (أَلَمْ تَرَوْا) أيها الناس (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجم وسحاب (وَمَا فِي الأَرْضِ) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع ، يجرى ذلك كله

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : أى أقبح الأصوات صوت الخ .

لمنافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم ، تتمتعون ببعض ذلك كله ، وتنتفعون بجميعه ، (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً).

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً) على الواحدة ، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام ، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله . وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (نِعَمَهُ) على الجماع ، ووجّهوا معنى ذلك ، إلى أنها النعم التى سخرها الله للعباد مما فى السموات والأرض ، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله (شاكِرًا لأَنْعُمِهِ) قالوا : فهذا جمع النعم .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى ، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ، ومعنى الجماع ، وقد يدخل فى الجماع الواحدة . وقد قال جلّ ثناؤه (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها) فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة . وقال فى موضع آخر : ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه ، فجمعها ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب .

ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد ، وفسّره على ماذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنى مستور الهنائى ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قرأها (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) وفسّرها الإسلام .

حُدثت عن الفرّاء قال : ثنى شريك بن عبد الله ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (نِعْمَةً) واحدة . قال : ولو كانت نعمه ، لكانت نعمة دون نعمة ، أو نعمة فوق نعمة « الشكّ من الفراء » .

حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حميد ، قال : قرأ مجاهد (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : لا إله إلا الله .

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا ابن أبى بكير ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : كان يقول : هى لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عيسى ، عن قيس ، عن ابن عباس (نِعْمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً) قال : لا إله إلا الله . وقوله (ظاهِرَةً) يقول : ظاهرة على الألسن قولا ، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا . وقوله (وَباطِنَةً) يقول : وباطنة فى القلوب اعتقادا ومعرفة .

وقوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى) يقول تعالى ذكره : ومن الناس

من يخاصم فى توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ، ولا هدى : يقول : ولا بيان يبين به صحة ما يقول (وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ) يقول : ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى ، يبين حقية دعواه:

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ) ليس معه من الله برهان ولا كتاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون فى توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله ، اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله ، وصدّقوا به ، فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل ، ويفصل بين الضالّ والمهتدى ، فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان ، فإنهم كانوا أهل حقّ ، قال الله تعالى ذكره (أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ) بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتباعهم إياه على ضلالتهم ، وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه (إِلى عَذابِ السَّعِيرِ) يعنى : عذاب النار التى تتسعر وتلتهب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يعبد وجهه متذللا بالعبودة ، مقرّا له بالألوهة (وَهُوَ مُحْسِنٌ) يقول : وهو مطيع لله فى أمره ونهيه (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) يقول : فقد تمسك بالطرف الأوثق الذى لا يخاف انقطاعه من تمسك به ، وهذا مثل ، وإنما يعنى بذلك أنه قد تمسك من رضا الله باسلامه وجهه إليه وهو محسن ، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى السوداء ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) قال : لا إله إلا الله .

وقوله (وَإِلى اللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ) يقول : وإلى الله مرجع عاقبة كلّ أمر خيره وشرّه ، وهو المسائل أهله عنه ، ومجازيهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره ، ولاتذهب نفسك عليهم حسرة ، فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا ، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التى عملوها فى الدنيا ، ثم نجازيهم عليها جزاءهم (إنّ الله عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول : إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله ، وإيثار طاعة الشيطان وقوله (نُمَتِّعُهُمْ قَليلاً) يقول : نمهلهم فى هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إلى عَذَابٍ غَليظٍ) يقول : ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا ، وذلك عذاب النار ، نعوذ بالله منها ، ومن عمل يقرّب منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله من قومك (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، قُلِ الحَمْدُ لِلهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، فإذا قالوا ذلك ، فقل لهم : الحمد لله الذى خلق ذلك ، لا لمن لايخلق شيئا وهم يخلقون ، ثم قال تعالى ذكره (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُون) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركون لايعلمون من الذى له الحمد ، وأين موضع الشكر . وقوله (لِلهِ ما فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله كلّ ما فى السموات والأرض من شىء ملكا كائنا ماكان ذلك الشىء من وثن وصنم وغير ذلك ، مما يعبد أولا يعبد (إنّ الله هُوَ الغَنِىُّ الحَميدُ) يقول : إن الله هو الغنىّ عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد ، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه ، لأنهم ملكه وله ، وبهم الحاجة إليه ، الحميد يعنى المحمود على نعمه التى أنعمها على خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما (والبَحْرُ يَمُدُّهُ) يقول : والبحر له مداد ، والهاء فى قوله (يَمُدُّهُ) عائدة على البحر . وقوله (مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ

كَلِماتُ اللهِ) وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد ، لتكسرت تلك الأقلام ، ولنفد ذلك المداد ، ولم تنفد كلمات الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن عن هذه الآية (وَلَوْ أَنَّ ما فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ) قال : لو جعل شجر الأرض أقلاما ، وجعل البحور مدادا ، وقال الله : إن من أمرى كذا ، ومن أمرى كذا ، لنفد ماء البحور ، وتكسَّرت الأقلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، فى قوله (وَلَوْ أَنَّ ما فى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ) قال : لو بريت أقلاما والبحر مدادا ، فكتب بتلك الأقلام منه (ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) ولو مدّه سبعة أبحر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَنَّ ما فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ، والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) قال : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفد ، قال : لو كان شجر البرّ أقلاما ، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربى وحكمته وخلقه وعلمه .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب مجادلة كانت من اليهود له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنى رجل من أهل مكة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة : يامحمد أرأيت قوله (وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُلاًّ ، فقالوا : ألست تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلّ شىء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّها فى عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذلكَ ما يكْفِيكُمْ ، فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك (وَلَوْ أَنَّ ما فى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) : أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) فقالوا : تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهى الحكمة (وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً) قال : فنزلت (وَلَوْ أَنَّ ما فى الأَرْضِ من شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ

الله) قال : ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة ، فهو كثير طيب ، وهو فى علم الله قليل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : لما نزلت بمكة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) يعنى اليهود ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أحبار يهود ، فقالوا : يامحمد ألم يبلغنا أنك تقول (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) أفتعنينا أم قومك ؟ قال : كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تتلو : أنا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كلّ شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتاكُمُ اللهُ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فأنزل الله (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ، وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) فقرأته عامّة قرّاء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء ، وقرأته قرّاء البصرة نصبا ، عطفا به على « ما » فى قوله (وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ) وبأيّهما قرأ القارئُ فمصيب عندى . وقوله (إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله ذو عزّة فى انتقامه ممن أشرك به ، وادّعى معه إلها غيره ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، وذلك أن الله لايتعذّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع منه شيء شاءه (إنَّمَا أَمْرُهُ إذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فسواء خَلْق واحد وبعثه ، وخلق الجميع وبعثهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يقول : كن فيكون ، للقليل والكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) قال : يقول : إنما خَلْقُ اللهُ الناسَ كلَّهم وبعثُهم كخلق نفس واحدة وبعثها ، وإنما صلح أن يقال : إلاّ كنفس واحدة ، والمعنى : إلا كخلق نفس واحدة ، لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله (ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ) والعرب تفعل ذلك فى المصادر ، ومنه قول الله (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) والمعنى : كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت ، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت .

وقوله (إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم ، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال ، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره (أَلَمْ تَرَ) يامحمد بعينك (أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ) يقول : يزيد من نقصان ساعات الليل فى ساعات النهار (وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) يقول : يزيد مانقص من ساعات النهار فى ساعات اللّيل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ) نقصان الليل فى زيادة النهار(وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ) نقصان النهار فى زيادة الليل .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِى إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم ، كلٌّ يجرى : يقول : كلّ ذلك يجرى بأمره إلى وقت معلوم ، وأجل محدود إذا بلغه ، كوّرت الشمس والقمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول : لذلك كله وقت ، وحدّ معلوم ، لايجاوزه ولا يعدوه .

وقوله (وَأنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول : وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أوشرّ ذوخبرة وعلم ، لايخفى عليه منها شيء ، وهومجازيكم على جميع ذلك ، وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنىّ به المشركون ، وذلك أنه تعالى ذكره ، نبّه بقوله (أنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فى النَّهارِ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ)على موضع حجته منجهل عظمته ، وأشرك فى عبادته معه غيره ، يدلّ على ذلك قوله (ذلكَ بأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ، وأنَّ ما يَدْعُونَ منْ دُونهِ الباطِلُ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتك يامحمد أن الله فعله من إيلاجه الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وغير ذلك من عظيم قُدرته ، إنما فعله بأنه الله حقا ، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به ، وأنه لايقدر على فعل ذلك سواه ، ولاتصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقُدرته . وقوله (وأنَّ مايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الباطِلُ) يقول تعالى ذكره : وبأن الذى يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذى يضمحلّ ، فيبيد ويفنى (وأنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : وبأن الله هو العلىّ ، يقول : ذو العلوّ على كلّ شىء ، وكلّ ما دونه فله متذلل منقاد ، الكبير الذى كل شىء دونه ، فله متصاغر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يامحمد أن السفن تجرى فى البحر نعمة من الله على خلقه (لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ) يقول : ليريكم من عبره وحججه عليكم (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن فى جرى الفلك فى البحر دلالة على أن الله الذى أجراها هو الحقّ ، وأنّ مايدعون من دونه الباطل (لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : لكلّ من صبر نفسه عن محارم الله ، وشكره على نعمه فلم يكفره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مطرف يقول : إنّ من أحبّ عباد الله إليه : الصبّار الشكور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله ، ألم تر إلى قوله (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ، إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِلْمُوقِنِينَ ، إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ (إنَّ فِى ذلكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : الصبر : نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله .

إن قال قائل : وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبّار الشكور دون سائر الخلق ؟ قيل : لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوى الحجى والعقول ، فأخبر إن فى ذلك لآيات لكلّ ذى عقل ، لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوى العقول والتمييز .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر ، إذا ركبوا في الفُلك ، موج كالظُّلل ، وهي جمع ظُلَّة ، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء ؛ قال نابغة بني جعدة في صفة بحر :

يُماشِيهِنَّ أخْضَرُ ذُو ظِـلالٍ		عَلَى حافاتِهِ فِلَقُ الدِّنانِ [1]

وشبه الموج وهو واحد بالظلل ، وهي جماع ؛ لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء ، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل . وقوله (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء موج كالظلل ، فخافوا الغرق ، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة ، لا يشركون به هنالك شيئا ، ولا يدعون معه أحدا سواه ، ولا يستغيثون بغيره . قوله (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ) مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرّ (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يقول : فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه ، وهو مع ذلك مضمر الكفر به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : المقتصد في القول وهو كافر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : المقتصد الذي على صلاح من الأمر .

وقوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) يقول تعالى ذكره : وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كلّ غدّار بعهده ، والختر عند العرب : أقبح الغدر ؛ ومنه قول عمرو بن معدي كرب :

وَإِنَّكَ لَوْ رأيْتَ أبا عُمَـيْرٍ		مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَـتْرِ [2]

وقوله (كَفُورٍ) يعني : جحودا للنِّعم ، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة .

وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : كلّ غدّار .

---

(١) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩١ ب) قال عند تفسير قوله تعالى : « وإذا غشيهم موج كالظلل » : واحدتها : ظلة . ومجازه : من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه . قال النابغة الجعدي وهو يصف البحر : « يماشيهن . . . فلق الدنان » . يريد : أن البحر يمتد معهن في سيرهن . وظلال البحر : أمواجه ، لأنها ترفع فتظل السفينة ومن فيها . والدنان بالدال المهملة : جمع دن بالفتح ، هو راقود الخمر الكبير .

(٢) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٩١ ب) عند تفسير قوله تعالى : « كل ختار كفورر » قال : الختر : الكبر والغدر ، قال عمرو بن معد يكرب : « وإنك لو رأيت . . . . البيت » . وفي (اللسان : ختر) : الختر : شبيه بالغدر والخديعة . وقيل : هو الخديعة بعينها . وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه . ختر يختر ، فهو ختار ، وختار للمبالغة . والفعل من بابي ضرب ونصر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كُلُّ خَتَّارٍ) قال : غدّار .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : غدّار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) الختار : الغدار ، كلّ غدار بذمته كفور بربه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : كلّ جحاد كفور .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : الختار : الغدّار ، كما تقول : غدرني .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، قال : سمعت قتادة قال : الذي يغدر بعهده .

قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الغدّار .

قال ثنا أبي : عن الأعمش ، عن سمر بن عطية الكاهلي ، عن عليّ رضي الله عنه قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره : أيها المشركون من قريش ، اتقوا الله ، وخافوا أن يحلّ بكم سخطه في يوم لايغني والد عن ولده ، ولا مولود هو مغن عن والده شيئا ، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لايغالب ، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا . وقوله (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يقول : اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقّ ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها ، فتميلوا إليها ، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم . وقوله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) يقول : ولا يخدعنّكم بالله خادع . والغَرور بفتح الغين : هو ماغرّ الإنسان من شيء كائنا ما كان شيطانا كان ، أو إنسانا ، أو دنيا ؛ وأما الغُرور بضمّ الغين : فهو مصدر من قول القائل : غررته غرورا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الغَرُور) قال : الشيطان :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ) ذاكم الشيطان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروزى ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (الغَرُورُ) قال : الشيطان .

وكان بعضهم يتأوّل الغَرور بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جُبَير ، قوله (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ) قال : أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى ذكره : (يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا) هو آتيكم علم إتيانه إياكم عند ربكم ، لايعلم أحد متى هو جائيكم ، لايأتيكم إلا بغتة ، فاتقوه أن يفجأكم بغتة ، وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها ؛ فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لاقبل لكم به ؛ وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجىء الساعة . والمعنى : ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه ، فقال (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) التى تقوم فيها القيامة ، لايعلم ذلك أحد غيره (ويُنَزِّلُ الغَيْثَ) من السماء ، لايقدر على ذلك أحد غيره (وَيَعْلَمُ ما فى الأرْحامِ) أرحام الإناث (وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً) يقول : وما تعلم نفس حىّ ماذا تعمل فى غد ، (وَما تَدْرِى نَفْسٌ بأىّ أرْض تَمُوتُ) يقول : وما تعلم نفس حىّ بأىّ أرض تكون منيتها (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) يقول : إن الذى يعلم ذلك كله ، هو الله دون كلّ أحد سواه ؛ إنه ذو علم بكلّ شىء ، لايخفى عليه شىء ، خبير بما هو كائن ، وما قد كان .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) قال : جاء رجل (قال أبو جعفر) : أحسبه أنا ، قال : إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنَّ امرأتى حُبلى ، فأخبرنى

ماذا تلد ؟ وبلادنا محل جدبة ، فأخبرني متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدت ، فأخبرني متى أموت ، فأنزل الله (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) . . . إلى آخر السورة ، قال : فكان مجاهد يقول : هنّ مفاتح الغيب التي قال الله (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . الآية ، أشياء من الغيب ، استأثر الله بهنّ ، فلم يطلع عليهنّ ملكا مقرّبا ، ولا نبيا مرسلا (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة ، في أيّ سنة ، أو في أيّ شهر ، أو ليل أو نهار (وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ، ليلا أو نهارا ينزل ؟ (وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ) فلا يعلم أحد ما في الأرحام ، أذكر أو أنثى ، أحمر أو أسود ، أو ما هو ؟ (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا) خير أم شرّ ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت ؟ لعلك الميت غدا ، لعلك المصاب غدا ؟ (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض في بحر أو برّ أو سهل أو جبل ، تعالى وتبارك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبيّ ، قال : قالت عائشة : من قال : إن أحدا يعلم الغيب إلا الله فقد كذب ، وأعظم الفرية على الله قال الله (لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن عمرو بن شعيب « أن رجلا قال : يا رسول الله ، هل من العلم علم لم تؤته ؟ قال : لَقَدْ أُوتِيتُ عِلْمًا كَثِيرًا ، وَعِلْمًا حَسَنًا ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني عمرو بن محمد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ ، ثم قرأ هؤلاء الآيات (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . إلى آخرها » .

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ) . . . الآية ، ثم قال : لا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الأَرْحَامِ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ ، ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ، ويَعْلَمُ مافي الأرْحامِ ، ومَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا ، ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أرْضٍ تَمُوتُ ، إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرّة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود قال : كلّ شيء أوتيه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إلا علم الغيب الخمس : (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مافي الأرْحامِ ، ومَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا ، ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أرْضٍ تَمُوتُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (ومَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا) .

قال : ثنا جرير وابن علية ، عن أبي خباب ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « خَمْسٌ لايَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللهُ : (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، ويُنَزِّلُ الغَيْثَ) . . . الآية » .

حدثني أبو شُرَحبيل ، قال : ثنا أبو اليمان ، قال : ثنا إسماعيل ، عن جعفر ، عن عمرو بن مرّة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود ، قال : كلّ شيء قد أوتي نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس : ثم قرأ هذه الآية (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . إلى آخرها . وقيل : بأيّ أرض تموت . وفيه لغة أخرى : (بأيَّةِ أرْضٍ) فمن قال : (بأيِّ أرْضٍ) اجتزِ بتأنيث الأرض من أن يظهر في أيّ تأنيث آخر ، ومن قال (بأيَّةِ أرْضٍ) فأنث : أي قال : قد تجتزئ بأي مما أضيف إليه ، فلا بدّ من التأنيث ، كقول القائل : مررت بامرأة ، فيقال له : بأية ، ومررت برجل ، فيقال له بأيّ ؛ ويقال : أيّ امرأة جاءتك وجاءك ، وأية امرأة جاءتك.

آخر تفسير سورة لقمان

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞

۞ قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل قوله (الٓمٓ) بما فيه الكفاية . وقوله (تَنْزِيلُ الكِتابِ لارَيْبَ فِيهِ) يقول تعالى ذكره : تنزيل الكتاب الذى نزّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لاشكّ فيه (من ربّ العالمين) : يقول : من ربّ الثقلين : الجنّ ، والإنس .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنايزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الم تنزيل الكتاب لاريب فيه) لاشكّ فيه . وإنما معنى الكلام : أن هذا القرآن الذى أُنزل على محمد لاشكّ فيه أنه من عند الله ، وليس بشعر ولا سجع كاهن ، ولا هو مما تخرّصه محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما كذّب جلّ ثناؤه بذلك قول الذين (قالوا أساطيرُ الأوّلينَ اكتتبَها فهيَ تُملَى عليهِ بُكرَةً وأصيلاً) وقول الذين قالوا (إنْ هذا إلاّ إفكٌ افتراهُ وأعانهُ عليهِ قومٌ آخرُونَ) .

وقوله (أمْ يقولُونَ افتراهُ) يقول تعالى ذكره يقول المشركون بالله : اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه ، وتكذّبه ، و « أم » هذه تقرير ، وقد بيّنّا فى غير موضع من كتابنا ، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام فى أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أنه يستفهم بأم . وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك : ويقولون . وقال : أم بمعنى الواو ، بمعنى بل فى مثل هذا الموضع ، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال : ماهو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه ، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يامحمد ، أنزله إليك ، لتنذر قوما بأس الله وسطوته ، أن يحلّ بهم على كفرهم به (ما أتاهُمْ مِنْ نَذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) يقول : لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يامحمد إليهم ، وهم قومه من قريش ، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك . وقوله (لعلّهُمْ يهتدُونَ) يقول : لتبيّنوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتُنذرَ قَوْماً ما أتاهُمْ مِنْ نَذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلّهُمْ يَهتدُونَ) قال : كانوا أمّة أُمّيّة ، لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : المعبود الذى لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس (الّذى خلقَ السّموَاتِ والأرضَ ومَا بَيْنَهُما) من خلق (فى ستّةِ أيّامٍ) ثم استوى على عرشه فى اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اللهُ الّذى خلقَ السّموَاتِ والأرضَ وما بينَهُما فى ستّة أيّام ثُمّ استوَى على العرْش) فى اليوم السابع . يقول : مالكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل ، وخلق هذا الخلق العجيب فى ستة أيام .

وقوله (ما لكُمْ مِنْ دُونهِ مِنْ وَلِىّ ولا شفيعٍ) يقول : ما لكم أيها الناس دونه ولىّ يلى أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرّا ، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه ، يقول : فإياه

فاتخذوا وليا وبه وبطاعته، فاستعينوا على أموركم فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو ، لأنه لايقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا تعتبرون وتتفكَّرون أيها الناس ، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع ، فتفردوا له الألوهة ، وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

✲ يقول تعالى ذكره : الله هو الذى يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض ، ثم يعرُج إليه .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فقال بعضهم : معناه : أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، ويصعد من الأرض إلى السماء فى يوم واحد ، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام ، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك ، فذلك ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) يعنى بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد ، وذلك مقداره ألف سنة ، لأن مابين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) من أيامكم (كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) يقول : مقدار مسيره فى ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله ، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)قال : تعرج الملائكة إلى السماء، ثم تنزل فى يوم من أيامكم هذه ، وهو مسيرة ألف سنة .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال: من أيام الدنيا.

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن أبى الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) من أيامكم هذه ، مسيرة مابين السماء إلى الأرض خمس مئة عام .

وذكر عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض فى يوم واحد ، مقداره ألف سنة ، خمس مئة حتى ينزل ، وخمس مئة حتى يعرُج .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم من الأيام الستة التى خلق الله فيهنّ الخلق ، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : ذلك مقدار المسير قوله (كألف سنة مما تعدّون) ، قال : خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : الستة الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) يعنى هذا اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة ، ثم تعرج إليه الملائكة ، فى يَوْمٍ كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : هذا فى الدنيا تعرج الملائكة إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة [١] .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية (يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض فى يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذى دبره .

ذكر من قال ذلك

ذُكر عن حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، أنه قال : يقضى أمر كل شىء ألف سنة إلى الملائكة

(١) الذى فى الدر المنثور : من أيام الدنيا ؛ وهو واضح اهـ .

ثم كذلك حتى تمضى ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شيء ألفا ، ثم كذلك أبدا ، قال : يوم كان مقداره ، قال : اليوم أن يقال لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة ، كن فيكون ، ولكن سماه يوما ، سماه كما بيّنا كل ذلك عن مجاهد ، قال : وقوله ((إنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : هو هو سواء.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة ، مقدار العروج ألف سنة مما تعدّون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال بعض أهل العلم : مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة ، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه .

❁ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : معناه : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم ، كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول ، وخمس مئة في الصعود ، لأن ذلك أظهر معانيه ، وأشبهها بظاهر التنزيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : هذا الذى يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات ، هو عالم الغيب ، يعني عالم مايغيب عن أبصاركم أيها الناس ، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور ، وتخفيه النفوس ، ومالم يكن بعد مما هو كائن ، والشهادة : يعني ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وماهو موجود (العَزِيزُ) يقول : الشديد في انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره ، وكذّب رسله (الرَّحِيمُ) بمن تاب من ضلالته ، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله ، والعمل بطاعته ، أن يعذّبه بعد التوبة .

وقوله (الَّذِي أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة (أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) بسكون اللام . وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين (أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام .

❁ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خلقه ، وأحكم كل شيء خلَقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أتقن كلّ شيء وأحكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا الحسين بن إبراهيم إشكاب [1] ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف

(١) في التاج (شكب) : إشكاب ؛ لقب الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن زعلان العامري ، شيخ أبي بكر بن أبي الدنيا .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكن أحكم خلقها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكنه أحكمها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) قال : أتقن كل شىء خلقه

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) : أحصى كل شىء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذى حسن خلق كل شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) حسن على نحو ما خلق .

وذُكر عن الحجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن الأعرج ، عن مجاهد قال : هو مثل (أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ، ولا خلق الناس فى خلق البهائم ولكن خلق كلّ شىء فقدّره تقديرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعلم كل شىء خلقه ، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله (أَحْسَنَ) إنما هو من قول القائل فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد (أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ) قال : أعطى كلّ شىء خلقه ، قال : الإنسان إلى الإنسان ، والفرس للفرس ، والحمار للحمار . وعلى هذا القول ، الخَلْق والكلّ منصوبان بوقوع أحسن عليهما .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأه (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأتقن ، لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذى قلنا من معنى الإحكام والإتقان أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحُسن ؛ فلما كان فى خلقه ما لا يشكّ فى قُبحه وسماجته ، علم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته وأما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام ، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم وألهم كلّ شىء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال (الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) لأن ذلك أظهر معانيه . وأما الذى وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذى أحسن خلق كلّ شىء ، فإنه جعل الخلق نصبا

يعني التفسير ، كأنه قال : الذي أحسن كلَّ شيء خلقا منه . وقد كان بعضهم يقول : هو من المقدَّم الذي معناه التأخير ، ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر :

وَظَعْنِي إِلَيْكَ اللَّيْلَ حِضْنَيْهِ أَنَّنِي   لِتِلْكَ إِذَا هَابَ الهِدَانُ فَعُولُ[١]

يعني : وظعني حضني الليل إليك ؛ ونظير قول الآخر :

كَأَنَّ هِنْـداً ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا   يَوْمَ الْتَقَيْنَا عَلَى أَدْحَالِ دَبَّابِ[٢]

أي كأن ثنايا هند وبهجتها .

وقوله (وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) يقول تعالى ذكره : وبدأ خلق آدم من طين (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) يعني ذريته من سلالة ، يقول : من الماء الذي انسلَّ فخرج منه . وإنما يعني من إراقة من مائه ، كما قال الشاعر :

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَراً   سُلالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينِ[٣]

وقوله (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) يقول : من نطفة ضعيفة رقيقة .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) وهو خلق آدم ، ثم جعل نسله : أي ذريته من سلالة من ماء مهين ؛ والسلالة : هي الماء المهين الضعيف .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن أبي يحيى الأعرج ، عن ابن عباس ، في قوله (مِنْ سُلالَةٍ) قال : صفو الماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) قال : ضعيف نطفة الرجل ، ومهين : فعيل من قول القائل : مهن فلان ، وذلك إذا زلَّ وضعف .

---

(١) البيت (في مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ا) قال عند تفسير قوله تعالى « الذي أحسن كل شيء خلقه » : مجازه : أحسن خلق كل شيء : والعرب تفعل هذا ، يقدمون ويؤخرون . قال : « وظعني إليك . . . البيت » معناه : وظعني حين حضنني الليل إليك . وفي (اللسان : حضن) : وحضنا المفازة شقاها ، والفلاة : ناحيتاها . وحضنا الليل : جانباه . وحضن الجبل ما يطيف به ، وحضنا الشيء : جانباه . والهدان بوزن كتاب : الأحمق الجافي الوخم الثقيل في الحرب . وفي حديث عثمان : جبانا هدانا .

(٢) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، (الورقة ١٩٢ - ١) عند تفسير قوله تعالى « أحسن كل شيء خلقه » . بعد الشاهد السابق : « وظعني إليك . . . البيت » . ثم قال : كأن ثنايا هند وبهجتها . وهو أيضا في (اللسان : دبب) قال : قال الأزهري : وبالدهناء رمل يقال له الدباب . وبحذائه دوحلان كثير (بضم الدال) ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ هِنْـداً ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا   لَمَّا الْتَقَيْنَا لَدَى أَدْحَالِ دَبَّابِ

مُوَلِّيَـةٌ أُنُفٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِهَا   عَلَى أَبَارِقَ قَدْ هَمَّتْ بِأَعْشَابِ

والأدحال والدحلان : جمعا دحل ، بالفتح ، وهو ثقب ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله ، حتى يمشي فيه .

(٣) البيت : (في مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ب) عند قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » في سورة المؤمنين . (الجزء ١٨ : ٨) فراجعه ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم سوّى الإنسان الذى بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ، ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) فصار حيا ناطقا (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً ما تشْكُرُونَ) يقول : وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات ، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة ، تعقلون بها الخير من السوء ، لتشكروه على ماوهب لكم من ذلك . وقوله (قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ) يقول : وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون بالله ، المكذّبون بالبعث (أئِذَا ضَلَلْنا فى الأرْضِ) أى صارت لحومنا وعظامنا ترابا فى الأرض ، وفيها لغتان : ضَلَلْنا ، وضَلِلْنا ، بفتح اللام وكسرها ، والقراءة على فتحها ، وهى الجوداء ، وبها نقرأ . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ (أئِذَا صَلَلْنا) بالصاد ، بمعنى : أنتنا ، من قولهم : صلّ اللحم وأصلّ : إذا أنتن . وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم : (أئِذَا ضَلَلْنا فِى الأرْضِ) أى إذا هلكت أجسادنا فى الأرض ، لأن كلّ شىء غلب عليه غيره حتى خفى فيما غلب ، فإنه قد ضلّ فيه ، تقول العرب : قد ضلّ الماء فى اللبن : إذا غلب عليه حتى لايتبين فيه ؛ ومنه قول الأخطل لجرير :

كُنْتَ القَذَى فى مَوْجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ ... قَذَفَ الأَتِىُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالاً[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت للأخطل (ديوانه طبعة بيروت ص ٥٠) . والقذى : مايقع فى العين من تراب أو تبن ونحوه ، مما يطيره الريح والأكدر : الكدر ، غير الصافى ؛ لأنه أتى من بعيد ، وهو شديد الجرى ، يخالطه التراب والغثاء ، ولذلك قال : « مزبد » ، وهو الذى علاه الزبد لتحركه واضطرابه . والأتى : السيل يأتى من مكان بعيد ، أو من بلد إلى بلد . وقبل هذا البيت بيت آخر مرتبط به فى المعنى ، قال الأخطل :

وَإذَا سَمَا لِلْمَجْدِ فَرْعا وَائِلٍ ... وَاسْتَجْمَعَ الْوَادِى عَلَيْكَ فَسَالا

فرعا وائل هما بكر وتغلب . يريد أنه إذا اجتمع فرعا وائل فى مكان يوم فخار مع القبائل ، وصاروا أشبه بالسيل فى كثرته تكن لم أنت ياجرير بالإضافة إليهم إلا كقذاة غرقت فى ذلك السيل الكدر ، فضلت فيه وغابت ، ولم يوقف لها على أثر . ولذلك قال شارح الديوان : والمراد من البيت أن أبا جرير تحقير خسيس ، بالقياس إلى من ذكرهم . والبيت شاهد على أن الضلال : ذهاب الشىء فى الشىء حتى لا يحس له أثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ) يقول : أئذا هلكنا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ) هلكنا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد : قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ) يقول : أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا ؟ يكفرون بالبعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (وَقَالُوا أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ أئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : قالوا : أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ؟ .

وقوله (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء ، بل هم بلقاء ربهم كافرون ، حذرا لعقابه ، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه ، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم فى المعاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

* ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ⑪

❊ يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله يتوفاكم ملك الموت ، يقول : يستوفى عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ؛ ومنه قول الراجز :

إنَّ بَنِي الأدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْ ... وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ[1]

(ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول : من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى ربكم يوم القيامة تردّون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمُسيء باساءته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) قال : ملك الموت يتوفاكم ، ومعه أعوان من الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان لمنظور الوبرى (اللسان : وفى) قال : وتوفيت عدد القوم إذا عددتهم كلهم . وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوبرى (بسكون الباء) : • إن بنى الأدرد ليسوا من أحد • . . . البيتان » . أى لا تجعلهم قريش تمام عددهم ، ولا تستوفى بهم عددهم . وفى رواية اللسان : الأدرد فى موضع الأدرم من رواية أبي عبيدة . ولم يصرح أبو عبيدة باسم الشاعر منظور الوبرى ، ولعل صاحب اللسان رأى نسخة من مجاز القرآن فيها اسم الشاعر . وأنشد البيت صاحب التاج فى (وفى) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عددتهم لهم ، وأنشد أبو عبيدة لمنظور العنبرى : • إن بنى الأردد ليسوا من أحد • والأدرد فيه بالدال آخر الحروف ، لا بالميم ، كما فى نسخة مجاز القرآن التى بأيدينا . وفى (اللسان : وفى) : أورد ابن منظور البيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى منظور الوبرى . اهـ .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ) قال : حويت له الأرض ، فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، بنحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لو ترى يامحمد هؤلاء القائلين (أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) إذ هم ناكسو رءوسهم عند ربهم حياء من ربهم ، للذى سلف منهم من معاصيه فى الدنيا ، يقولون : يا (رَبَّنَا أبْصَرْنَا) ماكنا نكذّب به من عقابك أهلَ معاصيك (وَسَمِعْنَا) منك تصديق ماكانت رسلك تأمرنا به فى الدنيا ، فارجعنا : يقول : فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك ، وذلك العمل الصالح (إنَّا مُوقِنُونَ) يقول : إنا قد أيقنا الآن ماكنا به فى الدنيا جهالا من وحدانيتك ، وأنه لايصلح أن يُعبد سواك ، ولا ينبغى أن يكون ربّ سواك ، وأنك تحيى وتميت ، وتبعث من فى القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء .

وبنحو ما قلنا فى قوله : (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : قد حزنوا واستحيوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْ شِئْنَا) يامحمد (لآتَيْنَا) هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله (هُدَاهَا) يعنى : رشدها وتوفيقها للإيمان بالله (وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّى) يقول : وجب العذاب منى لهم ، وقوله (لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ) يعنى من أهل المعاصى والكفر بالله منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)

قال : لو شاء الله لهدى الناس جميعا : لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين ، (وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي) حقّ القول عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار : ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا فى الدنيا ، (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) يقول : إنا تركناكم اليوم فى النار . وقوله (وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ) يقول : يقال لهم أيضا : ذوقوا عذابا تخلدون فيه إلى غير نهاية (بِمَا كُنْتُمْ) فى الدنيا (تَعْمَلُونَ) من معاصى الله .
وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ) قال : نسوا من كلّ خير ، وأما الشرّ فلم ينسوا منه .
حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) يقول : تركناكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا (خرّوا) لله (سجدا) لوجوههم ، تذلّلا له ، واستكانة لعظمته ، وإقرارا له بالعبودية (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول : وسبحوا الله فى سجودهم بحمده ، فيبرءونه مما يصفه أهل الكفر به ، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد (وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح ، لا يستنكفون عن التذلّل له والاستكانة . وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة ، ذُكر ذلك عن حجاج ، عن ابن جُرَيج .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : تتنحّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ، الذين وصفت صفتهم ، وترتفع من مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ، ولا ينامون (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) فى عفوه عنهم ،

وتفضّله عليهم برحمته ومغفرته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فى سبيل الله ، ويؤدّون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه . وتتجافى : تتفاعل من الجفاء ؛ والجفاء : النبو ، كما قال الراجز :

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ وَابْنُ مِلاطٍ مُتَجافٍ أَرْفَقُ[1]

يعنى : أن كرمها سجية عن ابن ملاط ، وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة .

واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جلّ ثناؤه ، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع ، فقال بعضهم : هى الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقال : نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبى عروبة ، قال : قال قتادة ، قال أنس ، فى قوله (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) قال : كانوا يتنفّلون فيما بين المغرب والعشاء ، وكذلك تتجافى جنوبهم .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، فى قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : يصلون ما بين هاتين الصلاتين .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : مابين المغرب والعشاء .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، قال : ثنا الحارث بن وجيه الراسبى ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : كانوا يتطوّعون فيما بين المغرب والعشاء .

---

(١) البيتان للزفيان (انظرهما فى الملحق بديوان العجاج ١٠٠) . والهباب : النشاط والإسراع فى السير . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة ، وأنشد أبو عبيدة قول الزفيان :

وَمَنْهَلٍ طامٍ عَلَيْهِ الغَلْفَقُ يُنِيرُ أَوْ يُسْدِي بِهِ الخَوَرْنَقُ
وَرَدْتُهُ واللَّيْلُ داجٍ أَبْلَقُ وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبابٍ دَمْشَقُ
* كأنها بَعْدَ الكَلالِ زَوْرَقُ *

ولم يذكر البيت الثانى ، وهو محل الشاهد عند المؤلف . وفى (اللسان : ملط) قال النضر : الملاطان : ما عن يمين الكركرة وشمالها . وابنا ملاطى البعير : هما العضدان ، وقيل كتفاه ، وابنا ملاط : العضدان والكتفان . الواحد : ابن ملاط . وقال ابن السكيت : ابنا ملاط : العضدان . والمتجافى : البائن عن جنبها ، وذلك أقوى لسيرها . والأرفق : المنفتل المرفق عن الجنب ، وهو أرفق ، وناقة رفقاء . اهـ . وقال الأزهرى : الذى حفظه بهذا المعنى : ناقة دفقاء ، وجمل أدفق ، إذا انفتق مرفقه عن جنبه . وفى (اللسان : دفق) ورجل أدفق : إذا انحنى صلبه من كبر أوغم . وأنشد المفضل « وابن ملاط متجاف أدفق » اهـ وأنشد أبو عبيدة البيتين فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ا) ولم ينسبه ، ثم قال : أدفق (بالدال) أى متنح عن كركرتها ، اهـ .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أنس (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ) قال : ما بين المغرب والعشاء.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَتَجافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضاجِعِ) قال : كانوا يتنفّلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء .

وقال آخرون : عنى بها صلاة المغرب [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن طلحة ، عن عطاء (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ) قال : عن العتمة .

وذُكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال يحيى بن صَيْفى ، عن أبى سلمة ، قال : العتمة .

وقال آخرون : لانتظار صلاة العتمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية (تَتَجافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضاجِعِ) نزلت فى انتظار الصلا التى تدعى العتمة .

وقال آخرون : عنى بها قيام الليل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (تَتَجافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضاجِعِ) قال : قيام الليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَتَجافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضاجِعِ) قال : هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ) يقومون يصلون من الليل .

وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لاتخلو ألسنتهم من ذكر الله .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) وهم قوم لايزالون يذكرون الله : إما فى صلاة ، وإما قياما ، وإما قعودا ، وإما إذا استيقظوا من منامهم ، هم قوم لايزالون يذكرون الله .

---

(١) لعله صلاة العتمة ، يعنى العشاء ، كما تفيده الآثار بعد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : تتجافى لذكر الله ، كلما استيقظوا ذكروا الله ، إما في الصلاة ، وإما في قيام ، أو في قعود ، أو على جنوبهم ؛ فهم لايزالون يذكرون الله .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم ، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا ، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك ، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبيّ الله صلى الله عليه وسلم :

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ إذا اسْتَثْقَلَتْ بالمُشْرِكِينَ المَضاجِعُ[1]

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتادون حال ووقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته . وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء ، أو انتظر العشاء الآخرة ، أو قام الليل أو بعضه ، أو ذكر الله في ساعات الليل ، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله ، أو قاعدا بعد أن لايكون مضطجعا ، وهو على القيام أو القعود قادر ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن توجيه الكلام إلى أنه معنيّ به قيام الليل أعجب إليّ ، لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن الزبير يحدّث عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أدلُّكَ عَلَى أبْوَابِ الخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ ، وَقِيامُ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ (وتلا هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سليمان ، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لي رسول الله صلى الله

(١) البيت لعبد الله بن رواحة الأنصاري أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم . ويجافي : يباعد . واستثقلت : ثقلت . والمضاجع : جمع مضجع ، وهو الفراش ينام فيه أو موضعه . والبيت شاهد ثان على التجافي في قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » : معناه : تبعد . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٩٥ - ب) أي ترتفع عنها وتتنحى ، لأنهم يصلون بالليل . اهـ .

عليه وسلم : « إنْ شئْتَ أنبأتُكَ بأبْوابِ الخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ ، وقِيامُ الرَّجُلِ فى جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ)

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن حماد بن سلمة ، قال : ثنا عاصم بن أبى النجود ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ) قال : قِيامُ العَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ » .

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال : ثنى أبى ، قال : ثنى زياد بن خيثمة ، عن أبى يحيى بائع القتّ ، عن مجاهد ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه ، فقال (تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ) .

وأما قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) . . . الآية ، فإن بنحو الذى قلنا [١] فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) قال : خوفا من عذاب الله ، وطمعا فى رحمة الله ، ومما رزقناهم ينفقون فى طاعة الله ، وفى سبيله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلا تعلم نفسٌ ذى نفسٍ ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هاتين الآيتين ، مما تقرّ به أعينهم فى جنانه يوم القيامة (جَزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ثوابا لهم على أعمالهم التى كانوا فى الدنيا يعملون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة [٢] ، قال : قال عبدالله : إن فى التوراة مكتوبا : لقد أعدّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وما لم يسمعه ملك مقرّب . قال : ونحن نقرؤها (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عُبيدة بن ربيعة ، عن ابن مسعود ، قال : مكتوب فى التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع

(١) انظر تفسير المؤلف للآية فى صدر الكلام عليها ص ٩٩ .

(٢) عبيدة بن ربيعة بضم العين . وقيل هو عبيد بفتحها وبلا هاء . وهو الذى يروى عنه أبو إسحاق كما فى الخلاصة ، وفى الأصل أبى عبيدة . ولعل « أبى » زيادة من الناسخ .

ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فى القرآن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : خبئ لهم ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. قال سفيان : فيما علمت على غير وجه الشكّ .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق قال : سمعت أبا عبيدة ، قال : قال عبد الله ، قال : يعنى الله : « أعددت لعبادى الصالحين مالم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب ناظر (لا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن صلت ، عن قيس بن الربيع ، عن أبى إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة الحارثى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن فى التوراة : للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ، ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وإنه لفى القرآن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن ابن أبجر ، قال : سمعت الشعبىّ يقول سمعت المغيرة ابن شعبة يقول على المنبر : إن موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا ، فقيل له : رجل يؤتى به وقد دخل أهل الجنة الجنة ، قال : فيقال له : ادخل ، فيقول : أين وقد أخذ الناس أخذاتهم ؟ فيقال : اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا ، فيكون لك مثل الذى كان لهم ، ولك أخرى شهوة نفسك ، فيقول : أشتهى كذا وكذا ، وأشتهى كذا ، ويقال : لك أخرى ، لك لذّة عينك ، فيقول : ألذّ كذا وكذا ، فيقال : لك عشرة أضعاف مثل ذلك ، وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا ، فقال : ذاك شىء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض . قال الشعبى : فإنها فى القرآن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحميدى ، قال : ثنا ابن عُيينة ؛ وحدثنى به القرقسانى ، عن ابن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، وابن أبجر ، سمعنا الشعبىّ يقول : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مُوسَى سأَلَ رَبَّهُ : أىْ رَبِّ ؛ أىُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً ؟ قال : رَجُلٌ يَجِىءُ بَعْدَ ما دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقالُ لَهُ ادْخُلْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنازِلَهُمْ ؟ فَيُقالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ ما كانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيا ، فَيَقُولُ : بَخٍ أىْ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ ، فَيُقالُ لَهُ : إنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ . فَيَقُولُ : رَضِيتُ أىْ رَبِّ رَضِيتُ . فَيُقالُ لَهُ : إنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةُ أَمْثالِهِ مَعَهُ ، فَيَقُولُ رَضِيتُ أىْ رَبِّ ، فَيُقالُ لَهُ : فإنَّ لَكَ مَعَ هَذَا ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ؛ قالَ : فَقالَ مُوسَى : أىْ رَبِّ ، وأىُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً ؛ قالَ إيَّاها أَرَدْتُ ، وسأُحَدِّثُكَ

عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ . قالَ : وَمِصْدَاق ذلكَ فِي كِتابِ اللهِ (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا محمد بن منصور الطوسيّ ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قَيْس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس، في قوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) وكان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة ؛ قال : ومن دونهما جنتان ؛ قال : وهى التى لاتعلم نفس ، أو قال : هما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين، جزاء بما كانوا يعملون . قال : وهى التى لاتعلم الخلائق مافيها ، أوما فيهما ، يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَيْر ، بنحوه .

حدثنا سهل بن موسى الرازيّ ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبي اليمان الهَوْزَنيّ أو غيره ، قال : « الجنة مئة درجة ، أوّلها درجة فضة، أرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيتها فضة ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها لؤلؤ ، وآنيتها لؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عينٌ رأته ، ولا أذن سمعته ، ولا خطر على قلب بشر ، وتلا هذه الآية (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قالَ اللهُ أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ ، قالَ اللهُ (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو معاوية وابن نمير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ، ما لا عَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ) قال أبو هريرة : ومن بله ما أطلعكم عليه ، اقرءوا إن شئتم (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) قال أبو هريرة : نقرؤها : (قُرَّاتِ أعْيُنٍ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين ، قال : (يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْدِ وَسَيِّئاتِهِ ، فَيَنْقُصُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ ، قال : فدخلت على يزداد ، فحدّث بمثل هذا ؛ قال : قلت : فأين ذهبت الحسنة ؟ قال :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ، قلت : قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : العبد يعمل سرّا أسرّه إلى الله لم يعلم به الناس ، فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا سلام بن أبي مطيع ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى عن ربه ، قال : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

حدثني أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني أبو صخر ، أن أبا حازم حدثه ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : « فيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ثم قرأ هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . . . إلى قوله (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ») .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عن ربه ، « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : أخفوا عملا في الدنيا ، فأثابهم الله بأعمالهم .

حدثني القاسم بن بشر ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، قال حماد : أحسبه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمْ وَلَا يَبْؤُسْ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين (أُخْفِيَ) بضم الألف وفتح الياء بمعنى فُعِل . وقرأ بعض الكوفيين (أُخْفِي لَهُمْ) بضم الألف وإرسال الياء ، بمعنى أفعل ، أخفي لهم أنا .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، لأن الله إذا أخفاه فهو مخفي ، وإذا أخفي فليس له مخف غيره ، و « ما » في قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ) فإنها إذا جعلت بمعني الذي كانت نصبا بوقوع تعلم عليها كيف قرأ القارئ أخفي ، وإذا وجهت إلى معنى أيّ كانت

رفعا إذا قرئ أخفى بنصب الياء وضم الألف ، لأنه لم يسمّ فاعله ، وإذا قرئ أُخْفِي بإرسال الياء كانت نصبا بوقوع أخفى عليها .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠ ﴾

يقول تعالى ذكره : أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده ، المخالف أمر الله ونهيه ، كهذا المؤمن بالله ، المصدّق بوعده ووعيده ، المطيع له فى أمره ونهيه ، كلا لايستوون عند الله : يقول : لايعتدل الكفّار بالله ، والمؤمنون به عنده ، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة . وقال (لايَسْتَوُونَ) ، فجمع ، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين : مؤمنا ، وفاسقا ، لأنه لم يرد بالمؤمن : مؤمنا واحدا ، وبالفاسق : فاسقا واحدا ، وإنما أريد به جميع الفسّاق ، وجميع المؤمنين بالله . فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ، ذهبت بهما العرب مذهب الجمع .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى علىّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، والوليد بن عُقبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت بالمدينة ، فى علىّ بن أبى طالب ، ووالوليد بن عقبة بن أبى معيط ، كان بين الوليد وبين علىّ كلام ، فقال الوليد بن عقبة : أنا أبسط منك لسانا ، وأحدّ منك سنانا ، وأرد منك للكتيبة ، فقال علىّ : اسكت ، فإنك فاسق ، فأنزل الله فيهما (أفَمَنْ كانَ مُؤْمِنا كَمَنْ كانَ فاسِقا لايَسْتَوُونَ) ... إلى قوله (بِهِ تُكَذّبُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفَمَنْ كانَ مُؤْمِنا كَمَنْ كانَ فاسِقا لايَسْتَوُونَ) قال : لا والله ما استووا فى الدنيا ، ولا عند الموت ، ولا فى الآخرة .

وقوله (أمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى) يقول تعالى ذكره : أما الذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله ، فلهم جنات المأوى : يعنى بساتين المساكن التى يسكنونها فى الآخرة ويأوون إليها . وقوله (نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : بما نزلا أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعته . وقوله (وأمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) يقول تعالى ذكره : وأما الذين كفروا بالله ، وفارقوا طاعته (فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) يقول : فمساكنهم التى يأوون إليها فى الآخرة النار (كُلَّما أرَادُوا

أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُم بِهِ) فى الدنيا (تُكَذِّبُونَ) أن الله أعدّها لأهل الشرك به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) أشركوا (وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) والقوم مكذّبون كما ترون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأدنى ، الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة ، فقال بعضهم : ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى) يقول : مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلى الله بها العباد حتّى يتوبوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : العذاب الأدنى : بلاء الدنيا ، قيل : هى المصائب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن ابن أبى ليلى ، عن أُبَىّ بن كعب (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى) قال : المصيبات فى الدنيا . قال : والدخان قد مضى ، والبطشة واللزام .

قال أبو موسى : ترك يحيى بن سعيد ، يحيى بن الجزار ، نقصان رجل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبى ليلى ، عن أُبَىّ بن كعب ، أنه قال : فى هذه الآية (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ) قال : مصيبات الدنيا ، واللزوم والبطشة ، أو الدخان ؛ شكّ شعبة فى البطشة أو الدخان .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن يحيى بن الجزّار ، عن ابن أبى ليلى ، عن أُبَىّ بن كعب ، بنحوه ، إلا أنه قال : المصيبات واللزوم والبطشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ،

عن يحيى بن الجزّار ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أُبيّ بن كعب ، قال : المصيبات يصابون بها في الدنيا : البطشة ، والدخان ، واللزوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) قال : المصائب في الدنيا .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : المصيبات في دنياهم وأموالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثه ، عن الحسن ، قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) : أى مصيبات الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) قال : أشياء يُصابون بها في الدنيا .

وقال آخرون : عنى بها الحدود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : الحدود .

وقال آخرون : عنى بها القتل بالسيف ، قال : وقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السديّ ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السديّ ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف عمن حدثه ، عن الحسن بن عليّ ؛ أنه قال (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : القتل بالسيف صبرا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : القتل بالسيف ، كلّ شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنما هو السيف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : القتل والجوع لقريش فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مجاهد يحدّث عن أُبيّ بن كعب أنه كان يقول (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم بدر .

وقال آخرون : عنى بذلك سنون أصابتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : سنون أصابتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

وقال آخرون : عنى بذلك : عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : الأدنى فى القبور وعذاب الدنيا .

وقال آخرون : ذلك عذاب الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى) قال : العذاب الأدنى : عذاب الدنيا .

وأولى الأقوال فى ذلك أن يقال : إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده فى الدنيا العذاب الأدنى ، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر ، والعذاب : هو ما كان فى الدنيا من بلاء أصابهم ، إما شدّة من مجاعة ، أو قتل ، أو مصائب يصابون بها ، فكل ذلك من العذاب الأدنى ، ولم يخصص الله تعالى ذكره ، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع ، وقد عذّبهم بكل ذلك فى الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب فى الأموال ، فأوفى لهم بما وعدهم .

وقوله (دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) يقول : قبل العذاب الأكبر ، وذلك عذاب يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم القيامة في الآخرة .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (دونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) يوم القيامة حدّث به قتادة ، عن الحسن :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ) قال : العذاب الأكبر : عذاب الآخرة .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : كى يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا :أبى ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع ، عن أبى العالية (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعونَ) قال : يتوبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : أى يتوبون .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأىّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه ، وآى كتابه ورسله ، ثم أعرض عن ذلك كله ، فلم يتعظ بمواعظه ، ولكنه استكبر عنها .

وقوله (إِنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) يقول : إنا من الذين اكتسبوا الآثام ، واجترحوا السيئات منتقمون .

وكان بعضهم يقول : عنى بالمجرمين فى هذا الموضع : أهل القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن مروان ابن سفيح ، عن يزيد بن رفيع ، قال : إن قول الله فى القرآن (إِنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) هم أصحاب القدر ، ثم قرأ (إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ) . . . إلى قوله (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن ابن سفيح ، عن يزيد

ابن رفيع بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات (إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وسُعُرٍ) . . . إلى آخر الآيات .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به عمران بن بكار الكلاعى ، قال : ثنا محمد بن المبارك ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبيد الله ، عن عبادة بن نسىّ ، عن جنادة بن أبى أُمَيَّة ، عن معاذ بن جبل ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أَجْرَمَ : مَنِ اعْتَقَدَ لِوَاءً فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدْ أَجْرَمَ : يَقُولُ اللهُ (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

* يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، كما آتيناك الفرقان يا محمد (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ) يقول : فلا تكن فى شكّ من لقائه ، فكان قتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن فى شكّ من أنك لقيته ، أو تلقاه ليلة أُسرى بك ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية الرياحى ، قال : حدثنا ابن عمّ نبيكم ، يعنى ابن عباس ، قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْداً ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، ورأيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبَيَاضِ ، سَبِطَ الرأسِ ، ورأيْتُ مالِكا خازِنَ النَّارِ ، والدَّجَّالَ فى آياتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إيَّاهُ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ أنه قد رأى موسى ، ولقى موسى ليلة أُسرى به » .

وقوله (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا موسى هدى لبنى إسرائيل ، يعنى : رشادا لهم يرشدون باتباعه ، ويصيبون الحقّ بالاقتداء به ، والائتمام بقوله .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) قال جعل الله موسى هدى لبنى إسرائيل .

وقوله (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بنى إسرائيل أئمة ، وهى جمع إمام ، والإمام الذى يؤتمّ به فى خير أو شرّ ، وأريد بذلك فى هذا الموضع أنه جعل منهم قادة فى الخير ، يؤتمّ بهم ويُهتَدى بهديهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا) قال : روساء فى الخير . وقوله (يَهْدُونَ بِأَمْرِنا) يقول تعالى ذكره : يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك ، وتقويتنا إياهم عليه .

وقوله (لَمَّا صَبَرُوا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (لَمَّا صَبَرُوا) بفتح اللام وتشديد الميم ، بمعنى : إذ صبروا ، وحين صبروا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم ، بمعنى : لصبرهم عن الدنيا وشهواتها ، واجتهادهم فى طاعتنا ، والعمل بأمرنا . وذُكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (بِمَا صَبَرُوا)) وما إذا كسرت اللام من (لِمَا) فى موضع خفض ، وإذا فتحت اللام وشدّدت الميم ، فلا موضع لها ، لأنها حينئذ أداة .

والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القرّاء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام إذا قُرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم ، وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم باذننا إياهم ، وتقويتنا إياهم على الهداية ، إذ صبروا على طاعتنا ، وعزفوا أنفسهم عن لذّات الدنيا وشهواتى . وإذا قُرئ بكسر اللام [1] على ما قد وصفنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : قال أبى ، سمعنا فى (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا) قال : عن الدنيا .

وقوله (وكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ) يقول : وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا ، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحقّ ؛ وإيمان برسلنا ، وآيات كتابنا وتنزيلنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب ، وغير ذلك من أسباب دينهم ، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بايجابه لأهل الحقّ الجنة ، ولأهل الباطل النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم ؟

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أَوَلَمْ يَهْدِ

(١) لعله فيكون على الخ .

لَهُمْ) يقول : أولم يبين لهم ، وعلى القراءة بالياء فى ذلك قرّاء الأمصار ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء ، بمعنى : أولم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم ، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا ، فيتعظوا وينزجروا . وقوله (كَمْ) إذا قُرِئَ (يهْدِ) بالياء ، فى موضع رفع بيهد . وأما إذا قرئ ذلك بالنون (أَوَلَمْ نَهْدِ) فإن موضع « كم » وما بعدها نصب . وقوله (يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ) يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون فى بلادهم وأرضهم ، كعاد وثمود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ) عاد وثمود وأنهم إليهم لا يُرجعون .

وقوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول تعالى ذكره : إن فى خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها بإهلاكنا إياهم لما كذّبوا رسلنا ، وجحدوا بآياتنا ، وعبدوا من دون الله آلهة غيره التى يمرّون بها فيعاينونها ، لآيات لهم وعظات يتعظون بها ، لو كانوا أولى حجا وعقول ، يقول الله (أَفَلَا يَسْمَعُونَ ؟) عظات الله وتذكيره إياهم آياته ، وتعريفهم مواضع حججه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء ، أنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها ، وأصله من قولهم : ناقة جرز : إذا كانت تأكل كلّ شىء ، وكذلك الأرض الجروز : التى لا يبقى على ظهرها شىء إلا أفسدته ، نظير أكل الناقة الجراز كلّ ما وجدته ، ومنه قولهم للإنسان الأكول : جَرُوز ، كما قال الراجز :

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا . . . . (١)

(١) هذا جزء من بيت من مشطور الرجز ، أورده الشوكانى فى تفسيره المسمى فتح القدير (٤ : ٢٤٩) طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده » . وهاك البيت بتمامه مع ما يليه :

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَكَى وَيَأْكُلُ التَّمْرَ وَلَا يُلْقِى النَّوَى

وهو شاهد عند تفسير قوله تعالى : « أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - أ) الأرض الجرز : أى اليابسة الغليظة التى لم يصبها مطر . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٥٣) : الجرز التى لا نبات فيها . ويقال للناقة إنها لجراز : إذا كانت تأكل كل شىء ، وللإنسان : إنه لجروز : إذا كان أكولا . وسيف جراز : إذا كان لا يبقى شيئا إلا قطعه .

ومنه قيل للسيف إذا كان لايبقى شيئا إلا قطعه سيف جراز ، . فيه لغات أربع : أرض جُرُز ، وجَرْز ، وجِرز وجُرْز ، والفتح لبنى تميم فيا بلغنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس (الأَرْضِ الجُرُزِ) أرض باليمن .

حدثنا بن بشار ، قل : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : أرض باليمن .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبدالله بن المبارك عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) قال : أبين[1] ونحوها .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قل : ثنا عبد الرزاق بن عمر ، عن ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ونحوها من الأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس ، فى قوله (إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) قال : الجرز : التى لا تُمْطر إلا مطرا لايغنى عنها شيئا ، إلا ما يأتيها من السيول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) ليس فيها نبت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) المغبرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال بن زيد ، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ) قال : الأرض الجرز : التى ليس فيها شىء ، ليس فيها نبات ، وفى قوله (صَعِيداً جُرُزًا) قال ليس عليها شىء وليس فيها نبات ولاشىء (فنخرجُ به زرعاً تأكلُ منهُ أنعامهُمْ وأنفسُهُمْ) يقول تعالى ذكره ، فنخرج بذلك الماء الذى نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعا خضرا تأكل منه مواشيهم ، وتغذّى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به (أفَلا يُبْصِرُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا يرون ذلك بأعينهم ، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التى بها فعلت ذلك لايتعذّر علىّ أن أحيى بها الأموات وأُنشرهم من قبورهم ، وأعيدهم بهيئاتهم التى كانوا بها قبل وفاتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(١) إبين بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء ، و ياء مفتوحة : اسم رجل كان فى الزمان القديم ، ويقال : ذو أبين ، وهو الذى ينسب إليه عدن إبين من بلاد اليمن . فلعل راوى الأثر يريد هذا الموضع . (انظر البكرى فى المعجم) .

❁ يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُونَ) هؤلاء المشركون بالله يامحمد لك (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) واختلف فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم ، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال : قال أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم إنّ لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه ، فقال المشركون (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : فتح مكة .

❁ والصواب من القول فى ذلك قول من قال : معناه : ويقولون متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم ، يعنون العذاب ، يدلّ على أن ذلك معناه قوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) ولا شكّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده ، ولو كان معنى قوله (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) على ماقاله من قال : يعنى به : فتح مكة ، لكان لاتوبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله فمعلوم بذلك صحة ماقلنا من التأويل ، وفساد ماخالفه . وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يعنى : إن كنتم صادقين فى الذى تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وعبادتنا الآلهة والأوثان .

وقوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهم يوم الحكم ، ومجىء العذاب : لاينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذى يحدثونه فى ذلك الوقت .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ) قال : يوم الفتح اذا جاء العذاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ الْفَتْحِ) يوم القيامة ، ونصب اليوم فى قوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) ردّا على متى ، وذلك أن « متى » فى موضع نصب . ومعنى الكلام : أى حينٍ هذا الفتح إن كنتم صادقين ، ثم قيل يوم كذا ، وبه قرأ القرّاء .

وقوله (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يقول : ولاهم يؤخرون للتوبة والمراجعة . وقوله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعرض يامحمد عن هؤلاء المشركين بالله ، القائلين لك : متى هذا الفتح ، المستعجليك بالعذاب ، وانتظر ما الله صانع بهم ، إنهم منتظرون ماتعدهم من العذاب ومجىء الساعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) يعنى يوم القيامة .

آخر تفسير سورة السجدة ، ولله الحمد والمنة

(٣٣) سورة الأحزاب مدنية
وآياتها ثلاث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أَيُّها النَّبِيّ اتَّقِ اللهَ) بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده (وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ) الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك (وَالمُنافِقِينَ) الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لايألونك وأصحابك ودينك خبالا، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحا بهم، فإنهم لك أعداء (إنَّ اللهَ كانَ عَلِيما حَكِيما) يقول: إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذى يقصدون فى إظهارهم لك النصيحة، مع الذى ينطوون لك عليه، حكيم فى تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه (وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) يقول: واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وآى كتابه (إنَّ اللهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) يقول: إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا: أى ذا خبرة، لايخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) قال هل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى هذا القرآن (إنَّ اللهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا).

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾

يقول تعالى ذكره: وفوّض إلى الله أمرك يامحمد، وثق به (وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً) يقول: وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا، وحفيظا بك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ

أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾

❊ اختلف أهل التأويل فى المراد من قول الله (ماجَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) فقال بعضهم : عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، وصفوا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذوقلبين ، فنفى الله ذلك عن نبيه ، وكذّبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا حفص بن نفيل ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، عن قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه ، قال : قلنا لابن عباس : أرأيت قول الله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى ، فخطر خطرة [1] فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم ، فأنزل الله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فى جَوْفِهِ) .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : رجل من قريش كان يُدعى ذا القلبين من دهيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) قال :كان رجل من قريش يسمى من دهيه [2] ذا القلبين ، فأنزل الله هذا فى شأنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قا : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) قال : إن رجلا من بنى فهر ، قال : إن فى جوفى قلبين ، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد « وكذب » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال :ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) قال قتادة : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين ، وأنزل الله فيه ما تسمعون .

قال قتادة : وكان الحسن يقول : كان رجل يقول لى : نفس تأمرنى ، ونفس تنهانى ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال : كان رجل يسمى ذا القلبين ، فنزلت (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) .

---

(١) خطر خطرة : سها سهوة .   (٢) الدهو والدهى والدهاء : العقل .

وقال آخرون : بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبنّاه ، فضرب الله بذلك مثلا ؛

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، فى قوله (ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) قال : بلغنا أن ذلك كان فى زيد بن حارثة ؛ ضرب الله له مثلا يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل فى جوفه قلبان يعقل بهما ، على النحو الذى رُوى عن ابن عباس ، وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وأن يكون تكذيبا لمن سمى القرشىّ الذى ذُكر أنه سمى ذا القلبين من دهيه ، وأىّ الأمرين كان فهو نفى من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة .

وقوله (وَما جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائى تقولون لهنّ : أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم ، بل جعل ذلك من قيلكم كذبا ، وألزمكم عقوبة لكم كفّارة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ) : أى ماجعلها أمك ؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته ، فإن الله لم يجعلها أمه ، ولكن جعل فيها الكفّارة .

وقوله (وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ) يقول : ولم يجعل الله من ادّعيت أنه ابنك ، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك .

وذُكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ) قال : نزلت هذه الآية فى زيد بن حارثة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ) قال : كان زيد بن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه ، يقال له : زيد بن محمد كان تبنّاه ، فقال الله (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) قال : وهو يذكر الأزواج والأخت ، فأخبره أن الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم ، ولا أدعياءكم أبناءكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَاجَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) وما جعل دعيّك ابنك ، يقول : إذا ادّعى رجل رجلا وليس بابنه (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) . . . الآية ، وذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول : « من ادّعى إلى غير أبيه مُتَعَمِّدًا ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن عامر ، قال : ليس فى الأدعياء زيد ، وقوله(ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته : أنت علىّ كظهر أمى ، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه ، إنما هو قولكم بأفواهكم لاحقيقة له ، لايثبت بهذه الدعوى نسب الذى ادّعيت بنوّته ، ولا تصير الزوجة أمًّا بقول الرجل لها : أنت علىّ كظهر أمى (وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ) يقول : والله هو الصادق الذى يقول الحقّ ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه ، وبه تكون المرأة للمولود ، أمًّا إذا حكم بذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) يقول تعالى ذكره : والله يبين لعباده سبيل الحقّ ، ويرشدهم لطريق الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞

✿ يقول الله تعالى ذكره : انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ، ولا تدعه زيدا بن محمد . وقوله (هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله ، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبنّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) : أى أعدل عند الله ، وقوله (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) يقول تعالى ذكره : فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم إليهم ، ولم تعرفوهم ، فتلحقوهم بهم ، فإخوانكم فى الدين : يقول : فهم إخوانكم فى الدين ، إن كانوا من أهل ملّتكم ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) :

أى أعدل عند الله (فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عُيينة بن عبدالرحمن ، عن أبيه ، قال : قال أبو بكرة : قال الله (ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ، فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) فأنا ممن لايُعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم فى الدين ، قال : قال أبى : والله إنى لأظنه لو علم أن أباه كان حمَّارا لانتمى إليه .

وقوله (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطَأْتُمْ بِهِ) يقول : ولا حرج عليكم ولا وزر فى خطأ يكون منكم فى نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه ، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه ، وهو ابن لغيره (وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) يقول : ولكن الإثم والحرج عليكم فى نسبتكموه إلى غير أبيه ، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطَأْتُمْ بِهِ) يقول : إذا دعوت الرجل لغير أبيه ، وأنت ترى أنه كذلك (وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) يقول الله : لاتدعه لغير أبيه متعمدا . أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ((وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) قال : فالعمد ما أتى بعد البيان والنهى فى هذا وغيره ، و « ما » التى فى قوله (وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) خفض ردًّا على « ما » التى فى قوله (فِيما أخْطَأْتُمْ بِهِ) وذلك أن معنى الكلام : ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن فيما تعمدت قلوبكم .

وقوله (وَكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيما) يقول الله تعالى ذكره : وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول ، وذنب من ادّعى ولد غيره ابنا له ، إذا تابا وراجعا أمر الله ، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : النبيّ محمد أولى بالمؤمنين ، يقول : أحقّ بالمؤمنين به من أنفسهم ، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم ، فيجوز ذلك عليهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) كما أنت أولى بعبدك ماقضي فيهم من أمر جاز ، كما كلما قضيت على عبدك جاز .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (النَّبِيُّ أولى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) قال : هو أب لهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وأنا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) وأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كانُوا ، وَإنْ تَرَكَ دَيْنًا أوْ ضَياعاً فَلْيَأْتِنِي وأنا مَوْلاهُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن عليّ ، عن أبي موسى إسرائيل بن موسى ، قال : قرأ الحسن هذه الآية (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) قال : قال الحسن : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم « أنا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ » قال الحسن : وفي القراءة الأولى (أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال في بعض القراءة (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَرَكَ ضياعا فأنا أَوْلَى بِهِ ، وَإنْ تَرَكَ مالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ » .

وقوله (وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) يقول : وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم ، في أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته ، كما يحرمُ عليهم نكاح أمهاتهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) يعظّم بذلك حقهنّ ، وفي بعض القراءة (وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) محرّمات عليهم .

وقوله (وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهاجِرِينَ) يقول تعالى ذكره : وأولوا الأرحام الذين وَرَّثْتُ بعضهم من بعض ، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا ، بالهجرة والإيمان دون الرحم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ) لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابىّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا ، فأنزل الله هذه الآية ، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض ، فصارت المواريث بالملل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد آخى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة ، وكانوا يتوارثون على ذلك ، وقال الله (وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الوالِدانِ والأَقْرَبُونَ والَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ ، فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) قال : إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم ، قال : فكان هذا أوّلا ، فقال الله (إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) يقول : إلا أن تُوصُوا لهم (كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورًا) أنّ أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، قال : وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولى رحم ، حتى يهاجروا إلى المدينة ، وقرأ قال الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا) . . . إلى قوله (وَفَسادٌ كَبِيرٌ) ، فكانوا لا يتوارثون ، حتى إذا كان عام الفتح ، انقطعت الهجرة ، وكثر الإسلام ، وكان لا يُقْبَل من أحد أن يكون على الذى كان عليه النبىّ ومن معه إلا أن يهاجر ؛ قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث : « اغْدُوا عَلَى اسْمِ اللهِ لا تَغُلُّوا وَلا تَوَلَّوْا ، ادْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ ، فإنْ أجابُوكُمْ فاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إلى الهِجْرَةِ ، فإنْ هاجَرُوا مَعَكُمْ ، فَلَهُمْ مالَكُمْ ، وَعَلَيْهِمْ ما عَلَيْكُمْ ، فإنْ أبَوْا وَلَمْ يُهاجِرُوا وَاخْتارُوا دارَهُمْ فَأَقِرُّوهُمْ فِيها ، فَهُمْ كالأعْرابِ تَجْرِى عَلَيْهِمْ أحْكامُ الإسْلامِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الفَيْءِ نَصِيبٌ » . قال : فلما جاء الفتح ، وانقطعت الهجرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ » وكثر الإسلام ، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ، ونسخ ذلك الذى كان بين المؤمنين والمهاجرين ، وكان لهم فى الفىء نصيب ، وإن أقاموا وأبوا ، وكان حقهم فى الإسلام واحد ، المهاجر وغير المهاجر والبدوى وكلّ أحد ، حين جاء الفتح .

فمعنى الكلام على هذا التأويل : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة ، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين : أولى بالميراث ، ممن لم يؤمن ، ولم يهاجر .

وقوله (إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إلا أن توصوا لذوى قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن حجّاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قالوا : يوصى لقرابته من أهل الشرك .

قال : ثنا عبدة ، قال : قرأت على ابن أبي عروبة ، عن قتادة (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قال : للقرابة من أهل الشرك وصية ، ولا ميراث لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قال : إلى أوليائكم من أهل الشرك وصية ، ولا ميراث لهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرى ويحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عكرمة (إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قال : وصية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) فقال : العطاء ، فقلت له : المؤمن للكافر بينهما قرابة ، قال : نعم عطاؤه إياه حباء ووصية له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحقّ الإيمان والهجرة والحلف ، فتؤتونهم حقهم من النصرة و العقل عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) قال : حلفاؤكم الذين والى بينهم النبىّ صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، إمساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا) يقول : إلا أن توصوا لهم .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال : معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار ، معروفا من الوصية لهم ، والنصرة والعقل عنهم ، وما أشبه ذلك ، لأن كلّ ذلك من المعروف الذى قد حثّ الله عليه عباده .

وإنما اخترت هذا القول ، وقلت : هو أولى بالصواب من قيل من قال : عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك ، لأن القريب من المشرك ، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى ، وذلك أن الشرك يقطع ولاية مابين المؤمن والمشرك ، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله (لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَاءَ) وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ، ثم يصفهم جلّ ثناوه بأنهم لهم أولياء . وموضع « أن » من قوله (إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا) نصب على الاستثناء . ومعنى الكلام : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا .

وقوله (كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا) يقول : كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله : أى فى اللوح المحفوظ مسطورا : أى مكتوبا ، كما قال الراجز :

فى الصُّحُفِ الأُولى التى كانَ سَطَرْ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : فى قوله (كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا) : أى أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : كان ذلك فى الكتاب مسطورا : لا يرث المشرك المؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، إذ كتبنا كلّ ماهو كائن فى الكتاب (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) كان ذلك أيضا فى الكتاب مسطورا ، ويعنى بالميثاق : العهد ، وقد بيَّنا ذلك بشواهده فيما مضى قبل (وَمِنْكَ) يامحمد (وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) يقول : وأخذنا من جميعهم عهدا موكدا أن يصدّق بعضهم بعضا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كُنْتُ أَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ فِي الخَلْقِ ، وآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ » ، (وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، وأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) ميثاق أخذه الله على النبيين ، خصوصا أن يصدّق بعضهم بعضا ، وأن يتبع بعضهم بعضا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : كان قتادة إذا تلا هذه الآية

---

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج الراجز ، من أرجوزته المطولة التى مدح بها عمر بن عبد الله بن معمر وقد بعثه عبد الملك لحرب أبى فديك الخارجى ، فانتصر عليه . (ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٩) . والبيت شاهد على أن معنى سطر : كتب والسطر : الخط والكتابة .

(وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى أوّل النبيين فى الخلق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : فى ظهر آدم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَلِيظا) قال : الميثاق الغليظ : العهد .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم ، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة .

وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : المبلغين المؤدّين من الرسل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : المبلغين المؤدّين من الرسل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : الرسل المؤدّين المبلغين .

وقوله (وأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذَابا أَلِيما) يقول : وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) التى أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق (إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ) :

جنود الأحزاب : قُريش ، وغَطفان ، ويهود بنى النضير (فأَرْسَلْنا علَيْهِمْ رِيحًا) وهى فيما ذكر : ريح الصَّبا .

كما حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : قالتَ الجنوبُ للشمال ليلة الأحزاب : انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الشمال : إن الحرّة لاتسرى بالليل ، قال : فكانت الريح التى أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنى الزبير ، يعنى ابن عبد الله ، قال : ثنى ربيح بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، قال : «قلنا يوم الخندق : يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر ، فهل من شىء تقوله ؟ قال : نَعَمْ قُولُوا : اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنا ، وآمِنْ رَوْعاتِنا ، فَضَرَبَ اللهُ وُجُوهَ أعْدائِهِ بالرِّيحِ ، فهَزَمَهُمُ اللهُ بالرِّيحِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عبد الله بن عمرو ، عن نافع ، عن عبد الله ، قال : «أرسلنى خالى عثمان بن مظعون ليلة الخندق فى برد شديد وريح ، إلى المدينة ، فقال : ائتنا بطعام ولحاف قال : فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن لى وقال : مَنْ لَقِيتَ مِنْ أصحَابِى فَمُرْهُمْ يَرْجِعُوا ، قال : فذهبت والرِيح تَسْفِى كل شىء ، فجعلت لاألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : فما يَلْوِى أحد منهم عنقه ؛ قال : وكان معى تُرْس لى ، فكانت الريح تضربه علىّ : وكان فيه حديد ، قال : فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى ، فأنفذها إلى الأرض » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ ، قال : قال فتى من أهل الكوفة لحُذَيفة بن اليمان : يا أباعبد الله ، رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نَجْهَد ، قال الفتى : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ، لحملناه على أعناقنا . قال حُذَيفة : يا بن أخى ، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله هَوِيًّا من الليل[1] ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام أحد ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنا ما فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الرَّجْعَةَ ، أسأَلُ اللهُ أنْ يكُونَ رَفِيقِى فِى الجَنَّةِ ، فما قام رجل من شدّة الخوف ، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دعانى ، فقال : يا حُذَيفَةُ اذْهَبْ فادْخُلْ فِى القَوْمِ فانْظُرْ ما يَفْعَلُونَ ، وَلا تُحْدِثَنَّ شَيْئا حتى تَأْتِيَنا ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لاتُقِرّ لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ؛ فقام أبوسُفيان فقال : يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ، فقال حُذَيفة : فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبى ، فقلت :

(١) هويا ، بهاء مفتوحة أو مضمومة ، وياء مشددة ، وهو الساعة الممتدة من الليل (اللسان : هوى) .

من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ؛ ثم قال أبوسفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، واختلفت بنوقريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ماترون ، والله ما يطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ، لوشئت لقتلته بسهم ؛ قال حُذَيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه ؛ فلما رآنى أدخلنى بين رجليه ، وطرح علىّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) قال : الأحزاب : عيينة بن بدر ، وأبوسفيان ، وقريظة .

وقوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا) قال : ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق ، حتى كفأت قدورهم على أفواهها ، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم . وقوله (وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) قال : الملائكة ولم تقاتل يومئذ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ياأيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) قال : العنى الملائكة ، قال : نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا فخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل أبوسفيان بقريش ومن تبعه من الناس ، حتى نزلوا بعقوة[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عُيينة بن حصن ، أحد بنى بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه ، فقال حيث يقول الله تعالى (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) فبعث الله عليهم الرعب والريح ، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله ، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حىّ يقول : يا بنى فلان هلمّ إلىّ حتى إذا اجتمعوا عنده فقال : النجاء النجاء ، أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) . . . الآية ، قال : كان يوم أبى سفيان يوم الأحزاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، ا فى قول الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)والجنود قريش وغطفان وبنوقريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح : الملائكة :

(١) العقوة : الساحة وما حول الدار . (عن اللسان : عقا) .

وقوله (وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الله بأعمالكم يومئذ ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجَهْد والشدّة ، وثَبَاتهم لعدُوّهم ، وغير ذلك من أعمالهم ، بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء ، يُحصيه عليهم ، ليجزِيَهُمْ عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وكان الله بما تعملون بَصيرا ، إذ جاءتكم جنودُ الأحزاب من فوقِكم ، ومن أسفلَ منكم . وقيل : إن الذين أتَوْهم من أسفل منهم ، أبوسفيان فى قريش ومن معه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ) قال عيينة بن بدر[1] فى أهل نجد ، ومن أسفل منكم ، قال : أبوسفيان . قال : وواجهَتْهم قُرَيظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ذكرت يوم الخندق وقرأت : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) قالت : هو يوم الخندق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلَمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان مولى آل الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، وعمن لا أتهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزُّهرىّ ، وعن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كعب القُرَظىّ ، وعن غيرهم من علمائنا : أنه كان من حديث الخندق ، أن نَفَرا من اليهود ، منهم سلام بن أبى الحُقَيق النَّضرىّ ، وحُيَىّ بن أخطب النَّضرى ، وكِنانة بن الرَّبيع[2] بن أبى الحُقَيق النضرىّ ، وهَوْذَة بن قيس الوائلىّ ، وأبو عمار الوائلىّ ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدِموا مكة على قريش ، فدعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصلَه . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأوّل ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدِيننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقّ منه . قال : فهم الذين أنزل الله فيهم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ

---

(١) نسبه إلى أبيه الأعلى . (٢) فى بعض نسخ السيرة لابن إسحاق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وليس فيه ابن الربيع .

(٣) كذا فى السيرة . (٣ : ٢٢٥) طبعة الحلبى . وفى الأصل : منهم .

والطَّاغُوت ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) . . . إلى قوله (وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ماقالوا ، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك ، واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من اليهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا فيه ، فأجابوهم[1] ، فخرجت قريش وقائدها أبوسفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة ، والحارث ابن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرّة ، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع ؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة[2] فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذرارى والنساء ، فرفعوا فى الآطام ، وخرج عدوّ الله حيى بن أخطب النضرى ، حتى أتى كعب بن أسد القرظىّ ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحيىّ بن أخطب ، أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيىّ : ياكعب افتح لى ، قال : ويحك يا حيىّ ، إنك امرؤ مشئوم ، إنى قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض مابينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا ؛ قال : ويحك افتح لى أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا تخوّفت على جشيشتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ياكعب جئتك بعزّ الدهر ، وببحر طمّ ، جئتك بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى أن لايبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ، فقال له كعب بن أسد : جئتنى والله بذلّ الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، يرعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، فدعنى ومحمدا وما أنا عليه ، فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء ؛ فلم يزل حيىّ بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان عليه ، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، أحد بنى الأشهل ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة بن ديلم أخى بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث

(١) فى السيرة (الحلبى ٣ : ٢٦) : فاجتمعوا معهم فيه ، وسقط منها قوله : فأجابوهم .

(٢) فى السيرة (الحلبى ٣ : ٢٣٠) زغابة ، بزاى مفتوحة ، وغين (وانظر السهيل ٢ : ١٨٩) .

ابن الخزرج ، وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ ، فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس ، فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، ونالوا[١] من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد بن معاذ : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة : أى[٢] كغدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلى الله علنه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين ، وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، حتى ظن المسلمون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لايقدر أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال أوس بن قيظى أحد بنى حارثة ابن الحارث : يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو ، وذلك عن ملإ من رجال قومه ، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا ، وإنها خارجة من المدينة ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمى بالنبل والحصار[٣] » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، قوله (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) فالذين جاءوهم من فوقهم : قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم : قريش وغطفان .

وقوله (وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ) يقول : وحين عدلت الأبصار عن مقرها ، وشخصت طامحة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ) : شخصت .

وقوله (وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ) يقول : نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف ، فبلغت إلى الحناجر .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : (وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ) قال : من الفزع .

وقوله (وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) يقول : وتظنون بالله الظنون الكاذبة ، وذلك كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب ، وأن ما وعده الله من النصر أن لايكون ، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التى ظنها من ظن ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا)

---

(١) فى إحدى نسخ السيرة (الحلبى ٣ : ٢٣٣) : فيما نالوا . . . الخ .

(٢) كذا فى السيرة (الحلبى ٣ : ٢٣٣) . وفى الأصل بدون أى ، (٣) فى بعض المراجع : والحصا . وكتبها بالألف .

قال : ظنونا مختلفة : ظنّ المنافقون أن محمدا وأصحابه يُستأصلون ، وأيقن المؤمنون أن ماوعدهم الله حقّ ، إنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَتَظُنُّونَ بالله الظُّنُونا) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ، وبعض الكوفيين (الظُّنُونا) باثبات الألف ، وكذلك (وأطَعْنا الرَّسُولا - فأضَلُّونا السَّبِيلا) فى الوصل والوقف وكان اعتلال المعتلّ فى ذلك لهم ، أن ذلك فى كل مصاحف المسلمين باثبات الألف فى هذه الأحرف كلها . وكان بعض قرّاء الكوفة يثبت الألف فيهنّ فى الوقف ، ويحذفها فى الوصل اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك فى قوافى الشعر ومصاريعها ، فتلحق الألف فى موضع الفتح للوقوف ، ولا تفعل ذلك فى حشو الأبيات ، فإن هذه الأحرف ، حسُن فيها إثبات الألفات ، لأنهنّ رءوس الآى تمثيلا لها بالقوافى . وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه فى الوقف والوصل ، اعتلالا بأن ذلك غير موجود فى كلام العرب إلا فى قوافى الشعر دون غيرها من كلامهم ، وأنها إنما تفعل ذلك فى القوافى طلبا لإتمام وزن الشعر ، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصحّ الشعر ، وليس ذلك كذلك فى القرآن ، لأنه لاشىء يضطرّهم إلى ذلك فى القرآن ، وقالوا : هنّ مع ذلك فى مصحف عبد الله بغير ألف .

* وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأه بحذف الألف فى الوصل والوقف ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، مع شهرة القراءة بذلك فى قرّاء المصرين : الكوفة ، والبصرة ؛ ثم القراءة باثبات الألف فيهنّ فى حالة الوقف والوصل ، لأن علة من أثبت ذلك فى حال الوقف أنه كذلك فى خطوط مصاحف المسلمين . وإذا كانت العلة فى إثبات الألف فى بعض الأحوال كونه مثبتا فى مصاحف المسلمين ، فالواجب أن تكون القراءة فى كل الأحوال ثابتة ، لأنه مثبت فى مصاحفهم . وغير جائز أن تكون العلة التى توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه فى بعض الأحوال موجودة فى حال أخرى ، والقراءة مختلفة ، ، وليس ذلك لقوافى الشعر بنظير ، لأن قوافى الشعر إنما تلحق فيها الألفات فى مواضع الفتح ، والياء فى مواضع الكسر ، والواو فى مواضع الضمّ طلبا لتتمة الوزن ، وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعرا لاستحالته عن وزنه ، ولا شىء يضطرّ تالى القرآن إلى فعل ذلك فى القرآن .

وقوله (هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ) يقول : عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين ، ومحّص القوم وعرف المؤمن من المنافق .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ) قال : محصوا .

وقوله (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) يقول : وحرّكوا بالفتنة تحريكا شديدا ، وابتلوا وفتنوا .

وقوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : شَكٌّ في الإيمان ، وضعف في اعتقادهم إياه : ما وعدنا الله ورسوله إلا غُرورا ، وذلك فيما ذُكِر قولُ معتِّب بن قُشَير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) يقول : مُعَتِّب بن قُشَير ، إذ قال ما قال يوم الخندق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذْ يَقُولُ المنافقون وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : تكلَّمهم بالنفاق يومئذ ، وتَكَلَّمَ المؤمنون بالحقّ والإيمان ، قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) قال : قال ذلك أُناس من المنافقين : قد كان محمد يعدُنا فتح فارس والروم ، وقد حُصِرنا هاهنا ، حتى مايستطيع أحدُنا أن يبرُز لحاجته ؛ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ صلى الله عليه وسلم : يافلان أرأيت إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ » . فأينَ هذا من هذا ، وأحدُنا لايستطيع أن يخرج يبول من الخوف ؟ (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) . فقال له : كذبت ، لأُخْبِرَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك ، قال : فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فدعاه فقال : ما قلت ؟ فقال : كذبَ علىَّ يا رسول الله ، ما قلت شيئا ، ماخرج هذا من فمى قطّ . قال الله : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) . . . حتى بلغ (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) قال : فهذا قول الله : (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عَثْمة ، قال : ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، قال : « خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذُكِرت الأحزاب ، من أحمر الشيخين[1] ، طرف بنى حارثة ، حتى بلغ المَذَاد ، ثم جعل أربعين ذراعا بين كل عشرة ، فاختلف المهاجرون والأنصار فى سَلْمان الفارسىّ ، وكان رجلا قويًّا ، فقال الأنصار : سَلْمان منا ، وقال المهاجرون : سلمان منا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسَلْمانُ وحُذَيفةُ بن اليمان والنُّعمانُ بن مُقَرِّن المُزَنىّ ، وستةٌ من الأنصار ، فى أربعين ذراعا ، فحفرنا

(١) فى المواهب اللدنية بشرح الزرقانى ٢ : ١٠٢ روى الطبرانى بسند لابأس به عن عمرو بن عوف المزنى ، أنه صلى الله عليه وسلم خط الخندق من أحمر الشيخين . . . وهما أطمان طرف بنى حارثة ، حتى بلغ المذاد . . .

تحت دوبار حتى بلغنا الصَّرَى[١]، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة[٢]، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارْقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لانحبّ أن نجاوز خطَّه. فرقي سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قُبة تركية، فقال: يارسول الله بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق، مَرْوَة، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لانحبّ أن نجاوز خطّك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق، ورَقِينا نحن التسعة على شَفَة الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعْول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صَدَعها، وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، يعني: لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، فصَدَعها وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة، فكسرها، وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، ثم أخذ بيد سَلْمانَ فَرَقي، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يارسول الله، لقد رأيت شيئا مارأيته قطّ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم، فقال: «هَلْ رأيْتُم ما يقُولُ سَلْمانُ؟ قالُوا نعم يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا؟ قد رأيناك تضرب، فيخرج بَرْق كالموج، فرأيناك تكبّر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال «صَدَقْتُمْ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الأُولى، فبَرَقَ الَّذى رأيْتُمْ، أضَاءَ لي مِنْهُ قُصُورُ الحِيرَة وَمَدَائِن كِسْرَى، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، فأخْبَرَني جِبْرَائيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ، فبَرَقَ الَّذى رأيْتُمْ، أضَاءَ لي مِنْهُ قُصُورُ الحُمْرِ مِنْ أرْضِ الرُّومِ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَني جِبْرائيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّالِثَةَ، وبَرَقَ مِنْها الَّذى رأيْتُمْ، أضَاءَتْ لي مِنْها قُصُورُ صَنْعاءَ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَني جِبْرائيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها، فأَبْشِرُوا، يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرُ، وأبْشِرُوا، يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرُ، وأبْشِرُوا يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرُ». فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعود صدق، بأن وعَدَنا النصر بعد الحَصْر، فطَبّقت الأحزاب، فقال المسلمون(هَذا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسولُهُ) . . . الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون.؟ يُحَدّثكم ويمنيكم ويَعِدكم الباطل، يُخْبركم أنه يبصر من يثربَ قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفَرَق، ولا تستطيعون أن تَبْرزُوا؟ وأُنزل القرآن: (وَإذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إلا غُرُورًا).

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ

(١) هكذا جاءت هذه العبارة، ولعلها محرفة. و «دوبار»: لفظة فارسية، معناها: مرتين. وقوله حتى بلغنا: لعلها: حتى إذا بلغنا. (٢) في بعض المراجع: مدورة. والصرى: الماء.

إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لامُقَامَ لَكُمْ) وإذ قال بعضهم : يا أهل يثرب ، ويثرب : اسم أرض ، فيقال : إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية من يثرب . وقوله (لامَقَامَ لَكُمْ فارْجِعُوا) بفتح الميم من مقام . يقول : لامكان لكم ، تقومون فيه ، كما قال الشاعر :

فأَنّي ما وأَيُّكَ كانَ شَرًّا فَقِيدَ إلى المَقامَةِ لا يَرَاها[1]

قوله (فارْجِعُوا) يقول : فارجعوا إلى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه ، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن ذلك من قيل أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد ، بن رومان (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ) . . . إلى (فِرَارًا) يقول : أوس بن قيظى ، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه : والقراءة على فتح الميم من قوله (لامَقَامَ لَكُمْ) بمعنى : لاموضع قيام لكم ، وهى القراءة التى لاأستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها . وذُكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك (لامُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم ، يعنى : لاإقامة لكم .

وقوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) يقول تعالى ذكره : ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإذن بالانصراف عنه إلى منزله ، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ) . . . إلى قوله (إلاّ فِرَارًا) قال : هم بنو حارثة ، قالوا : بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

---

(١) البيت لعباس بن مرداس ، وقد سبق الاستشهاد به فى (٢٠ : ٦٦) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ب) : عند تفسير قوله تعالى « لامقام لكم » : مفتوحة الأولى . ومجازها : لامكان لكم تقومون فيه . ومنه قوله : « فإني ما وأيك كان شرا » . . . البيت .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) قال : نخشى عليها السرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) وإنها مما يلي العدوّ ، وإنا نخاف عليها السرّاق ، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلا يجد بها عدوّا ، قال الله : (إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) يقول: إنما كان قولهم ذلك (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) إنما كان يريدون بذلك الفرار .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا عبيد الله بن حمران ، قال : ثنا عبد السلام بن شدّاد أبوطالوت عن أبيه فى هذه الآية (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) قال : ضائعة ،

وقوله (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) من أقطارها ، يعنى : من جوانبها ونواحيها ، واحدها : قطر ، وفيها لغة أخرى : قُتْر ، وأقتار ؛ ومنه قول الراجز :

إنْ شِئْتَ أنْ تدهن أو تمرا فَوَلِّهِنَّ قُتْرَكَ الأَشَرَّا [١]

وقوله (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ) يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك (لَآتَوْهَا) يقول : لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا . وقوله (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا)يقول : وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا قليلا ، ولأسرعوا إلى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) أى لو دخل عليهم من نواحي المدينة (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ) : أى الشرك (لَآتَوْهَا) يقول : لأعطوها ، (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) يقول : إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) يقول : لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَآتَوْهَا) سئلوا أن يكفروا لكفروا ؛ قال: وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش ، والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا ؛ قال : والفتنة : الكفر ، وهى التى يقول الله (الفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ) أى الكفر يقول : يحملهم الخوف منهم ، وخبث الفتنة التى هم عليها من النفاق على أن يكفروا به .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَآتَوْهَا) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء مكة (لَآتَوْهَا)

(١) البيتان من مشطور الرجز . ولم أقف على قائلهما . والشاهد فيهما فى قوله « قترك » بضم فسكون بمعنى القطر ، وهو الجانب والناحية . قال أبو عبيدة : « من أقطارها » أى من جوانبها ونواحيها . وواحدها . قطر ، وفى « اللسان : قتر » القتر « بضم فسكون » و« القتر) بضمتين : الناحية والجانب . لغة فى القطر . وهى الأقتار . اهـ . وفى (اللسان : قطر) : وفى التنزيل العزيز « من أقطار السموات والأرض » : أقطارها : نواحيها : واحدها قطر ، وكذلك أقتارها ، واحدها قتر . اهـ .

بقصر الألف ، بمعنى جاءوها . وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة (لآتَوْها) بمدّ الألف ، بمعنى : لأعطوها ، لقوله : ثم سئلوا الفتنة ؛ وقالوا : إذا كان سؤال كان إعطاء ، والمدّ أعجب القراءتين إلىّ لما ذكرت ، وإن كانت الأخرى جائزة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ ١٥

يقول تعالى ذكره : ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصراف عنه ، ويقولون إن بيوتنا عورة ، عاهدوا الله من قبل ذلك ، أن لايولوا عدوّهم الأدبار ، إن لقوهم فى مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، فما أوفوا بعهدهم (وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) يقول : فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه .

وذُكر أن ذلك نزل فى بنى حارثة لما كان من فعلهم فى الخندق بعد الذى كان منهم بأُحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لايُوَلُّونَ الأَدْبارَ ، وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) وهم بنو حارثة ، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أُحد مع بنى سلمة حين همّا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله لايعودون لمثلها ، فذكر الله لهم الذى أعطوه من أنفسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ ، لايُوَلُّونَ الأَدْبارَ ، وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) قال : كان ناس غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلنّ ، فساق الله ذلك إليهم حتى كان فى ناحية المدينة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ١٧

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء الذين يستأذنونك فى الانصراف عنك ويقولون : إن بيوتنا عورة (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ) يقول : لأن ذلك ، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال ، كرهتم أو أحببتم (وإذًا لا تُمَتَّعُونَ إلاّ قَلِيلاً)

يقول : وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك فى أعماركم وآجالكم ، بل إنما تمتعون فى هذه الدنيا إلى الوقت الذى كتب لكم ، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ ، وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) وإنما الدنيا كلها قليل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن ربيع بن خيثم (وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) قال : إلى آجالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن ربيع ابن خيثم (وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) قال : مابينهم وبين الأجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبدالرحمن قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خيثم مثله ، إلا أنه قال : ما بينهم وبين آجالهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى رزين ، أنه قال فى هذه الآية (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : ليضحكوا فى الدنيا قليلا ، وليبكوا فى النار كثيرا . وقال فى هذه الآية (وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) قال : إلى آجالهم أحد هذين الحديثين ، رفعه إلى ربيع بن خيثم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن الأعمش ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خيثم (وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) قال : الأجل ، ورفع قوله (تُمَتَّعُونَ) ولم ينصب بإذن للواو التى معها ، وذلك أنه إذا كان قبلها واو ، كان معنى « إذًا » التأخير بعد الفعل ، كأنه قيل : ولو فرّوا لايمتّعون إلا قليلا إذًا ، وقد يُنصب بها أحيانا ، وإن كان معها واو ، لأن الفعل متروك ، فكأنها لأوّل الكلام .

وقوله (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون : إن بيوتنا عورة هربا من القتل : من ذا الذى يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءا فى أنفسكم ، من قتل أو بلاء أو غير ذلك ، أو عافية وسلامة ؟ وهل مايكون بكم فى أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قبَله ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ؟) أى أنه ليس الأمر إلا ما قضيت

وقوله (وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا فى أنفسهم وأموالهم من دون الله وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء فى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدّونهم عنه ، وعن شهود الحرب معه ، نفاقا منهم ، وتخذيلا عن الإسلام وأهله (وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) : أى تعالوا إلينا ، ودعوا محمدا ، فلا تشهدوا معه مشهده ، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه (وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) يقول : ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيرا ، ودفعا عن أنفسهم المؤمنين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ) قال : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبوسفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك .

وقوله (وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) : أى لايشهدون القتال ، يغيبون عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) : أى أهل النفاق (وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) : أى إلا دفعا وتعذيرا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ، وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا يوم الأحزاب ، انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال له : أنت ههنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ؟ فقال : هلمّ إلى هذا ، فقد بلغ بك وبصاحبك ، والذى يحلف به لايستقبلها[1] محمد أبدا ، فقال : كذبت والذى يحلف به ؛ قال : وكان أخاه من أبيه وأمه ، أما والله لأخبرنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم أمرك ؛ قال : وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ؛ قال : فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُون البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) .

(١) كذا فى الأصل ، وفى الدر المنثور للسيوطى : لايستقى لها .

وقوله (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين ، فى هذا الموضع من الشحّ ، فقال بعضهم : وصفهم بالشُّحّ عليهم فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) فى الغنيمة .

وقال آخرون : بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) قال : بالخير ، المنافقون ، وقال غيره : معناه : أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشُّحّ ، ولم يخصص وصفهم من معانى الشحّ ، بمعنى دون معنى ، فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة فى سبيل الله ، على أهل مسكنة المسلمين . ونصب قوله (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) على الحال من ذكر الاسم الذى فى قوله (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) : كأنه قيل : هم جبناء عند البأس ، أشحاء عند قَسْم الغنيمة ، بالغنيمة . وقد يحتمل أن يكون قَطْعا من قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) فيكون تأويله : قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس عن القتال ، ويَشِحُّون عند الفتح بالغنيمة . ويجوز أنْ يكون أيضا قَطْعا من قوله : هلم إلينا أشحة ، وهم هكذا أشحة . ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين ، لما فى أنفسهم لهم من العداوة والضِّغْن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) أى للضِّغْن الذى فى أنفسهم .

وقوله (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) . . . إلى قوله (مِنَ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره : فإذا حضر البأْس ، وجاء القتال ، خافوا الهلاك والقَتْل ، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لِوَاذًا بك ، تَدُور أعينهم ، خوفاً من القتل ، وفرارا منه . (كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) : يقول : كدَوَران عين الذى يُغْشَى عليه من الموت النازل به (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) يقول : فإذا انقطعت الحربُ واطمأنوا (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) من الخوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ، كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) : أى إعظاما وفَرَقا منه .

وأما قوله (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) . فإنه يقول : عَضُّوكم بألسنة ذَرِبة . ويقال للرجل الخطيب الذَّرِب اللسان : خطيب مِسْلَق ومِصْلَق ، وخطيب سَلاّق وصَلاّق .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقون المؤمنين به ، فقال بعضهم : ذلك سَلْقهم إياهم عند الغنيمة ، بمسألتهم القَسْمَ لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) أما عند الغنيمة ، فأشحّ قوم ، وأسوأ مُقاسَمة ، أعطُونا أعطُونا ، فإنا قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحقّ .

وقال آخرون : بل ذلك سَلْقُهُمْ إياهم بالأذَى .

ذكر ذلك عن ابن عباس

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) قال : استقبلوكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) قال : كلموكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يَسْلُقونهم من القول بما تُحبون ، نفاقا منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رُومان (فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) فى القول بما تحبون ، لأنهم لايرجون آخرة ، ولا تَحمِلهم حِسْبَة ، فهم يهابون الموت هيبة من لايرجو ما بعده .

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ) فأخبر أن سَلْقَهُمْ المسلمين شُحًا منهم على الغنيمة والخير ، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك ، أن ذلك لطلب الغنيمة . وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة ، دخل فى ذلك قول من قال : معنى ذلك : سلقوكم بالأذى ، لأن فعلهم ذلك كذلك ، لاشكّ أنه للمؤمنين أذى .

وقوله (أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ) يقول : أشحّة على الغنيمة ، إذا ظفر المؤمنون . وقوله (لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ) : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفتُ لك صفتهم فى هذه الآيات ، لم يصدّقوا الله ورسوله ، ولكنهم أهل كفر ونفاق ، فأحبط الله أعمالهم ، يقول : فأذهب الله أجورَ أعمالهم وأبطلها .

وذُكر أن الذى وُصِفَ بهذه الصفة كان بَدْرِيًّا ، فأحبط الله عمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ) ،

وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسيراً) قال : فحدثنى أبى أنه كان بدريا ، وأن قوله (أحْبَطَ اللهُ أعمالَهُمْ) : أحبط الله عمله يوم بدر .

وقوله (وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسيراً) يقول تعالى ذكره : وكان إحباط عملهم الذى كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب ، وهم قريش وغطفان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) قريش وغطفان .

وقوله (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا ، وإن كانوا قد انصرفوا جبنا وهلعا منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) قال : يحسبونهم قريبا .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا ، فإذا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا وَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فى الأعْرَابِ) .

وقوله (وَإنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فى الأعْرَابِ) يقول تعالى ذكره : وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة : واحدهم حزب (يَوَدُّوا) يقول : يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم فى البادية مع الأعراب خوفا من القتل . وذلك أن قوله (لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فى الأعْرَابِ) تقول : قد بدا فلان إذا صار فى البدو فهو يبدو ، وهو باد ؛ وأما الأعراب : فإنهم جمع أعرابىّ ، وواحد العرب عربىّ ؛ وإنما قيل أعرابىّ لأهل البدو ، فرقا بين أهل البوادى والأمصار ، فجعل الأعراب لأهل البادية ، والعرب لأهل المصر .

وقوله (يَسْألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ) يقول : يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم ، يعنى عن أخباركم بالبادية ، هل هلك محمد وأصحابه ؟ تقول : يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم ، أن لايشهدوا معكم مشاهدكم (وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً) يقول تعالى ذكره للمؤمنين :

ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم ، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا : يقول : إلا تعذيرا ، لأنهم لايقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قا : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ) قال : أخباركم

وقرأت قرّاء الأمصار جميعا سوى عاصم الجحدرى (يَسألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ) بمعنى : يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم ، وذكر عن عاصم الجحدرى أنه كان يقرأ ذلك (يَسَّاءَلُونَ) بتشديد السين ، بمعنى : يتساءلون : أى يسأل بعضهم بعضا عن ذلك .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أُسْوَةٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (إِسْوَةٌ) بكسر الألف ، خلا عاصم بن أبى النجود ، فإنه قرأه بالضمّ (أُسْوَةٌ) ، وكان يحيى بن وثاب يقرأ هذه بالكسر ، ويقرأ قوله (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ) بالضمّ ، وهما لغتان . وذُكر أن الكسر فى أهل الحجاز ، والضمّ فى قيس ، يقولون : أُسوة ، وأُخوة ، وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة ، من المؤمنين به ، يقول لهم جلّ ثناوه : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، أن تتأسوا به ، وتكونوا معه حيث كان ، ولاتتخلّفوا عنه (لِمَنْ كانَ يَرْجُوالله) يقول : فإن من يرجو ثواب الله ورحمته فى الآخرة لايرغب بنفسه ، ولكنه تكون له به أُسوة فى أن يكون معه حيث يكون هو .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، قال : ثم أقبل على المؤمنين ، فقال (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) أن لايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به (وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا) يقول : وأكثر ذكر الله فى الخوف والشدّة والرخاء .

وقوله (وَلَمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ) يقول : ولمّا عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليما منهم لأمر الله ، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم ، الذى وعدهم بقوله (أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إلى قوله (قَرِيبٌ) هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم ، وتسليمهم لأمره الثناء ، فقال : وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره ، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ) . . . الآية قال : ذلك أن الله قال لهم فى سورة البقرة (أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ) . . . إلى قوله (إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) قال : فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق ، تأوّل المؤمنون ذلك ، ولم يزدهم ذلك إلا إيمانا وتسليما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، قال : ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به (قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَما زَادَهُمْ إلاَّ إيمانا وَتَسْلِيما) : أى صبرا على البلاء ، وتسليما للقضاء ، وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ)وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة فقال (أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حتى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله (مَتَى نَصْرُ اللهِ ، ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) هذا والله البلاء والنقص الشديد ، وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدّة والبلاء (قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَما زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانا وَتَسْلِيما) وتصديقا بما وعدهم الله ، وتسليما لقضاء الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء ، وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) يقول: فنهم من فرغ من العمل الذى كان نذره الله وأوجبه له على نفسه ، فاستشهد بعض يوم بدر ، وبعض يوم أُحد ، وبعض فى غير ذلك من المواطن (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه والفراغ منه ، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده ، والنصر من الله ، والظفر على عدوه . والنحب : النذر فى كلام العرب . وللنحب أيضا فى كلامهم وجوه غير ذلك ، منها الموت ، كما قال الشاعر :

قَضَى نَحْبَهُ فِى مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ [١]

يعنى : منيته ونفسه ؛ ومنها الخطر العظيم ، كما قال جرير :

بِطَخْفَةَ جالَدْنا المُلُوكَ وَخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ [٢]

أى على خطر عظيم ؛ ومنها النحيب ، يقال : نحب فى سيره يومه أجمع : إذا مدّ فلم ينزل يومه وليلته ؛ ومنها التنحيب ، وهو الخطار ، كما قال الشاعر :

وإذْ نَحَّبَتْ كَلْبٌ على النّاس أيُّهُمْ أحَقُّ بِتاجِ المَاجِدِ المُتَكَرِّمِ ؟ [٣]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) : أى وفوا الله بما عاهدوه عليه (فمنهم من قَضَى نَحْبَهُ) أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحد (ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ما وعد الله من نصره والشهادة على مامضى عليه أصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : عهده فقتل أو عاش (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) يوما فيه جهاد ، فيقضى نحبه عهده ، فيقتل أو يصدق فى لقائه .

---

(١) هذا عجز بيت لذى الرمة وصدره * عشية فر الحارثيون بعدما * وهوبر : اسم رجل ، أراد ابن هوبر (اللسان : هبر) . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، عند قوله تعالى : « فنهم من قضى نحبه » : أى نذره الذى كان . والنحب أيضا النفس : أى الموت . قال ذو الرمة : قضى نحبه . . » أى نفسه ، وإنما هو أيضا يزيد بن هوبر ، اهـ . وفى الديوان (طبعة كبردج سنة ١٩١٩ ص ٢٣٥) أراد يزيد بن هوبر ، وهو رجل من بنى الحارث بن كعب .

(٢) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى (أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، الورقة ١٧٤ ـ ب) و(اللسان : نحب) قال : وجعله جرير ابن الخطفى : الخطر العظيم ، قال : « بطخفة . . . البيت » ، أى خطر عظيم . وطخفة ، بفتح الطاء وكسرها : جبل أحمر طويل فى ديار بنى تميم . كانت به وقعة بين بنى يربوع ، وقابوس بن النعمان ، وكان النعمان قد بعث إليهم جيشا ، وأمر عليه ابنه قابوس وأخاه حسان ، فهزمتهم بنو يربوع بطخفة ، وأسروهما حتى منوا عليهما ، فذلك الذى أراد جرير (انظر معجم ما استعجم للبكرى طخفة)

(٣) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧٥٩) والتنحيب هنا مصدر نحب ، بشد الحاء أى صاح أو نادى بشدة . وأصل التنحيب : الدأب على الشىء ، والإكباب عليه لايفارقه (اللسان : نحب) . وجعله المؤلف بمعنى الخطار ، ولعله يريد المخاطرة بالنفس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : عهده (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قال : يوما فيه قتال ، فيصدق فى اللقاء .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : مات على العهد .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن فلان « قد سماه ذهب عنى اسمه » ، عن أبيه (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : نذره .

حدثنا ابن إدريس ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمه عيسى بن طلحة : أن أعرابيا أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فسأله : من الذين قضوا نحبهم ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران ، فقال : « هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : موته على الصدق والوفاء . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) الموت على مثل ذلك ، ومنهم من بدّل تبديلا [1] .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قال : النحب : العهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) على الصدق والوفاء (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) من نفسه الصدق والوفاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى بكير ، قال شريك بن عبد الله ، أخبرناه عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : الموت على ما عاهد الله عليه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) الموت على ما عاهد الله عليه .

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى قوم لم يشهدوا بدرا ، فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه ، ومنهم من بدّل ، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه ، وكان منتظرا ، على ما وصفهم الله به من صفاتهم فى هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن أنس بن النضر تغيب ، عن قتال بدر ، فقال : تغيبت عن أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئن رأيت قتالا ليرينّ الله ما أصنع ، فلما كان يوم أُحُد ، وهُزم الناس ، لقى سعد بن معاذ

(١) الذى فى الدر المنثور بدله : وآخرون ما بدلوا تبديلا .

فقال : والله إنى لأجدُ ريح الجنة ، فتقدّم فقاتل حتى قُتل، فنزلت فيه هذه الآية (مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن بكير ، قال : ثنا حميد ، قال : زعم أنس بن مالك قال : غاب أنس بن النضر ، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، لئن أشهدنى الله قتالا ، ليرينّ الله ما أصنع ؛ فلما كان يوم أُحُد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، فمشى بسيفه ، فلقيه سعد ابن معاذ ، فقال : أى سعد إنى لأجد ريح الجنة دون أُحُد ، فقال سعد : يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ماصنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بضع وثمانون جراحة : بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فاعرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، قال أنس : فكنا نتحدّث أن هذه الآية (مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) نزلت فيه ، وفى أصحابه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت حميدا يحدّث ، عن أنس بن مالك ، أن أنس بن النضر ، غاب عن قتال بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة « أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانوا لايجرءون على مسألته ، فقالوا للأعرابى : سله (مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) من هو ؟ فسأله ، فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم دخلت من باب المسجد وعلىّ ثياب خُضر ؛ فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ ؟ قال الأعرابىّ : أنا يا رسول الله ، قال : هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمَّانى ، عن إسحاق بن يحيى الطَّلْحِى ، عن موسى بن طلحة ، قال : قام معاوية بن أبى سفيان ، فقال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ » .

حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبى ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنى أبى ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة ، عن عمه موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة ، قال : لما قدمنا من أُحُد وصرنا بالمدينة ، صعد النبىّ صلى الله عليه وسلم المنبر ، فخطب الناس وعزّاهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر ، ثم قرأ (رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) . . . الآية ، قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فالتفت وعلىّ ثوبان أخضران ، فقال : أيُّها السَّائِلُ هَذَا مِنْهُمْ » .

وقوله (وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) : وما غيروا العهد الذى عاقدوا ربهم تغييرا ، كما غيره المعوّقون القائلون لإخوانهم : هلمّ إلينا ، والقائلون : إن بيوتنا عورة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) يقول : ما شكُّوا وما تردّدوا فى دينهم ، ولا استبدلوا به غيره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) : لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون .

وقوله (لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ - لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) : يقول : ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ، ووفائهم له به (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) بكفرهم بالله ونفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) من نفاقهم ، فيهديهم للإيمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان .

❁ إن قال قائل : ما وجه الشرط فى قوله (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ) بقوله (إِنْ شَاءَ) والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق ، فيقال ويعذّبه إن شاء ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته . وإنما معنى ذلك : ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء ، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم .

وقد بين ما قلنا فى ذلك قوله (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) فمعنى الكلام إذن: ويعذّب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة ، فيوفقهم لها ، أو يتوب عليهم فلا يعذّبهم .

وقوله (إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول : إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين ، رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) به وبرسوله من قُرَيش وغطفان (بِغَيْظِهِمْ) يقول: بكربهم وغمهم ، بفوتهم ما أمّلوا من الظفر ، وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) يقول: لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بجنود من الملائكة والريح التى بعثها عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) الأحزاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) وذلك يوم أبى سفيان والأحزاب ، ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالجنود من عنده ، والريح التى بعث عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) : أى قريش وغطفان .

حدثنى الحسين بن علىّ الصُّدائى ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه ، قال : حُبِسنا يوم الخندق عن الصلاة ، فلم نصلّ الظهر ، ولا العصر ، ولا المغرب ، ولا العشاء ، حتى كان بعد العشاء بهوىّ كفينا ، وأنزل الله (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ، فأقام الصلاة ، وصلى الظهر ، فأحسن صلاتها ، كما كان يصليها فى وقتها ، ثم صلى العصر كذلك ، ثم صلى المغرب كذلك ، ثم صلى العشاء كذلك ، جعل لكل صلاة إقامة ، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا) .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبدالحكم ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد ، عن أبى سعيد الخدرى قال : حُبِسنا يوم الخندق ، فذكر نحوه .

وقوله (وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) يقول : وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه ، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله ، لايغلبه غالب ؛ عزيزا : يقول : هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) : قويا فى أمره ، عزيزا فى نقمته .

القول في تأويل قوله تعالى .

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك هو مظاهرتهم إياه ، وعنى بذلك بنى قريظة ، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله (مِنْ أهْلِ الكِتابِ) يعنى : من أهل التوراة ، وكانوا يهود : وقوله (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) يعنى : من حصونهم :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ) قال قريظة ، يقول : أنزلهم من صياصيهم :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ) وهم بنو قُرَيظة ، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه ، فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبىّ الله ، قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه ، وقد غسلت شقه ، إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقال : عفا الله عنك ، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة ، فانهض إلى بنى قريظة ، فإنى قد قطعت أوتارهم ، وفتحت أبوابهم ، وتركتهم فى زلزال وبلبال ؛ قال : فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سلك سكة بنى غنم ، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب ؛ قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصروهم وناداهم : يا إخوان القردة ، فقالوا : يا أبا القاسم ما كنت فحاشا ، فنزلوا على حكم ابن معاذ ، وكان بينهم وبين قومه حلف ، فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة ، وأومأ إليهم أبو لبابة أنه الذبح ، فأنزل الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تسبى ذراريهم ، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقال قومه وعشيرته : آثرت المهاجرين بالعقار علينا ؛ قال : فإنكم كنتم ذوى عقار ، وإن المهاجرين كانوا لاعقار لهم . وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال « قَضَى فِيكُمْ بِحُكْمِ اللهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال « لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرى ، معتجرا بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ؛ فقال : أقد وضعت السلاح يارسول الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ماوضعت الملائكة السلاح بعد ، مارجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يامحمد بالسير إلى بنى قريظة ، وأنا عامد إلى بنى قريظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ،

فأذّن فى الناس : إن من كان سامعا مطيعا فلا يصلينّ العصر إلا فى بنى قريظة ، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس ، فسار علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله لاعليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخباث ، قال : لِمَ ؟ أظُنُّكَ سَمِعْتَ لى مِنْهُمْ أذًى ، قال : نعم يا رسول الله ، قال : لَوْ قَدْ رأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذلكَ شَيْئًا ؛ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : يا إخْوَانَ القِرَدَةِ هَلْ أخْزَاكُمُ اللهُ وأنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قالُوا : يا أبا القاسم : ماكنت جهولا ؛ ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هلْ مَرَّ بِكُمْ أحَدٌ ؟ فقالوا : يا رسول الله ، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذَاكَ جِبْرَائِيلُ بُعِثَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ ، وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة ، نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم يقال لها : بئر أنا ، فتلاحق به الناس ، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايُصَلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسوله .

والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى ، قال : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب . وقد كان حُيَيّ بن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ؛ قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها ؛ قالوا : وما هنّ ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدّقه ، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبيّ مرسل ، وإنه الذى كنتم تجدونه فى كتابكم ، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولانستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم هذه علىّ ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ، ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنتخذنّ النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؛ قال : فإذا أبيتم هذه علىّ ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا ، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرّة - قالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك ؟ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما ، قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا من حلفاء الأوس نستشيره

فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ، فرقّ لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ؛ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده وقال : لاأبرح مكانى حتى يتوب الله علىّ مما صنعت وعاهد الله لايطأ بنى قريظة أبدا ولايرانى الله فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ ، أَمَّا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ ؛ ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من بنى قريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى ، فمرّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصارى تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : مَنْ هَذَا ؟ قال : عمرو بن سعدى ؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لاأغدر بمحمد أبدا ، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهمّ لاتحرمنى إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب ، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ؛ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللهُ بِوَفَائِهِ . قال : وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، فالله أعلم .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى الخزرج بالأمس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أُبىّ ابن سلول ، فوهبهم له ؛ فلما كلمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قالوا : بلى ، قال : فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ؛ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق « اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ » فلما حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة ، أتاه قومه فاحتملوه على حمار ، وقد وطئوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك

لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لاتأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى إليهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التى سمع منه ؛ فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، إن الحكم فيهم كما حكمت ، قال : نعم ، قال : وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهومعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتُسبى الذرارى والنساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ ، ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار ابنة الحارث امرأة من بنى النّجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدوّ الله حُيَىّ بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستّ مئة أو سبع مئة ، والمكثر منهم يقول : كانوا من الثمان مئة إلى التسع مئة ، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا ياكعب ، ما ترى مايُصنع بنا ؟ فقال كعب : أفى كلّ موطن لاتعقلون ؟ ألا ترون الداعى لاينزع ، وإنه من يُذهب به منكم فما يرجع ، هو والله القتل؛ فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُتى بحُيَىّ بن أخطب عدوّ الله ، وعليه حلة له فُقَّاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة ، لئلا يسلبها ؛ مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخْذَل ؛ ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لابأس بأمر الله ، كتاب الله وقدره ، وملحمة قد كُتبت على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه ؛ فقال جبل بن جوّال الثعلبى :

لعَمرُكَ مَا لامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسه ... ولكنّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ
لجَاهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها ... وقَلْقَلَ يَبْغى العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ [1]

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندى

(١) البيتان لجبل بن جوال الثعلبى ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة (عن الروض الأنف للسهيلى ، والاستيعاب لابن عبد البر . وانظر سيرة بن هشام طبعة الحلبى) : ٣ : ٢٥٢ ومعنى قلقل : أى تحرك . وقد قال البيتين عند مقتل حى بن أخطب رأس بنى قريظة .

تحدّث معي وتضحك ظهرا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل ؟ قلت : ولِمَ ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قال : فانطلق بها ، فضُربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبي منها طيب نفس ، وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تُقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ) والصياصي : الحصون والآطام التي كانوا فيها (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) .

حدثنا عمرو بن مالك البكرى ، قال : ثنا وكيع بن الجرّاح ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) قال : من حصونهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) يقول : أنزلهم من صياصيهم ، قال : قصورهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) : أى من حصونهم وآطامهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ) قال : الصياصي : حصونهم التي ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى ؛ وأصل الصياصي : جمع صيصة ، وعنى بها ههنا : حصونهم ؛ والعرب تقول لطرف الجبل : صيصة ؛ ويقال لأصل الشيء : صيصة ؛ يقال : جزّ الله صيصة فلان : أى أصله ؛ ويقال لشوك الحاكة : صياصي ، كما قال الشاعر :

كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ [1]

وهي شوكتا الديك .

وقوله (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) يقول : وألقى في قلوبهم الخوف منكم (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) يقول : تقتلون منهم جماعة ، وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حين ظهر عليهم (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) يقول : وتأسرون منهم جماعة ، وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا .

---

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصمة ، وصدره « فجئت إليه والرماح تنوشه * (لسان العرب : صيص) . قال أبو عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ١٩٤ ـ ا) عند قوله تعالى : « من صياصيهم » : أى من حصونهم وأصولهم . وهي أيضا شوكة الحاكة ، قال : * كوقع الصياصي في النسيج الممدد * وهي شوكتا الديك ، وهي قرن للبقرة أيضا . اهـ . وفي (اللسان : صيص) : والصيصة : شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة ، قال دريد بن الصمة . فجئت إليه . . . البيت » . ومنه صيصية الديك التي في رجله . وصياصي البقر : قرونها . وربما كانت تركب في الرماح مكان الأسنة . والصياصي : الحصون . وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صيصية . ومنه قيل للحصون الصياصي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) الذين ضربت أعناقهم (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) الذين سبوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) أى قتل الرجال وسبى الذرارىّ والنساء (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) يقول : وملككم بعد مهلكهم أرضهم ، يعنى مزارعهم ومغارسهم وديارهم ، يقول : ومساكنهم وأموالهم ، يعنى سائر الأموال غير الأرض والدور .

وقوله (وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) اختلف أهل التأويل فيها ، أىّ أرض هى ؟ فقال بعضهم : هى الروم وفارس ونحوها من البلاد التى فتحها الله بعد ذلك على المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) قال : قال الحسن : هى الروم وفارس ، وما فتح الله عليهم .

وقال آخرون : هى مكة .

وقال آخرون : بل هى خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) قال : خيبر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ) قال : قُرَيظة والنضير أهل الكتاب (وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) قال : خَيبر .

❊ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى قريظة وديارهم وأموالهم ، وأرضا لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خَيبر ، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن ، مما كان وطئوه يومئذ ، ثم وطئوا ذلك بعد ، وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل فى قوله (وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا) لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض .

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) يقول تعالى ذكره . وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك ، وعلى نصره إياهم ، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة ، لا يتعذّر عليه شىء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شىء حاول فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد (لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) يقول فإنى أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله (وَمَتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُهُ ، وَعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعا بالمَعْرُوفِ حَقّاً على المُحْسِنِينَ) وقوله (وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحا جَمِيلاً) يقول : وأطلقكن على ما أذن الله به ، وأدب به عباده بقوله (إذَا طَلَّقْتُمْ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما (فإنَّ اللهَ أعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله (أجْرًا عَظِيما) .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من عرض الدنيا ، إما زيادة فى النفقة ، أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذكر ، ثم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر عليه ، والرضا بما قسم لهن ، والعمل بطاعة الله ، وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذى يقسم لهن . وقيل : كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها :

ذكر الرواية بقول من قال : كان ذلك من أجل شىء من النفقة وغيرها :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن أبى الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج صلوات ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال عمر : إن شئتم لأعلمن لكم شأنه ؛ فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتكلم ويرفع صوته ، حتى أذن له ، قال : فجعلت : أقول فى نفسى أىّ شىء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، أو كلمة نحوها ، فقلت : يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتنى النفقة فصككتها صكة ، فقال : ذلكَ حَبَسَنِى عَنْكُمْ ؛ قال : فأتى حفصة ، فقال : لاتسألى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئا ماكانت لك من حاجة فإلىّ ، ثم تتبع نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فجعل يكلمهن ، فقال لعائشة : أيغرك أنك امرأة حسناء ، وأن زوجك يحبك ؟ لتنتهين ، أو لينزلن فيك القرآن ؛ قال : فقالت أم سلمة : يا ابن الخطاب ، أوَ ما بقى لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها ؟ قال : ونزل القرآن (يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا) . . . إلى قوله (أجْرًا عَظِيما) قال : فبدأ بعائشة فخيرها ، وقرأ عليها القرآن ، فقالت : هل بدأت بأحد من نسائك قبلى ؟ قال : لا ، قالت : فإنى أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ولا تخبرهن بذلك ؛ قال : ثم تتبعهن فجعل يخيرهن ويقرأ عليهن القرآن ، ويخبرهن بما صنعت عائشة ، فتتابعن على ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحا جَمِيلاً) . . . إلى قوله (أجْرًا عَظِيما) قال : قال الحسن وقتادة : خيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار فى شىء كن

أردنه من الدنيا . وقال عكرمة في غيرة : كانت غارتها عائشة ، وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، وبدأ بعائشة ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة ، في قول الله (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) . . . إلى قوله (عظيما) قالا : أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار ؛ قال قتادة : وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا ، وكان تحته تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، وصفية بنت حيي بن أخطب ؛ فبدأ بعائشة ، وكانت أحبهن إليه ؛ فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن على ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة قال : لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فقصره الله عليهن ، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله .

ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (ترجي من تشاء منهن ، وتؤوي إليك من تشاء) . . . الآية ، قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فهجرهن شهرا ، نزل التخيير من الله له فيهن (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) فقرأ حتى بلغ (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ، لمن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هي عنده ، وعزل فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهن ، إيثار بعضهن على بعض ، أدنى أن يرضين ؛ قال : ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ؛ ومن عزل لم يصبه ، فخيرهن بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت ، وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ، ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت

عائشة : لما نزل الخيار ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى أُريدُ أنْ أذْكُرَ لكِ أمْرًا فلا تَقْضِي فيه شيئًا حتى تَسْتأْمِرى أبَوَيْكِ ؛ قالت : قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : فردّه عليها ، فقالت : ما هو يا رسول الله ؟ قال : فقرأ عليهنّ (يا أيُّها النَّبيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) . . . إلى آخر الآية ؛ قالت : قلت : بل نختار الله ورسوله ؛ قالت : ففرح بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت آية التخيير ، بدأ النبيّ صلى الله عليه وسلم بعائشة ، فقال : يا عائشةُ إنّى عارضٌ عليكِ أمْرًا فلا تَفْتاتِى فيه بشيْءٍ حتى تَعْرِضيه على أبَوَيْكِ ، أبي بكر وأُمّ رُومانَ ، فقالت : يا رسول الله وما هو ؟ قال : قال الله (يا أيُّها النَّبِي قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها) إلى (عَظِيما) ، فقلت : إنى أريد الله ورسوله ، والدار الآخرة ، ولا أؤامر في ذلك أبويّ أبا بكر وأمّ رومان ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقرأ الحُجَرَ فقال : إن عائشة قالت كذا ، فقلن : ونحن نقول مثل ماقالت عائشة .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ، عن عائشة ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم « لما نزل إلى نسائه أُمر أن يخيرهنّ » ، فدخل عليّ فقال : سأذكر لكِ أمْرًا ولا تَعْجَلِي حتى تَسْتَشِيرِى أباكِ ، فقلت : وما هو يانبيّ الله ؟ قال : إنّى أُمِرْتُ أنْ أُخَيِّرَكُنَّ ، وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين ؛ قالت : قلت : وما الذى تقول ؟ لاتعجلى حتى تستشيرى أباك ، فإنى أختار الله ورسوله ؛ فسُرّ بذلك ، وعرض على نسائه ، فتتابعن كلهنّ ، فاخترن الله ورسوله

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى موسى بن عليّ ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبوسلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه ، بدأنى ، فقال : إنّى ذاكِرٌ لكِ أمْرًا ، فلا عليْكِ أنْ لاتَعْجَلِي حتى تَسْتأْمِرى أبَوَيْكِ ؛ قالت : قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمرانى بفراقه ؛ قالت : ثم تلا هذه الآية (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحا جَمِيلاً) قالت : فقلت : ففى أىّ هذا أستأمر أبويّ ؟ فانى أريد الله ورسوله ، والدار الآخرة ؛ قالت عائشة : ثم فعل أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت ، فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخترنه طلاقا من أجل أنهنّ اخترنه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره لأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم : (يا نِساء النَّبيّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنّ بفاحِشَة مُبَيِّنَة) يقول : من يزن منكنّ الزنى المعروف الذى أوجب الله عليه الحدّ ، يضاعف لها العذاب على فجورها فى الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ) قال : يعنى عذاب الآخرة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ) بالألف غير أبى عمرو ، فإنه قرأ ذلك (يُضَعَّفْ) بتشديد العين تأوّلا منه فى قراءته ذلك أن يضعّف ، بمعنى : تضعيف الشىء مرّة واحدة ، وذلك أن يجعل الشىء شيئين ، فكأن معنى الكلام عنده : أن يجعل عذاب من يأتى من نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة فى الدنيا والآخرة ، مثلى عذاب سائر النساء غيرهنّ ، ويقول : إنّ (يُضَاعَفْ) بمعنى أنْ يجْعَل إلى الشىْ مثلاه ، حتى يكون ثلاثة أمثاله فكأن معنى من قرأ (يُضَاعَفْ) عنده كان أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم . فلذلك اختار يضعف على يضاعف . وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك يضاعف ما كان يقول فى ذلك ، ويقولون : لانعلم بين : ويُضَاعَفْ ويُضَعَّفْ فرقا .

والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قرّاء الأمصار ، وذلك (يُضَاعَفْ) . وأما التأويل الذى ذهب إليه أبو عمرو ، فتأويل لانعلم أحدا من أهل العلم ادّعاه غيره ، وغير أبى عُبيدة معمر بن المثنى ؛ ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لابرهان له من الوجه الذى يجب التسليم له .

وقوله (وكانَ ذلكَ على الله يَسيرًا) يقول تعالى ذكره : وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهنّ على الله يسيرا ، والله أعلم .

تمّ الجزء الحادى والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثانى والعشرون

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ)